الكناية في القرآن الكريم

موضوعاتها ودلالاتها البلاغية

الدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني

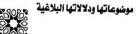
أستاذ البلاغة المساعد في قسم اللغة العربية كلية الأداب/ جامعة الموصل







الكناية في القرآن الكريم





رقم الإيداع لدى الكتية الوطنية (2013/7/2521

الحياليء أحمد فللحي

الكتابة في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالتها البالاغية/ أحمد التحي الحيائي - عمل: دار غيداء النشر والتوزيع، 2013

()من ·(2013/7/2521) iks

الوامنشات:/ الكناية// للدنة القرآن// العراق الكريم

ه تم زعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة الكتية الوطئية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحاتوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-33-4

لا يجوز نشر كي جزء من هذا فكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على كي وجد أو باي طريقة الكترونية كانت أو ميكاتيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل وخلاف ذلك إلا بمواطف علي هذا كداية مقيما.



كلاع الملي - شارع اللكلة رائية الميندفد مسمر ، 5353402 6 5962

مجمع المساف التجاري – الطابق الأول +962 7 98667148 . 42-44

الكناية في القرآن الكريم

موضوعاتها ودلالاتها البلاغية

د. أحمد فتحي رمضان الحياني

أستاذ البلاغة المساعد في قسم اللغة الحربية كلية الآداب / جامعة الموصل

الطبعة الأولى 2014 م – 1435 هـ

(الاهسراء

لإل*اولالريّ*.. لإجمدماناً.. وخفض جناح

ولان زوجتي. ولأولكوي: سارة وبعلي ومروة

ولإله لأخوني ولأخوا تي

ولال خاك الولاي الكل الكريم البوكس.

جميعاً لأهري لحمشرة جهري



الغهرس

القدمة
المهاد النظري (الكناية في الدراسات البلاغية):
_ الكتابة لغةً
_مفهوم الكناية ودلالتها الاصطلاحية
ــ الكناية بين الحقيقة والحجاز
ـ الفرق بين الكناية والتعريض
ـ معيار الجودة في الكناية عند البلاغين
الفصل الأول: الكناية الجنسية:
_ الرُّفث واللَّباس والمباشرة
الإنضاء
ـ التغشي
ـ الإعتزال والتقرّب والإتيان
ـ اللَّمس والمسِّ
ـ الهجر في المضاجع
ـ الدخول
ـ التمتّع
ـ السِرُّ
ـ تحت عَبْدُنين
ـ الطُّمث والفرش المرفوعة
الفصل الثاني: الكناية اللونية
ـ الكناية باللوُّن المباشر:
*الكناية باللون الأبيض والأسود
«الكناية بالله ن الأن ق

الكناية في القرآن الكريم
وضوعاتها ودلالاتها البلاغية



	#الكناية باللون الأخضر والأصفر
	الكناية باللون غير المباشر
	الكتاية بالإسفار والغبرة والقترة
	«ناضرة وبأسرة
	الفصل الثالث: الكتابة النفسية:
137	_ عضٌ الأنامل
140	عض البدين
141	ـ تقليب الكفّين.
143	ـ السُّقوط في اليد
144	ـ ردُّ الأيدي في الأفواه
145	_ جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب
147	ــ النبذ وراء الظهور
149	ـ الانقلاب على الأعقاب
	ــ تنكيس الرؤوس
	ـ تسوية الأرض بالكافرين
	ـ خضوع الأعناق
	ـ بلوغ القلوب الحناجر
	ـ شخوص الأبصار والإهطاع وإقناع الرؤوس
	ـ خشوع الأبصار
	_الزُّلُق بالأبصار
159	_ الإزدراء بالأعين
160	ــ قرّة العين
	الفصل الرابع: الكناية الحُلَقية:
	_ أكل لحم الأخ الميت
	ـ حَالَة الحطب
167	_ غلّ اليد إلى العنق ويسطها كلّ البسط

الكتاية في القرآن الكريم موشوعاتها ودلالاتها البلاغية



172	ــ قبض اليد
173	_ النقير
174	_ منع الماعون
	ـ تصمعير الحد
	ــليّ الرؤوس
	الْتَمِعِلِي
179	شي العِطف
180	ــ إنغاض الرؤوس
181	ـ الإعراض والنَّـأي بالجانب
183	ـ المشي على الأرض هَوْناً
	ـ تثبيت الأقدام
183	ـ القتال في قرئ محصَّنة أو من وراء جُلُـر
	ـ الإصعاد والليّ
186	ـ غضُّ الأبصار والضَّرْبُ بالأرجل
	_ مدّ العين
191	ـ التجافي عن المضاجع
	الفصل الحامس: الكناية الساخرة:
	ـ الوسم على الخرطوم
	ـ السُّفْع بالناصية
	ـ دُقُّ إِنَّكَ أَنت العزيز الكريم
	ـ الضُّرُّبُ على وجوه الكافرين وأدبارهم
	- توليةُ الأدبار
207	ـ خَزَقُ الأرض وبلوغ الجبال طولا
	ـ الصُّلَف
209	ـ شرً اللواب
211	ـ دوران الأعين

	غرآن الكريم
682	צעבעו וועצעע

الخناية في العران الخريم. موشوعاتها ودلالاتها البلاغية

_ الحوالف
ــ أَكُلُّ الطعام
_ الآخذ بالنُّواصي.
الفصل السادس: الكناية المرفية:
ـ لآكِنَةُ والوَقْرُ والحِجابِ.
_ غُلف
- الختم
_ الطُّبْعِ
_ الأقفال
_ الأغلال
_ الغِطاء
القصل السايع: الكتاية التعريضية:
_إِنَّما يَتَلَكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ
ـ فسئلوهم إنْ كانوا ينطقون
ـ نِبًا الحَصْمِ
ــالمثل بأمرأة نوح وامرأة لوط
ـ يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سَوْءِ وما كانت أمك بغيا
_ أفحسبتم ألما خلقناكم عبثاً
ـ ما هذا إلاّ بشر مثلكم
- أولوا الأيدي والأبصار
ـ واللمين إذا ذكَّروا بآيات ربَّهم لم يخرّوا عليها صُمّاً وعُمْيانا
. وما هي من الظالمين ببعيد
وكأين من نبي قاتل معه ربِّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم
و إِنَّا أَوْ إِياكُم لَعْلَى هَدَى أَوْ فِي ظَلَالُ مِينَ
وماليَ لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجّعون
. لا تُسئلون هما أجرمنا ولا تُسأل عما تعملون.

_ كنايات عن العذاب:



الكفاية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلافية



310	 بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
	ـ كنايات عن الرحة:
311	*فتح البركات من السماء والأرض
312	 الأكل من فوق ومن تحت الأرجل
313	*وحملناه على ذات الواح ودسر
314	ـ كنايات أخرى:
314	*التنشئة في الحلية وفي الحُصام غير مبين
	*تطهير الثياب
316	#البُهتان المُفترى بين البدين والرجلين
319	LE13.5
	ثيت المصادر والمراجع

القدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام القصحاء محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

ويعد:

فإن هذا: محاولة جادة تنطلق من القرآن الكويم كناب العربية الأكبر لدراسـة ظـاهرة أسـلوبية من ظواهر أساليبه المعجزة، وهمي ظاهرة الكناية بوصفها فتًا من فنـون القول الـــي يحضـل بها القرآن الكريم

واختياري هذا الموضوع عائد أساساً إلى سبين، أولمسا: حبّي الكبير لكتاب الله منذ الصغر.. وثانيهما: إماني بأن التخصص في علم البلاضة العربية بجب أن يتعمّق في رحاب القرآن، فهو معجزة البلاضة العربية ومقياسها الأمثل الذي يُحتذى به على مدار الزمن. من أجل ذلك انمقدت النية على أن تكون دراستي فيما يتعلق بالقرآن، ووقع الاختيار على موضوع (الكناية) تحديداً الأهميته في الدرس البلاغي والأدبي من جهـة، ولعدم دراسة هذا الفن المياني دراسة على وجه الاستقلال شاملةً متقمية من جهة أخرى.

وقد البعت في كتابي منهجين:

الأول: منهج تاريخي تجلّى في المهاد النظري الذي صنّرت به الكتاب، استعرضيت فيـه الكتاب، لستعرضيت فيـه الكتابة في مصللاحاً ونشأة وتطوراً وقيمة وبلاغة، وكان هسذا المنهج كفيلاً بيهان مفهوم الكتابة وتطوره عبر المراحل التاريخية المتعاقبة.

والثاني: منهج تحليلي قامت عليه نصول الأطروحة رأيته جديداً وكفيادً بيسان الملامح الفتية التي توافرت عليها الكتابة القرآنية، وقد وظفها القرآن وسيلة حيوية فاصلة في توصيل إشراضه ومقاصده التي هدف إليها.

وموضوع الكناية ليس صهلاً يسيراً، فهو يكداد أن يكون من أكثر الأساليب البلاغية دقة وخضاء، وقد اختلف البلاغيون القدامي في تحديده وبيان ما يدخسل ضحنه من الظراهر والأساليب.. بيد أن مفهوم الكناية تبلور على يدي تُداسة بن جعفر باسم الأرداف والحدة عنه البلاغيون الذين جاءوا بعده، ونقل عبد القاهر الجرجاني تعريف تُداسة للأرداف وسمّاه كناية، وكذلك فعل البلاغيون بعد الجرجاني.. ويتسع مفهوم الكناية عند ابن الأثير حينما رآها

كل أصلوب يحتمل معنيين، أحسمها قريب، والآخر بعيسه، وهـو مـراد المتكلم في الغالب، ويتحقّق هذا المعنى البعيد عنده إمّا بالارداف،وهو التعبير عن الملزوم بلازمه، وهو ما ذهب إليه قُدامة بن جعفر، أو بالتمثيل، وهو التعبير عن المعنى بمثاله، أو يالحجاورة، وهو التعبير عــن الــشيء بتركه إلى ما جاوره، ومع هذا التوسع في مفهوم الكناية فإن ابن الأثير لم يعد التعريض منها. شم يتسم مفهوم الكناية عند السكاكي حينما رآها تشمل: التعريض والإرداف والتمثيل والتلويح والرمز والإشارة والإيماء، فجعلها طرقاً للكناية وإن اختلفت إذ يضمها بعد عـام وهــو الإشــارة إلى المعنى البعيد عن طريق المعنى القريب الذي يدل عليه ظاهر اللفظ.

لذلك كان حقيقاً على الكتاب أن ينتهج هذا المفهوم الواسع للكناية بطرقها المتعددة في الدراسة وأن لا يقتصر على كنايـة الإرداف، كما استقرت تعريفاً واصطلاحاً لها عند المتأخرين كالقزويني وشراح تلخيصه.. لأن هذا المفهوم الواسم للكتابة يستوعب أنواعها ويعبر عن طبيعتها الفنية والأدبية، وأجدى في دراسة الكتابة القرآنية دراسة أدبية وقد شملت هذه الأنواع.

أما مصادر الكتاب ومراجعه فهي عديدة متنوعة، ويقف في طليعة المصادر القديمة المختصة التي حَظِيَ بها الكتاب وأفنته: تفسير (الكشاف) للزغشري (ت 538هـ) الذي استنار به الكتاب واستأنس، فلا صحب أن يحتل مكانة متميّزة فيه، فضلاً عمّا أفادته التفاسير الأخرى والمصادر البلاغية المختصة والمراجع الحديثة، وقد عملت هذه المصادر والمراجع على نمو الكتاب واكتماله بالصورة التي خرج بها، وقبل كل ذلك كان (القرآن الكريم) هـو مصدري الوحيد التمس منه بالتلاوة المتكررة آناء الليل والنهار الهداية إلى المعرفة والإفادة بما يُغني الكتاب.

أمًّا بناء الكتاب فقيد قام على مهياد وتسعة فصول، اختصَّ المهياد بدراسة الكتابية من خلال المعاجم والمولفات التي تناولت بلاغة القرآن وتفسيره، والدراسات البلاغية المختمعة عمر المراحل التاريخية، ولما كان من المتعدر بسط جميم الدراسات عمدت إلى مبدأ (الانتقاء) فأوردت أكثر المصادر دلالةً على الموضوع وأوفاها قـدرةً على استكمال متطلباته مركَّزاً في أثناء البـسط على موضوع الكناية القرآنية ومجليًّا آراء الدارسين القُدامي من خلال تحليلهم لهـذا الفـن، وقـد امتاز عندهم _ على الأخلب الأحم _ بالروح الأدبية في تذوقه تذوقاً أدبياً أصيلاً.

وأهقب المهاد الكناية في القرآن الكريم، وقند انتظمت في فصول تسعة جاءت حسب المكنى بـ والمكنى عنه، فحملت عنوانات موضوعية مجترحة من طبيعة الكنايات التي تناولتها، وقد عمدت إلى الانتقاء في التحليل لكثرتها، فكان الفصل الأول بعنوان (الكنابة الجنسية) يبحث في طبيعة هذه الكناية في القرآن،وقد كانت نوعين: كناية جنسية مشروعة بـين الـزوجين، وكناية جنسية غير مشروعة فيما وراء ذلك، وقد ركز الفصل على الكناية الجنسية المشروعة في العرض والتحليل والتطبيق لكترتها وأهميتها في أداء الدلالـة الانسانية الـي قيمهـا القرآن في العلاقة بين الزوجين.

وكان الفصل الثاني بعنوان (الكتابة اللونية) وقسد كانست نموعين: كتابية باللون المباشر كاللون الأبيض والأصدود والأزرق والأصفر، وكتابية باللسون غير المباشر وهسو يتغلل في الصورة الكتائية فيتداعى ليشير إلى دلالته على نحمو مكتفكاللون المباشر بوصفهما إشارة كتاثية موحية.

وجاه الفصل الثالث بعنوان (الكناية النفسية) وقد كان ميدان التطبيق على الكنايات التي تجسّد بالحركة المرثية مسواء أكانت الحركة باليد أو بالعين أو بالرأس أو بأي عفسو من أصضاء جسم الانسان تُعجسُد حالات نفسية معينة وخلجات شعورية متلونة حسب السياق المذي تتشكّل فيه..

أما الفصل الرابع فهو يحمل عنوان (الكناية الحُلَقية) تؤدي فيه كل كناية دلالة خُلقية سلبية كانست أو إيجابية كالغيبة والنميمة، والبخل والتبذير، والشجاعة والجبن، والتكبر والتواضع والكرم، تصل إلى المثلقي عبر فن الكناية ذي الطاقة العميرية والتصويرية فتكشف الكناية عن مكنوناتها بما يثري الفكر والشعور وتحدث بالمتلقي استجابة في تلقيه الدلالات الحُلقية ترفياً أو تنفيراً.

وتناول الفصل الحامس (الكناية الساخرة) من خلال مجمل الآيات التي احتوت كنايات ساخرة وهي ـ على الأعم الأخلب ـ تستهدف أثمة الكفس والشرك في صورة كاريكاتيرية تئيــر السخرية منهم والضحك، وتحطم قواهم النفسية والمعنوية التي يوجهونهما إلى محاربة الاسملام وإيذاء المسلمين.

أما القصل السادس الذي يجمل عنوان (الكناية المرقية) فقد تناول الدلالة المعرقية في إطار ما يتعلق بالحواس والإدراك كالسمع والبصر والفواد بوصفها وسائل تلقي المعرقة التي تعدّ في المنظرر القرآني أداة هادية إلى الإيمان بالله للله، فحددت هذه الكناية عالمين متضادين: عالم الكفر والضلال وأصحابه الكافرين اللين تصورهم الكناية وهم يرزحون في موانع حسية



تحجيهم عن المعرقة في صورة بيانية معجزة، وعالم الإيمان والهدى وأصحابه المؤمنين الذين أنسادوا عا منحهم الله من حواس ووسائل إدراك وفهم على نور ويصيرة.

وانعقد الفصل السابع (الكناية التعريضية) على دراسسة نـوع صن الكنايـة يصدُّ طريقـة متميّزة من طرقها في التعبيـر فاستخلصنا التعريف لهذا النـوع صن الكنايـة ثـم أفـضنا بالتحليـل والتطبيق الكاشف عن وظيفته في مواقع الآيات الكريمة وبيان أثره التعبيري فيها.

وجاء الفصل الثامن بعنوان (كتايات عن يوم القيامة) يصوِّر ذلسك الميوم العظيم (يوم القيامة) من خلال كتايات متعددًا، تجلّي كلّ كتاية دلالة خاصة بها في بنائها وإيقاعها، فضلاً عن كنايات اخرى تتصل بذلك اليوم وما يحدث فيه من أهموال وأحداث مروِّعة للكون والحياة والإنسان.

واشتمل الفصل التناسع (كنايات في موضوعات متفرقة) على محاور متعلدة همي: كنايات عن الشدة والكرب، وكنايات عن مصارع الغابرين،وكنايات عن علماب الله، وكنايات عن رحمة الله، وكنايات أخرى تتفرد كل كناية بموضوع معين يصل إلى المتلقمي عبسر فمن الكناية بحيوية وقوة وتأثير.. وكنايات تتعلق يخلق الكون، وأخرى تتعلّق بذات الله على يُستشف منها معاني عظمة الله وقدرته المهيمنة على الكون، وربما كان وراء هله الصور الكنائية من الأسرار والمعاني مالا يجيط بها الإدراك والإجتهاد.

وانتهى مطاف الكتاب بخاتمة عرضت لأهم النتائج وأميزها، ولم أذخر في كمل مواحل الكتاب وسعاً لتحقيق بعض من طموح:، ثم ألحقت ب: جدولاً إحصائياً مفصلاً لكنايات القرآن الكريم موثباً حسب السور القرآنية، وملحقاً إحصائياً آخر للكناية التعريضية، معتمداً في الإغلب التفاصير والمصادر البلاغية المختصة، واجتهدت في تعيين طائفة من الكنايات القرآنية مما لم للذكر في الدواسات الفرآنية والبلاغية ميشناً نوعها ودلالاتها بمقتضى سياق الآية، ومتحرياً اللقة والاستفحاء ما استطعت إلى ذلك سيبلاً، والله حسبي وهو نعم الوكيل.

أحمد فتحي رمضان

الهاد

الكناية في الدراسات البلاغية

الكناية لغةً:

كنى في (للمحجم العربي) تلل على (علول عن لفظ للى آخر دال عليه). قال الحليل (ت 170 هـ): "كنى فلان يكني عن اسم كذا، إذا تكلّم بغيره عمّا يُستدلُّ بـه عليـه، نحــو: الجمــاع.. والغــالط والرفث وغوه " (11)، فهو يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه.

كما اشترط هذه الدلالة ابن فارس (ت 395 هـ): 'يُقال: كنيّتُ عن كــلما.. إذا تكلُّمت بغره مما يُستدل عليه "⁽²⁾.

إلاً أن الجوهري (ت 393 هـ) قال: 'الكناية: أن تتكلّم بشيء وتريد به غيره '(ك. وبذلك فهو لم يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه صراحةً، ويبدو أنّ الجوهري لم يذكر الدلالة، لكونها لازمة للكتابة، وأن المكنى لا يعمد إلى مالا دلالة له على المكنى حنه، ولهذا قبإن ابن منظور (ت 711هـ) يأخذ بالقولين (المذي يشترط الدلالة والدني لا يشترطها) وكأن القولين واحد فيقول: 'والكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وكئى عن الأمر بغيره يُكنى كنايةً. يعني: إذا تكلم بغيره عما يستدل به عليه، غود الرفك والمغافط ونحوه (4).

وفي ضوء هـذا تُفسَّر الكتابة بأيِّ من هـذين القولين. وهذا ما ذهب إليه الفـــروز آبــادي (ت 817 هـــ)، إلاَّ أنه يقتم ما أشترطت فيه الدلالة على مــا لم تــشترط فيــه الدلالــة علـــ مـــا لم تشترط فيه فقال: 'كنا به عن كذا يُكنِّي، ويَكنُّو كتابةُ: تكلِّم بما يُستدلُّ به عليه أو أن تتكلّم بــشيء وتريد غيره "^{وي}.

⁽¹⁾ كتاب العين: 5 / 411 (كني).

⁽²⁾ متايس اللغة: 5 / 139 (كنو).

⁽³⁾ الصحاح: 6 / 2477 (كني).

⁽⁴⁾ لسان العرب: 15 / 233 (كنى).

⁽⁵⁾ القاموس الحيط: 4 / 386 (كني).

ونرى أن اشتراط الدلالة على المكنى عنه وتقييد الكناية بـ أولى مـن عــدم اشــتراطها وإطلاق القول فيها، إذ إنّ اشتراط الدلالة عيَّز الكناية من غيرها من الأساليب. فمع الاطلاق يفهم من الكناية بحرد العدول عن لفظ إلى غيره، فتختلط الكناية بغيرها كالتورية أو

وقد جعل قسم من اللغويين الكناية تورية، قال ابن فارس معقباً على قول الشاعر: وإنَّى الكينو مِن قَلُورَ بغيرها وأغيب ب أحيباناً بها فأصارحُ

ألا تراهُ جعم الكتابة مقابلة للمصارحة؟ ولذلك تسمّى الكُنّية كُنية، كانها توريةٌ من اسمه "(2). وانتهى إلى أن: "الكاف والنسون والحرف المعتل يمدل على تورية عن اسم بغيره "(3). وقال ابن منظور ــ البضاً ــ: "الكُني: جمع كُنْية من قولك: كُنْيـتُ صن الأمـر، وكُنْـوْتُ عنه: إذا وريت عنه بغيره (A).

وهكذا فسر بعض اللغويين الكناية التي قالوا فيها: بأنها العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه بالتورية التي أجموا على أنها من الستر والاخفاء (^{3).}

ولعل هذا الخلط عائد إلى اشتراك الكنايـة والتورية في معنى (الـستر والإخفـاء) لغـة فكلاهما يستر المعنى ويخفيه وراء لفظ ضر لفظه.

ومعلوم أن العدول عن ذكر اللفظ، لا يعني بالمضرورة إخفساءه وستره، كمما لا يعني إبرازه وإظهاره، وإنما هو مجرد تركه، ومن هنا "فاللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحةً، ولا هو بالخفي الذي أخفي عن عمد وقصد، فهو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيس، يشف همًا تحته، فلا هـ و مستور، ولا هو هـ ار، أمّـا المورّي عنـه فمكـسو بكـساء سـاتر يـستر. ويخفيه، ولهذا يعمد إلى التورية عند إرادة الاخفاء والإيهام والتضليل، بخلاف الكني، إذ هي دالة على أصحابها دلالة الأسماء على مسمياتها. ولولا هذه الدلالة لما عدل الناس عن الأسماء

يتظر: الكتابة، د. محمد جابر فياض، ص 120.

⁽²⁾ مقايس اللغة: 5 / 139 (كني).

⁽³⁾ المبدر نفسه: 5 / 139 (كتر).

⁽⁴⁾ لسان المرب: 15 / 234 (كفر).

⁽⁵⁾ يتقلر مثلاً: لسان العرب: 15 / 389 (ورى).

اليها (10 وهذا ما أشار إليه ابن منظور في تعقيبه على قول القائل: "رايت عِلْجاً يـوم القامسية وقد تكتى وتُحجَى أي تستر، من كنّى عنه إذا ورَّى، أو من الكُنْية، كأنه ذكر كنيته عند الحرب ليُمو في "في الله الله الله والله: ". أي ليمو في قوله: ". أي ليمو تكنى عنه إذا ورَّى " إذ لماذا يتستر وهو علم من أعلام القادمسية، ويطل من أبطالها؟ وعن يتستر؟ وليرُث الحرب، وابطال الممارك وأعلامها يزجرون بأسمائهم وكناهـم والقابهم عندما يكورون على أعدائهم، ليشيعوا الرعب في نفوسهم (0).

وفي ضوء ما صبق يمكن القول أن الكناية _ لغة _ هي عدول عن لفظ إلى آخو دال عليه. والعدول في هذا المفهوم اللشوي للكناية لا يعني ستره وإخفاء وتـضليله كمـا هــو في (التورية) ^{(6)،} ولا يعني _ أيضاً _ إيرازه وإظهاره وكشفه فينقلب التعبير إلى تعبير مباشــر يقــرًّد

⁽¹⁾ الكنابة، ص 121.

⁽²⁾ لسان العرب: / 15 / 233 (كني).

⁽³⁾ ينظر: الكتابة، ص 122.

 ⁽ه) يكن أن نلمنظ بعض الفروق بين أسلوبي (الكتابة والنورية) في للمنى الاصطلاحي لهما حملى الرغم من
 إشتراكهما لفة في الستر والإشفاء، فكلاهما يستر المنى ويخفيه وراء لفظ غير لفظ - أهمها:

إلا أن الكناية تقع في المفردة والتركيب على حين أن (التورية) لا تقع إلا في المفردة.

²_ تهدف التورية إلى تضليل الموركي عنه راضفاته، إذ هي ترتكز إلى المفاطعة والإبهام في حين أن الكتابة دالة على الكتنس عنسه سن وراء على الكتنس عنسه سن وراء على الكتنس عنسه سن وراء سيخفها، وقال ابدن الأثنير الحلمي في جدوم الكترز: "ولا فرق بين التورية والكتابة، إذ التورية ذكر لقنظ له معنيات، والكتابة كذلك. وما قال أحد من العلماء بالقرق، إلا أن التورية أفروت وصدار النساس يلسهجون بدكرها في عياوراتهم، ونظمهم وتشرهم، ويستحسنون لقظها، في عياوراتهم، ونظمهم وتشرهم، ويستحسنون لقظها، في عياوراتهم، ونظمولي المنسى اللفسوي لهمسا دون المنسى الاصطلاحي كما هو واضح.

إن التورية ثرد على الوجه الحقيقي، بينما ترد الكتابة على الوجه الجاذي.

ويتظر: نشاط الصفدي في النقد والبلاغة، د. مناهل فخر الدين فليح، ص 335 وما بعدها.

معناه بطريقة مباشرة. وإنما يعني أن المكني عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحةً، ولا هــو بالخفي المضلُّل الذي لا تكاد تُتيِّنه إلاَّ بالتأمل وإمعان النظر. هو أشبه ما يكـون بالمكـسو بشوب رقيق شفاف يُوحى بالمعنى ولا بياشر به، يُلمُّح إليه ولا يقرُّره.

مفهوم الكنابة ودلالتها الاصطلاحية:

يجد الباحث في فن الكناية أقوالاً كثيرة متناثرة في مصادر متنوعة أسهم فيها جمع غفير من العلماء من مفسرين ولغويين ونحويين وأدباء وبلاغيين، أسهموا جميعاً في تطوير الدلالـة للكنايـة حتى استقرت بدلالتها الاصطلاحية عند البلاغين المتأخرين.

وفي طليعة هؤلاء العلماء المفسرون لكتاب الله، فقد احتوى القرآن الكريم كنايات كثيرة، تضمّنت منها أحكاماً شرعية، فكان لِزاماً على المفسر أن يوضح معانيها والمراد منها.

ويُعَدُّ ابن عباس (رضي الله عنهما) (ت 68 هـ) من أواثل للقسرين، فقد أشار إلى عدد من كنايسات القسرآن، ويسيّن المكنسي عنسه في كسل منهسا وحلله، فقسال في قولسه معسالي من ﴿ أَوْلَنَمَسُمُ ٱلِنِّسَاتَةِ ﴾ (١) المس واللمس والمباشرة: الجماع، ولكنّ الله يعف ويكني ما شماء بما شماء (٥٠) وفي قوله . تعالى . ﴿ أَيْلَ لَكُمْ لِمَلَّا الصِّيارِ الرَّفَ إِلَى يَسَالِكُمُّ ﴾ (3) الرفث الجماع، ولكن الله کریم یکنی (۱۹)،

وفي قوله _ تعالى ... ﴿ فَأَقَانَ بَعِيْرُوهُمَّ ﴾ (ك)، المباشرة: الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء " (٥)، وفي قوله _ تعالى _ : ﴿ فَكَرَمَّتَ . . ﴾ (١)، الرفث هنا غير الرفث الملى ذكر في ﴿ أَيْلَ

من الآية 43 من صورة النساء، وسورة المائدة، من الآية: 6.

⁽²⁾ جمام البيمان في تفسير القرآن، الطبري: 5 / 65. وينظر:: الاتقمان في علموم القرآن، للمسيوطي: 8/2

⁽³⁾ سورة البقرة، من الآية: 187.

⁽⁴⁾ جامم البيان في تفسير القرآن: 2 / 94.

⁽⁵⁾ سورة البقرة، من الآية 187.

⁽⁶⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 98.

⁽⁷⁾ سورة البقرة، من الآية: 197.



لَحَتْمَ لِمَانَا ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَتُ إِنَّ شَمَّايِكُمُّ ٢٠٠ ﴾ فهو من التعريض بذكر الجماع، وهو من العرابـة في كلام العرب، أي أدنى الرفث °(1).

وكما هـ و وأضح فإن استعمال الكناية عند ابن عباس يفيد ستر المعني الـ ذي نلجــا إليــه باستعمال ألفاظ مهذبة دالة على المعنى المراد بدلاً من الألفاظ المرضوعة لذلك المعنى

وقد نهج أكثر المقسرين بعده نهجه في التفسير والبيان مثل: (مجاهبد: ت 103 هـــ)، و (قتادة: ت 117 هـ)، وغيرهما (⁽²⁾

أما الملغويون والنحاة فإن مفهوم الكناية عندهم يعني كلُّ عدول عن صريح اللفظ إلى مــا دلٌ عليه من الضمائر والكُني وأسماء الأشياء والأعداد.

فابو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) يطلق الكناية على النميير لحلوليه محيار الاسم السصريح، ودلالتمه عليمه، فقسال: لا تُسضاف ﴿ تُبَيُّرُونَ ﴾ إلاَّ بنسون الكنايمة كقولسك (تېشروننی) ^{(3).}

ويذكر الخليل الكناية ودلالتها والدافم التهذيبي الذي يدفع إليها في الكلام في قولــه المــارّ

ويذكر سيبويه (ت 180 هـ) تكنية العرب بفلان وفلانة .. من غير مـا الـف ولام ــ صن أسباء المتحدث عنهم من الأدميين، وبالألف والبلام في تكنيتهم عن غير الأدميين فقال: 'هذا فلانْ بن فلان، لأنه كناية عن الأسماء التي هي علامات خالبة، فأجريت مجراهافإذا كنيت من غير الأدميين قلت: الفلان والفلانة،جعلوه كناية عن الناقـة التي تسمى بكلمًا، والفرس الذي يسمى بكذا، لَيفرُقوا بين الأدميين والبهائم " (²⁾.

⁽I) جامع البيان في تفسير القرآن: 2/ 154.

⁽²⁾ ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: المواضع السابقة تفسها، و 1 / 232، 323، 324، 327 وغيرها.

⁽³⁾ مجاز القرآن، لأبي صيدة: 1 / 13.

⁽⁴⁾ ينظر: ص 7 من:.

⁽⁵⁾ الكتاب: 3 / 507.



وثل (كم) في الكتابة عن العــد بفلان وفلانة في الكتابة عـن الأسمــاء فقــال: "وذلـك قولك: له كذا وكذا دوهـمأ، وهو مبهم في الأشياء بمتولة (كــم) وهو كتابةً للعدد، بمنزلــة (فــلان) إذا كنيت به في الأسـماء (1).

وَقَالَ فِي قُولِه _ تَعَالَى _ : ﴿ مَتَمَّكُمْ وَلِيَّهَمُرُكُمْ وَيُلُوثُكُمْ ﴾ (2" الجلند _ هـ ا هـ نا _ والله أهلموهو ما كنى عنه، كما قال _ تعالى _ : ﴿ وَلَذِي لَا قُوْاعِلُوهُمْ مِثَلَ ﴾ يريند: النكاح، وكما قال: ﴿ أَوْجَـكُهُ لَمُشْكِمُ مِنَ ٱلْفَالِطِ ﴾ والغائط الممحراء (40.

وقال في قوله _ تعالى ــ ﴿ وَيَقِيكُمْ وَهُ ﴾ ⁽¹⁾ كتابةً عن ذهاب السمع والبـصر والحـتم على الأفقدة. وإذا كنيت عن الأفاعيل وإن كثرت وحُدّت الكتابة، كقولك للرجـل: اقبالـك وإدبـارك يوفيني. وقد يُقال: إذ الهاء التي في ﴿ وِيُّ ﴾ كتابة عن الهدى، وهو كالوجه الأول ' (10.

⁽¹⁾ تقسه: 2 / 170.

 ⁽¹⁾ الفسه: 2 / 1/0.
 (2) سورة البقوة، من الآبة: 235.

⁽³⁾ سورة النساء، من الآية 43 ، وينظر : سورة للمائدة، الآية : 6 .

⁽⁴⁾ معانى القرآن: 1 / 153، وينظر: الانتقان في علوم القرآن: 2 / 100.

⁽⁵⁾ سورة تصلت؛ من الآية 20.

⁽⁶⁾ معاني القرآن: 3 / 16.

⁽⁷⁾ سورة الأنعام، من الآية: 46.

⁽⁸⁾ معانى القرآن: 1 / 335.



إنَّ ضمير الغائب المفرد (الحاء) ناب عن ذهاب السمع والبصر والختم على الأفشدة، او عن الهدى وأن يحلّ الضمير عمل الاسم هو الكناية عند القرّاء، وهذا ما نقهمه في شرحه لقول. _ تمالى _ ﴿ فَإِذَا هِ كَ شَرْصَةً أَتَمَكُ ٱلَّذِينَ كُفُرُوا ﴾ (ا) وقدال: وإن شدت جعلت ﴿ هِ ﴾ للأبصار، كنيت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها، كما قال الشاعي:

لَعَمْرُ أبيها لا تقـــــول ظُعينتي ألا فَرَ عـــني مــالكُ بـــن أبي كعب فلكر الظعينة وقد كنّى عنها في (لَعمر) "(⁽²⁾

ومقتضى كلامه أن ﴿ فِي ﴾ تحل محل ﴿ أَيُّمَكِنُرُ ﴾ مضمرة في الآية، وجاءت الأبيصار الثانية لتفسر هذا المضمر، كما هو الأمر في بيت مالك بن أبي كعب الذي أضمرت فيه الظعينة الأولى وناب عنها الضمير "هما" وجاءت الظعينة الثانية لتشرح هذا المضمر وتسُّنه.

ويتضح أكثر أن الكناية عند الفراء هي ما ينوب عن المضمر أو علامته على حـد قـول أهل النحو، حين يشرح الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا جَمَلُنَا فِي أَعَنِيمِهمْ أَغَلَاكُ فَهِيَ إِلَى ٱلأَذْقَانِ ﴾ (3) قبال: " فكنِّي عن هي، وهي للأيمان ولم تُذكر. وذلك أنَّ الشَّالِ لا يكون إلاَّ باليمين، والعنق، جامعاً لليمين، والعُنق: فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه (٩) أي أنَّ الآيمان مضهرة في الآمة وحاست ﴿ فِي ﴾ محلها، فنابت أو كنَّت عنها.

وشأن أبي عبيدة (ت 210 هـ) شأن الفرَّاء في أن المعنى النحوي للكناية لم يمنعـه مــن أن يشير إشارة عابرة _ أيضاً _ إلى الكناية بمعناها البلاغي، وهي إشارة تفيد الـستر ولا شيء ضيره، بمفهومه اللغوي الصوف. قال أبو عبيدة: ومن مجاز ما يحوّل خبره إلى شيء من سبيه، ويُترك خبره قوله _ تعالى _ ﴿ فَطَلَّمْ مُعَنَّقُهُمْ لَمَا خَلَيْمِينَ ﴾ (دا حُول الحبر إلى الكناية التي في آخر الأعناق "(٤٠٠

⁽¹⁾ سورة الأنبياء، من الآية: 97.

⁽²⁾ معاني القرآن: 2 / 212.

⁽³⁾ سورة يسى من الآية: 8.

⁽⁴⁾ معانى القرآن: 2 / 372.

⁽⁵⁾ سورة الشعراء، الآية: 4.

⁽⁶⁾ مجاز القرآن: 1 / 12.

الكناية في ضوء هذا المعنى هي ما ينوب عن المضمر _أي إضمار (الكفار) وظهور الضمير (هم): ﴿ أَعَنَتُهُمْ ﴾ ، والتقدير: (أعناق الكفار)، ولما كان الضمير ساتراً لكلمة الكفار أطلق عليه أبو عبيدة لفظ الكتاية.

ويقول: "ومن مجاز ما جاء من الكنايات في موضع الأسماء بدلاً منهن قبال _ تعسالى _: ﴿ إِنَّا صَنَوْاً كِيدُ سَامِرٌ ﴾ (ا) فمعنى ﴿ مَا ﴾ معنى الاسم، عِازُه: إنَّ صنيعهم كَيدُ ساحِر (٥٠)

إنْ ﴿ مَا ﴾ كناية عن الصنيم، حسب مفهوم الكناية عنده، أي هي التي نابت في الآية عنه وحلَّت محلَّه، وقيد أضمر فيصارت علامة له. والشيء نفسه في قوله _ تعالى ... ﴿ إِلَّهَ نَبْتُ ﴾ (3) إذ ﴿ إِلَّهَ ﴾ كناية عن المفعول ذكرت عوضاً عنه وقامت مقامه (4).

ويكشف أبو عبيدة عن المكنى عنه في دراسته لطائفة من الآيات مثيل قوله .. تعالى ..: ﴿ أَوْجَكَةَ أَحَدُ يَعَكُم مِنَ ٱلْغَايِطِ ﴾ يقول: "كناية عن حاجمة ذي البطن " (؟) وفعي قوله _ تعمالي _: ﴿ أَوْلَنُمْ مُمْ النِّسَامُ النِّسَامُ النَّاسِيةِ عِسنِ الغِسشيانُ (هُ وقسال في قولسه معالى ... ﴿ التَّلْبَتُمُّ عَلَىٰ أَعْقَدِيكُمُ اللهِ عَلَى مِن رجع عما كان عليه، فقد رجع على عقبيم (١٤). وفي قول ع تعالى .. ﴿ فَأَصْبَحَ يُثِلُكُ كُلِّيْهِ عَلَى مَّا أَفَقَ فِهَا ﴾ (9) أي فأصبح نادماً، والعرب تقول ذلك للنادم: أصبح فلان يقلُّب كفيه ندماً وتلهُّفا على ذلك، وعلى ما فاته (١٥٠، وقال في قوله _ تعسالي ... ﴿ هُنَّ لِيَاشُ لَكُمْ ﴾ (11) يقال الأمرأة الرجل: هي فراشه، ولياسه، وإزاره، وعمل إزاره '(12).

سورة طه، سن الآية: 69.

⁽²⁾ عاد القرآن: 1 / 15.

⁽³⁾ سررة الفاعة، من الآية: 5.

⁽⁴⁾ بنظر: ما القرآن: 1 / 24.

⁽⁵⁾ الصدر نفسه: 1 / 128.

⁽⁶⁾ المبدر نفسه: 1 / 155.

⁽⁷⁾ سورة آل عمران، من الآية: 144.

⁽⁸⁾ عباز القرآن: 1 / 104.

⁽⁹⁾ سورة الكهف، من الآية: 42.

⁽¹⁰⁾ عاز القرآن: 1 / 404.

⁽¹¹⁾ سورة البقرة، من الآية: 187.

ان الكناية بالمغنى النحوي هو الاستعمال الأساس عند أبي عبيلة وعند الفراء كـذلك، أى أنها تؤدى مفهوماً نحوياً لا بلاغياً بوصفها وسيلة تعبير تصويرية، أو تركيباً يشكل مجموعة إشارات لغوية تدل على مـدركات ننتقـل بوسـاطتها إلى المعنـي المطلـوب إذ إن مفهـوم الكنايـة عندهما يفيد أنها إحدى وسائل لغة القرآن الفنية.

إنَّ المعنى البلاغي للكناية نجله يتضح ويتعمَّن عند الجاحظ (ت 255 هـ) فهو قد وقـف عند الكتاية وقفات متعددة، تحدث فيها عن هذه الطريقة في التعبير العربي بشكله الفـني، حـــــــيثاً يحدّد معناها البلاغي الذي ارتآه علماء البيان بعده. فقد ذكر أمثلة مختلفة للكناية بنوعيها: القريبة

وقد أفرد الجاحظ للكناية باباً في كتابه (الحيوان) سمّاه (باب من الفطن وفّهم الرّطانيات والكنايات) (١١. ومما أورده في هذا الباب قوله: "خبرني شيخٌ من بني العنبر قال: أُسَر بنــو شـّــيبان رجلاً من بني العنبر، قال: دَعوني حتى أرسل إلى أهلي ليفدوني، قالوا: على ألاّ تكلُّم الرسول إلاَّ بين أيدينا، قال: نعم، قال: فقال للرسول: إنت أهلي فقىل: إنَّ السُّجَر قبد أورق، وقبل: إنَّ النَّساء قد اشْتَكَّت وخَرَزْت القِرَبْثم قال له: انطلق إلى أهلى فقيل لهيم: عَبُّوا جلس الأصهب، فأخبرهم، فدعَوا حارثاً فقصٌّ عليه الرسول القصة فقال: أمّا قوله: "إنَّ السَّجِر قبد أورق ' فقيد تسلُّح القوم، وأمَّا قوله: إنَّ النساء قند اشتكت وخرزت القِرَب ويقول: قند اتخذت المشكا وخُرَزت القِرَبِ للغزو، وأما قوله: ' عَرُوا جلى الأصهب ' فيقول: ارتحلوا صن الصمَّان '،وأما قوله: 'اركبوا ناقع الحمراء' فيقول: انزلُوا اللَّهناء. وكان القوم قيد تهيِّدوا لغزوهم، فخافوا أن ينذرهم، فأنذرهم وهم لا يشعرون، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم " (٥٠٠

وهذا النص يشهد باستعمال الجاحظ لمصطلح الكناية حسب معناه اللغوي، لكنه في الوقت نفسه مرتبط بمعناه البلاغي ومندرج نحت المفهوم الصام لهذه الوسيلة التعبيرية، لأن الكنايات في النص:

1 - ستر للمعنى المراد.

2_استعمال الألفاظ يريد بها المتكلم لازم معناها، لا معناها الذاتي المباشر.

⁽¹⁾ الحيوان: 3 / 122.

⁽²⁾ المدر تقيه: 3 / 124_125.



 3 ـ تمتمل أن تكون حقيقة من جهة أنها استعمال حقيقي للفظ، ومجازاً من حيث تعييرها عن معنى آخر قريب من المعنى المقصود وذي علاقة دلالية به.

وكذلك نلحظ أن الجاحظ وهي نوعين من الكنابة هما: (القريبة والبعيدة) وقد أشمار إليهما أكثر علماء البلاغة بعده حين قسموها إلى قريبة وبعيمة. والقريبة هي: أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه ⁽¹⁾. والبعيمة هي أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعبد بواسطة لوازم متسلسلة ⁽²⁾.

قال الجاحظ: قالوا: حيّدا الرُضَمَّ. والوضح كتابية حن البياض، والبياض كتابية عن البرص. وأوضاح الحيّل: ما فيها من البياض (٢٠٠ إذ يصح صدّ هذا المثال من الكتابية القريبة، إذ انتقالنا من الوضح إلى البرص، لا يقتضي منّا عملية ذهبتة بعيدة التدرج من اللازم إلى الملزوم.

قال حمر بن الحطاب هـ : هذا عدر شديد كليّه، قليلٌ سَلَيّه ناه . فالانتقال من اللازم (المعنى المكنى به) إلى الملزوم (المعنى المكنى حه) لا يتم في قول حمر إلاّ بتلطف وإعمال فكر، لأن الكلب يستدعي في ذهننا ضراوة الحيوان وشدته الناتجين عن الداء المدي أصابه، ثم ننقل من هذا الذي أدري من الكلام بشكل مباشر إلى المعنى المرتب عليه الخاضع لظروف الخطاب، وهو أن عمر وصف المدو بداء الكلب أو جنونه، ومعناه أنه شميد قامر، وربها لا تحتاج إلى هملا الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى المراه، عبر معنى ضمني في قوله: أخليس سمليه لكن الأولاد، عبر معنى ضمني في قوله: أخليس سمليه لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، سواء فيما يتعلق بالكلب أو السلب، بل يتعداه إلى كتابة بعيدة أرادها عمر، وهي نهيه عن أن يتعرض للخاطب إلى هذا المدو أو يحاربه، إذن حريه شديدة وغنائمه تليلة الأمروث فيه بأحد، كاية مها

⁽¹⁾ مفتاح العلوم، السكاكي، ص 190.

⁽²⁾ نفسه، ص 190 ــ191.

⁽³⁾ البرصان والعرجان، ص 94.

⁽⁴⁾ رسائل الجاحظ: 1 / 76.

⁽⁵⁾ ينظر: الرؤية البيانية هند الجاحظ، ادريس بلمليح، ص 225. 226.

⁽⁶⁾ رسائل الجاحظ: 1 / 76.



والكتابة عند الجاحظ أسلوب تقضيه الضرورة، فهو عنده أبلغ من التصويح إذا كان التصويح لا يجسن، أو كان متعذراً، والتصويح أبلغ إذا كانت الكتابة لا تفي بالغرض، يقول في ذلك وقال بعض أهل الهند: ومن البصر بالحجة وللموقة بمواضع الفُرصة أن ثناع الإضماح بها إلى الكتابة عنها، إذا كان الإنصاح أوعرً طريقة " (1).

وبذلك فإن الجاحظ يسلك في دراسة أسلوب الكناية مسالك غتلفة مسع تبيين قيمتهما التعبيرية، ومواضع صلاحيتها وعدم صلاحيتها في الاستعمال اللغوي (12.

أما ابن قنية (ت 276 هـ) فقد خصّص في كتاب (تاريـل مشكل القرآن) بابـاً سمّاه (الكتاية والتعريض) وقد أطـال الحديث فيه عنهما. والكتاية عنـلـه أنواع، ولها مواضع يقتـضيها مقتضى الحال والسياق. قال: 'والكتاية أنواع، ولها مواضع، فمنهـا أن تكني عـن اسـم الرجـل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت رامسلته، أو كتبـت إليـه،إذ كانـت الأسمـاء قـد تتفـق، أو لتعظمه في المخاطبة بالكنية، لأنها تدل على الحُنكة وتُخبر عن الاكتهال (لا

فالكناية عنده ذات مدلول لفوي، بمعنى عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه لاظهار المعنى يما يليق زيادة فى الدلالة وتعظيماً للمخاطب.

وعلى الرضم من أن ابن قتية لم يقتُم إلا مفهوماً لقوياً للكتابة إلا أنه عرض لكثير من شواهدها ويفاصة الكتابية إلا أنه عرض لكثير من شواهدها ويفاصة الكتابات القرآنية وحللها تحليلاً يدل على أنه كان يعي وظيفتها وقيمتها في التعيير عن المعاني. قال في قول منه الدنوب، فكني حسن الجسسم بالنيساب، لأنهسا تسشتمل عليسه ((أنه وقسال في وقيله متصالى سن الجسسم بالنيساب، لأنهسا تسشتمل عليسه ((أنه وقسال في قولمه متصالى اللهوز) وقال أن تُثَيِّدُ فَكِلُ لَأَنَّهُ فَيْدُ فِي لَنْ لَكُنْ اللهوز): اللهوز؛ عباس: عباس: هو الولمد.

البيان والتيين: 1 / 88.

⁽²⁾ ينظر: البلاغة عند الجاحظ، د. أحمد مطلوب، ص. 98.

⁽³⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 256.

⁽⁴⁾ سورة المدثر، الآية: 4.

⁽⁵⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 142.

⁽⁶⁾ سررة الأنساء، الآبة: 17.

والتفسيران متقاربان، لأن امرأة الرجل لَهُوهُ، وولده لَهوه، ولـذلك يُقـال: امـرأةُ الرجـل وولده ريحانتاه. وأصل اللهو: الجماع، فكنِّي عنه باللهـو، كما كنِّي عنه بالسُّر، ثـم تيـل للمـرأة لَهُوُ لأَنها تُجامع ' (١).

وقال في قوله _ تعالى _: ﴿ وَيَعْبِعِنُونَ أَيْدِيَهُمُّ ﴾ (ك) أي يسكون صن العطية، وأصل هذا: أنَّ المُعطَى بيده يمدُّها ويبسطها بالعطاء، فقيل لكل من بَخِل ومنه: قد قبض يده. ومنه قوله _ تعالى ــ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَقَلُولًا خَلْتَ ٱلمِّنِيمَ وَلُونُوا إِنا قَالُوا ﴾ (٥٠ أي: مُمْسِكَةٌ. ومنه قوله _ تعالى ــ ﴿ وَتُطُّوُّا أَنُّهُمْ أُرْجِطُ يِهِدُّ ﴾ (40 أي: نلوا من الهلاك. وأصل هذا: أنَّ العدوّ إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهله من المَلَكَة (ك)

وذكر (التعريض) وحدَّه لوناً من ألـوان الكناية، وقال فيـه: "والعرب تستعمله في كلامهــا كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصويح "60" وضرب لـ أمثلة قرآنية، فمن ذلك ما خبر الله علمة من ثبًا الحَصْم: ﴿ إِذْ دَعَلُوا عَلَى دَارُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَدَفَّتْ خَسَكُنِ بَنَى بَسَلْنَا ظَلَ بَسَنِي شَمْتُكُم يُفِنَنَا بِالْعَقِي وَلَا تُشْلِطُ وَلَعْوِنًا إِلَّ سَوْلِهِ الشِرَيلِ ﴿ إِنَّ هَذَا أَنِي لَسُرُوا فَهُ وَلَ نَجَمَّةً وَمَدَةً فَقَالَ أَكْتِلْنِيمَ وَمَزَّدِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (7) إنما هو مثل ضربه الله ﷺ ونبهه على خطيته به. ووّري عن النساء بلكر التعّاج، كما كني الشاعر صن جارية بشاة، وكني الآخر عن النساء بالقلص ١ (١).

ومن التصريض قول - تعالى - ﴿ قَالَ إِلَّى فَصَكَامُ كَيْرُهُمْ هَذَا لَمُتَالُّوهُمْ إِن كَالْمُوا يَعُلِمُونَكَ ﴾ (٩). أراد: بل فعله الكبير، إن كـانوا ينطقون فسلوهـم، فجعل النطق شــرطأ للفعـل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقِل و لا ينطق "(١).

⁽¹⁾ تأويل مشكل القرآن: 262_263.

⁽²⁾ سورة التوبة، من الآبة: 67.

⁽³⁾ سورة الماثلة، من الآية: 64.

⁽⁴⁾ سورة يونس، من الآية: 22.

⁽⁵⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 267.

⁽⁶⁾ نفسه؛ ص 263.

⁽⁷⁾ سورة ص، الأيتان: 22، 23.

⁽⁸⁾ تأويل مشكل القرآن: 266_267.

⁽⁹⁾ سورة الأنساء، الآبة: 63.

ويقلم أبو العباس المبرُّد (ت 285 هـ) في كتابه (الكامـل) دراسـة عـن الكنايــة أتــسمت بالتصنيف العلمي.

يقول المبرد: "والكلام مجري على ضروب، فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلاً، فيكون أبلغ في الوصف "(ك. وقسم الكناية ثلاثة أقسام، قال: " والكناية تقم على ثلاثة أضرب، أحدها: التّعمية والتّغطية، كقول النابغة الجعدى:

الكناية في هذا الضرب تعنى الستر وهذم التصريح (أكنى بغير اسمها).

أما الضرب الثاني، وهو الضرب الأحسن عند المبرد: 'ويكون من الكناية _وذاك احسنها _ الرغبة عن اللفظ الحسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله _ وله المثل الأعلى _ ﴿ أَيْلَ لَحُمْ لِنَهُ النِّيارِ الرَّفَ إِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ (٥٠ وقدال: ﴿ أَوْلَنَسَتُمُ النِّسَاءُ ﴾ والملامسة في قول أهل المدينة _ مالك وأصحابه _ غير كناية، إنما هو اللَّمْسُ بعينهوكذلك قولهم في قضاء الحاجة: جاء فلان من الغائط، وإنما الغائط الوادي، وقــال الله الله الله السيح بــن مــريــم وأم (صلى الله عليهما): ﴿ كَانَا أَشَكُلُوا النَّلَكُ أُ ﴾ (ك) وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. وقال _ تعالى ..: ﴿ وَقَالُوا لِيُجُلُوهِمْ لِمَ شَهِدُتُمْ عَلَيْنًا ﴾ (6) وإنما هو كناية عن الفروج "(7).

واستحسان المرد لهذا الضرب من الكناية راجع إلى أنه يستر اللفظ الخسيس المعبّر عن معنى يدل عليه غيره، وهذا في حد ذاته عثل محاولة من المبرد لدراسة الكناية دراسة تقوم على الم ازنة بين دواقعها.

والضرب الثالث من الكناية: (التفخيم والتعظيم)، ومنه اشتُقْت (الكنية) وهـــو أنْ يُعَظَّـم الرجل من يُدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين:

تأويل مشكل القرآن: 268.

⁽²⁾ الكامل: 2 / 290.

⁽³⁾ تقسه: 2 / 290.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، من الآية: 187.

⁽⁵⁾ سورة المائلة، من الآية: 75.

⁽⁶⁾ سورة فصلت، من الآية: 21.

⁽⁷⁾ الكامل: 2 / 291 _292.

وعلى الرغم من أنّ المبرّد لم يعرّف الكتابة تعسريفاً اصطلاحياً، إلاَّ أنه في دراسته لها حاول فيها الموازنة بين ضروبها المتفاوتة بين حَسَن وأحسن، وأول من حاول تقسيمها إلى ثلاثة أضرب، وإن كان هذا التقسيم لا يرجع إلى تقسيم الجنس إلى انواعه، وإنما همي ضروب لما تؤديه الكناية من فائدة في صناحة الكلام ⁽¹⁰⁾

وتسم دراسة البلاغة بطابع التخصيص صند ابن المتسز (ت 296 هـ) في كتابه (البديم) وتصبع الكتابة عنده واحدة من عاسن (البديم) وتصبع الكتابة عنده واحدة من عاسن الكلام والشعر فقال: "ومنها _ يقصد عاسمن الكلام _ التعريض والكتابة. قال علي هد لعقيل، ومعه كبش له: أحد الثلاثة أحمق. فقال عقيل: أمّا أنا وكبشي فعاقلان. وكان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان بسوء لم يُجيته ويقول: إني الأتركك وفعاً لنفس عنك، فجرى بينه وبين علي بن عبد الله بن عبداس كلام فاسرع صروة بسوء قفال: إني لاتركك لل تترك النامل له فاشتد ذلك على عروة.

وقال بعض ولد العباس بن محمد لابنه: يا ابن الزانية. فقــال: ﴿ وَالْزَانِيَّةَ لَا يَكِمُهُمَّا إِلَّا زَانِهِ أَر شَرِيْقً ۚ (3 ﴾ (4) فَمُسَنَّنًا الآية الكرية على سبيل التعريض.

وما ذكره ابن المعتر من أمثلة هي أدخلُ في التعريض منها في الكناية وإن كانت العلاقة ينهما علاقة عموم وخصوص، إلا أن فضله على الرخم من أنه لم يقلم تعريفاً للكتابة _يتمثّل في أنه أوقف كتابه على موضوع البلاغة خيلاناً لمن قبله كالجاحظ والمبرد اللّذين اتسمت دراسة الكتابة عندهما بسمة لغوية حيث أريد بها خالباً (الستر والحقاء) ولكنّها لم تخل من العمق والتضيح ومن بعض الملاحظات التي حددت التعريف الاصطلاحي للكنابة فيما بعد.

⁽¹⁾ نفسه: 2 / 292.

 ⁽²⁾ ينظر: علم البيان، د. بدوي طبانة، ص235، وينظر: الأساوب الكنائي ششائه تطور، بالافت.
 د. محمود السيد شيخون، ص 9.

⁽³⁾ سورة النور، من الآية : 3 .

⁽⁴⁾ سورة النور، من الآية: 3.

⁽⁵⁾ البديم، ص 64.



ووقف ابن جرير الطبري (ت 310 هـ) في تفسيره على كثير من الكنابات القرآنية، وأشار إلى الكنى به والكنى عنه فيها، وهو يعزز ما يذهب إليه أهـل التأويل فيها. قال ــ تعالى ــ في الآية الكريمة: ﴿ لَيْلِ لَحَصَّمْ لِيَنَكُمْ الْفِسَائِرِ ٱلْرَقَتْ إِلَىٰ يَسْائِكُمْ ﴾ ، فأسًا الوفث فإنه كناية عـن الجماع في هـذا الموضعوعثل الذي قلنا في تأويل الوفث قال أهل التأويل " (1).

وقال في قوله _ تعالى ... ﴿ هُمَّ فِيكُسُّ لَكُمُّ وَأَشَّمْ لِمَاثَلُ لَهُنَّ ﴾ كما قال نابغة بن جعدة: إذا مسا الضّجيع ثنى موظف السلما للسلمات فكسانت عليه لياسا ويروي: (تثنّت)، فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس، كما يُكنى بالنياب عن جدد الإنسان (ك).

وقال في الآية: ﴿ وَلَا كَاكُواْ اَمْوَلَكُمْ يَسَكُمْ وَالْعَلِيْ وَقَدَلُواْ بِهَا إِلَّى الْمُسَكِّلُوا وَيَعَا وَنَ الْمَالِمُ النَّاسِ وَالْإِنْ وَالْمَاتِينَ وَالْمَالِمُ النَّاسِ وَالْمَالِمُ النَّاسِ وَالْمَالِمُ النَّالِمِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللِياطل كَالْأَكُلُ مَال نفسه بالباطل. ونظير بالباطل، ونظير ذلك قوله ـ تعلى حالى نفسه بالباطل. ونظير ذلك قوله ـ تعلى حالى - ﴿ وَلَا نَظْمِرُواْ الشَّمَكُمُ ﴾ (أَنُ وقوله ـ تعلى - ﴿ وَلَا نَظْمِرُواْ الشَّمَكُمُ ﴾ (أَنُ وقوله ـ تعلى - ﴿ وَلَا نَظْمُوا الشَّمَكُمُ ﴾ (أَن معنى المومنين الحوة، فقاله تعلى ذكره ـ جعمل المومنين الحوة، فقاله المقال ذكره ـ جعمل المومنين الحوة، فقاله الله تعلى ذكره ـ جعمل المومنين الحوة، فقاله الله الله تعلى المومنين الحوة،

وكذلك تفعل العرب، تكنى عن أنفسها بأخوانها، وعن أخوانها بأفعوانها بأنفسها نتقول: أخعي وأخوك آينا أبطش، تعني: أنا وأنت نصطوع، فننظر آينا أشد، فيكني المتكلم عن نفسه بأخيه، لأن أخا الرجل عندها كنفسه "هه.

وقىال في الآية: ﴿ وَلَمَانَ يُشَوِّدُونُهُمُ الْأَمْنِكُونَ ثُمَّ لَايُسَمُّرِينَ ﴾ (?)، فقوله ﴿ يَوْلُونُهُمُ الْأَمْبُونَ ثُمَّ لاَيُسَمُّرِينَ ﴾ (؟)، فقوله ﴿ يَوْلُونُهُمُ الْأَمْبُونَ عُمَّ النَّامِةِ مِنْ الْهِوْمُ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 94.

⁽²⁾ نفسه: 2 / 94.

⁽³⁾ سورة القرق الآبة: 188.

⁽⁴⁾ سورة الحجرات؛ من الآية: 11.

⁽⁵⁾ سورة النسام، من الآبة: 29.

⁽⁶⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 106 _107.

⁽⁷⁾ سورة آل عمران، من الأبة: Lit.



منه، خوفاً على نفسه،والطالب في أثره، فدير المطلـوب ـحيثـذر ـ يكـون محـاذي وجه الطالـب إلهازمة (١٠).

ويذكر ابن عبد ربه (ت 328هـ) في كتابه (المقد الفريد) عدداً من الكتابات القرآنية في الهاب الذي خصصه لمكتابة والتحريض والمذي أورد فيه أنواصاً منهما، فقال: 'بابالكتابة والتحريض والمذي أورد فيه أنواصاً منهما، فقال: 'بابالكتابة والتحريض: من أحسن الكتابة اللطيفة الكتابة عن المعنى المذي يقدّيح ظاهرهوقد كنى الله _ تحملل _ في كتابه عن الجماع بالملامسة، وعين الحدث بالفائط، فقال _ تحملل _ ﴿ وَأَصِّمَا المَّمَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَ

وأردف ابن عبد ربه هذا الباب بياب: (الكتابة يُورَى بها عن الكذب والكفر)، وذكر لـه شواهد هي من الكورية أو الإيهام والتضليل المتعمد المقصود وليس من الكتابة، من ذلك: 'ولمّا ولي الواثق واقعد للناس احمد بن أبي دواد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء، أنبي فيهم بالحارث بن يسكين، نقيل له: أتشهد أن القرآن غلوق؟. قال: أشسهد أن التوراة والانجهل والزيور والقرآن، هذه الأربعة غلوقة، ومذ أصابعه الأربع، فعرض بها وكلّى عن خلق القرآن، وخلاص، عن خلق القرآن،

وأمثلة هذا الباب كامثلة الباب _ أيضاً _ الذي جاء به بعنوان:: الكتابة حن الكدف في طريق المنحد في المحدد في المحدد في المحدد في من التورية والإيهام وليس من الكناية، من ذلك الدفي أورده: ودخل على عيسى بن موسى وهنده ابن شرئة، فقال له: أتعرف هذا الرجل؟ _ وكان رُمِيَ عنده بريبة _ فقال: إنّ له بيتاً وقدماً وشرفاً، فخلى سبيله. فلما انصرف ابن شيرمة، قال له أصحابه: أكنت تعرف هذا الرجل؟ قال: لا، ولكني عرفت أنْ له بيتاً بارى إليه، وقدماً كشي علها، وشرفه:

جامع البيان في تفسير القرآن: 4 / 31.

⁽²⁾ سورة الفرقان، من الآية: 7.

⁽³⁾ صورة طه، من الآية: 22.

⁽⁴⁾ المقد القريد: 2 / 461_462.

⁽⁵⁾ المبدر نفيه: 2 / 465.

أذناهُ ومَنْكِياه "(١) وأردف هذا كله بباب: "الكناية والتعريض في طريق الدعابة "مقال فيه: "سُئل ابن سبرين من رجل، فقال: تُوفِّي البارحة، فلما رأى جَزَع السائل، قال: ﴿ أَلَّهُ يُتَوفِّي ٱلأَنَّفُسُ عِينَ مَوْتِهَا وَاللِّي لَمْ تَمُتَ فِي مَنَامِهِما ﴾ (2) وإنما أردت بالوفاة: النوم (3).

وبذلك خلط ابن عبد ربِّه بين الكناية والتورية. ولم يدخل في باب الكناية إلاَّ ما ذكره من آبات قرآئية كرية.

ثم نجد أسلوب الكناية يتطور من مفهومه اللغوى إلى المفهوم الاصطلاحي عند قدامة ابن جعفر (ت 337 هـ) في كتابه (نقد الشعر)، وهو أول من عرّفها باسم (الأرداف) ولم يسمُّها كناية، وذلك في دراسته لأنواع التلاف اللفظ والمعنى. قال: "ومن أنواع التلاف اللفظ والمعنسي، وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بــل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا ذلُّ على التابع أبان عن المتبوع "(١٠).

وهذا التعريف للأرداف هو تعريف (الكتابة) عند الدارسين بعده كأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) ^(ئ) وابين سسنان الخضاجي (ت 466 هـ) ^(غ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)^(۲) وغيرهم (١٤) والشواهد التي ساقها للأرداف هي من شواهد الكناية عند البلاخيين.

ثم ياول قُدامة أن يجلّى هذا التعريف للأرداف بأبيات شعرية يبيّن فيها المعنى الذي ينطوى تحت هذا الفن، من ذلك قول همر بن أبي ربيعة:

بعيدة مَهْوَى القُرطِ إِمِّا لنوف البوها وإمَّا اعبدُ شمس وهاشمُ يقول: "وإنا أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابعُ لطول الجيد، وهو بعد مهوى القوط *(^(و).

⁽¹⁾ الميدر نفسه: 2، 466_467.

⁽²⁾ سورة الزمر، من الآية: 42.

⁽³⁾ المقد القريد: 2 / 467.

⁽⁴⁾ نقد الشعر، ص 157.

⁽⁵⁾ كتاب الصناعتين، من 350.

⁽⁶⁾ سر الفصاحة، ص 221.

⁽⁷⁾ دلائل الإعجاز، ص 105.

⁽⁸⁾ العمدة: 1 / 313 ـ 314 مثلاً.

⁽⁹⁾ نقد الشعي ص 157 .. 158.



ويقول في بيت امرئ القيس:

ويُضحى فتيتُ المِسْكُ فوقَ فراشِمها ﴿ نَوْوَمَ الْفَتَّحَى لَمْ مَثْطُقٌ عَن تَفَصُّلُ المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت أي هي لا تنتطق لتخدم ولكنهما في ستما متفضلة ﴿إِنَّا،

وتكاد الدراسة التي قام بها قُدامة بشواهدها نجدها في دراسة الكناية عند من جاء بعده. وقد أشار قُدامة إلى الوسائطيين المكنى به والمكنى عنه وأثرها في وضوح المعنى وغموضه، قال: "ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات الـتي يـسمونها أبيـات المعـاني، وذلـك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجمه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف أخر، كأنها وسائط وكثـرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن داخلاً في جملـة ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الانفلاق وتعدّر العلم بمعناه " (2).

وفي ضوء هذه الوسائط التي أشار إليها قدامة يؤسس البلاغيـون المتـأخرون _خاصـة _ معياراً لجودة الكتابة ورداءتها، ومصطلحات توصف بها الكتابة بحسب تلك الوسائط كالتلويح والرمز والإعاء والإشارة (١).

وبذلك يُعدّ قُدامة أول من أعطى التعريف الاصطلاحي لفن الكناية، متجاوزاً بـذلك الدراسات السابقة عليه والتي كادت لا تتجاوز المفهوم اللغوي للكناية.

أما أبـو هــلال العـسكري (ت 395 هـــ) فنجـده يفــرّق بـين المفهـوم اللغـوي للكنايــة ومفهومها الاصطلاحي، إلا أنها موزعة بين علة مصطلحات هي: (الكناية، والتعريض، والارداف، والماثلة) (4).

ويعرّف الكناية والتعريض - وكأنهما شيء واحد عنده - بقوله: 'وهـو أن يُكني عـن الشيء ويعرض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللُّحْن والتورية عن الشيء، كما فعل

⁽¹⁾ تفسه، ص 158.

⁽²⁾ نقد الشمر، ص 159.

⁽³⁾ ينظر: مقاتيح العلوم، ص194. وستكلم عليها بالتفصيل في موضعها.

⁽⁴⁾ ينظر: كتاب المناعتين، ص 350_350.

العَلْبَري إذ بعث إلى قومه يصُرُّو شوك وصُرَّة رمل وحنظلة يويــد: جــاءتكم بنــو حنظلــة في عـــدد كثير ككثرة الومل والشهك "(١).

مفهوم الكناية هنا مفهوم لغوي، ويعنى: الستر والخفاء. ومـن الـشواهد القرآنيـة الـعي اوردها لها، قوله _ تعالى _: ﴿ أَوْجَـَاتُهُ أَمَدُّ يَعَكُمُ مِنَ الْفَايِّطِ ﴾ قال: "فالغائط كناية عن الحاجة، وملامسة النساء كناية عن الجماع وقوله - تعالى - ﴿ وَقُرْنُ مَرَوْدُودَ ﴾ (2) قال كناية عن النساء (3)

في حين نجد التعريف الاصطلاحي للكناية في تعريفه للإرداف كما عرَّفه قُدامة من قبل. قال أبو هلال: "أن يُريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه، الخاص بـه، ويأتى بلفظ هو ردُّفُه وتابعٌ له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده "(4).

ومن الشواهد القرآنية التي أوردهـا، قولـه _ تعـالى _: ﴿ فِينَّ تَكْبِرَتُ ٱلْكَرْفِ ﴾ (3) قـال: " وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والأرداف، وذلك أن المرأة إذا عفَّت قصرت طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف ردْفاً للعفاف، والعفاف ردَّف وتابع لقصور الطرف °(6).

كذلك نجد صوراً من الكناية عند العسكري في فيصل (المماثلة) وقد عرَّفها بقوله: " المماثلة: أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتى بلفظ يكون موضوعاً بمعنى آخر، إلا أنه يسنيم، إذا أورد، عن المعنى الذي أراده، كقولهم: " فلان تقيُّ النُّوبِ "، يريدون به أنه لا عيب فيه. وليس موضوع نقاب الثوب البراء من العيوب، وإنما استعمل فيه تمثيلاً " (٥٠).

وأورد للمماثلة شواهد من القرآن الكريم منها قوله .. تعالى ..: ﴿ وَلَا يَتَعَلَّ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَّ عُنْقِكَ وَلَا نَبْسُطُهِكَا كُلُّ ٱلْبَسَطِ ﴾ (⁸⁾ قال: ' فمثل البخيل الممتنع من البـذل بالمفلول، لمعنى يجمعهما،

نفسه، ص 368. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: 3 / 157.

⁽²⁾ سورة الواقعة، الآية: 34.

⁽³⁾ كتاب الصناعتين، ص 368. (4) كتاب الصناعتين، من 350. وينظر: نقد الشمر، من 157، للمقارنة.

⁽⁵⁾ سورة الرحن، من الآية: 56. وينظر: سورة الصافات، الآية: 48، وسورة ص، الآية: 52.

⁽⁶⁾ كتاب المناعتين، ص. 350.

⁽⁷⁾ تفسه، ص 353. وقارن بقدامة في نقد الشمر، ص 159. 160.

⁽⁸⁾ سورة الأسراب من الآية: 29.

وهو أن البخيل لا يَمُدُّ بِلهُ بالعطية فشبِّهِ بالمغلول (() وقوله _ تعالى _ ﴿ كَالُّتِي نَقَضَتَ غَزَلُهَا مِنْ بَعَدِ فُوَّةِ أَنْكُنَا ﴾ (2)، قال: 'فعثل العمل ثم إحباطه بالنقض بعد الفتل (3). وقوله _ تعالى _: ﴿ وَلَا لْشَوْلُوا أَيْمَنْكُمْ مَغَلًا بَيْنَكُمْ فَقُرِلَ فَكُمَّ بِعَدْ تَبُويَهَا ﴾ (4) واورد قوله _ تعالى .. ﴿ إِنَّ هَاذَا أَلِينَ اللَّهُ يَسْمُ وَلِمُسُونَ أَجُهُ أَوْلِيَ أَجُهُ وَلِيدُهُ ﴾ (ك) وهو ليس من باب الماثلة، وإنحا هو كناية عن موصوف (النساء)، أي: كنِّي بالنعَّاج عن النساء ولم يتَّضح في هذه الكناية التمثيل. فهو قـد خلط بينهما كما خلط الكناية بالتعريض إلى حدٌّ لم يتبين القارئ ما يراه العسكري كناية وما يراه تعريضاً (6). وهذا الخلط في المصطلحات تجده عند ابن رشيق (ت 456 هــ) أيضاً في دراسته

للكناية وقد جعلها في باب الجاز وباب الاشارة. في باب الجاز يقول: "وكذلك الكناية في مثل قوله الإخباراً عن هيسي ومريم _ هليهما

السلام .: ﴿ كَانَا يَأْكُلُونِ ٱللَّاعَكُمُ ۗ ﴾ (٥) كناية عمّا يكون عنه من حاجة الانسان، وقول ... تعالى ـ حكاية عن آدم وحواء ـ صلى ألله عليهما ـ: ﴿ فَلَمَّا تَنَشَّتُهَا ﴾ (8) كناية عن الجماع (9).

ثم يذكر الكناية في باب الإشارة، والإشارة عنده تشمل عدة مصطلحات أغلبها ينـدرج تحت مفهوم الكناية الاصطلاحي مثل: (التفخيم والإيماء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز واللمحة والتورية والتنبيع).

والتنبيم هنـده الارداف هند قُدامة بن جعفــر، قــال ابـن رشــيق: 'ومــن أنــواع الإشــارة التتبيع، وقوم يسمونه التجاوز، وهو: أن يربد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه، ويـذكر مـا يتبعــه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه، وأول من أشار إلى ذلك أمرة القيس يصف إمراة:

⁽¹⁾ كتاب الصناعتين، ص 354.

⁽²⁾ سورة النحار، من الآية: 92.

⁽³⁾ كتاب المناعتين، ص 354.

⁽⁴⁾ سورة النحل، من الآية: 94.

⁽⁵⁾ سررة ص، من الآية: 23.

⁽⁶⁾ ينظر: كتاب الصناعتين، من 368.

⁽⁷⁾ سورة المائلة، من الآية: 75.

⁽⁸⁾ سورة الأعراف، من الآية: 189.

⁽⁹⁾ العملة: 1 / 268.

ويُضحى فتيتُ السِّكِ فوقَ فراشهها نسوُّومُ الفسُّحي لم تُنتَطِق عن تفضُّل فقوله: 'يضحي فتيت الملك' تتبيع، وقوله 'نؤوم الضحي' تنبيع ثبان، وقوله لم تنتطق عن تفضل تبيع ثالث، وإنما أراد أن يصفها بالترفُّو، والنعمة، وقلَّة الامتهانُ في الخدمة، وأنها شريفة مكفية المؤنة، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة "(1).

ونجد المعنى اللغوى للكناية عنده في التورية التي يقول فيها: 'وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية: بشجرة، أو شاة، أو بيضة، أو ناقة، أو مهرة، أو ما شاكل ذلك كقول المستب بن عَلَس:

دهـــا شجرَ الأرضِ داهيـــهم لينص الناس الله الساف فكني بالشجر عن الناس، "يقولون في الكلام المنشور: جاء فيلان بالسفوك والسبجر، إذا جاء بجيش عظيم "(2).

وأكثر ما أورده من شواهد للتورية هو من الكناية، من ذلك إيراده لقوله _ تعالى _: ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَنِي لَهُ مِنْ مُونَ مُعَدُّ وَلِي تَجَدُّ وَلِي تَجَدُّ وَلِي اللهِ أَنْ المعنى المراة (الله ويبدر أن المعنى اللغوي للتورية والكناية الذي يشتركان فيه وهمو (الستر والخفاء) همو المذي جعمل ابمن رشميق وغيره يخلط: بينهما ويسمى أحدهما بالآخر (٩٠٠

وعقد ابن مسنان الخفاجي (ت 466 هــ) في كتاب (مسر الفيصاحة) دراسة للكناية امتازت بالعمق والتحليل الأدبي لها لتجلية قيمتهما التعبيرية والجمالية من خملال موازنتهما ممع غرها من التعاير في حدود النصوص التي تناولها.

وهو قد درس الكتابة في موضمين:

الأول: تحت اسم الكناية، وذلك في دراسته للأجناس التي يجـب فيهـا وضع الألفـاظ موضعها، قال: 'ومن هذا الجنس حسن الكناية عمّا يجب أن يُكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وذلك أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة "^{(5).}

⁽¹⁾ نفسه: 1 / 313_314.

⁽²⁾ العمدة: 1 / 311.

⁽³⁾ ناسه: 1 / 312.

⁽⁴⁾ ينظر، ص 26 من: (المامش)

⁽⁵⁾ سر الفصاحة، ص 155، 156. وينظر: البيان والتبيين: 1 / 88.

فالكناية عنده أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة، والكناية أسلوب له مقامه وغرضه الذي يحسن فيه، والعدول عنه في الكان الذي يقتضيه يرودي إلى فقدان الأسلوب الفصاحة والبلاغة. قال: وإنما قلنا في الموضع اللذي لا يحسن فيه التصريح، لأن مواضم الهزل والجون وإيراد النوادر يليق بها ذلك، ولا تكون الكناية فيهما مرضية، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل غرض فناً وأسلوباً * (١).

ويورد ابن سنان مما يستحسن من الكنايات ومما يستقبح منها، قال: "ومما يستحسن مـن الكنايات قول امرئ القيس:

نَصِرنا إلى الحُسيني ورق كيلائن اورضت فذلّت صيعبة أيّ إذلال ما يكون مسين العسيارة. لأنه كني عن الماضيعة بأحسين ومن هذا الفن أيض منت حسسن الكناية قول أبي السطيب:

تذعى ما أدهي ت أم الشوق الشوق عيث النُّحولُ لأنه كني عن كلبها فيما أدعته من شوقها بأحسن كتابة، وأضداد هذا من قبح العبارات

قول أبي الطيب:

إلى على شغفي بمسما في خمسمره الأجمعة عمَّا في سراويلاتها (٥) فالحسن عند ابن سنان في التعبير الكنائي أن يُكنى عن المعنى الذي لا يحسن في التصريح بالفاظ أخرى لا يدل ظاهرها عليه، والقبح عنده خلاف ذلك وهـ والتـصريح بـ اللفظ المفحـش كما فعل المتني. وهذا هو ما ذهب إليه المبرد من قبل في أنَّ من الكناية .. وذلك أحسنها _ الرغبة عن اللفظ الحسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره "(3).

كما نجد الكناية عند ابن سنان في نعوت البلاغة والفصاحة، وهو يتابع في هذا قُدامـــة بــن جعفر في التحليل والتعريف، قال: "ومن نصوت البلاغة والفيصاحة أن تبراد الدلالية على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع لـ في اللغة، بـل يُـوتى بلفـظ يتبـع ذلـك المعنى

سر الفصاحة، ص 156.

⁽²⁾ سر القصاحة، ص 156 _157.

⁽³⁾ يتقار: ص 19 من:.

ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهـذا يُسمَى الأرداف والتتبيع، لأنه يُؤتَى فيــه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه °(1).

ويقدم الخفاجي أمثلة لهذا النوع من الكناية ويحللُها تحليلاً يجلَّى فيه القيمة التمبرية لـ.، من ذلك تحليله لبيت حمرو بن ربيعة:

أبوهـــــا وإمّا عبد شمس وهاشمُ بعيدةُ مَهْوى القُـــــرطِ إمَّا لنوفل

لقال _ طويلة العنق _ فعدل عن ذاك وأتى بلفظ بدل عليه وليس هو الموضوع له، فقال _ بعيدة مهوى القرط - فدل ببعد مهوى قرطها على طول الجيد، وكان في ذلك من البالغة ما ليس في توله _ طويلة العنق _ لأن بعد مهوى القرط يدل على طول أكثر من الطول الـذي يـدل عليه _ طويلة العنق ـ أأن كل بعيدة مهوى القرط طويلة العنق، وليس كل طويلة العنق بعيدة مهوى القرط، إذا كان الطول في عنقها يسيراً، وهذا موضع يجب فهمه "(^{2).}

فهو يوازن بين التعبير لو جاء مصرحاً بطول العنسق، والتعبير الكنائي (بعيدة مهـوي القرط) لسبين قيمة التعبير الكنائي والمبالغة التي يحققهما مِمَّا لا نجده في التعبير الحقيقي المبريح.

ومثل هذه الموازنات تدللٌ على نضج دراسته للكنايـة، من ذلك تحليلـه لبيـت الـبحترى، قال: 'ومن هذا الفن من الأرداف قول أبي عُبادة:

فاوَجَرُتُهُ فَأَصْلَلْتُ تَصِلْهُ حِيث يكسون اللَّهُ والرَّمسِ والجِقْدُ لأنه أراد _ القلب _ فلم يعبر عنه باسمه الموضوع له، وعدل إلى الكناية عنه بما يكون اللب والرعب والحقيد فيه، وكان ذلك أحسن لأنه إذا ذكره بهله الكتابات كان قيد دلّ على شرفه وتميزه من جميع الجسد بكون هذه الأشياء فيه، وأنه أصاب هذا المرمى في أشــرف موضع منه، ولو قال _ أصبته في قلبه _ لم يكن في ذلك دلالة على أن القلب أشوف أعضاء الجسد، فعلم هذا السبيل بحسن الارداف * (د).

⁽¹⁾ سر القصاحة، ص 212، ونقد الشعر، ص 157.

⁽²⁾ سر القصاحة، ص 221.

⁽³⁾ سر القصاحة، ص 223.

ورغم هذا التحليل الذي يبين قيمة الكناية في التعبير عن المعنى، إلاَّ أن الحفاجي يفــصل بين الكناية والإرداف ولكل منهما موضعه الخاص به. والكناية عنده مقصورة على ما يستقبح ذكره من الألفاظ (١١) وهذه النظرة في دراسة الكناية تعدّ غرضاً واحداً من أغراضها وليست هي مفهومها العام، وهي نظرة لغوية تقوم على ستر ما يستقبح ذكره .. من الكلام .. وتنضع الكناية في موضع ضيّق محـدود يفصل بينها وبين (الإرداف) الذي هو معناه الاصطلاحي عند البلاغيين "(٥٠.

وسبب ذلك راجع إلى أن الكناية عنده ذات معنى لغوي لستر ما يستقبح ذكره وأما الإرداف وهو المعنى الاصطلاحي، فهو عنده من النعوت،فعمر بن أبيي ربيصة ينعت صاحبته (ببعد مهوى القرط)، والبحتري يصف القلب بأنه مكمن اللب والرهب والحقد، وأن في الإرداف من المبالغة في الوصف مالا يكون في التعبير الصريح (د).

إنَّ دراسة الخفاجي للكناية مهِّدت لم حلة جديدة في دراستها، وذلك على يد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الذي أقاد فائدة كبيرة من الدراسات السابقة له، خصوصاً ما قدمه الخفاجي في تحليلاته الأصلوب الكناية، وما قدَّمه قُدامة بن جعفر من قبل من حيث تحديد المفهوم الاصطلاحي للكتابة وعدم الفصل بينه وبين المفهوم اللغوي.

خصص عبد القاهر الجرجاني فصلاً للفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره، قال فيه: 'اعلم ألّ لهذا الضرب اتساعاً، وتفنناً لا إلى فاية، إلاّ أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: الكناية والجاز. والمراد بالكناية ههنـا: أن يويد المتكلم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره بـاللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيوميء به إليـه، وبجعلـه دليلاً عليه " (4). فهو يُعَرّف الكناية كما عرّف قُدامة الإرداف من قبله، إلا أن صد القام يسميها الكناية.

وقد أورد عبد القاهر أمثلة لهـذا النـوع مـن الكنايـة وأفـاض في التحليـل لبيـان قيمتهـا وبلاغتها وأثرها في تصوير المعنى المقصود. مثال ذلك قولهم: ' هو طويل النجاد'، يربدون طويــل القامة، و كثير رماد القدر يعنون كثير القرى، وفي المرأة: "نـــؤوم الــضحى"، والمــراد أنهــا مترفــة

⁽¹⁾ ينظر: الصدر نفسه، ص 156 وما بعدها.

⁽²⁾ الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن على الأمين أحمد، ص 354.

⁽³⁾ ينظر: الكتابة أساليها ومواقعها في الشعر الجاهلي، ص 36.

⁽⁴⁾ دلائل الإصجاز، ص 105. وللمقارنة، ينظر: نقد الشعر، ص 157.

数



محدومة، لها من يكفيها آمرهاوإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تسام إلى الضحر, * (1).

ويقول في بيت الشاعر:

وما يك في مِنْ عَسيْدٍ فإليَّجِبالْ السكلب مهسول الفسيل

ونكما أنه إنما كان من فاخر الشعر وعما يقم في الاختيار لأجل أن أراد أن بـذكر نفسه بالقرى والضيافة فكنّى عن ذلك بجبن الكلب وهُزال الفصيل، وترك أن يصرح فيقول: قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدَّب لا يهـرٌ في وجوه من يغشاني من الأضياف، وإنسى أنحـر المتـالي من إبلي وأدع فصالها هزلي °(c).

وكما تحدث عبد القاهر عن الكناية بطريق الإرداف في إثبات المصفة، تحمدت صن نوع ثان من أنواع الكناية اصطلح عليه بالكناية عن نسبة، وهو أول من تحدث عنه وجلَّى أسواره ودقته في التعبير (3) يقول في هذا النوع من الكناية: "هـذا فن من القول دقيــق المــــلك، لطيــف للأخذ، وهو أنا نواهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكتاية والتعريض، كذلك يلهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك عاسن تمال الطب ف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هناك شعراً شاعراً، وسمحراً سماحراً، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المغلق (4). ثم يُفسِّر هـ أما الكلام بقوله: "وتفسير هـ أم الجملة وشرحها أنهم يرمسون وصف الرجل ومدحه واثبات معنى من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الاثبات.. " (5)، ويورد عبد القاهر أمثلة كثيرة على هذا النوع من الكناية، من ذلك قول زياد بـن الأعجم:

إِذْ السُّمَ احة والمسمروءة والنُّدى في قُبَّةٍ ضُرَّت مسملي ابن الحَشْرَج

⁽¹⁾ نفسه، ص 105.

⁽²⁾ تقسه، ص 297.

⁽³⁾ ينظر: السمورة الأدبيسة، د. مسمعاتي ناصف، ص 152. وينظر: عبد القساهر الجرجساني، بلاغت ونقدما د. أحد مطلوب، ص 158.

⁽⁴⁾ دلائل الإعجاز، ص 296.

⁽⁵⁾ نقسه، ص 296.



يين عبد القاهر قيمة الكناية في البيت بتصويرها المعنى بطريقة حسية مؤثرة من خلال موازنته للبيت بما يقابله من معنى على سبيل التصريح.

ثم يقول: 'وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبمة المضروبة عليم عبارة عن كونها فيه والإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه مـا أنت تري من الفخامة (١).

ومن هذا النوع أيضاً من الكناية (كناية عن نسبة) عنده ما ذكره في قوله: "وبما هو اثبيات للصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم: الجد بين ثوبيه، والكرم في برديه، وذلك أن قائل. هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه، كما توصل زياد إلى اثبات السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج بأن جعلهما في القبة التي هو جالس فيها ^{* (a)}.

وكل ما ذكره عبد القاهر من شواهد سواء للكناية عن صفة أو الكناية عن نسبة دارت في كتب البلاغة بعده قاطبة ولم يكد يخرج أحد عنها

إنْ قيمة الكتابة في التعبير الأدبى عند عبد القاهر لا تنحصر في نطاق ضيّق لا تخرج عمن تغطية المعنى المستفحش كما رأينا هند ابن سنان مثلاً، وإنما هي وسيلة حيوية من التعبير لكونهما من الأساليب الإيجائية، فهي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة، وإنما يستنغل بها اللذهن ويعمل فيها الخيال.

في الكتابة معنى يقود إلى معنى مقصود من وراء الألفاظ والتراكيب وهو الذي سمّاه عبد القاهر معنى المعنى ومن خلاله وضّح عبد القاهر قيمة الكناية وأثرها في إيــصال المعاني في أشكال وصور متعددة، يقول عبد القاهر: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تـصل منـه إلى الغوض بدلالة اللفظ وحده،وذلك إذا قصدت أن تخبر صن زيـد مـثلاً بـالخروج على الحقيقـة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق. وعلى هذا القياس.. وضوب آخر أنت لا تصل منه إلى الفرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه اللذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بهـ إلى الغـرض، ومـدار هـذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل "(ق).

⁽¹⁾ ئەسە، س. 297.

⁽²⁾ نفسه، ص 299.

⁽³⁾ دلائل الاعجاز، ص 262.

ثمُ قدَّم عبد القاهر أمثلة للكتابة والاستمارة والتمثيل، موضحاً فيها معنى المعنى من ذلك أمثلته على الكتابة : أولا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من عبرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعوقتك من كثير رماد القلر أنه مضياف ، وإذ قد عرف هذه الجملة، فها هنا عبارة غتصرة، وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى، تعنى بالمعنى الملفئ الله فل من اللفظ من اللفظ من المقنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يعضى بلد عن اللفظ من اللفظ معنى أن عنى آخر، كالذى فسرت لك (١٠).

إذ عمنى المعنى الله لا يفهم من ظاهر اللفظ في اسلوب الكناية جمل البلاغسين يقسمون الكناية إلى قريبة وبعيدة، والقريبة إلى جلية وخفية، وذلك في ضوء الوساتط بين المكنى به والمكنى عنه ومدى قربها وبعدها أو ظهورها وخفاتها. وقد تحدث عبد القاهر عن كل هدا بقوله: "وإذا كان ذلك كذلك كلم علم علم المضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المماني علمى الماني، وأنهم أرادوا من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول المدي تجعله دليلاً على الممنى الماني ويسيطاً بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله إليك "دنا.

فالوساقط بين المكنى به والمكنى عنه عند عبد القاهر هي الروابط التي تربط بين المصاني الظاهرية للفظ والمعاني الثواني التي تتولد عنها، أو معنى المعنى كما يسميه عبد القاهر تما يجمل العمورة الكنائية متماسكة موسية بالمعاني بوصفها تعبيراً فنياً غير مباشر.

وعلى كثرة ما أورد عبد القاهر الجرجاني من شواهد للكناية بنوعيها التي ذكرها (كناية عن صغة، وكناية عن نسبة) كما اصطلح عليهما عند المتاشوين والتي دارت في كتبهم، إلاَّ أنَّ لم يقف عند الكنايات القرآنية فيها ساق من أشطة.

إلاَّ أن الكناية القرآنية ستحظى بعنايـة كبيرة عنــد الزغــشـري (ت 538 هـــ) في تفــــيره البلاغي للقرآن الكريم، يقول الزغشـري: أو لا يفوص علــي شــي، مــن تلــك الحقــائق ـــيقــــد

⁽¹⁾ نفسه، ص 262_263.

⁽²⁾ نفسه، ص 266 ــ267.

الحقائق التي تضمها آيات القرآن _ إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعانى وعلم البيان * (١).

ولما كانت الكناية من فنون البيان فقد حظيت عنده بعناية كبيرة، وأشاد بكنايات القرآن الكريم في أكثر من موضع فقال: ".. ولا تبرى أحسن، ولا ألطف، ولا أحددُ للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه " (2) وقال: "وقوله: ﴿ هُوَ أَدَّى فَأَعَيْرُهُما ٱلْفِسَلَةُ فِي ٱلْمَحِسِينِ ۚ وَلَا نَقْرَتُهُمَّ خَتَّع يَعْهُنَّ أَ فَإِذَا عَلَهُنَ فَأَوْهُنَ مِنْ مَيْتُ أَمَرُكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ الثَّنِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَعَلَقِيفَ ﴿ إِنَّ الْمُثَمِّرُ مُنْ لَكُمْ قَاتُوا حَرِقَكُمْ أَنَّى شِقَتْمٌ ﴾ (3)، من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة وهـذ. وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلَّموها، ويتأذَّبوا بها، ويتكلَّفوا مثلمها في محــاوراتهم

وهذه الكنايات الفرآنية التي تهدف إلى التهذيب بتغطية المعاني المستفحشة بالفياظ حسمنة دالة على المعنى،، قد وقف الزنخشري عندها كثيراً موازناً بين معانيها التي تقصدها.

قال في قوله .. تعالى ..: ﴿ فَكَرَبُثَ وَلا شُنُونَ ﴾ (كا فكني به عن الجماع الأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك (فإن قلت): لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح، بخلاف تول (وَقَدْ أَضْنَى بَعَبُ حَتُّمَ إِلَّهَ بَعْنِ ﴾ (٥) ﴿ فَلَمَّا تَنَشَّهُمَا ﴾ (١٠) ﴿ بَيْرُومُونَ ﴾ (ف) ﴿ أَوْ لَنَسَنُمُ النِّسَانُ ﴾ (ف) ﴿ وَخَلْتُ بِهِنَّ ﴾ (١١) ﴿ فَأَوَّا مَرْكُمُ ﴾ (١١)

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 16,

⁽²⁾ نفسه: 2/ 241.

⁽³⁾ صورة البقرة، من الآية: 222، ومن الآية: 223.

⁽⁴⁾ الكشاف: 1 / 362.

⁽⁵⁾ سورة البقرة، من الآية: 197.

⁽⁶⁾ سورة النساء، من الآية: 21.

⁽⁷⁾ سورة الأعراف، من الآية 189.

⁽⁸⁾ سورة البقرة، من الآبة 187.

⁽⁹⁾ سورة النسام، من الآية: 43، وسورة المائنة، من الآية: 6.

⁽¹⁰⁾ سورة النساء، من الآية: 23.

⁽¹¹⁾ سورة البقرة، من الآية: 223.

﴿ مِن قَبِلَ أَن تَسْمِعُنَ ﴾ (أَوْ هَمَّا أَسَتَمَتَّمْ فِيهِ مِتْهِنَ ﴾ (أَنْ وَلَا تَقْرَعُثُنَ ﴾ (أَنْ قلت): استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سمّاء اختياتاً لأنفسهم. (فرأن قلت) لم صَلَى الرفث بالل (٥٠) (قلت): لتضمينه معنى الإنفساء لما كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبّه باللباس المشتمل حليه (٥٠).

والزغشري قد ذكر الأنواع الثلاثة للكناية حسب المعنى المكنى عنه، كما استقرت عنـد البلاغيين المتأخرين. وهذه الأنواع هي: الكناية عن صفة، والكناية عن موصوف، والكناية صن نسبة. والزغشري وإن لم يسمّها بما اصطلح عليه فيما بعد، إلاّ أنه مني بمفهومها ووجّه جههوده نحو الكشف عن قيمتها البلاغية في التعبير القرآني.

ويذلك فهو يضيف نوع (الكتاية عن موصوف) الـ ي لم يذكرها عبـد القــاهر الجوجــاتي الذي اقتصر على ذكر الكتاية عن صفة والكتاية عن نسبة.

فالكناية عن صفة نجدها عند الزخشري في تنسيره لقوله _ تعلى! _ مثلاً: ﴿ وَأَشِيطاً يَصُوبِهِ اللَّهُ وَالْمَالُهُ مِن أَخاطُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِن أَخاطُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَمْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِن أَخاطُ به الله الله و قلد ملك واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهداك. ومنه قوله _ تعلى خوالاً في كل إهداك. ومنه قوله _ تعلى خوالاً الله على الله عليهم الصدو: إذا تعلى خوالاً الله على عليهم الصدو: إذا تعلى عليه والتحسر، لأن النادم يقلب كذيه ظهراً جاهم مستعلياً عليهم وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر، لأن النادم يقلب كذيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف أن السدو قليه الله على معنى الندم عداي المنادم عداية عدا

سورة البقرة، من الآية 237.

⁽²⁾ سورة النسام، من الآية 24.

⁽³⁾ سورة البقرة، من الآية: 222.

 ⁽ه) يقسمد قول ... تعالى ... ﴿ لَمْ لَحَمْمَ لِنَالَةَ الصَّامِ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ إِنَّ لَهُمُّ ... ﴾
 سورة البقرة، من الآية 187.

⁽⁴⁾ الكثاف: 1 / 338.

⁽⁵⁾ سورة الكهف، من الآية 24.

⁽⁶⁾ سورة يوسف، من الآية 66.

 ⁽⁷⁾ وردد في القسران ﴿ شَتُوا عَيْتُمُ الآكولُ ﴾ سسورة آل عمسران، مسن الآيسة 119. و ﴿ يَشْلُ لَقُلامٌ مَنْ
 يُشِيهُ ﴾ سورة الفرقان، الآية: 27.

ونجد الكناية عن موصوف في تفسير لقولـه ـ تعـالى ـ مـثلاً: ﴿ وَمَعَلَتُهُ كُلُ نَاتِهَ الْفَيْجِ وَنُسُمٍ ﴾ (⁽⁾) " أواد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداهـا، بحبـث لا يفصل بينها ويينها ⁽⁰⁾

ويقول في قوله ـ تعالى ... ﴿ وَكَا يَأْتِينَ بِمُتَمَّتُنَ يَشَوَيْتُهُ بِيَنَ لِلْمَبِينَ ﴾ (⁽²⁾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول ازوجها: هو ولمدي منك، كنّى بالبهتان المفترى بمن يمديها ورجليها عمن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها المذي تلمه به بين الرجاين ⁽²⁾.

والكناية عن النسبة لمجدها عنده في تفسير لقوله _ تعالى _ مثلاً: ﴿ أَنْ تَقُولُ نَشْلُ كِحَسَّرَتُهُ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِى جَنَّهِ اللّهِ ﴾ (")، نسال: والجنب: الجانب، يُقسال: أننا في جنب فسلان، وجانبــه وناحيته، ثم قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يويدون في حقه، قال سابق السريري:

أمــــا تُقين اللهُ في جَـــنب وامـــقِلْهُ كِينْدَ حَـــرَى عليكِ تَفَطَّعُ وهِمَا مِن باب الكتابة، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيَّزه فقد أثبته فيه. ألا

وهذا من باب الكتاية، لانك إذا اثبت الامر في مكان الوجل وحينزه فقــد اثبتــه فيــه. الا ترى إلى قوله:

وفي الحديث: ((من الشرك الحقني أن يصلي الرجل لمكان الرجل))، وكذلك فعلت هذا من جهتك. فمن حيث لم يبقّ فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكنان وترك، قيــــــــل: ﴿ فَرَّلْتُ فِي جَنِّكِ اللّٰهِ ﴾ على معنى: فرطت في ذات الله " (١٠٠٠)

⁽¹⁾ كما ورد في قوله شمائي .: سورة الأعراف، من الأبة 149.

⁽²⁾ الكشاف: 2/ 565.

⁽³⁾ سورة القمر، الآية: 13.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 345.

⁽⁵⁾ سورة الممتحنة، من الآية 12.

⁽⁶⁾ الكشاف: 4/ 415.

⁽⁷⁾ صورة الزمر، من الآية 56.

⁽⁸⁾ الكشاف: 4 / 106.



ثم يزيد الكناية توضيحاً وبياناً بقوله: "فإن قلت: فمرجم كلامك إلى أن ذكر الجنب كلاذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها، فكانه قيل: فرطت في الله، فما ممنى في الله؟ قلت: لابد من تقدير مضاف محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمعنى: فرّطت في طاعة الله وعبادة الله، وما أشبه ذلك "⁽¹⁾

إذ أسلوب الكتابة عند الزخشري ذو مدلول أوسع نما نجده عند المتأخرين، وهذا شأن المتقدمين فإنهم انطلقوا نحو الدرس البلاغي من منطلق اللغة، ونحوا به نحواً أدبياً رحباً، إذ إن تضية الانتقال من اللازم إلى اللازم إلى اللازم التي أثارها البلاغيون الذين دخلوا دائرة العلمية الدقيقة من بعد الزخشري كالسكاكي والقزويني، لم يلتقت الزخشري إلى شيء منها، فللكتابة أن تنتقل من أيهما شاءت، ففي الوقت الذي يرى السكاكي أن الكتابة انتقال من اللازم إلى الملزم إلى المرزم إلى الكتابة، وحيتله يكون الانتقال من الملزم إلى الملزم إلى اللازم الإلى من المائية والمجانية والمساكي أن الكتابة المساكي الانتقال من اللازم إلى الملزم، وهذا ما نجسله أي تولى الخطيب القزويني: وفرق السكاكي وغيره بينهما [يعني الكتابة والجاز] برجه آخر وهو أن مبنى الكتابة على الانتقال من الملازم إلى الملازم، وفيه نظر لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً بينتقال من المازم الى الملازم، وفيه نظر لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً الشجاد لازم الحول المتامة هو ملزوم لما أيضاً، فيصح الانتقال في الحالين.

يقول د. محمد أبو موسى: "وقـد شغلت هلّـه المسألة أقلام الـشرّاح بقـدر ربمــا لم يكــن في حاجة ماسة إليه، لأن الانتقال في الدلالات اللغوية لا يلتزم بهلــه الدلالات المنطقية " ⁽¹⁾.

والزخشري لم ينشفل بهذه المسائل المنطقية، وإنما انشغل ببلاغة الكناية في التمبير عن المعاني، يقول في قول من المعنى المعاني، يقول في قول أن قول أن المن المعنى عبرتهم عن المعارضة صنع عندهم صدقة شم لزموا العناد ولمن عندهم صدق رمول الله الله وإذا صمة عندهم صدقة شم لزموا العناد ولمن ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا المعناب بالنار، فقيل لهم: إن استبتتم المعبر فاتركوا المعناد، فوضع

⁽¹⁾ نفسه: 4 / 106.

⁽²⁾ الإيضام: 2 / 456_457.

⁽³⁾ التصوير البياني، دراسة تمليلية لمسائل البيان، ص 370.

⁽⁴⁾ صورة البقرة، من الآية: 24.



﴿ فَأَنْهُوا النَّادَ ﴾ موضعه الآن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد، من حيث إنه من نتائجه،
لأن من اتفى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحفروا
سخطي، يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وأفعلوا ما هو نتيجة حلر السخط، وهو من باب الكتابة
التي هي شعبة من شعب البلاخة، وقائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة إتقاء
النار منابه، وإيرازه في صورته مشيماً ذلك بتهويل صفة النار وتقطيع أمرها (١٠ فالانتصال هنا من اللازم
(ترك المعاندة) إلى الملزوم (اتقاء النار) وترك المعاندة (لازم) لاتفاء النار.

وفرق الزخشري بين الكتابة والتعريض، فقسال: 'فإن قلت: أي فرق بين الكتابة والتعريض؟ قلت: الكتابة أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النجاد والحمائل لطويل القامة، وكثير الرماد للمضياف.

والتعريض: "أن تذكر شيئاً قدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جنتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وصبك بالتسليم مني تقاضياً. وكانه إمالة الكلام إلى عرض يدلن على الغرض، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده "⁶⁰.

إنّ أسلوب الكناية وجد مناخاً خصباً في تفسير الزغشري مفهوماً وتطبيقاً، بـل إنّ طلم البيان والماني تطور تطوّراً كبيراً، فقد كان تفسيره تطبيقاً حملياً وظَف فيه الظواهر البلاغية للكشف عن أسوار بلاغة التمير القرآني.

يقول د. شوقي ضيف: يمكن أن يقال إن قواعد علم البيان قد كملت عنده كما كملت قواعد علم المعاني، وكل ما هنالك أنه بقي من يستقصيها ويتبعها عنده وعند عبد القاهر وينظمها في مصنف يجمع متفرقها ويضم متورها " (2)

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 248 رما بمدها.

⁽²⁾ نفسه: 1 / 373_372.

⁽³⁾ البلاغة تطور وتاريخ، ص 265.

#

وفي طليعة من استقصى وتتبع ما قالمه الجرجاني والزنخشري فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، وأبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ)، وعلى يديهما دخلت الكناية مرحلة جديدة في الدراسة هي مرحلة التبويب المنطقي والتنظيم والتعريف.

خُص الفخر الرازي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في نصول ثلاثة تحدث فيها عن الكناية (1). خصص الفصل الأول للكلام في حقيقة الكناية، والفصل الثاني في أن الكناية ليست من الجاز، والفصل الثالث في ترجيح الكناية على التصريح وترجيح الاستعارة على التـصريح بالتشبيه.

أوضح الفصل الأول حقيقة الكناية بقوله: 'إنَّ اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلى ضر معناها فلا يخلو أما أن يكمون معناها مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلى، وإما أن لا يكون كذلك. فالأول هو الكناية. والثاني هو الجاز "(2).

وأوضح في الفصل الثاني أن الكناية ليست من الجاز، فقال: "وبيانه أن الكناية عبارة عمن أن تذكر وتفيد بمعناها معنيُّ ثانيًّا هو المقصود وإذا كنت تفييد المقيصود بمعنى اللفيظ وجب أن يكون معناه معتبراً وإذا كان معتبراً فما نقلت اللفظة صن موضوعها، فبلا يكون مجازاً (أ. شم يوضح ما قاله بقوله: ' مثاله أذا قلت: كثير الرماد فأنت تريد أن تجعل حقيقة كشرة الرصاد دلسيلاً على كونه جواداً فانت قد استعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية ولكن غرضك في إعادة كونه كثير الرماد معنى ثان يلزم الأول وهو الجدود، وإذا وجب في الكناية اعتبار معانيها الأصلية لم تكن عِازاً أصلاً أ (A).

وأوضع في الفصل الثالث ما ذهب إليه عبد القاهر في تعليل بلاغة الكنايـــة، وترجيحهـــا على التصريح، فقال: " فاعلم أن السبب في كون الكناية أبلغ من الإفصاح هو أنَّ الكناية ذكر الشيء بوساطة ذكر لوازمه ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم، ومعلوم أن ذكر الشيء مع

نهابة الإنجاز في دراية الإصجاز، من 135_137.

⁽²⁾ تقسه، ص 135.

⁽³⁾ نهاية الإيجاز في دراسة الاعجاز، ص 136.

⁽⁴⁾ نفسه، ص. 136.

دليله اوقع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله فلأجل ذلـك كانـت الكنايـة أبلـغ '(١٠ وهــو يضيف هذا الراي الذي نقله عن عبد القاهر لوجهين:

"الأول: اتك إذا قلت: فلان طويل النجاد فطول النجاد مشكوك فيه كما أن طول القامة مشكوك فيه، وليس أحدهما أظهر عند المقل من الآخر حتى يستدل بالأعرف على الأخفى اللهم إلا إذا جعلنا الطريق إلى معرفة طول النجاد الحس، ولكنه أيضاً كان في معرفة طول القامة، فظهر ضعف هذه العلة.

ويذلك ينقل الرازي فـن الكنابة من ميدانه البلاغي إلى الحجاج المنطقي، والاحتكـام إلى العقل، وإقحام اللازم والمعلوم، دون أن يشير إلى موضع المزية في التعمير الكنــائي والاســــعاري من التصريح به.

أن اللزوم الذي أبرزه الرازي كان له أثره غير الحميد، في توجيه دراسة هذا اللون من الون التميير وجهة منطقية، أضوت به أكثر مما أفادته، إذ شغل الدارسون بعده باللازم والملزوم، وتعدر الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ما لم يكن اللازم مازوماً بنفسه، أو بانضمام قربنة إليه، لجواز أن يكون اللازم أعم، ولا دلالة للعام على الخاص. فضلاً همّا قبل فيهما، من أنهما على الخاص، فضلاً همّا اللون من التعبير الفي المقارة في هذا اللون من التعبير الفي الراء (د).

أما السكاكي فقد عرّف الكناية بقوله: "الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر مـا يلزمه ليتقل من المذكور إلى المتروك، كمـا تقـول: فـلان طويــل النجـاد لينتقــل منه إلى مـا هــو ملزومه، وهو طول القامة ⁶⁰⁰.

نهاية الإيباز في دراسة الإصبال س 137. والمقارنة، ينظر: دلائل الإعبال م 110... 111.

⁽²⁾ نهاية الإيجاز في دراسة الاعجاز، ص 137.

⁽³⁾ الكناية، ص 183_184.

⁽⁴⁾ مفتاح العلوم، ص 189.

إنَّ الكناية عنلَه مبنية على الانتقال من اللازم إلى الملـزوم، والمطلـوب بالكنايــة لا يخـرج من أقسام ثلاثة:

_ الكناية المطلوب بها نفس الم صوف.

_ الكناية المطلوب بها نفس الصفة.

_ الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف.

وهذه الأقسام قد ذكرها الجرجاني والزغشري من قبلمه، فالجرجاني ذكر الكنايـة عـن صفة والكناية عن نسبة (تخصيص الصفة بالموصوف)، وأضاف الزغشري إليهما الكناية من موصوف، إلا أن السكاكي نظم هذه الأقسام وقسمُها تقسيمات أخسري وقسَّمها من جهة أخرى إلى قريبة وبعيدة وحاول تقنينها وتعريفها.

ففي القسم الأول: في الكناية المطلوب بها نفنس الموصوف، تقرب الكناية تارة وتبعد اخرى. وعرّف القريبة بقوله: "هي أن يتفق في صفة من السهفات اختصاص بموصوف معين عارض، فتذكرها متوصلاً بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: جاء المضياف، وتريـد زيـداً، لعارض اختصاص للمضياف بزيد "(١)، وعرّف البعيدة بقوله: "هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم إلى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعاً وصفياً مانعاً عن دخول كل ما هدا مقصودك فيه، مثــل أن تقبول في الكناية عن الانسبان، حي مستوى القامة، عريض الأظفار " (2).

أما القسم الثاني: في الكناية المطلوب بها نفس السمفة، الكناية فيه أيضاً تقرب تارة وتبعد تارة، وعرّف القريبة بقوله: "هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه، مشل أن تقول: فلان طويل نجاده،أو طويل النجاد، متوصلاً به إلى طول قامته،أو مثل أن تقول: فلان كثير أضيافه، أو كثير الأضياف، متوصلاً به إلى أنه مضيافوان هـذا النوع القريب تارة يكون واضحاً كما في المثالين المذكورين، وتمارة خفياً كما في قولهم: عريض القفا، كنايةٌ عن الأبله، وفي قولهم: عريض الوسادة عن هذه الكناية "(3) يريد (البله). وعرف البعيدة بقوله: "فهي أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة مثل لأن تقول: كثير الرماد، فتنتقل من كشرة الرماد إلى كثرة الجمر ومن كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كشرة

مفتاح العلوم، ص 190.

⁽²⁾ تقسه، ص 190.

⁽³⁾ ئىسەء مى 190.

الطبائخ، ومن كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان، ثم من كثرة الضيفان إلى أنــه مضياف، فانظر بين الكتابة وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم (1).

أما القسم الثالث: في الكناية المطلوب بهما تخصيص الصفة بالموصوف: ' فهمي أيضاً تتفاوت في اللطف، فتارةُ تكون لطيفة، وأخرى ألطف، واللطيف قول زياد الأعجم:

إذَّ السَّمـاحــةَ والمروءةُ والنَّدى في قُبَّةِ ضُــربَتْ عــلى ابن الحَشْرَج والطــــف متتنه قـــــول الشنفري الأزدي في وصـــــف امرأة بالــــعفة: يَبِيتُ بِمُنْجاةِ مـــن الـــوم بيتُها إذا ما بيوت بــــالملامّةِ حُلْــتِ⁽²⁾

وأشار السكاكي إلى فنون الكتاية كالمرمز والإشارة والتلويح والإيمـاء والتعـريض، قـال: ُ ثم أن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، ومساق الحديث يحسر لك اللئام من ذلك ١٠٥٠٠

وما ذكره السكاكى من تقسيمات للكنايـة وما يتعلَّق بها من فنون وقف عندها المتأخرون ولم يخرجوا عنها أو يضيفوا إليها، ودخلت البلاضة عهداً جديداً امتـاز بالـشروح والتلخـيص، وأشهر التلخيمات، كتاب (التلخيص) للخطيب القزويني (ت 739 هــ)، لخَمس فيه كتاب (المفتاح) للسكاكي.

وقد عرَّفُ القرَّويني الكتابة فيه، بقولـه: "الكتابة لفظ أريـد به لازم معناه مع جواز ارادته معه °^{(4).} وفي كتابه الآخر (الإيضاح) عرّفها أيضاً بقوله: 'لفظ أريد به لازم معناه مع جــواز ارادة معناه حينئذ "(٥).

فهو يفرّق بين الكناية والجاز من جهــة إرادة المعنى الحقيقــى، فالكنايــة يجــوز فيهــا إرادة المعنى الحقيقي، أما الجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي، وبذلك تفترق الكناية عن الجماز.

⁽¹⁾ نفسه، ص 190 ــ191.

⁽²⁾ مفتاح العلوم، ص 192_193.

⁽³⁾ مفتاح العلوم، ص 190. وللاستزادة، ينظور: ابن رشيق في: العصدة، من هذه الفدون الكنائية: 1 / 302 رما ذكر منها بعده.

⁽⁴⁾ التلخيص، ص 337.

⁽⁵⁾ الإيضاح: 2 / 456.



وقسَّم القزويني الكناية ثلاثة أقسام، كما قسَّمها السكاكي وهي: 1 - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة (1).

2 ـ المطلوب بها صفة، وتنقسم إلى قريبة ويعيدة وواضحة وخفية (2).

3 ـ المطلوب بها نسبة (3).

ثُمُّ أنَّ الكناية تتلون كما هي عند السكاكي إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة.

وامتازت الكناية في (تلخيصه) بالاقتضاب، والجفاف من الشواهد والأمثلة على خلاف ما عرضه في كتابه (الإيضاح) لفن الكناية، فقد امتازت بالتنظيم وإيراد الشواهد وشرحها، وهذا أسر وارد في التلخيصات، وكتاب (التلخيص) كما هـو معـروف، لخـص كتـاب (الإيـضاح)، ومن الشواهد القرآنية التي عرض لها قوله _ تعالى _: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي ۖ أَيْدِيهِمْ ﴾ (4) قبال فيهما: " أي ولَّا اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها، لأن فاه قد وقع فيها "(s).

ولم يُخرج الذين اتبعوا القنوويني في منهجه في المدرس البلاضي، وبخاصة نيما يتعلق بالكناية الى غير ما ذهب إليه عمَّا يلفت انتباه الباحث. ومن هؤلاء بهماء الدين السبكي (ت 773 هــــ) (6)، ومسعد السدين التفتسازاني (ت 791 هــــ) (7)، وأبسو يعقسوب المغربسي (ت 1110 هـ) (a) وابن معصوم الملني (ت 1120 هـ) (e).

وإذا كان الغزويني عمثل امتداداً للسكاكي في منهج الدرس البلاغي العلمي ربما محكم تلخيصه لمنتاحه، فإن ضياء الدين ابن الأثمير (ت 637 هــ)، والعلوي (ت 749 هــ)، يمثلان الامتداد الحق لعبد القاهر الجرجاني في صنهج الدرس البلاغي الأدبي القائم على المذوق

⁽¹⁾ نفسه: 2 / 457.

⁽²⁾ نفسه: 2 / 458.

⁽³⁾ الإيضاح: 2 / 462.

⁽⁴⁾ سورة الأعراف، من الآية: 149.

⁽⁵⁾ الإيضاح: 2 / 461.

⁽⁶⁾ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص: 4 / 237 وما بعدها.

⁽⁷⁾ المخصر على تلخيص القتاح، ضمن شروح التلخيص: 4 / 237 وما بعدها.

⁽⁸⁾ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المقتاح، ضمن شروح التلخيص: 4 / 237 وما بعدها.

⁽⁹⁾ أثوار الربيم في أتواع البديم: 5 / 309_316.

والتحليل والتعريف الموجز والاقتلال من التقسيم والمصطلح العلمي. ولمذلك أرجأنا الحديث عنهما إلى هذا الموضع وجعلناهما في صعيد واحد.

فأما ابن الأثير فإنه يقدّم دراسة بالاغية وافية الأسلوب الكناية، يقسول د. أحمد مطلوب واصفاً دراسة ابن الأثير للكناية: "ولعل ما كتبه ابن الأثير في (الجامم الكبير) و (المثبل السائر) يغني الباحث في هذا الموضوع، فقد جعل لهذا الفن روحاً، ويعـث فيه حياة، فإذا بالكنايــة صــور متحركة، وإذا بالأمثلة توحى بكل بديم عجيب، وليت المتأخرين استفادوا مّا ذكره ابن الأثير^{*(1).}

أشار ابن الأثير إلى خلط كثير من البلاغيين بين الكناية والتعريض، وبــدا بالكنايــة وقــال أنها حُدَّت: ' باللفظ الدال على الشيء، على غير الوضع الحقيقي، بوصف جامع بين الكناية

وقال بفساد هذا التعريف، لأنه يمكن أن يكون حدًّا للتشبيه كذلك. ونقل ما ذهب إليــه علماء أصول الفقه من أنها: ' اللفظ المحتمل '(3). وقال: أنهم يريدون به اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وخلافه. وأشار إلى فساده أيضاً، لأن كل كناية لفظ محتمل، وليس كمل لفيظ

وحدٌ الكناية الجامع لها عنده هو: " أنها كل لفظة دلَّت على معنى يجوز حمله على جماني الحقيقة والجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والجاز (٥٠). وقال أن الكناية مشتقة من الستر، يقال: كنيت عن الشيء إذا سترته، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي يُستر فيها الجاز بالحقيقة، فتكسون دالية على السماتر وعلى المستور معياً. 'الاترى إلى قوليه _ تعمل ي: ﴿ أَوْ لَكَسَّكُمُ النِّسَاءُ ﴾ فإنه إن حُمل على الجماع كان كناية، لأنه ستر الجماع بلفظ اللمس المذي حقيقته مصافحة الجسد الجسد، وإن حُمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة، ولم يكن كناية، وكلاهما يتم به للعني "(^(و).

القزويني وشروح التلخيص، ص 420.

⁽²⁾ المثل الساتر: 3 / 50.

⁽³⁾ نقيبه: 3 / 51.

⁽⁴⁾ نفسه: 3 / 52.

⁽⁵⁾ نفسه: 3 / 53.

وابن الأثير برى الكتابة جزءاً من الاستعارة، لأنها لا تكون إلا بطيّ المكنى عنه، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام، فكل كناية استعارة، وليست كل استعارة كناية. ويفرِّق بينهما من وجه آخر، فيقول: "الاستعارة لفظها صريح، والصريح هو ما دلٌ عليه ظاهر لفظه، والكناية ضد الصريح، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ، وهذه ثلاثة فروق أصلها: الخصوص والعموم، والآخر الصريح، والآخر الحمل على جانب الحقيقة والجاز "(1).

وأورد تقسيم البلاغيين للكناية أقساماً ثلاثة فقال: "وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أتساماً ثلاثة: غثيلاً، وإردافاً، ومجاورة (٥)

وفصِّل القول في كل قسم مبيِّناً المقصود منه، ثم انتهى إلى أنه تقسيم ليس بـصحيح " لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصاً بصفة خاصة، تفصله عـن عمـوم الأصـل "^(د)" وذلك لأن الكنايات عنده كلها تمثيل فإن التمثيل عبارة عن مجموع الكناية، لأن الكناية إنما همي أن تراد الاشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك اللفظ مشالاً للمعنى الـذي أريدت الإشارة إليه ^{(و).}

والتمثيل في الكناية يتضح في التركيب، ويقلّ في المفرد، قال: " ألا ترى إلى قوله - تعالى ..: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَنِي لَدُ وَيَدَّمُّ وَلَهُ مُعَمِّدُ وَهَمَّ وَلَي تَجَمَّدُ وَسِيدَةً ﴾ فإنه أراد الإشارة إلى النساء، فوضع لفظاً لمعنى آخر، وهو النعاج، ثم مثل به النساء. وهكذا يجري الحكم في جميع ما يأتي من الكنايات، لكن منها ما يتضح التمثيل فيه ... ومنه ما يكون دون ذلك في الشبهية " (؟). ثم قال: ' فوجلات الكناية إذا وردت على طريق اللفـظ المركـب، كانـت شـديدة المناسبة وأضـحة الـشبهية، وإذا وردت على طريق اللفـظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة "٢٥٥.

ثم يعقد مقارنة بين الكناية المركبة والكناية المفردة لتوضيح ذلك، فيقول: 'ألا ترى إلى قولهم (فلان نقى الثوب) وقولهم (اللمس) كناية عـن الجمـاع، فـإن نقـاء الثـوب أشــدٌ مناسبةً

⁽¹⁾ نفسه: 3 / 55.

⁽²⁾ المثل السائر: 3 / 58. وينظر: الجامع الكبير، ص 157.

⁽³⁾ الخار السائر: 3 / 59.

⁽⁴⁾ المثل السائر 0: 3 / 59. والمقارنة، ينظر: نقد الشعر، ص 159 -160.

⁽⁵⁾ تقسه: 3 / 59.

⁽⁶⁾ تفسه: 3 / 59.

وأوضح شبهاً، لأنًا إذا قلنا: نقاء النوب من الهنس كنزاهمة العرض من العيوب اتنضحت المشابهة، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديـدة الملاءمة، وإذا قلنا: (اللمس كالجماع) لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة. وهذا الذي ذكـر في أن من الكناية تمثيلاً وهــو كــذا وكــذا، غير سائغ ولا وارد، بل الكناية كلها هي ذاك '(ا)-

ويعرّف ابن الأثير التعريض بقوله: "اللفيظ النال على الشيء من طريس المفهوم لا بالموضع الحقيقي، ولا الجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنسي لحتاج، وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبـرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازاً، إنما دلَّ عليه من طريق المفهوم، بخلاف دلالة اللمس على الجماع ° (2).

ويقول: "والتعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهـة الجـاز، ودلالة التعريض من جهــة المفهوم لا بالوضع الحقيــقى ولا المجازي وإنما سُمّى التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يُفهم من عُرضه أي من جانبه، وعُرض كل شيء جانبه، والكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة "(٥٠.

ومن الكتايات القرآنية التي أوردها قوله _ تعالى .. ﴿ أَيُّكُ أَخَدُ كُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ آلِنِهِ مَيَّنَّا فَكَرِّهُ مُتُّمُودٌ ﴾ (4)، قال: "فإنه كني عن الغيبة بأكل الانسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتىصس على ذلك حتى جعله ميتاً، ثم جعل ما هو في الغايمة من الكراهمة موصولاً بالحبة، نهمذه أربع دلالات واقعة على ما قُميدت له مطابقةً للمعنى الذي وردت من أجله (¹³⁾.

ثم يوضح المناسبات في الدلالات بين المكنى بـ والمكنى عنـ في المواضـم الأربعـة الـتي عقدتها الآية، أي يبحث عن الوصف الجامع في الـدلالات، قـال: 'فأما جعـل الغيبـة كأكـل الانسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً، لأن الغيبة، إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه، لأن أكسل اللحم تمزيق

⁽¹⁾ نفسه: 3 / 59.

⁽²⁾ نقبه: 3 / 56.

⁽³⁾ المشل السائر: 3/ 57. وينظر: حدائق الزهر والريحان في البيان عن بلاضات التيمان، محمد أمين الخطيب العمري، من 31.

⁽⁴⁾ سورة الحيوات، من الآية: 12.

⁽⁵⁾ المثل السائر: 3 / 62.



على الحقيقة، وأما جغله كلعم الأخ لما في الغيبة من الكراهة، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها والبعد عنها، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الآخ في كراهتهوأما جمل اللحم ميتاً فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بفييته ولا يجس بها. وأما جمله ما هـو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحبة، فلما جُيلت عليه النفوس من الحيل إلى الغيبة والشهوة لها مـع العلـم بقيحها (١٠).

فهو يشترط المناسبات في الدلالات في الأسلوب الكتابي، فإذا لم يجد المناسبة والوصف الجامع بينهما الجامع بينهما الجامع بين المكتني به والمكتنى عنه لم يعد التعبير كنائياً. قال: " أنه لابد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكتابية ما ليس منها، ألا ترى إلى قول مـ تعالى ... ﴿ إِنِّ كَذَا أَتِّى المُدْرَةِ مُؤْمَدُ مُؤَمِّ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ على حكم الكتابية، لأنه ليس بين الثياب والقلب والمعلى حكم الكتابية، وله يتمالى وصف جامع لكان التأويل صحيحاً " في وجمل من الكتابات القرآنية قوله ـ تعالى ...

﴿ أَذَوْلُ وَنَ النَّتُمَةُ مُلَّهُ شَاكَةً أَدُونِكُمْ فَتَحْتُكُ النَّتِيلُ وَيُمَا أَيُونِكُمْ وَللك لوجدود المناسبة والوصف الجامع، وحمل اللفظ على جاني الحقيقة والجاز، فقال: 'هذه الآية من باب الكنايات الي لفظها يهوز حمله على جاني الحقيقة والجاز، وقد رأيت جامة من أئسة الفقه لا يعقون أمر الكناية، وإذا سئلوا منها مروا عنها بالجاز، وليس الأمر كذلك، وينهما وصف جامع، كهذه الآية وما جرى مجراها، فإنه يهوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم، وكذلك حمل الأوية على مهابط الأرض وعلى القلوب، ومكذا يجوز حمل الزيد على المثار الرأيي الذي تقذفه السيول، وعلى الفسلال، وليس في أقسام الجاز شيء يجوز حمله على الطرفين مما أسوى الكناية (4).

⁽¹⁾ نفسه: 3 / 62.

⁽²⁾ المثل السائر: 3 / 53.

⁽³⁾ سورة الرعد، من الآية: 17.

⁽⁴⁾ المثل السائر: 3 / 63.



وقال في قوله ــ تعالى ـــ: ﴿ وَلَتَوَكُّمُّمْ أَوْضَهُمْ وَقِيدَكُمْ وَالْمَوْلُكُمْ وَلَتَكُلُّمُ تَطَعُوهَا ﴾ (1) والأرض التي لم يطاوها كناية عن مناكح النساء، وذلك من حَسن الكناية ونادره (2).

وقد تتبع ابن الأثير أساليسب الكتابية في القرآن والشعر والنشر المركبة منهما والمقمردة، وامتازت تحليلاته لها بالحيوية والعمق.

وأما العلوي (ت 749 هـ) فهو يفيد من دراسة الكتابة عند الجرجاني وعند ابن الآثير بخاصة، فيعقد لها دراسة بلاغية أدبية امتازت بالعمق في صورة منظمة تعتمد التقسيم والتبويب. وهو يناقش فيها كثيراً من التعاريف للكتابة وبخاصة تعريف الجرجاني وتعريف ابن الآثير، ثم ينتهي بعد المناقشة إلى تعريف الكتابة، أن يُقال: هي ينتهي بعد المناقشة إلى تعريف الكتابة، أن يُقال: هي الملفظ المدال على معنين مختلفين، حقيقة وججاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح * (۵) شهر للملفظ المدال على معنين، إلى المنفسة القيرد، فقولنا: اللفظ الدال يحترز به عن التعريض، فإنه ليس مدلولاً عليه بلفظ، وإنها هو مفهوم من جهة الإشارة والفعوي وقولنا على معنين، يُحترز به عنا يدل على معنين، يُحترز به عن اللفظ المشترك، فإن دلالته على ما يدل عليه من الماتي على جهة الحقيقة لا غير، وقولنا من غير واسطة، يحترز به عن التعلى على ما يدل عليه من أهاة التشبيه، إمّا ظاهرة كقولك: زيد كالأسد، وإمّا مضمرة كقولك: زيد المبحر، وقولنا على جهة التعمريح، يحترز به عن الاستعارة، فإن دلالتها على ما تدل عليه من جهة التعمريح، يحترز به عن الاستعارة، فإن دلالتها على ما تدل عليه من حية التعمريح، يحترز به عن الاستعارة، فإن دلالتها على ما تدل عليه على الشجاع، فكلاهما مفهوم من جهة التعمريح، يخلاف الكتابية فإن الجماع ليس صريماً من غير قرينة، كدلالة الأسد على الخيوان، وإمّا مع القرينة كدلالة الأسد على الشبط، فكلهما مفهوم من جهة التعمريح، يخلاف الكتابية فإن الجماع ليس صريماً من غير قرينة، كدلالة الأسد على الخيوان على جهة عنها، همية من ومفهم على جهة التعمريح، فخلاف الكتابة فإن الجماع ليس صريماً من عمر ومفهم على جهة التعمريح، فخلاف الكتابة فإن الجماع ليس صريماً من عمر ومفهم على جهة التعمرية التبر عمل المياء على منه بهنه التبر عمل الميابة على المنافقة عمل على حمل الميابة على من قريبة التبر عمل الميوان، وإما على من قوله حمل الميابة التبر عمل الميابة التبرية التبر عالمية التبر عمل الميابة التبر عالى الميابة التبر عالم الميابة التبر عالى الميابة التبر عالى

والكتابة حند العلوي هي من الجازء لأن المقسود منها هـو المنـى الكتـى عنـه، ولـيس المقصود هو المعنى الحقيقي للفظافال: "أن الكتابة قد دلّت على معناها اللغـوي الـذي وُضـعت من أجله، فيعد ذلك لا خِلر حالها؛ إمّا الا تدل على معنى خالف لما دلّت عليـ بالرضـم أم لا،

سورة الأحزاب، من الآية: 27.

⁽²⁾ الثار الساد : 3 / 63.

⁽³⁾ الطراز: 1 / 373.

⁽⁴⁾ الطراز: 1 / 373_374.

فإنْ لم تدل فلا معنى للكناية، وإنْ دلَّت عليه وجب القول بكونه مجازاً، لمَّا كـان مخالفاً لما دلَّت عليه بالوضم ^{* (۱).}

وتسم العلوي الكناية إلى ثلاثة أقسام باعتبار ذاتها، وياعتبار حالها، وياعتبار حكمها.

فالقسم الأول: باعتبار ذاتها تنقسم لديه إلى مفردة، ومركبة. فأما المفردة: 'فهي ما كانت الكناية حاصلة في اللفظة الواحدة، وهذا كقوله _ تعـالي _: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُ مِنْهُ وَلَنَّهُمُ وَلِي تَجْمَةُ وكيئة كه فالمواد بالنعجة في كلا الموضعين المرأة، وإنما كنبي بالنعجة عن المرأة لِما بينهما من الملاءمة في التذلِّل والضعف والرحمة وكثرة التألف، وكقوله _ تعالى ـ:

﴿ أَوْ لَنَمْسُتُمُ الْفُسَلَةُ ﴾ فإنه كنايةً عن الجماع "(2). وأما المركبة 'فهى أكثر ورود الكناية عليها، كقولك: (الكرمُ في بُرُدَيْهِ، والجُدُ بين تُويِّيْهِ، والعفاف في عِطْفَيَه)، هذا في المدح، وفي الـذم: (إِنَّهُ لَعَرِيضُ الوَسَادِ) (⁽³⁾

ثم يوازن بين النومين (المفردة والمركبة) بقوله: 'فإذا وردت على طريقة التركيب كانت اشد ملاءمة، وأعظم بلاضةً، وإذا وردت على صورة الاقراد لم يكن لها تلك الزية التي حصلت للمركبة، ومثاله أنك إذا قلت في الكناية المركبة: فلان نقى الشوب، وأردت إيراده على صورة المشابهة، فإنك تقول: هو في نزاهة العرض من العيوب كنزاهة الثرب من الأدناس، فإذا حصل على هـذا التأليف اتضحت المشابهة ووُجـدت المناسبة وظهر أمر الكناية، وإذا قلـت في الكنايـة المفردة، اللمس في الجماع لم تكن في تلك الدرجة من المناسبة وقوة الشابهة (٥٠).

والقسم الثاني: باعتبار حالها تنقسم إلى قريبة ويعيدة. والقريبة هي: " ما يكون الانتقال إلى المطلوب بأقرب اللوازم.. ومثالها: (بعيدةُ مَهْوى القُـرْطِ) فإنه كنايةٌ صن طول عنقهـا، وهـذا حاصل على القرب من غير اعتبار واسطة " (5). وأما البعيدة: فهي " ما يكون الانتقال إلى مطلوبها من لازم أبعد منه، مثالما، (فلان كثير الرماد) فهذه تكثر فيها الوسائط، لأنك تنتقل من كشرة

⁽¹⁾ نفسه: 1 / 376,375.

⁽²⁾ نفسه: 1 / 428_427.

⁽³⁾ نفسه: 1 / 429.

⁽⁴⁾ الطراز: 1 / 430. وينظر: الثل السائر: 3 / 59 للمقارنة.

⁽⁵⁾ نفسه: 1/ 430. وللمقارنة، ينظر: مفتاح العلوم، ص 190 ــ191.

الرماد إلى كثرة الجمر، ثم إلى كثرة الإحراق تحت القدر، ثم إلى كثرة الطبائخ، ثم إلى كثرة الأكلين، ثم إلى كثرة الأضياف، ثم إلى كونه مضيافاً (١).

أما القسم الثالث: باعتبار حكمتها فإنها تنقسم إلى حسنة وقبيحة. فالحسنة كقول أعرابية تصف زوجها: (إنه إبلَّ قليلات المسارح، كثيراتُ المبارك، إذا سمعن صوت المؤهر أيْقَنُّ الهُـنُّ هوالك) (2). والقبيحة ما تخلو من الفائدة المرادة من الكناية، وهو عيب عند أهل البلاضة، من ذلك قول أبي الطيب المتني:

إلى عسملى شغسفي يما في خُمْرها الأعسمة عمّا في سراويلاتها (٥٠).

إذ إنَّ (خرها وسراويلاتها) فقدت غرض الستر والانحفاء وقربت من التصريح بالمعني. ويورد العلوى كثراً من أمثلة الكناية من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكالم على

أمير المؤمنين الله وكلام البلغاء، والكنايات الشعرية، وحفل كل نوع من هذه الأنواع الخمسة بعدد واقر من الشواهد.

ومن الكنايات القرآنية التي أوردها قوله _ تعالى _ ﴿ أَيُّبُ أَمَدُكُمْ أَن يَأْكُلُ لَحَمَ لَيْهِ مَيّ

فَكُوفَتُوهُ ﴾ ، وقوله _ تعالى _ ﴿ أَمْزَلُ مِنَ النَّيْلُو مَلَّهُ مَنَاكَ أَنْهِيًّا فِقَدْمِهَا فَآخَمَ لَ السَّيْلُ زَيْنَا زَامِناً . ﴾. وهو لا يكاد يخرج في تفسيره لحذه الكنايات القرآنية عمَّا قاله ابن الأثير من قبل (4).

والعلوى يفرّق بين الكناية والتعريض، والفروق بينهما تظهر من أوجه ثلاثة:

الوجه الأول: الكناية واقعة في الجاز، بخلاف التعريض فلا يعدّ من الجاز.

الوجه الثاني: الكناية تقع في المفرد والمركب، والتعريض لا يقع إلاّ في اللفظ المركب.

الوجه الثالث: التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق الجاز، بخلاف التعريض، فإن دلالته من جهة القريشة

والإشارة (٥).

ولم يضف الذين جاءوا من بعده إلى فن الكناية إضافات جوهرية، بل الملاحظ عليهم النقل من عبد القاهر الجرجاني والزخشري وابن الأثير وغيرهم من علماء البلاغة والبيان.

- - (2) نقسه: 1 / 432.
 - (3) نفسه: 1 / 432_433.
- (4) الطراز: 1 / 400 -407. وينظر للمقارنة: المثل السائر: 3 / 62 ـ63.
- (5) الطراز: 1 / 398.397. وقارن بابن الأثير، المثل السائر: 3 / 56.57.

ومن هؤلاء ابن القيم الجوزية (ت 751هـ)(١)، ويدر الدين الزركشي (ت 794هـ)(١)، وابن حجة الحموي (ت 837 هـ) (٤) والسيوطي (ت 911 هـ) (١) وابن معصوم المدني (ت .(c) (_a 1120

ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إنَّ المحدثين والمعاصرين من البلاغيين (*) لم يخالفوا ما انتهى إليه البلاغيون المتأخرون خلافاً جوهرياً في دائرة فسن الكنايـة وإن كـان لكـالٌ مـنهم ملاحظاتــه وطريقة تناوله لهذا الفن البياني ^{(6).}

الكنابة بن الحقيقة والمجاز:

أكثر علماء البيان على مذهب أن الكناية من الجاز (٥) لأن اللفظ المستعمل الإيراد منه معناه الحقيقي.

قال ابن الأثير: "وقد تقلم القول في باب الاستعارة أنها جزء من الجاز وعلى ذلك تكون نسبة جزء الجزء، وخاص الخاص (8) ولما كانت الكناية عندهنسبتها للاستعارة نسبة جزء الجزء وخاص الخاص، فهي من الجاز، إلاَّ أن مجازيتها تختلف عن مجازية الاستعارة وتفترق عنهـــا بالقرينة، القرينة مع الاستعارة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، فالاستعارة صريحة في مجازيتها.

أما الكناية فلا مانع يمنع من إيراد المعنى الحقيقي مع المعنى المكنى عنه الجازي، والمعنى المكنى عنه في الكناية هو المستور وهو الجاز. يقول ابن الأثير: " فإن المستور هنا _ يقصد الكنايـة _

⁽¹⁾ يتظر: القوائد المشوق إلى علوم القرآن، ص 126 وما يعدها.

⁽²⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 300 ــ301.

⁽³⁾ ينظر: الخزانة، ص 359 ـ361.

⁽⁴⁾ ينظر: الاتفان في علوم القرآن: 3 / 143_148.

⁽⁵⁾ ينظر: أتوار الربيم في أتراع البديم: 5 / 309 ـ 316.

^(*) ينظر معثلاً: علم البيان، د. يعدى طبائمة، ص 234 وما بعدها. وينظر: البلاضة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. حسن البصير، ص 367 وما بعدها. وينظر: بناء المعورة الفنيمة في البيان العربسي، د. كاميل حسن السعير، ص 328 وما بعندا. وينظر: التصوير البياني، د. حضتي محمله شسرف، ص 221 ومنا بعندها. ويتظنر: جنواهر البلاغية، أحمد الهناشمي، ص 345 ومنا بعندها. وينظر: البلاغة الواضحة، على الجارم، مصطفى أمين، ص 123 وما بمدها.

⁽⁶⁾ بنظر: الكناية، د. عمد جابر فياض، ص 197.

⁽⁷⁾ الطراز: 1 / 375.

⁽⁸⁾ ألثل السائر:: 3 / 55.



هو المجاز، لأن الحقيقة تفهم أولاً ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز، لأن دلالة اللفـظ عليهـا دلالـة وضعية، وأما المجاز فإنه يُفهم بعد فهم الحقيقة، إنما يُفهم بالنظر والفكرة ^{(40}

وذهب العلوي إلى ما ذهب إليه ابن الأثير (20) وراى بعضهم أنها ليست من الجاز لأنك تعتبر في ألفاظ الكتابة معانيها الأصلية، ثم يفيد بمعانيها معنى ثانياً هو القصود. نبرى هذا عند فخر الدين الرازي، يقول: "الكتابة عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هبو المقصود، وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتبراً، وإذا كان معتبراً فما نقلت اللفظة عن موضوعها فلا يكون عبازاً "(2). أي أن المعنى الشاني هبو معنى المعنى كمما يسميه الجرجاني 40 الذي يفيده اللفظ الكتائي ليس بمجاز، لأن المعنى الأصلي هبو دليل يقود إليه فينهما تلازم وارتباط، وبذلك غن نستعمل الألفاظ في معانيها الأصلية.

ويُقهم من كلام السكاكي أن الكناية حقيقة، قال: واعلم أن التعريض تارةً يكون على سبيل الكناية وأخرى على سبيل الجحاز، فإذا قلت: آذيتني فستعرف، وأردت المخاطب ومع المخاطب انساناً أخر معتمداً على قرائن الأحوال كمان من القبيسل الأول، وإنّ لم ترد إلاّ ضير المخاطب كان من القبيل الثاني" (^{9).}

فالكتاية عنده ليست مجازاً، وأن التعريض هو لـون من ألـوان الكنايـة، أو طريـق مـن طرقها، ويكون أحياناً مجازاً على خلاف الكناية، كما مثّل لـه في قوله "آذيتي فستعرف" إذا كـان المقصود فير المعنى الحقيقي اللدي يمثله (المخاطب) وإنما المقصـود من هو صع المخاطـب بإمالــة الكلام إلي.

وقال الخطيب المقروبين: 'فرّق السكاكي وهيره بوجه آخسر وهدو أن مبنى الكنايـة ملى الانتقال من الملزوم إلى اللازم "ها.

⁽¹⁾ نفسه: 3/ 54.

⁽²⁾ الطراز: 1/ 376 وما يعدها.

⁽³⁾ نهاية الإيجاز في دراية الإمجاز، ص 136. رينظر: نهاية الأرب، للنويوى: 7/ 60.

⁽⁴⁾ دلائل الاعجاز، ص 263.

⁽⁵⁾ مقتاح العلوم، ص 194. وينظر: الإيضاح: 2 / 467.

⁽⁶⁾ الإيضاع: 2 / 456.

وفرَّق الخطيب بين الكتابة والجاز من جهة ارادة المعنى الحقيقي ولازمه، ولا يجوز في المجاز ذلك. لأن "المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة، وملزوم معانـــد الـشنىء معانـــد لــذلك

والذي بميل إليه: هو أنَّ الكناية تعبير عبازي (2) لأنه من أساليب التصبير غبير المباشرة، وإنْ كان ظاهر اللفظ يُوحى بمعناه الحقيقي، إلاَّ أنْ هذا المعنى الحقيقي ليـس هـو المقـصود في الكناية، وإنما المقصود معني آخر يختفي وراء ظاهر اللفظ ويرتبط بـ. ومـا دام المراد لـيس هـو معنى ظاهر اللفظ، فالآولي أن تكون الكناية من الجاز، كما أن هناك الواناً من الكناية يتعاتر فهم معناها الحقيقي أو إيراده، يتضح ذلك بخاصة مع الكناية بالتمثيل.

الفرق بين الكناية والتعريض:

لاحظنا فيما عرضناه من أسلوب الكناية عند البلاغيين جمع الكناية مم التعريض عند أغلبهم كأنهما أسلوب واحد أو أنهما نفظان مترادفان (٥).

ولعل سبب هذا التقارب وجم الأسلوبين في صميد واحد عائد إلى أن دلالة الكناية كدلالة التعريض في أنَّ كلاً منهما لم يُصرَّح فيه بالألفاظ الدالة على المعنى المقصود" (4).

فالتعريض كالكناية في كونه لا يُراد به معناه الذي يدل عليه ظاهره، وإنما يُراد بـ معنى آخر يرتبط باللفظ الظاهر ويلازمه، إلاّ أن التلازم بين المعنيين في الكناية والتعريض مختلف، ففسي الكنايــة أساسه العرف والعادة .. في الأعم الأغلب .. ولا يرتبط بموقف محسد أو سياق معين، على حين أن التبلازم بين المعنيين في التعريض ينبع من الموقف الخاص الذي يُقال فيه الكلام (c).

وفرُق السكاكي بين الكناية والتعريض، وجعل التعريض جزءاً من الكنايـة وطريقـة مـن ط قعا ⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ تفسه: 2 / 456.

⁽²⁾ ينظر: البلاغة المربية، الماني والبيان والبديم، د. أحمد مطلوب، ص 238.

⁽³⁾ ينظر مثالاً: كتاب الصناعتين، ص 368، والعمدة: 1 / 302.302.

⁽⁴⁾ علم البيان، د. بدوي طبانة، ص 256.

⁽⁵⁾ ينظر: التعبير البياتي، د. شفيم السيد، ص 151.

⁽⁶⁾ ينظر: ص من: وينظر: مفتاح العلوم، ص 190، 194.

3%

الدال على الشيء من طريق المفهوم "(1) فقوله _ تعالى ..: ﴿ قَالُوٓا مَالَتَ فَعَلْتَ هَـُذَا مِكَالِمُتِمَا بَالْمِرْهِيمُ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَمُ كَبِيمُهُمْ هَنَا فَتَنْلُوهُمْ إِن كَانُوا يَعِلْقُونَ ﴾ (أ تسمل دلالت إلى السامع من جهة المفهوم، لأن هدف ابراهيم عليه إقامة الحبجة والبرهان على قومه، بـأن هـ ولاء لا يضرُون ولا ينفعون فهم لا ينطقون، وأبسط مظاهر توقع النفع أو النضر أن يعمى الشيء، ويتكلم ليحقق ما يُريـد، والحجر لا يمي ولا يتكلم فسـلب حيثلهِ أبـسط مظـاهر الـضر والنفــم (D) وفي قوله _ تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَكُمُّ النَّيْنَ كُفَرُوا مِن قَوْيِهِ مَا نَرَطَكَ إِلَّا بِشَرًا يَثْلُنَا وَمَا زَرَكَ ٱلنَّسْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمَّ أَرَاوَلُنَا بَادِىَ الرَّأِي وَمَا زَّىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَشَلِ بَلْ نَظْلَكُمْ كَاذِينِكَ ﴾ (4)، تعريض بأن الله لو أرسل بشراً رسولاً، لاختارنا دونك لاعتبارات في مقاييسهم تقتضي أحقيتهم النبوة كما يتخيلون (٥٠ وفي قولـه ـ تعـالى ـ: ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأْتَ نُوجٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍّ كَاتَنَا خَمْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا مَسَلِمَيْنِ فَخَاتَنَاهُمَا فَلَرْ يُغِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّهِ شَيَّنًا وَهِيلَ أَدْخُلَا النَّالَر مَمَ الدَّاسِظِينَ ﴾ (6). في هذه الآية تعريض. قال الزنحشري: 'وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بـأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة (عائشة وحفصة) وما فوط منهما من التظاهر على رسم ل الله عدما كرهه، وتحليرهما على أغلب وجه وأشدّهوأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله * فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلاّ مع كونهما مخلصتين " (٦).

وبذلك تكون دلالة التعريض أخفى من دلالة الكناية، لأن دلالته من جهة المفهوم، ودلالتها لفظية وضعية من جهة الجاز، وقول ابن الأثير في ذلك وفي بيان الفروق الأخـري سـبق

⁽¹⁾ الخل السائر: 3 / 56.

⁽²⁾ صورة الأنباء، الأيتان: 62 ر 63.

⁽³⁾ ينظر: المسل المسائر: 3/ 72. وينظر: حدائق الزهر والربحان في البيان صن بلاضات التبيان، ص 32. وأصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، د. عمد حسين على الصغير، ص 118.

⁽⁴⁾ سورة هو د، الآية: 27.

⁽⁵⁾ ينظر: المثل السائر: 3 / 72، وأصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، ص 119.

⁽⁶⁾ سورة التحريم، الآية: 10.

⁽⁷⁾ الكشاف: 4 / 458.

⁽⁸⁾ ينظر: ص 45 من:، وينظر: المثل السادر: 3 / 57.

ومقهوم التعريض عند العلموي لا يختلف عن مفهومه عند ابن الأثير (1)، والـذي ننتهــى إليه أنَّ التعريض لون من ألوان الكناية، أو طريقة متميزة من طرقها له خاصية فنيـة في التعبير عن المعنى إذا جاء في سياقه النابع من الموقف الخاص الذي يُقال فيه الكلام.

ويبرز التعريض في القرآن الكريم مخاصة بوصفه "أسلوباً مشرقاً من الأساليب البيانيـة يحتمُّه الأدب القرآني، وتدعو إليه لغته المهذبة، تقويماً للخُلْسَ، وصيانةً للنفس الانسانية من العبث والغيظ والإثارة المؤذية "(ت).

معيار الجودة في الكتاية عند البلاغيين:

اجم دارسو البلاغة على أن أسـلوب الكناية هو أبلغ من الافصاح، وأن التعريض أوقــع من التصريح.

يقولُ عبد القاهر الجرجاني: "قد أجمع الجميم على أن الكناية أبلغ من الاقتصاح، والتعريض أوقع من التصريح ^{(3).}

ويقول السكاكي: واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكنابـــة أوقع مــن الإفصاح بالذكرفيصير حال الكناية كحال الجاز في كون الشيء معها مدعى ببيّنة وسع الافساح بالذكر مدمى لا بيينة (١٠).

وذهب السبكي أن الكناية "هي أبلغ من كل مجاز مرسل ويحتمل أن يُقال أنها أبلغ من الاستعارة أبضاً °(5).

وفي إطلاقهم بأن الجاز أبلغ من الحقيقة، والكناية أرقع من التصريح مكذا مجرداً من مياق، يجانب الحقيقة، إذ أنَّ أبلغية أي أسلوب يحددُه السياق الذي يتشكل فيه، فالأسلوب الجازي يكون أبلغ من الحقيقي إذا جـاء في سياقه الذي يتطلب، والحقيقي يكون أبلغ من الجازي

⁽¹⁾ ينظر: الطراز: 1 / 397 .. 398.

⁽²⁾ أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، ص 119.

⁽³⁾ دلائل الاعجاز، ص 109.

⁽⁴⁾ مفتاح العلوم، ص 194_195. وينظر: الإيضاح: 2 / 468.

⁽⁵⁾ عروس الأفراح في شرح تلخيص المقتاح، ضمن شروح التلخيص: 4 / 277.



في مقامه، فليس هناك اسلوب ابلغ من أسلوب مجرداً من سياق ومقتضى حال، فالسياق هـو الذي عِند اللغة الأسلوب.

والملاحظ أذ البلاغيين القُدامي قد استندوا في تحديد أبلغية الأسلوب الكنـائي إلى معيـار دقيق واضح، بوصفه أسـلوياً فنياً غير مباشـر، يؤدي لفظه الصريح بمعنـا، إلى معنـى ثـالز يـرتبط بالمعنى الأول ويلازم، وفي هذا إثارة لللهن وحسن وقع في النفس وشدة تأثير في المخاطّب بمـا يتمثله من لوازم حسية تجسد له المعنى المقصود.

وللوسول من المعاني الأوّل إلى المعاني الثواني كما يُسميها الجرجاني (أ) يتم بوسائط، وفي شوء هذه الوسائط من حيث قربها أو بعدها، خفاؤها أو جلاؤها كنان تقويم البلاضيين لأسلوب الكناية.

وأول من أشار إلى هذه الوسائط هو قدامة بن جعفر في دراسته للكناية التي سمّاها (الأرداف). وقد استبعد قدامة من الأرداف من دائرة الشعر، لكونه غامضاً بسبب كشرة الوسائط وغموضها إلى الحد الذي يتمثر معه فهم معناه. قمال: ومن هذا ألنوع ما يدخل في الإيبات التي يسمونها أبيات للماني، وذلك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بيته وبيته أرداف أخر، كانها وسائط، وكشرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن داخلاً في جلة ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر وتعثر العلم معناه (و).

واشار الجرجاني في تحليلاته الأسلوب الكناية إلى هداه الوسائط، وجعمل معيار الجدودة فيها راجعاً إلى بيانها ووضوحها في الدلالة على المعنى المقصود، وجعمل ذلك شرطاً من شروط الميلافة، قال: "إنّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الشاني ووسطاً بينك وبينه متمكناً في دلالته، مستقلاً بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيّل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك (¹⁰⁾

⁽¹⁾ ينظر: دلائل الإعجاز، ص 264_263.

⁽²⁾ نقد الشعر؛ ص 159.

⁽³⁾ دلائل الإعجاز، ص 266_267.

فبلاغَةُ الْأسلوبِ الكتائي تعتمد على النسج الداخلي الذي يربط بين المعنيين الأصلي والمقصود (1)، من حيث بعد الوسائط وقربها، وغموضها، ووضوحها.

ويتضح معيار الجودة في الأسلوب الكنائي عند السكاكي في صورة وأضمحة منظمّة، إذ يجترح مصطلحات في ضــوء الوسائط، ويقســم الكناية على ضوئها، فيقول: 'متى كانت الكنايــة عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لسم تكن كـذلكنظر فإن كانت ذات مساقة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازمكما في كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسباً لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعـد، وإن كانـث ذات مسافة قريبة مم نوع من الخفاء كنحو: عريض القفا وعريض الوسادة كنان اطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، وإن كانت لا مع نوع الحفاء كان اطلاق اسم الايماء والإشارة عليها مناسباً "(⁽²⁾.

وهذه المصطلحات التي ذكرها السكاكي من (تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة) قـد تبنَّاها البلاغيون بعده في دراستهم الكناية، ومن ثم حدَّدوا قوتها أو ضعفها، فقـد استندت إلى معيار نابع من رؤية بلافية تحدُّد بوضوح الصورة الكنائية ووظيفتها في التعبير غير المباشر صن الماني.

وفي ضوء هذا الاستعراض التاريخي لمفهوم الكنايـة عنـد البلاغـيين القُـدامي والمتـأخرين يمكن استنتاج خلاصة وافية تحيط بتعريفها وأنواعها، ويمكن بوساطتها دراسة الكنايـة القرآنيـة و صفها أسلوباً من أساليبه المتميزة لها خصائصها الفنية في التعبر والتصوير والتأثر.

ثبتت الخلاصة تعريف الكناية عند البلاغيين المتاخرين بأنه: ' لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيثالي.

وفي المنظور المعاصر هي لفيظ أو صبورة مبلكورة على سبيل الجماز بديلة عين أخرى عذوفة،وهذه الصورة تعبر عن المعنى المراد بطريـق الحقيقـة والمسوّع لمذلك أن الأولى لازمـة لتحقق الثانية، أي هي 'ضرب من العدول عن لفظ يقرر معناه حقيقة وصراحة والإتبان بلفظ

⁽¹⁾ الكتابة أساليها ومواقعها في الشعر الجاهلي، ص 113.

⁽²⁾ مفتاح العلوم، ص 194.



آخر يؤدي هذا المعنى في شيء من التأول على أن تكون هناك علاقة لازمة بين اللفظين فيما يؤديانه، لللك فإن هـله العملية اللغوية تتتج لنا صورة بنيلة لازمة لما عنل عنه وترك لِل سـواه ١٦٠٠.

بديلة عن الرجل طويل القامة، وعن الرجل الكريم، وعن المرأة المترفة التي لها من يخدمها. وثمة فرق بين الصورة الكنائية وبين ما عدل عنه من معان حقيقية، فالمصورة الكنائية هي تحسويس للمعنى لا تلحظه في المعنى الذي عبدل عنه. فقولنا: (هذا رجل كريم) هو تعبير مباشر من غير تصوير فني، أما إذا عدلنا عن هذا اللفظ وقلنا كثير الرماد "رسمنا صورة حسية مُشاهدة لـصفة ذلك الرجل يصل فيها المعنى إلى المتلقى بتجسيد يخضع للمقايسة ويُفضى من شم إلى التوكيد وقوة التأثير، وهذا الملحظ الفني في الكناية قد عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: * أمــا الكنايــة فإن السبب في أن كان للاثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم _ إذا رجع إلى نفسه _ إنَّ اثبات الصفة باثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكمد وأبلخ في المدعوة من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا سادُجاً غُفُلا، وذلك أنك لا تـدعي شاهد الصفة ودليلها إلاّ والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يُشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوّز والغلط " (2).

ومثاله أيضاً قوله _ تعالى _: ﴿ وَلَا يَتَصَلُّ يَدَكَ مَنْلُولَةً إِلَىٰ صُنْفِكَ وَلَا نَيْسُتُلُهُمَا كُلَّ ٱلْبَسَولِ ﴾ (٥) فالآية الكريمة تنهى عن صفتين ملمومتين هما: البخيل والتبلير. وقد عدل التعبير القرآني عين صفة (البخل) إلى التصوير الكنائي الفني ﴿ وَلا بَتَمَلْ بَلَكَ مَمْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ ﴾ ، نرى نيه البخيل وقد يدا ذراعه متجمّداً وكفّ مقبوضة في صورة محسوسة تتملاّها العين ويتحسسها الوجدان فهو مغلول اليد قد شدَّت إلى عنقه لا يبسدر منه عمسل يُنتفع به، ولا ينهمي بمهمَّة يفيسد منهما الآخرون. فالصورة الكنائية بديلة عن حقيقة لازمة لصفة البخل، فهي صفة تنفّر الناس منه لِما يرونه عليه حياناً ويحسُّونه فيه مشاهدةً.

وعدل التعبير القرآني كذلك عن صفة (الاسراف) إلى الصورة الكنائية البديلة ﴿ وَلَا نَهُ مُكُلُّ اللَّهُ فِي إِذَا المسرف الباذخ يبسط يده غاية البسط ويلح على بسطها في عناء

⁽¹⁾ بناء الصورة القنية في البيان العربي، د. كامل حسن البصير، ص 328.

⁽²⁾ دلائل الإعجاز، من 111_111.

⁽³⁾ سبرة الإسراء، من الآية: 29.



وعنت، فهو يُصوُّر للناس في هذه الصورة البليلة واقع أمره واللازم لهذا الواقع، فيفهم المتلقون أنه بهذا يضرّ نفسه بعدم الإبقاء على شيء ينفعه ويجدى سواه (١٠.

وبذلك يتجلى الفرق في التعبر عن الأفكار والمعاني بين الأسلوب الكنائي المصور الموحى بطريق إثارة الحواس والذهن والمخيلة وبمين التعمير الحقيقى المباشس المذي عمدل عنمه القرآن، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ونظر البلاغيون في طبيعة (الكني عنه) الذي يتواري خلف سجف الكناية فجعلوه ثلاثة أضرب وتبعاً لذلك قسموا الكناية إلى أنسواع هي: الكناية عن المسفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة (٥).

كما نظروا في السياق والوسائط التي توصلنا إلى المكنى عنه، فبنوا على ذلك خسة أضرب هي: التعريض والتلويح والإيماء والإشارة والرمز ^{(c).}

وكل ما ذكروه من هذه الأضرب هي صور بديلة لازمة للمعنى المقصود يتميز الواحد

من الآخر بسمة لغوية وفنية في التعبير عن الأفكار والمعاني بميوية وقوة تأثير في المتلقى⁽⁴⁾. فالتعريض هـ و ضرب من الكناية، ويعتمد إدراك مفهومه على السياق، لذا فإن مدلولـ خفى مستتر يهتمدي إليه المتلقي ويكشفه من خلال ظرف القول ومناسبته وما إليهما مـن قـرائن لا ينبض بها البناء اللغوي مباشرةً وإنما تتهادى في حـــلث تــاريخي ومــلــعاة اجتمــاعي وعـــارض شخصي، ومع ذلك كلَّه ينبغي أن تتوفر هـ أه القرائن لثلاَّ بـ ضل المتلقي ويتيـ عـن المراد مـن التعريض (c) وقد ورد (التعريض) في القرآن الكريم بكثرة ملحوظة تكشف أمثلته القرآنية عس طبيعته بوصفه ضرباً من ضروب الكناية.

أما التلويح فهو في اللغة أن تشير إلى فيرك من بعد (٥) وفي الاصطلاح: هو الكناية التي بينها وبين المعنى المكنى عنه مسافة متباعدة وذلك بسبب كثرة الوسائط التي تتوسط بين اللفظ الكنائي وبين المعنى المكثر, عنه المقصم د (٦).

ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 330.

⁽²⁾ ينظر: مفتاح العلوم، ص 190 وما بعدها. وينظر: الإيضاح: 2 / 457.

⁽³⁾ يتظر: مفتاح العلوم، ص 190. ويتظر: الإيضاح: 2 / 466.

⁽⁴⁾ ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان المربى، ص 329.

⁽⁵⁾ بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 331 ـ332.

⁽⁶⁾ ينظر: لسان العرب: 2 / 586 (لوح).

⁽⁷⁾ ينظر: الإيضاح: 2 / 466. وينظر: البلاغة والتطبيق، ص 375.

وأما الإشارة والإيماء فهما لفظان مترادفان يلتقيان لغةً في أن تشير إلى قريب منك إشارة واضحة (١) وفي الاصطلاح هما الكناية التي قلَّت وسائطها مع وضوح المكنى عنه الـذي تفضى إليه (٥٠

أما الرمز فهو في اللغة أن تشير إلى قريب منك بنحوشفه أو حاجب (3) وقيل أصل الرمز: 'الكلام الحنفي الذي لا يكاد يُفهم، ثم استعمل حتى صار الإنسارة وقبال الفراء: الرمز بالشفتين خاصة (٩). وقال ابن منظور: 'الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت: إنما هو إشارة بالشفتين '(c).

فالرمز في لغة العرب على وجه الاجال هـ والاشـارة، وفي كلامهـم مـا يـدل على أنَّ الإشارة أو الرمز طريق من طرق الدلالة، فقد تصحب الكلام فتساعده على البيان والافتصاح، لأن حسن الاشارة باليد أو الرأس من تمام حسن البيان كما يقول الجاحظ (6). أو تنوب الاشبارة هن الكلام فتستقل هي بالدلالة، أو أن الانسان يلجأ إلى الإشارة حين العجز عن الكلام كالـذي جعله الله آية لزكريا 25 على ما بشره به من الولد، لمّا دعا الله _ تعالى _ أن يجعل لـ آية على ذلك: ﴿ قَالَ رَبُّ لَجُمَلِ إِنَّ مَا يَكُ قَالَ مَا يَنْكُ أَلَّا ثُحَكِلِمُ النَّاسُ فَلَفَةَ أَيْنَامِ إِلَّا رَمْزُاً ﴾ (٥٠٠.

والجاحظ أول أديب عربي أطبال في الكبلام على الاشبارة، وجعبل الإشبارة ضرورة للخطيب، لكنه لم يبالم فيها (٤) وتمتاز دلالة الإشارة بما يأتي:

- إنها سريعة قصيرة.
- _ غير مباشرة أي لا تفصح عن دلالتها إفصاحاً مباشراً، لأن الدلالة الماشرة تكون بطريق الألفاظ بحسب ما تدل عليه من معانيها اللغوية الوضعية.

⁽¹⁾ ينظر: لسان العرب: 1 / 201 (وماً) و: 4 / 436 437 (شور).

⁽²⁾ مقتاح العلوم، ص 194. الإيضاح: 2 / 467، والبلاغة والتطبيق، ص 377.

⁽³⁾ ينظر: أساس البلاغة، ص 1278 (رمز)، الإيضاح: 2 / 466.

⁽⁴⁾ الممدة: 1 / 306.

⁽⁵⁾ أسان العرب: 5 / 356 (رمز).

⁽⁷⁾ سورة آل عمران، من الآية 41. وينظر: الرمزية في الأدب المربي، ص 42.

⁽⁸⁾ ينظر: البيان والشين: 1 / 69، 70، 77، 78.

ـ أن تكون خفية، والخفاء هو نتيجة الخاصتين السابقتين، فهي لسرعتها وقصرها لا يفهمها إلاَّ الفطن الذي يكون ذهنه مهيئًا لها، كما أنَّ الدلالة ضر الماشرة بطبيعتها هي أقل وضوحاً من الدلالة التقريرية المباشرة (1).

أما في الاصطلاح فقد أطلق البلاغيون المتأخرون (الرمـز) على الكناية الرامزة وهي الـيم قلَّت وسائطها إلى المُكنى عنه مع خضاء (²⁾ وقد تنساول البلاغييون أمثلة من التصابير العربيـة الموروثة شواهد عليها، منها قولهم: (عريض القفا) كنايةً عن البلادة (3) فإنَّ لزوم البلادة لعرض القفا لا يعرفه إلا القليل، وكذلك قولهم: عريض الوسادة، لينتقل منه إلى عرض القفا، ثم إلى البلادة، فالواسطة بين الكناية وما ترمز إليه شيء واحد، ولكنه لازم خفي (٩)، ومنها قولهم: (املس الجلد) كنايةً عن الذي لم يُدنُّس بعار ولم تصبه مثلبة حيث كان يُقال للرجل الـذي لا يلصق به ذم هو أملس الجلد (^{c).}

فالكناية الرامزة عند هؤلاء البلاغيين قد استوت تعبيراً لغوياً، لا يعسر تحديد مفهومها ومدلولها كما لو كانت بناءً لغوياً متعارفاً عليه في تداوله والعدول بــه صن اللفظ المباشر الصريح (6). وحتى الشعراء الذي استخدموها أداةً في التعبير والتصوير على الرغم من خفائها فإنها قريبةً إلى ذهن المتلقى فيما تشير إليه من معان وأفكار ولا تجهده في خفائها وغموضها، ومما مثل به البلاغيون للرمز قول أحد القدماء يصف امرأة قُتل زوجها وسُبيت:

عَقَلْتُ لِسِها مَنْ رُوْجِهَا عَدَدُ الحَصى مُعسسح أَوْ مُسمَ جُنْح كُلُّ أَصِيلَ يريد اني لم اعطها عقلاً ولا قَوَداً بزوجها، إلاَّ الهمَّ الذي يدعوها إلى عدِّ الحصى. وأصله من قول امرئ القيس:

أعدد الحصي ما تنقضى عبراتي (٦) ظللت ردائي فيسبوق راسي قاعداً

⁽I) يتظر: الرمزية في الأدب العربي، ص 43.

⁽²⁾ ينظر: مفتاح العلوم، ص 194. وينظر: الايضاح: 2 / 466، والبلاغة والتطبيق، ص 376.

⁽³⁾ ينظر: مقتاح الملوم، ص 190. وينظر: الإيضاح: 2 / 458.

⁽⁴⁾ ينظر: مفتاح العلوم، ص 190.

⁽⁵⁾ بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 333.

⁽⁶⁾ ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 334.

⁽⁷⁾ العمدة: إ / 305. وينظر: البلاغة والتطبيق، ص 376.

فالشاهر في حالة نفسية من القلق والهم والحزن، وقد رمز لحالته النفسية بوضع المرداء على الرأس، وعد الحصى، وسيلان العبرات وهي بديلة عن عبارات صريحة مثل (أنا حزين أشاغل نفسى فلا تجدي مشاغلتي فما أنفك أبكي). فما استعمله الشاعر من كنايات رامزة علال غيم من خفاتها فإنها قريبة إلى المتلقى فيما ترمز إليه لا يتيه في الإغراب ولا ينصل عين المقصود، وبهذا المفهوم أصبح الرمز من الكنايات الفنية بما فيها من طاقة إيجائية قد تقرر بناؤها على ونق سنن العربية وما جرى به معجمها الاجتماعي الفني(١^{٠).}

وأجلى خصائص الكناية الرامزة الإيجاز وغير الماشرة في التعبير عن المعنى، ويسبب هاتين الخاصتين يلفها الخفاء والغموض. والإيجاز وغير الماشرة هما المدعامتان الأساسيتان للرمزية في الأدب العربي (2)، فالإيجاز يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء، لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفيفة يشتغل بها اللهن، ويعمل فيها الخيال، حين تبرز وتتلوّن وتتسع، تتشعّب إلى معان أخرى، يتحمّلها اللفظ بالتفسير أو التأويل (3) واما ضير المباشرة في التعمير _ الدعامة الثانية للرمزية العربية _ فهي من خواص اللغة الأدبية بوجه عام. ومعنى هذه الخاصية: الخروج على أوضاع اللغة، لصلة من الشبه، أو لأية علاقة من التجوز (١٠) وقد سلك الأدب العربي إلى غير المباشرة في التعبير مسائك مختلفة أهمها: الكتابية والجاز، يقول عبد القاهر الجرجاني في " فصل في اللفظ يطلق والمراد غير ظاهره ": اعليم أن لهذا البضرب اتساعاً وتفنناً لا إلى غاية، إلاّ أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: "الكناية والجاز " (٥٠.

والغموض الناشيء عن هذين الخاصتين هو غموض مستحسن ما دام سبيه دقة الفكرة وعمقها، ويرجع عبد القاهر الجرجاني استحسانه لهذا الغموض الفني إلى طبيعة نفسية فيقبول: " من المركوز في الطيع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعانــاة الحـنين نحــوه، كان نبله أحلى، وبالمسرة أولى، فكنان موقعه من النفس أجلِّ والطف، وكانت به أضنَّ

⁽¹⁾ ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 334.

⁽²⁾ ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص 55، 68.

⁽³⁾ دفاع من البلاغة، ص 99.

⁽⁴⁾ ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص 55.

⁽⁵⁾ دلائل الإصحار، من 105.



واشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظما "(ا). أما الغموض المقتعل الذي يكون نتيجة تعقيد الأسلوب وسوء ترتيب الكلام فهو غموض ملذموم عنمد الجرجاني، لأنه يكدّ الذهن فيما لا طائل تحته، وقول عبد القاهر: "والمعقّد من الشعر والكلام لم يلمُ لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعشر فكرك في متصرّفه، ويشيك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه. بل ربما قسم فكرك، وشعب ظنّك، حتى لا تدري من این تتوصل وکیف تطلب ^{(2).}

فالأصل في جمال الفموض في التعبير الأدبى عند العرب أن يكـون مـصدر طاقـة إيجائيـة يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفيفة تعمق المعنى وتلونه وتوسعه لا أن يكون مغلقاً يقف أمامه القارئ حائراً دهِشاً _ فلا جمال ولا فين _ (د) ومين شم يمكين أن يلتقي مفهوم الرميز في المذهب الرمزي الغربي مع مفهوم الرمز في الأدب العربي في عسده من الخصائص الفنية، فكلاهما إيمائي بجوهره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية. بـل يسعى إلى نقل تأثيرهـا في المنفس بعد أن يلتقطها الحس. وغاية الشاعر الرمزي الوصول إلى خُلْق حالة نفسية معينة في جو القصيلة.

ولمَّا كانت اللغة العادية، التي لا تتعدَّى الشيء المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية الغامضة، لجا الشاعر إلى الرمز لِما فيه من طاقة إيحاثية في التعبير عنها (4) فالرمز هر استحضار لتجربة شعورية، يقول الناقـد كينيـث بـ برك: إنَّ الرمـز هــو المقابــل اللفظــي للتجربـة الانــسانية المعاشة،ولذلك فهو يتميز بالقوة والحيوية والتدفق والتعقيب، ولا يعنى التعقيب صعوبة إدراك ولكنه يعنى تعدد الأبعاد والجوانب، وهذا يمكن الرمز من أن يبرز الخط الرئيسي في العمل الأدبى ويزيد من اقتاعنا به (ك) وأحياناً يكون الرمز بمثابة تنفيس للعواطف والاحساسات التي أثارها العمل الأدبى داخمل القارئ، وأحياناً أخرى يقوم الرمز ذاته بإثارة العواطف

أسرار البلاغة، ص. 118.

⁽²⁾ الصدر تفسه، من 125 ـ126.

⁽³⁾ ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص 66.

 ⁽⁴⁾ ينظر: الرمزية والأدب العربى الحديث، أنطسوان كسرم، ص 12. وينظر: الأدب الرسزي، منسري ب. و. ترجمة: هنسري زغيب، ص 10 11. وينظسر: الرمزية والروماتتيكية في السمر اللبنساني، أمية حمدان، ص 28_28.

⁽⁵⁾ المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نييل راضب، ص 110.

والاحساسات الراكسة داخله، وهكذا تتعدّد وظائف الرمز يتعدّد واختلاف النصوص الـواردة بها أنّ، وهو في كلّ يقوم بوظيفة عضوية في العمل الأدبي.

أما إذا أصبح الرمز وسيلة تعقيد وغموض شديدين كما هو طابع الرمز عند الغربيين _ على الأعم الأغلب ،، وهو من المآخذ التي أخذها النقّاد عليها (٥٠ فإنها تفترق بذلك عن مفهوم الرمز العربي في التعبير الأدبي عند العرب بوصفه طاقة إيحاثية في التعبير والتصوير. وثمة مآخلًا كثيرة أخذها النقاد على الرمزين منها: إسرافهم في عسدٌ الشعر ضرباً من الموسيقي الخالصة(٥)، ونزعتهم الذاتية المسرفة في تباين آراتهم في الحقائق النفسية والكونية، واعتمادهم الأحلام والرؤى للوصول إلى أعماق النفس، فجاءت صورهم الشعرية غريبة غامضة يعسر على القارئ إدراكها (4) وفهمها. هو ما يُلاحظ في الرمزية الغريبة وما يـأتي علمي شاكلتها في الأدب العربي الحديث حيث نزع أصحابها إلى تقليد الغرب (ذ). ويمكن القول على وجه الإجال: 'أن الرمزية الغربية في جملتها مذهب انطوائي يجنح إلى الأشرة ويصيش في الظلام. مذهب يدعو إلى اعتزال الجتمع ويضنّ بالأدب أن يكون هادياً ومرشداً إلى الخبر والحق، وينفس من العقل والمنطق ويجنح إلى الخيال الشارد والوهم الذي لا سند له من التفكير المستقيم ويخلسط بين المدركات الحسية التي أراد لها الله أن تكون متميزة، فجعل لكل مدرك حاسة وجعل الحواس خساً لا واحدة. وهو مذهب يطلب المستحيل فلمن يكون الشعر أبداً موسيقي خالبصة، لأن لتصير نغمات خالصة كما تين ذلك للرمزين الغربين أنفسهم، فاعترفوا بعجزهم عن تحقيق هذا المطلب الجامع، كما لا يمكن كذلك أن يتصل الفنان الشاعر بعالم الجمال الأعلى عن طريق والرذيلة، كما كان معظم أدباء الرمزية " (6).

الميدر تقسه، ص 110.

⁽²⁾ ينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، ص 31.

 ⁽³⁾ ينظر: الخلاصة في مـــذاهب الأدب الغريسي، د. علمي جــواد الطــاهر، ص 57. وينظــر: المــذاهب الأدبية من اللاكلاسيكية إلى المبثية، ص 116.

⁽⁴⁾ ينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، ص 28.

⁽⁵⁾ ينظر: الرمزية والأدب العربي الحنيث، انطوان غطاس كرم، ص 183.

⁽⁶⁾ الرمزية في الأدب العربي، ص 542 ـ 543.

أما الرمزية في القرآن الكريم فلا بُدّ من الالمام بها إلمامة حاجلة لأنها متصلة بموضوعنا إتصالاً وثيقاً، فقىد احتوى القرآن على صور تمثل الرمزية العربية في اسمى مظاهرها وفي كيلا ركتيها: الإيجاز، وغير المباشرة في التعبير (١٠) فالرمزية في القرآن في جلتها جارية جمرى الرمزيسة العربية ذات المعاني المقررة المحددة التي تستشف من العبارة الموجزة والصور المجازية والكنايات وما إلى ذلك نما لا يعبر مباشرة عن المعاني (١٠)

والتمبير الرمزي في القرآن نجله متناثراً في الفلب سوره ثما يحمل على إرادة الرمزية بمناها الدقيق (⁽²⁾ فهو يتخذ الرمز وسيلة مهلبة من وسائل التعبير الفي، دون تجريح أو تقويم أو لموم أو تعنيف، بما يترك شعوراً غامضاً بالنفس أو أسى داخلياً في المشامر والعواطف، وإثما بس النفس مساً رفيقاً، ويداهب العواطف مداهبة هادفة (⁽³⁾ من ذلك كناباته الأدبية المبثوثة في كثير من سورو، منها قوله _ تعلق _ في صفة المسيح الله وأسه: ﴿ مَمّا النّسِيمُ آتِنُ مَرْيَكَم إلا رَسُولٌ قَدْ عَلَت مِن صَبِي الرَّمُّ لُو المُثَنَّ مِيدَوِيكَةً مَسَاكَة بأسكلان الطعام عن الفائط والبول، الأنهما ادب أسمى من هذا الأدب الذي يتمثل في الكتابة بأكمل الطعام عن الفائط والبول، الأنهما بسبب منه إذ لابد للأكمل منهما (⁽³⁾ وقوله _ تعلل _ في المهر: ﴿ وَكَيْتَ ثَأْمُدُونَهُ وَقَدْ أَهْنَى بَسْمُحَكُم إِلَّهُ بَعْنِي ﴾ (⁽⁷⁾ فكنى بالإنضاء عن الإصابة، وقبل عن الخلوة، والأول أصح الأن العرب إنما تكنى منا يقيع ذكره، والخلوة الا يقيع ذكرها (⁽³⁾).

وغير ذلك من الكتايات القرآنية التي أولاها البلاغيون والتقاد العرب عناية بالذكر وبيان المعانى التي تنطوي تحتها، كمما عرضمناها في همذا العمهيد، ولابُندُ من القول إن ما ذكره

⁽¹⁾ تقسه، ص 188.

⁽²⁾ الرمزية في الأدب العربي، ص 194.

⁽³⁾ أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، ص 122.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 121.

⁽⁵⁾ سورة الماثلة، من الآية: 75.

⁽⁶⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 304.

⁽⁷⁾ صورة النساء، من الآية: 21.

⁽⁸⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 311.

البلاغيون والنقاد والمفسّرون من الكنايات القرآئية كان محدوداً إذ يكرر على الأغلب _ اللاحق منهم ما ذكره السابق من شـواهد الكناية القرآنية، لذلك ظلَّت الكناية القرآنية بحاجة إلى استقصاء شامل في القرآن كلّه (١) استقصاء يجمعها على صعيد واحد يمهُّ للدراستها دراسة موضوعية شاملة تبين خصائصها التعبيرية والتصويرية بوصفها أسلوبا من أساليب القرآن البليفة المعجزة.

⁽¹⁾ ينظر: الأسلوب الكنائي منشأته تطوره بلاغته عمود السيد شيخون، ص 52_58.

الفصل الأول الكناية الجنسية



القصل الأول

الكناية الجنسية

نقصد بالكتابة الجنسية الكتابة الذالة على العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجت، باللرجة الأساس، إذ إن هناك نوصين من العلاقة الجنسية: العلاقة الجنسية المسروعة، وهي علاقة التزاوج بالطريق المشروع الذي أحله الله ﷺ وهي علاقة تحقق أهدافها ومنها الحفاظ على كبان المجتمع الإنساني من الضياع والتفكك والدمار، أما النوع الثاني: العلاقة الجنسية غير المشروعة بطريستى المؤضى والإنحالال والتفسخ في الحلق، فهمي العلاقة التي حرّمها الله وحرمتها الشوائع والقوانين (1).

وقد عبر القرآن الكريم عن هذين النوعين من العلاقة الجنسية بالأسلوب الكنافي الموجي، وبخاصة عن الفعل أبي القبرآن كله الموجي، وبخاصة عن الفعل أبي القبرآن كله (ه)، وإنما يكني عنه بد (الملامسة والمس والفشيان والتقريب والإنضاء والمدخول والإتيان والمباشرة والرفسة والتمتع والاعتمال واللباس والهجر في المضاجع والسرد.) في الحياة الدنيا، ومرة يكني عنه بد (الطمث والقرش المرفوصة) في الجنة في الحياة الذيا،

وإذ لا يُصرح القرآن بالفعل الجنسي فإنه يعمد باستبدال الفاظ قبيحة فاحشة بالفاظ حسنة في التعبير عن المعنى المقصود، وبذلك يتجلى البعد التهذيبي الذي تنطوي عليه الكناية الفرآنية الجنسية، فهي تتسامى وتترفع عن التصويح بالألفاظ المفحشة التي تخدش الشعور وتحمط من الدوق الجمالي، وبذلك تبعث الكناية القرآنية جوزاً نفسياً إيجائياً خاصاً عند المتلقي لها يختف عما تبعثه الدلالة التي يؤديها التعبير المباشر.

 ⁽¹⁾ ينظر: العلاقات الجنسية ضير الشرعية وعقوبتها في الشريعة والقانون، د. عبد الملك السعدي، القسم الأول، ص 34.

 ^(*) أما الفعل الجنسى بالطريق فير للشروع كالزنا، فإن القرآن يصرح به أحياناً كما سيأتي بيانه.



وقد أشار البلاغيون القُدامي إلى هذا البعد التهذيبي في دراستهم للكناية، من ذلك ما ذهب إليه المبرد بقوله: ' من الكناية _ وذلك أحسنها _ الرغبة عن اللفظ الخسيس الفحش إلى ما يدل على معناه من غيره " (١).

فالبعد التهذيبي التربوي هدف من أهداف الكناية القرآنية، ويتجلى هذا الهدف مخاصة مع الكناية الجنسية في التعبير عن العلاقة بين الزوجين، فيرتفع بهذه العلاقة إلى أفق كريم ينـأى بهـا عن الصورة الحيوانية الغليظة، ومن مجموع إيجاءات الكنابة القرآنية الجنسية نلحظ إيحاءاً للانسان بالصورة 'الإنسائية ' في المباشرة والالتقاء.

وفضلاً عن هذا البعد التهذيبي التربوي فإن الكناية القرآنية الجنسية تحقق كذلك إيحاءات فنية تنسجم مع السياق الذي تتشكل فيه لا نلمحها في التعبير الصريح الفاحش، وذلك لأن الكناية وسيلة حيوية في التعبير، لكونها من الأساليب الإيجائية، فهمي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة، وإنما يعمل الذهن فيها والخيال في الوقوف على المعنى المقصود.

والقرآن يختار الكناية اختياراً دقيقاً في التعبير عن المعنى المُراد، إذ إنْ كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها "ك تؤدي معناها، وتحقق في سياقها أبعاداً معنوية ونفسية وجالية.

⁽¹⁾ الكاسل: 2/ 191، وينظر مثلاً: البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص 133. ومبر الفيصاحة، ص 155 مـ 156. ويديسم القسران، ابسن أبسى الأصبيم المسمري، ص 53. والتيسان في البيان،

⁽²⁾ تفسير المنار، عمد عبدة: 2 / 12. وينظر: من بلاغة القرآن، أحد بدوي، ص 57.

^(*) لا يعبر القرآن بلقظ (الزنا) إلا عندما يكون هناك داع للتعبير بهـ فما اللفظ الـ صريح كـــياق نهمي يتطلب التعبير المباشس كقول عنال من ﴿ وَلا نَفْرَوا الزَّقْ إِنَّهُ كَانَ فَنَرِضَةً وَسَنَّة سَييلًا ﴾ [سورة الإسراه، الآية: 12] ، وهذا التمبير المباشر قُلِيل إذاء التَّعَابِير الكتائية عن الزنبا نفسه، فهو يعبرعنه بـالتعبير الكسائي: ﴿ فَمَن أَبْتَنَى وَلَّهُ مَلِكَ فَأُولَتِكَ هُمُ أَلْمَادُونَ ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 7] و [سورة المعارج: الآية 31]، وبالفاحشة في علم مواضع: [سورة النساء، الآية: 15، 19، 22، 25] و [مسورة النسور، الأيسة: 19 كم، و [سسورة الأحسزاب، الآيسة: 30] و [سسورة الطسلاق، الآيسة: 1]، وبالعنست في موضع واحد: [سورة النساء، الآية: 12]، ويسالراودة في مستة مواضع من [سورة يومسف، الأبات: 23، 26، 30، 32، 50، 51 [5]

أما (اللواط) قلم يسرد بلفظه، بسل مكنسي عشه بالفاحسة، ينظير: [مسورة الأصواف، الآيسة: 80]، و [سورة النمل، الآية: 54] و [سورة العنكبوت: 28]، وكثى حنه بالمراودة في [سورة القمر، الآية: 37]. وبالاتسان في [سورة النساء، الآية: 16] و [سورة الأصراف، الآية 80] و [سورة

100 m

كما أننا نلحظ على هذا اللون من الكناية الجنسية في القسران (التلوين والتعدد)، إذ يستخدم القرآن أكثر من سبع عشرة مادة لغوية كنائية في التعبير عن المعنى الكني عنه (الجماع) بين الزوج وزوجته، وفي كل كناية نلحظ إيحاءاً جديداً في سياقها فهي كلها تشترك في التعبير عن المعنى المكنى عنه الرئيس (الجماع)، وتفترق فيما توحي به من إيحاءات تنسجم مع السياق الذي تكون فيه وتنسق، وفضلاً عن ذلك فإن هذا التعدد في الكناية الجنسية وهذه الكثرة الملحوظة .. فيما نرى .. تنطوي على دلالة موحية خاصة إذا ما قُورنت بما ورد في القرآن من الفاظ صريحة دالة على الفاحشة كـ (الزنا واللواط) (*) السي تقـل قلَّـة ملحوظـة إزاء الكنايـات الجنسية المشروعة بين الزوجين،وتتمثل هذه الدلالة في الحث على تضييق النطـق بهـا والتـــداول بها في الجتمع، لأن تداولها يعمل على إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، فتشيع في النفوس، لتشيع بعد ذلك في الجنمع فهو بعد اجتماعي مرتبط بالبعد التهذيبي، وهما من أهمداف القرآن الذي يحارب الفاحشة أن تشيع في الواقع لأنها لا تُلبي الفطرة السليمة، وتعمل على فساد المجتمع وتهديمه، على خلاف الثعابير الكنائية المعبرة عن العلاقة الجنسية، بين المزوجين والموافقة للفطرة الانسانية، إذ يرتفع القرآن بعلاقة الزوجين والتقائهما عن المستوى الحيواني، ويقيم العلاقة الجنسية بينهما على أساس من المشاعر الانسانية الكرية، التي تجعل من التقاء جسدين التثاء انسانين نفساً وقلباً وروحاً، توجه فيه طاقة الزوجين في هذا الالتقاء وجهة بنَّاءة في الجتمع غايتها استئناف الحياة بإنجاب عنصر الحياة الفعّال وهو الانسان.

وسنعمد إلى توزيع الكنايات الجنسية إلى موادها اللغوية المتنوعة في سياقاتها اليم جاءت فيها، ثم ننظر في وظيفة الكناية في التعبير بوصفها أسلوباً إيحاثياً غبير مباشــر يـثير نــوازع التأمــل ويا دي المني خبر أداء.

النمل، الآية: 54] و [سورة العنكبوت، الآية: 28]. وجعل (اللواط) من جلة الأعمال الخيشة، فقال في حق قرية لوط: ﴿ كَانَت تَمْمَلُ لَقَبْدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 74].

فيتجلى بذلك البعد التهذيبي الذي يحرصُ علْمه القرآن لتربيهة الأذواق والنفوس، وفـضلاً عمّــا ذكرنــا، ينظر الآيات الآتية التي احتوت كنايات ذوات بعد تهذيبي: { سورة النساء، الآيات: 19، 20، 21] و [سبورة الأنصام، الآيسة:/ 120] و[مسورة النبور، الآيسة: 26] و [سبورة المؤمنيون، الآيسة: 72] و [سورة القصص، الآية: 55] و [سورة فصلت، الآيات: 20، 21، 22].

الدفث واللباس والباشرة:

وردت هذه الكتايات الثلاث (الرفث واللباس والمباشرة) في سياق عبادة الصيام في قوله _ تعالى - ﴿ أَيْلَ لَحَمْمُ لِللَّهُ القِدِيَارِ الزَّفَ إِن يَسَالِكُمُّ مُنَّ يَاسٌ لَكُمْ وَأَنَّمْ لِمَاسٌ لَهُنَّ عَيْمَ اللهُ أَنْ حَمْمَ كُمنتُم قَنْسًا فُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنَكُمْ فَأَقْنَ بَعِيْرُوهُنَّ ذَاتِتُواْ مَا كَتَبَ أَقَ لَكُمْ وَكُواْ وَإِشْرُواْ مَقَّ يَتَيِنَ لَهُ النِّيمُ الأَيْمَ فِي النِّيرِ الأَسْوِدِينَ النَّيرُ فُرَا إِنْهُ النِّيرَ اللَّهُ وَالا تُبَيِّرُ وهُرك وَأَنتُر عَلَيْهُ فَ فَ الْسَكَ عِدُّ يَنِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَهُ هَا كَنَاكَ يُبَرِّثُ اللَّهُ مَا لِيَتِهِ النَّاسِ لَسَلَهُمْ مَنَّفُونَ } }

يختار القرآن الكناية المفردة ﴿ الرَّفَتُ ﴾ في سياق عبـادة الـصيام، ونعـني بالكنايـة المفـردة وقوعها في اللفظة الواحدة (2)، والرنث هي أنسب كناية في التعبير صن معناهـا في هـذا الـسياق، لأن الرفث في حقيقته هو: كلام متنضمن لِمايستقبح من ذكر الجماع ودواهيه "(3) أو هـو" الفحش من القول، وكلام النساء في الجماع "(١٠) فاللفظ الكنائي في حقيقته دال على معنى القبح لا نجده في لفظ كنائي جنسي آخر كالافضاء أو الغشيان أو المباشرة أو غير ذلك مما جاء في القرآن كله من كنايات جنسية، وذلك لأن معنى القبح في كناية الرفث مقسود في سياقه، وقلد علل الزغشري استعمال هذه الكناية في سياقها بالاستهجان، وذلك لِما وجد منهم قبل الإباحـة كما سمَّاه اختياناً لأنفسهم (5) ويبقى المعنى الحقيقي غذا اللفظ يظلل السياق بمعناه، وإن كان المقصود منه المكنى عنده الموصوف وهو (الجماع)، ويدل على هذا المكنى عنيه تعديته بحرف الجسر ﴿ إِنَّ فَكُ إِنَّ فَكُمْ إِنَّ فِسَايَكُمُّ ﴾ فيتعين المعنى المقصود وهو الافضاء (الجماع) لأن الرفث في معنى الإفضاء، يُقال: افضيت إلى المرأة، فجاء بالى مع الرفث إيلاناً وإشعاراً أنه بمعناه (60 وبينهما _ المعنى

سورة البقرة، الآية: 187.

⁽²⁾ ينظر: المثل السائر: 3/ 59، والطراز: 1/ 427.

⁽³⁾ المفردات في غريب الترآن، للراغب الأصبهاني، ص 290.

⁽⁴⁾ لسان المرب: 2/ 153 (رفست). وينظر: صغوة البيان لماني القرآن، حسنين عمد خلوف،

⁽⁵⁾ ينظر: الكشاف: 1 / 338. وينظر: تفسسير القرآن العظيم، لابن كشير: 1 / 309 ـ 210. فيسا وجد منهم قبل الإباحة.

⁽⁶⁾ ينظر: لسان العرب: 2 / 154. وتفسير التحرير والتنوير: 2 / 182 الكتاب الأول.

الحقيقي والمعنى المكنى عنه _ من الـتلازم والارتبـاط، وهـذا هـو الارداف عنـد البلاغـيين (*). فالتابع هو ﴿ الرُّفَتُ ﴾ بمعناه الحقيقي وهو المكنى به، والمتبوع هـــو (الجماع) وهــو المكنــي عنــه المقصود، ولما تحقق المقصود من قرب، والقرب هو الانتقال إلى المطلوب بسهولة ويسر تسمى الكناية عندةنـ قريبة واضحة (١). ولقرب كناية الرفث ووضوحها قيل بأنها حقيقة فيما تشير إليــه من معناها الحقيقي وفي إطلاقها على الجماع ⁽¹⁾

ولًا كانت الكناية في سياق عبادة الصيام، فقد عبرت عن جو عبادة الصيام في صورة يعجز التعبير عنه غير هـ لما الكناية، لأن اختيارها كان لقصـ دجم المعنيين الصحيح والكنائي (3)، لا الاقتصار على المعنى المُكنى عنه حسب، وبهذا الجمع بين المعنيين توحي الكناية بايحـاء ينـسـق مع عبادة الصيام إتساقاً فنياً ملحوظاً، إذ يظل المعنى الحقيقي الصريح يظلل السياق بمعناه، وهمو من المفطرات للصائم، فإذا كان مُحرّماً في أثناء الصيام بين الزوج وزوجته نهاراً، فإنه مُباح لميلاً، وبذلك تكون الكناية موحية بما يصاحب المكنى عنه من قبول يلازمه وشمعور يرتفع بالفعمل الجنسي لأنه من شؤون الالتذاذ بين الزوجين بما يليق بهما بوصفهما انسانين، وتتواشيج مين كناية الرفث وتتصل بها وتعمق معناها الإنساني الكناية المفردة الأخرى ﴿ لِمَاشٌ ﴾: ﴿ هُنَّ لِمَاشٌ لْكُمُّ وَأَنْتُمْ لِلاَسْ لَهُنَّ ﴾ القائمة في بنيتها على الاستعارة التصريحية (" حيث استعار (اللياس) للزوجين بجامع شدة الاتصال بينهما، فاللباس من معانيه التفطية والستر، فبالراد هو 'قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام "(4)" ويهسدا

^(*) وهو أن تريد دلالة على معنى من المعاني، فلا تأتي باللقظ الدال على ذلك المني، بـل بلقيظ يـدل على معنى هنو ردف وتنابع لنه، فبإذا دلّ على التنابع أبنان صن المتبوع. ينظر: نقند النشعر، ص 157. وحلية الحاضرة: 1 / 155. وكتباب البصناعتين، ص 350. وتحريس التحبير، لابسن أبسى الأصبيم المبرى، ص 207.

⁽¹⁾ ينظر: مفتاح العلوم، ص 190.

⁽²⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 2 / 182 الكتاب الأول.

⁽³⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 2 / 234، الكتاب الأول.

^(*) الاستعارة التصريحية: هي الاستعارة التي يذكر فيها (المشبه به) الذي هو (المستعار منه) صريحاً، ويحلف (المشبه) الذي هو (المستعار له). ينظر: مفتاح العلوم، ص 174.

⁽⁴⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضى، ص 12. وينظر: المتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، للجرجاني، ص 7، 10.

المعنى الذي أشارت إليه الاستعارة تنجلى رحمة الله وعنايته يرفع العنت والمشقة يتحليل الرقت وإليهن في الليل، لأن الامساك عن قربان النساء في الليل عنت وحشقة لأنه وقست الاضطباع، على خلاف الامساك عنهن في النهار لإمكان الاستعانة عليه في النهار بالبعد عن المرأة (أ" ففي تحليل الرفت وقاية من تعاطي القبيح، فبعمل الزوج لزوجه اباساً من حيث أنه يمنعها ويصدها لكل ما يغطي من الانسان عن فبيح، فبعمل الزوج لزوجه اباساً من حيث أنه يمنعها ويصدها منكر أو خيانة، ويذلك تلوح الملابسة في الاستعارة بين الزوجين بالمعنى المكنى عنه المقصود وهو "الجساع (أك) وبه يتحقق معنى ستر الزوج الزوجة، والزوجية الزوج، فكلاهما يستر الآخر، كما دل المتراكهما بمشبه به واحد (فياش) إنه و ليتعمق ذلك الملمح الانساني في اتصالهما، إذ يضلو الزوجان وكانهما حالة واحدة، جسداً ونفساً وروحاً، بل هما كذلك، صبلة النفس، بالنفس، والتجمل، إن الكناية جنه جه جامر: "هن سكن لكم وانتم سكن لمن "(أ)" وهمي صلة الستر والتجمل، إن الكناية جنه جه جاملي تعبير كامل صن حقيقة المعلة التي يفترضها القرآن بين والتجمل، إن الكناية جنه جه جاهة الكريمة التي أوسحت بها كنايسة (فياش) في يباشر الزوج إطاعان ينسجمان مع السياق:

⁽¹⁾ ينظر: تفسير التحوير والتنوير: 2 / 182، الكتاب الأول.

⁽²⁾ القردات، ص 674.

⁽³⁾ البرهان في علوم القرآن: 2 / 304. ويتقلر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، نتحي أحمد عامر، صر 424.

 ⁽⁴⁾ تفسير القرآن العظيم: 1/ 209. ويتظر: صفوة التفاسير، محمد على الصابوني: 1/ 112.

⁽⁵⁾ البرهان في علوم القرآن: 2 / 303. وينظر: المعانى الثانية في الأسلوب القرآني، ص 424.

 ^(*) كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فاسمى نشام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر في
الغد، فاتول الله: ﴿ لِمُثِلَّ لَسُتُمْ لِللّهُ اللّهِ عَلَيْكُمْ مِن اللّهِ اللّهُ فرحاً شديداً. ينظر:
لبساب الشول في أسبب الشول، للسيوطي، بهسامش نفسير الجلاليين، ص 67 وما بعدها. وينظر:
تفسير القرآن العقيم: 1 / 209.



أن المبادرة في الفعل للزوج، أي أعطاقه الفاعلية من خبلال الأمر (باشر)، فهو أولى بالفاعلية، وهو أشد حاجة بالتذكير بالمعاني الإنسانية التي أرحت بها كتابة ﴿ لَيَاشُ ﴾ فطرة، وأقدر على رفع هذه العلاقة الانسانية إلى مستوى القداسة.

﴿ لِيَاسَ ﴾ نطرة، واقلم على رفع هذه العلاقة الانسانية إلى مــــ ـــالإمجاء بإباحة الفعل (المُكنى عنه) الذي كان عمرماً قبلا ذلك ^(ه).

والكتابة المباشرة تنطوي على حكمة سديدة الأنها تحقق النابة المرجوة، كما أقداد التصبير الكتابة المرجوة، كما أقداد التصبير الكتابي جفّك في وتأثيرًا أمّا أنها الله من المباحد الله من مباشرة النساء في غير وقت الصيام، أما معناء المكنى عنه البعيد فهو (الولد) (⁽¹⁾ الشعرة المرجوة، ففي الكتابة تحريض للناس على مباشرة النساء عسى أن يتكون النسل من ذلك، وذلك لتكثير الأمة والأو في الأرض ⁽²⁾.

ثم تنتهي الآية بالتشوى ﴿ لَمُنْهُمُ يَتَقُونَ ﴾ إذ التذكير بالله وتقواه نلحظه _ على الأهــم الأغلب _ مع الكنايات الجنسية، وهو مقـصود إذ يعمـل علــى إظهـار الحالــة الانـــانية الكريــة للزوجين ويروزها في علانتهما الجنسية لينــاى بها عن الطابع الحيواني البهيمــي، ويعطيهـا بمــــــاً إنسانياً فيرفع هذه العلاقة إلى مستوى القداسة المتصلة بالله وتقواه.

وتتكور الكناية (الرفث) في سياق عبادة الحج نئوحي بمعناها بدقـة مقـــمودة، وذلـك في قولـه _ تــــالى _ : ﴿ الْعَجُّ أَنْشُهُرُّ مَّمَّالُوكَتُّ فَمَن وَنَنَ فِهِوكَ لَقَحَّ فَكَ وَقَلْ شُمُوتَ وَلَا حِــمَـالُّ فِي الْعَجُّ وَمَا فَذَكُوْ اِنْ خَيْرِ بِعَــلَمَةُ أَنْهُ وَكَرُودُوا فَإِلَى خَيْرَ الزَّادِكُ فَيْ وَانْفُونِ كَافُولِ الْأَلْبَ ﴾ (٥٠٠

فالكناية (الرف) تسق مع جو عبادة الحج الذي يتجرد فيه العبد الله عن كمل أوهاق الدنيا وأدرانها، والارتفاع على دواعيها، فهو رياضة روحية على التعلق بالله ﷺ دن مسواه. ويصعد معنى التجرد الوصل بالمواو الذي جع الجدال والفسوق بالرفث على صميد واحد بصعيفة النفسي الستي يسراد منها النهسي ﴿ فَكَرَرَفَكَ وَلا شُرُوتَكَ وَلا شُروتَكَ وَلا جمالًا فِي المَميِّ ﴾ أي: لا يوف و لا يفسق وهو أبلغ من النهي الصريح، لأنه ينيد أن هذا الأمر عالا ينبغي أن يقع أصلاً، فإن ما كان مُنكراً مستقبحاً في نفسه ففي أشهر الحج يكون أقبح والشنع، ففي الاتبان

⁽¹⁾ ينظر: الكشاف: 1 / 338.

⁽²⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 2 / 183، الكتاب الأول.

⁽³⁾ سورة البقرة، الآبة: 197.

بصيغة الخبر وإرادة النهى مبالغَنة وأضحة "(ا" وإذا كانت الكناية يُراد منها المُكنى عنه (الجماع)، فإن المعنى الحقيقي لها (الفحش من القول..) يبقى مقصوداً، بأن اختيارها دون غبرهما كان لقصد جم المعنين الصريح والكنائي (2) وهمو مظهر من مظاهر دقتها وإعجازها، لأن إرادة المعنين يتطلبه سياق عبادة الحج، وذلك تفييقاً لمساحة المحظور إلى أقمصي حـد، ولتبقي منافذ الخبر والتقبوي مفتوحة على إطلاقها، يحث عليها السياق ويجبب إليها ﴿ وَمَا تُقَمُّوا مِنْ خَيْرِ يَسْلَمُهُ أَفَّةً ﴾ ، ثم يذكر السياق بالتفوى كما ذكر بها في سياق عبادة الصيام ﴿ وَاتَّقُونِ يَتَأْوَلِي ٱلْأَلْبَكِ ﴾ لأن التقوى هي الضمانة الحثيقية في الطاصة وأولسو الألباب هـ خسر مـن ينتفع بالتوجيه ويتقى، كما أنها تظلل السياق بذلك التطهر الروحي الــذي تحــث عليــه والنظافــة الشعورية في بيت الله الحرام.

ومن وراء الكنايات السابقة ما يربي حاسة اللوق والنفس، والترفيع عن ذكر حاجبات الجسد، والتحفظ على أسرار الإنسان، وصيانة الشرف متمثلاً في تلك العلاقة الكريمة بين الزوج وزوجته، فيرق احساسهما، ويخصب شعورهما، فيكونان أقرب إلى العالم المثالي (3) بما يليق بالانسان.

الإفضياءة

ورد الفعل ﴿ أَفْشَىٰ ﴾ كنايةً عن (الجماع) في قوله _ تعـاني ﴿ وَإِنَّ أَرَدُتُمُ ٱسْرِبْهَدَالَ زُوْيج مُنْكُون رَبِي وَوَالْيُشُمُ إِنْدُ لَهُنَّ يَعْمَالُوا فَلَا كُلُّهُ أُولُوا مِنْهُ فَكِيمًا أَتَأْ خُلُون مُ يُعَمَّدُ وَافْدَا مُعِيدًا اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّاللَّاللَّا اللَّاللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الل وَكَيْفَ تَأْخُلُونَهُ وَقَدْ أَفْنَىٰ بَعْمُ حَكُمْ إِلَى بَعْنِي وَأَخَذَ كَ مِنحَكُم يَبِثَنقًا غَلِيظًا ﴾ (٥٠.

قال ابن عباس: الإفضاء في هذه الآية الجماع ولكن الله كريم يكني ' (5).

ثمة نلحظ دقة الكناية في موضعها، ففسلاً عن إيجازها وتكثيفها للمعنى، والإيجاز من طبيعة الكناية. إذ في الكناية ﴿ أَفْتَىٰ ﴾ إيحاء الاتساع في المعنى الـذي يتناسـق مـع سـياق الآيـة، فالفضاء هو: "المكان الواسع، ومنه أنضى بيده إلى كبذا، وأفضى إلى امرأته _ في الكناية أبليغ

صفوة التفاسي: 1 / 131.

⁽²⁾ ينظر: تفسير التحرير والتترير: 2 / 234، الكتاب الأول.

⁽³⁾ ينظر: المعانى الثانية في الأسلوب القرآني، ص 424، 464.

⁽⁴⁾ صورة النساء، الآيتان: 20 - 21.

⁽⁵⁾ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 5 / 102. وينظر: تفسير القرآن العظيم: 1 / 443.



وأتوب إلى التصويح من قولهم: خلا بها الم⁽¹⁾. وهو اتساع مادي ومعنوي ملحوظ في العلاقة الزوجية يهدف مسياق الآيسة إظهماره والتذكيسر بسه في موضعه، لأن المسياق مسياق (طلاق) ورغبة عن الزوجة.

فالجماع هو المعنى الرئيس وهو المعنى المكتى عنه، فضالاً عنا تحققه الكناية من إيماءات
تصل بصلة حيوية بين الزوجين يتحقق بها معنى الماشرة الزوجية تمام التحقق فيلابسس كمل
منهما الآخر حتى كانهما حقيقة واحدة (أنه لذلك فإن الكناية ﴿ أَتَفَعُ ﴾ تنظوي على ومساقط
متعددة بين المكبي به والمكنى عنه فتكون بذلك تلويماً. والتلويج: أن يُشار إلى المطلوب من بعد،
أي ينتقل إلى المصود عبر وسائط متعددة (أنه وفي الكناية تنشل هذه الوسائط بسعة المعاشرة
أوجية بينهما في كل صورها المادية منها والمعنية كما أوجي الكناية، إذ أن الفعل الكناسائي
أقتون في مطلق في دلائته لم يقيده مفعول عدده أي لا يقف ما لموله عند حدود (الجماع) بل
هو يشمل المواطف والمشاعر، والأسرار والهموم، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب،
فالكناية على اطلاقها توجي بكثير من الصور لتلك الحياة المشتركة بين الزوجية آناء الليل
واطراف النهارفيضاء لل بحوار هله الماني ذلك المعنى المادي، فيخبط الزوج أن يطلب
بعض ما دفع، وهو يستعرض في خياله، وفي وجدانه ذلك الحشد من الصور والملكويات
والمشاعر الماشية في خطة القراق الأسيف (أله.)

وفي الكتابة معان أخرى توحي بها، إذ فيها إيماء التحول من حالة إلى حالة بهذك بهما الأمرة الروجين، التحول والمراة _ بالإفضاء إلى نضاء الأمرة المتران الزوجين، التحول والمراة _ بالإفضاء إلى نضاء الأمري المدي المدي المدي المدي المدي المدي المدي فضاء إنساني يتجاوز فردية الإنسان ويسمو به حيث الطمأنينة والسكن والاستقرار، وفيمه يفضي ما بداخله إلى زوجه، فيلامس احدهما الأخر إلى حد التوحد من أجل خلق كيان واحد جديد، فيقدر ما يكون الإفضاء انطلاقاً في النفس والروح والمشاعر هو توحيد بالزوج إيضاً وخايته بناء الأمرة الهراتة المدلكة الملاقة في النفس والروح والمشاعر هو توحيد بالزوج إيضاً

⁽I) المردات: 574.

⁽²⁾ ينظر: تفسير النار: 4 / 459.

⁽³⁾ ينظر: التيان في البيان، ص 213. وينظر: الإيضاح: 2 / 466.

⁽⁴⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 2 / 288_288.

الزرجية التي يقطعها الزوج إذ كـان الإفـضاء بكـل معانيـه الـتي كثفهـا ﴿ يَبِئُنَقًا غَلِيظًا ﴾ كمـا تجسمه الاستعارة المكنية ﴿ غَلِيظًا ﴾ (*) تعظيماً لشأنه وأهميته، فهو: "حق الصحبة والمضاجعة ؛ كأنه قيل: وأخذن به منكم ميثاقاً غليظاً: أي بإفضاء بعضكم إلى بعض، ووصفه بالغلظ لقوت. وعظمه '(ا). وليكون المعنى مؤثراً لإحداث الاستجابة النفسية المرجوة في الزوج، وهمي الامتشاع عن أخل مال الزوجة الم غوب عنها.

ولا يخفى ما في الكنايــة ﴿ أَفْنَىٰ ﴾ مـن معنى يرتفـع بالمــرأة وبالعلاقــات الزوجيــة الى المستوى الإنساني الكريم. وللزوجة القيمة والاعتبار، ولها حقـوق الرعايـة حتـي وهـي مطلقـة مرغوب عنها.

التفشّى:

ورد الفعل ﴿ تَنَشَّمْهَا ﴾ كناية عن الجماع في قوله _ تعالى _: ﴿ * هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن لِّنِين وَحِمَلَ مِنْهَا وَوَجَهَا لِيَسْكُنُ إِلَيْهَا فَلَنَا تَعَشِّيهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّت وِدْ ظَمَّا ٱللَّتُ نَعَا اللَّهُ زَمُّهُمَا لَنْ مَاتَيْنًا مَرِيعًا لَتَكُونَوْ مِنَ الظَّيْكِينَ ﴾ (9)

﴿ تَنَشَّنَّهُا ﴾ كنابة دنيقة عن الجماع " (أ) في موضعها، فقد عبّرت بإيحاءاتها عن جو السياق الذي تشكلت فيه، فهي منبثقة في معناها ومتصلة بقول: ﴿ خَلَقَكُم مِّن تَّقْيِن وَجِدَةٍ وَجَمَلُ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسَكُّنَّ إِلَيُّهَا ﴾ ، فالزوجة مخلوقة من نفسه، فهي بعض منه، ويبذلك يتحقق معنى السكن والحبة والإيناس على أبلغ وجه، قال الزخشري: ﴿ لِيُسَكِّنُ إِلَيْهَا ۗ ﴾: ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والحبية ﴿ تَنَشَّمْهَا ﴾ تصعد هذه المعاني وتصورها، يُقال: ' فشيه فشاوة وغشاء: أتاه أتيان ما قبد غيشيه

^(*) الاستعارة المكتبة: هي الاستعارة التي يحلف فيها المشبه به (المستعار منه) ويرمز له باثبات بعض لوازم للدلالة عليه. ينظر: مفتاح العلوم، ص 179. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديم، أحد الماشيي، ص 305.

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 514.

⁽²⁾ سورة الأعراف، الآية: 189.

⁽³⁾ الإنقان في علوم القرآن: 3 / 144. وينظر: المنتخب من كنايات الأدياء وإشارات البلغاء، ص 10.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2/ 145.

أي ستره، والغشاوة ما يُغطي به الشيء ((1) فهي تفيد ادخال كل واحد منهما في الآخر بلطيف الممازجة وشديد الملابسة حتى ليضدو الفعل الجنسي معها امتزاج طائفين لا القماء جسدين، وفي ذلك إيحاء للانسان بالصورة الانسانية في الفعل، وافتراقها عن الصورة الحيوانية البهيمية، فضلاً عن تنسيق الكناية فنياً مع جو السكن (2) والحلق من نفس واحدة.

فالكتاية رمز لأنها أشارت إلى المطلوب من قرب بخفاء، وسميت رمزاً للطف الإشارة (⁽²⁾ إلى المقصود.

ومن وراء الدلالة الحسية التي صوّرتها الكنايـة بـين الـزوج وزوجتـه الـتي يـسكن إليهــا حظ:

الستر والتغطية التي صورته الكتابية بالملابسة الحسية والاختلاط يشير إلى الستر
بالدلالة المعنوية كملك، إذ المعنى المُكنى عنه (الجماع) يلبي حاجة النفس فطرة،
يلبيها بالكتابة الموحية بمالمودة القافصة بمن المتمشيّ والمتششّى، وأن المتفشي
(الزوجة) تتقبل فعل الفاشي بارتياح وأنس وطمأتينة.

فعل التغشية الكنائي فيه خفاء لطيف ينسجم والتعبير عن المكنى عنه (الجماع) المذي
 يتم مخفاء وتستر، وهو من لوازم الهدوء والطمأنينة والسكن.

 في الكناية ﴿ تَعَشَّمْهَا ﴾ إيحاء بالفعل الجنسي الأول: فض (فشاء البكارة) ويعرز ذلك ويقويه سياق الآيةوأن هذا التفشي مرتبط بهدف وفايته، فهو ليس لمجرد الشهوة ﴿ فَلَكُنَا تَنتَشَيْهَا حَمَلَة حَمَلًا ... ﴾ هو فعل انساني هدفه بقاء نوع الانسان والحياة.

ثم يظلل السياق كتابة (التغشي) بدعاء الزوجين وتضرعهما لله ربهما، مما يـضـفي عليهــا ذلك الطابع الإنساني الهادف، وهو المنى الملحوظ عقب كل كتابة جنسية.

⁽¹⁾ القردات: 451.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 3 / 701.

⁽³⁾ بنظر: التبيان في البيان، ص 213.

الاعتزال والتقرب والاتبان:

وردت هذه الكنايات الثلاث عن (الجماع) في قوله _ تعـالى ـــ ﴿ وَيُسْتَأُونَكَ عَنِ الْمَحِيضُ مِّلْ هُوَ أَذَى مَّاعَتِرُلُوا النِّسَاءُ فِي الْمَحِينِينُ وَلَا تَعْرَمُهُنَّ حَتَّى يَلَهُنَّ أَفَا فَلَقَرَقُ مَأْفَهُكِ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهِ بِينُ النَّوْيِينَ وَيُحِبُّ النَّمُ فِيهِ فِي اللَّهِ مِنْ أَنْ مُرَّدُّ لَكُمْ فَانُوا مَرْفَتُم الَّهُ ضِنَامٌ وَمَنْ مُوا لِمُنْسِكُمْ وَالنَّعُوا الله وَاعْلَمُوا أَنْكُم مُلْلَقُوهُ وَيَشْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1).

الاعتزال في قوله _ تعالى .. ﴿ فَأَعَدِّرُوا السَّلَةِ ﴾ كناية هن الامتناع عن الجماع في فسرة الحيض، جاء في التفسير: 'الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرةُ منه وكراهةُ لــه ﴿ فَاعْتَمْرُواْ اَلْسَكُهُ ﴾ فاجتنبوهن: يعني فاجتنبوا مجامعتهن "(2)" فالكناية أطلقت وأريد بها لازم معناهـــا، وهـــو الامتناع عن إتيان الفعل الجنسي في هذه الفترة، والاعتزال هو: ' تجنب الشيء بالبدن كان ذلك أو بالقلب "(3) و ليس المقصود بالكناية مطلق الاعتزال، وإنما هو اعتزال بالجسد عين محارسة الفعل الجنسي حسب، وذلك على وجه الالزام والوجوب كما دلَّت صيغة الأمر الحقيقي.جاء في التفسير: 'والمواد التنبيه على أن الغرض عدم المعاشرة لا عدم القرب منهن وعدم مؤاكلتهن إ وعِالستهنِّ كما يفعل اليهود إذا حاضت عندهم المرأة (٥)، وهذا المعنى المكنى عنه تعززه كناية التقرب ﴿ وَلَا نَقْرُوهُمَّ حَتَّى يَطَهُرُنُّ ﴾ بأسلوب النهي الحقيقي، فهي كنابة عن الكف عن الحسام على وجه الالزام والوجوب، والنهي عن قربهن أبلغ من النهي عن محارسة الفعل، فالكنايـة وإن كان المقصود منها النهي عن الجماع، إلاَّ أنها تشير في معناها الحقيقي القريب إلى دواعس الفعل (التقرب) المُنهى عنه وهو يمثل واسطة بين اللفظ الكنائي والمعنى المُكنى عنه، وفي ذلـك تـشنيع ومبالغة في إتيـان الفعل (الجماع) في فترة الحيض، وذلـك لِمـا فيـه مـن ضـرر للـزوجين نفـسياً ومادياً وبخاصة الزوجة. ثم تأتَّى الكناية ﴿ فَأَقُومُكَ ﴾ بصيغة الأمر على وجه الإباحة والترغيب بممارسة المعنى المُكنى هنه (الجماع) بعد الطهارة من الحيض: 'فإذا تطهرن بالماء فـاتوهن في المكان الـذي أحله الله لكم، وهو مكان النسل والولد * (b. وتوحى الكناية ﴿ فَأَتُّوهُرَى ﴾ بدلالة السهولة واليسر في

⁽¹⁾ سررة البقرة، الآيتان: 223 ـ 223.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 361. وينظر: تفسير القرآن المظيم: 1 / 246.

⁽³⁾ المردات: 499.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسر: 1 / 142.

⁽⁵⁾ صفوة التفاسي: 1 / 142.



غارسة المكنى عنه بعد تطهر هنّ، قال الراغب: "الاتيان مجيء بسهولة "(١)، وهي دلالة نفسية ملحوظة بعد تطهر الزوجة من الحيض على خلاف وهي حائض. وتتعمق هـ له الدلالـ ة بتكـرار كناية الاتيان في المسياق ﴿ فَأَقُوا مَرْفَكُمْ ﴾ متوانسجة مع التشبيه البليخ ﴿ يَمَاقَكُمْ مَرَكُ لَكُمْ فَأَثُوا حَرِّكُمْ أَنَّ شِنَّةً ﴾ حيث شبِّه النساء وذلك لانسجامه مع سياق الاختصاب والنسل. قال الزخشري: 'شبّهَهُنّ بالحارث تشبيها لِما يُلقى في ارحامهنّ من النطف التي منها النسل بالبـذور، وقوله: ﴿ فَأَتُوا حَرَقَكُمُ أَنَّ شِنْتُمْ ﴾ تمثيل: أي فاتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة. والمعنى: جامعوهن من أي شيق أردتم بعيد أن يكون المأتى واحداً وهوة موضع الحرث (2) قال ابن عباس: "اسق نباتك من حيث ينبت (3) وذلك لتحقيق الهدف الأسمى: هدف النسل لامتداد الحياة، فكما أنَّ الأرض موضع انبات الزرع الذي به بقاء الحياة والانسان،كذلك النساء موضع انبات اللذي فيه بقاء نـوع الانـسان

ونلاحظ على الكنايات الثلاث ﴿ فَأَضَّرِّلُوا ۚ وَلَا نَقَرُّهُمَّ ۚ ، فَأَقُومُكَ ﴾ اعطاء الفاعلية فيها للزوج فيتناسب ذلك مع السياق والحالمة النفسية للزوجة في فترة الحيــض، فـــــــالحيض هــو ﴿ أَذَى ﴾ ، والجماع فيه يضر بالزوجة مادياً مخاصة، ولا ترغب هي فيه نفسياً كما أثبت الطب ذلك (4) فلا جرم أن تكون الفاعلية للزوج لا للزوجة.

ثم يأتي تذكير الزوجين بتقوى الله وملاقاته ـ طريقة القرآن ـ بعـد الكنايـات الجنسية، ليضفي على العلاقة الزوجية ذلك الملمح الانساني الكريم، فضلاً عن التحذير من اتيان المراة في غير موضع الحرث الذي لا محقق الهدف الأسمى المرجو من الالتقاء.

⁽¹⁾ المردات: 7.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 362. وينظر: صفوة البيان لماني القرآن، ص 54.

⁽³⁾ صفوة التفاسم: 1 / 142.

⁽⁴⁾ ينظر: الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص 203. وينظر: الاسلام والتربية الجنسية، د. وجيه زيسن العابسدين، ص 59. وينظر: الإعجاز الطبي في القسرآن، د. السبيد الجميلسي، ص 234. وينظر: العلاقات الجنسية غير الشرعية وعقوبتها في الشريعة والقانون: 2 / 400.

اللَّمِس والسرة

وردت الكتاية عن (الجماع) بمادة (لمس) في موطنين بصيغة فاعل (لامس) الدالة على المشاركة في لوله _ تعالى _: ﴿ يُعَالَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَا تَقْدَرُوا الفَسَافِقَ وَأَسْرُ سُكَرَىٰ حَقّ قَلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إلَّا عَارى سَبِيل حَيْنَ تَعْتَسِلُواً وَإِن كُنُمُ مَنْهَنَ أَوْ عَلَىٰ سَعَسِ أَوْجَسَلَهُ الْحَدُّ مِن الْعَالِيطِ أَوْلَسَسْمُ النِسْلَة عَلَمَ يَحِدُوا مَاكَة مَّنْسَتُمُ احْسَعِينَا طَيِّيًا فَأَسْسَحُوا وَيُجِعِكُمْ وَأَيْدِيكُمُّ إِنَّالَةً كَانَ عَلُواً عَنُورًا ﴾ (ال

قوله .. تعالى ..: ﴿ أَوْ لَكُسَّمُ النِّسَاءُ ﴾ كناية، أي: "جامعتموهن "(2) ونجد من بين اللفظ الكنائي ﴿ لَنَمْسُمُ ﴾ وبين المعنى المكنى عنه (الجماع) واسطة تتمثل في المعنى الحقيقي للمس، واللمس لا يكون إلا باليد خاصة (٥) فالذهن لا ينتقبل من المعنى الأصلى للفيظ إلى المعنى الكنائي له مباشرة، وإنما يتم عبر واسطة تتمثل في فعل يتوسط بينهما، وهو المعنى الحقيقي بمراعاة هذه الحالة النفسية والوجدائية للزوجين قبل اتصالهما جنسياً لكونه فعلاً انسانياً متميزاً.

وأحسب أن اختيار الكناية من مادة (اللمس) في هـذا الـسياق دون كنايـة (المـس) هــو لقصد جم المعنين الحقيقي والكنائي إذ بهما يتعمق المعنى الإنساني للاتبصال الجنسي بين الزوجين.

كما ثلاحظ أن اختيار الكناية من مادة (اللمس) وبصيغة فاعل (المس) الدائمة على المشاركة منظور فيه سياق الآية، إذ إن (لامس) أكثر انسجاماً من غيرها كـ (المس). وإعطام الفاعلية للزوج يتناسق مع سياق الآية وما فيها من أسلوب نهى حقيقي عن التقرب إلى الصلاة في حالة السكر _ قبل تحريم الخمر نهائياً _ (*)، فهو نهى بموضوعه المصق بالرجل من المراة، وكذلك موضوع السفر.. وإن كان المخاطبون بالآية هم المؤمنون جيعاً.. إلاّ أنْ ما ذكر من صفات الصق بالرجل من المراة.. فضلاً عن إيحاء الكنابة بذلك البعد الانساني في العلاقة الزوجية بما يليق بالزوجين برعاية الجانب النفسي والروحي، إذ ليس المقصود بجرد (الجماع)

⁽¹⁾ صورة النساء، الآية: 43، وسورة الماثدة، الآية: 6.

⁽²⁾ صفوة التقاسير: 1 / 329. وينظر: من بلاخة القرآن، ص. 227.

⁽³⁾ ينظر: الفروق اللغوية، أبو ملال العسكري، ص 249.

حسب،وإنما إظهار ذلك الطابع الانساني الذي يطبع الفعل الجنسي بين الزوجين والـذي يعمـل على تميز علاقتهما الجنسية وادامتها والارتضاع بها عن المعنى الحيواني الغليظ.

كما يتجلى من الكناية وسياق الآية الذي تشكلت فيه صورة ممن الأدب الخطابي السامي الرفيع يعلمنا القران إياه حين يتخاطب البشر فيما بينهم في مثل هذه الشؤون، فقد مسبق الكناية الجنسية، الكناية ﴿ أَوْجَلَةَ أَحَدُّ مِّنَ آلفَا إِلَّهِ ﴾ ، والغائط: كناية عن حاجة ذي البطن (١) والغائط هو المكان الذي يتم فيه الفعل، فهو يكتفي بـذكر المكـان والعـودة منـه الأنــه ملازم له كناية عمّا تم فيه، وتصعيداً لهذا الأدب في الخطاب لا يسند الفعل إلى المخاطبين، وإنما ينكره زيادة في أدب الخطاب المؤثر في النفس.

أما كناية (المس) عن الجماع فقد وردت في سبعة مواطن:

_ بـ ميغة الفعـل المضارع ﴿ تَمَدُّهُمَّ ﴾ في ثلاثة مواطن في سياق الطلاق، في قولـه ___ تمــــالى ... ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُولِ الطَّقَتُمُ اللِّسَاةِ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَرْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمُشِّرُهُنَّ عَلِ الْوَسِمِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقَتِي قَدْرُهُ مَتَنَا إِلْمُهُونِ مُقَاعَلِ الْمُسِينَ ﴾ (1).

ـ وبصيغة الفعـل المضارع ﴿ يَسْتَسَنَّى ﴾ في موطنين على لسان السيدة مريم (عليهـا اللهُ يَعْلَقُ مَا يَكُلُهُ إِذَا قَنَىنَ آثَرًا فَإِلَّمَا يَقُولُ لِللَّهُ فَيَكُونُ ﴾ (٥٠

- وبحيغة الفعل المضارع ﴿ يَتُمَاتَنَّا ﴾ في موطنين في قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يُطُّهُمُونَا مِن يُسَايِم مُم يَسُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَعْمِرُ رَهَبُويِّن فَبْلِ أَن يَسْلَمَنا أَوْلِكُو تُوعَظُوك بود وَاللهُ بِما مَسْلُونَ

نلحظ أن كناية (المس) عن الجماع أنسب وأدق في التعبير عن هذا الموصوف في سياق الطلاق وما يترتب عليه من أحكام فقى قوله _ تعالى _ ﴿ لَاجْنَاحَ عَلَيْكُرُ إِن طُلُقَتُمُ الْإِسَادُ مَا لَمْ

^(*) حبرًا الله الخمر في الامسلام على مراحل، ينظر السور الآتية: البقرة، الآية: 219، والنساء، الآية: 43، والماهدة، الآية: 90. على الترتيب في نزول الآيات بتحريها. ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص 220 _221.

بنظر: عباز القرآن: 1 / 15.

⁽²⁾ سورة البقرة، الآيتان: 236، 237. وفي سورة الأحزاب، الآية: 49.

⁽³⁾ سورة آل عمران، الآية: 47. وفي سورة مريم، الآية: 20.

⁽⁴⁾ سورة الجادلة، الآية: 3، والآية: 4 من السورة نفسها.

378

تَسُوُّهُنَّ ... ﴾ إذ لا نجد بين اللفظ الكنائي والمعنى المكنى عنه واسطة، فالذهن ينتقــل إلى المعنــي يكون باليد وبالحجر وغير ذلك ولا يقتضي أن يكون باليد، لهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ مُّسَّتُّهُمُ المُأْسَلَةُ ﴾ (1) وقال: ﴿ وَإِن يَعْسَسُكَ اللَّهُ يِشْرَ ﴾ (2) ولم يقبل يلمسك ((2) لذلك نرجح أن لا يكون هناك وساطة، وإنما المقصود هو المسيس (الجماع) فتكون الكناية بذلك من النوع القريب الواضح، لأن الانتقال فيها إلى المقصود سهل ميسور. وهذا الفهم للكتاية يناسب السياق الـذي يهدف إلى بيان هذا الحكم، جاء في التفسير: "أي لا أثم عليكم أيها الرجال إن طلقتم النساء قبل المسيس (الجماع) وقبل أن تفرضوا لهنّ مهراً.. " ^{(4).}

كذلك مع كناية ﴿ يَمْسَسُنِ ﴾ في سياق السيدة مريم (عليها السلام): ﴿ وَكُرْيَمَسَنِي بَشُرُ ﴾ في تبرئة نفسها من هذا الموصوف، إلا أننا نلحظ في الكناية ﴿ يَسَسَّنِي ﴾ التجزئة عند المتلفظ بها، فتوحى بمعناها، وكأنها بهذه التجزئة للفعل تدفع الموصوف الذي لا تستطيع الـتلفظ بــه إلاّ بتقطيعه لبراءتها منه، فالكناية هنا تجسد الحالة النفسية الظاهرة للسيدة مريم أحسن تجسس

أما الكناية ﴿ يَتَمَالَنَا ﴾ عن الجماع فقد جاءت في سياق الظهار من الزوجـة (*): ﴿ وَالَّذِينَ يُطْهِوُونَ مِن نِسَلَيْمَ ثُمَّ يَمُونُونَ لِمَا قَالُواْ مُتَعْمِيرُ وَجَهُوْيِن فَبَلِ أَن يَشَالَنَا أَ ... خَنَن أَوْ جَدْ فَعِيدَامُ شَهَرَيْن شُتَايِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَنَاتَنا من ﴾ . ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَشَاتَنا ﴾ أي من قبل أن يستمتم أحدهما بالآخر، فيحرم عليهما الجماع " (ك. وقال الزمخشري: "ثم يعودون لمثله، فكفارة من عــاد أن يحــرو رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له عاستها إلا بعد تقديم الكفارة "(٥).

⁽¹⁾ سورة البقرة، من الآية: 214. وينظر: سورة يونس، الآية 21. وسورة الآنبياء، الآية: 46.

⁽²⁾ سورة الأنمام، من الآية: 17. وينظر: سورة يونس، الآية: 107.

⁽³⁾ الفروق اللغوية، ص 249 ـ 250.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسم: 1 / 152.

^(*) كان الرجل في الجاهلية يغضب الأمر من امراته فيقول لها: (أنت على ظهر أمي) فتُحرم عليه، والا تطلق، وتبقى هكذًا؛ لا هي حل له فتقوم بينهما الصلات الزوجيـة، ولا هـي مطلقـة منـه فتجـد لهـا طريقــأ آخر. وكان همذا طرفاً من العنب المذي ثلاقيه المرأة في الجاهليمة . ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 10. وتقسير القرآن المظيم: 4 / 319.

⁽⁵⁾ صفوة البيان لماني القرآن، ص 707.

⁽⁶⁾ الكشاف: 4 / 387. وينظر: تفسير القرآن العظيم: 4 / 321 ـ 322.

ويلفت الانتباه أن الكتابة ﴿ يَشَكَناً ﴾ أسندت فيها الفاعلية للزوجين، والبادي أن ذلك منظور فيه الحالة النفسية للزوجين، فالسياق بجسده الكفارة بتحرير رقبة أو صيام شهوين متنابعين لمن لم يجسد رقبة مجروها أو إطعام ستين مسكيناً إن لم يستطع الصيام. ولا يخفى _ على الأقل _ ما في صيام الشهوين المتنابعين من مشقة وجهد وهي فترة زمنية طويلة نسبيا، فلا يستبعد أن تتحرك نفساهما لتلبية دواعي الغريزة، عا لايستبعد بإزائه حدوث الميل والفعل الجنسي من أي منهما على حد سواه.

الفجر في المشاجع:

وردت الكناية ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَلَجِع ﴾ في قوله ـ تمالى ـــَــ ﴿ الْزِيَبَالُ قَوْمُوكَ عَلَّ اللّسَاءَ مِمَا فَهُكَنَلَ اللهُ بَشَنَهُمْ قَلْ بَسْنِي وَمِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمُوَلِهِمَّ فَالْفَكَيْلِحَث لِلْنَبِ مِمَا حَفِظُ اللهِ وَاللّي عَالَمُن مُشَوِّدُهُ كَ فَيظُوهُركَ وَالْحَجُرُوهُنَّ فِي الْسَكَاجِعِ وَالسَّهِرُوهُنَّ فَإِنْ الْمُشَخَّعُمُ فَلَا بَشُواْ عَلَهُمْ مُسَجِيدًا إِنَّ اللهُ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا ﴾ (١٠)

﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْكَمَكَلِيجِ ﴾ كتابة، فهي تمير أطلق وأديد به لازم معناه وهـ و (الامتداع صن الجماع)، قال ابن عباس: 'الهجر هو أن لا نجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره 'فق. ويكون ذلك إذا نشزت الزوجة ولم يفد معها الوعظ والتذكير، والنشور: العصيان، وهو صورة حسية بهسد المثالة المنسبة للمرأة المستعلجة، لأن النشوز في أصله هو الارتفاع والاستعلاء عن المكان ⁶⁰ جاه في التفسير: 'أي حصيافهن وارتفاع طبيعتهن وطفيانهن على الأزواج فعظوهـن بالمواعظ الحسنة المناسبة لمفوهن ظان رجعن إلى الاعتدال، وإلا فاهجروهن في المضاجع. الزكوهن مضودات في المضاجع.. ولا تباشروهن بالجماء لأن الغابة من الهجر ذلك '60

⁽¹⁾ سورة النساء، الآية: 34.

⁽²⁾ تفسير القرآن العظيم: 1 / 466. وينظر: الكشاف: 1 / 524.

⁽³⁾ ينظر: أساس البلاغة، ص 456 457 (نشز).

⁽⁴⁾ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، محمد عبد الكريم المدوس: 3 / 380_381.

ثمة نلحظ ما في هذه الكناية من عقوبة نفسية بالغبة التأثير للزوجة، لأن الهجي في المضجم يتعلق بأقوى ما تملكه المرأة الناشز من سلاح في إغراء الزوج واستمالته، فإذا مـا عاقبهــا الزوج من هذه الجهة واستطاع أن يقهر دوافعه إزاء هذا الإغراء، فقد سدد إليهــا ســهمأ موجعـــأ قد يكون علاجاً ناجعاً في إصلاحها والرجوع عن عصيانها وطغيانها، وذلك بـسبب مـا يجلب الهبر من آلام نفسية، ومن هـ أما تلحظ دقة استخدام الكناية بلفيظ الهجر دون غيره كـالاعتزال مثلاً، فقال: ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمُعَمَّاجِمِ ﴾ ولم يقل "اعتزلوهنّ في المضاجم"، وذلك لأن الهجر يحمل دلالة الارتباط الوجداني بين الهاجر (الزوج) والمهجور (الزوجة)، وهمو يُموحي بـأن ثمـة مودة قائمة في نفسيهما على الرغم من تعالى الزوجة على زوجها، ومن ثمُّ قد يكون الهجر في المضاجع موعظة حسنة يحقق الهدف المتوخي منه برجموع الزوجة إلى الاعتمال وهمو الهمدف لا إذلالها والاعتداء عليها.

الدخول:

جاءت هذه المادة كنايةً عن (الجماع) مكررة في قوله _ تعالى ..: ﴿ حُرِّمَتَ عَلَيْحَكُمْ ألهم فكلم ويتافكم والمتوثكم ومكتكلم وكالمتكم ويتاث الأخ وتناث الألمني وأشهاتكم الَّذِينَ أَرْضَمْنُكُمْ وَاخْوَتُكُم مِنِ الرَّضَاعَةِ وَأَمْهَاتُ فِسَالِكُمْ وَرَبِيْنِكُمُ الَّذِي في حُبُورِكُمْ مِن لِكَايِكُمُ الَّذِي دَخَلتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلتُم بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلِيْكُمْ وَخَلَيْهِ لَ أَنَّا يَهِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَيْكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْكَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا ظَدّ سَلَقَتُ إِنَّ اللَّهُ كَانَ عَنْعُورًا تَحِيمًا ﴾ (1)

تتناول الآية سائر أنواع المحرمات من النساء، أي اللـواتي يحـرم الـزواج منهنّوقـد جـاء التعبير ﴿ دَخَلْتُم يِهِنَّ ﴾ كناية عن (الجماع)، قال الزخشري: ﴿ دَخَلْتُم يِهِنَّ ﴾: كناية عن الجماع، كقوله بني عليها وضرب عليها الحجاب، يعنى: أدخلتموهن الستر "(2)، وفي تفسير الجلالين: " دخلتم بهنّ: جامعتمو هنّ " (3).

سورة النساء، الآية: 23.

⁽²⁾ الكشاف: 1/ 517. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 5/ 113.

⁽³⁾ تفسير الجلالين، ص 107.



فهي كناية وأضحة عن الجماع حل فيها معنى الدحول على جانبي الحقيقة والجاز، فالدخول حقيقة في ضرب الحجاب عليهن وادخالهن الستر، ويراد منه المعنى المكنى عنــه وهـــو الجماع (١). وجاء في تفسيرها: "كناية عن الجماع أي من نسائكم اللاتي أدخلتموهن الستر ـ قاله أبن عباس ــ فإن لم تكونوا أيها المؤمنون قد دخلتم بأمهاتهنّ وفارقتموهن فلا جنــاح علميكم في نكاح بناتهن ⁽¹⁾ وقال الراغب: 'ودخل بأمرأته: كنايةً عن الإفضاء إليها ⁽¹⁾ وهـو يقـصد بالإفضاء إليها (الجماع)، وإن كانت كتاية الإفضاء التي فسّر بها غير دقيقة في التعمير عن كتابـة المدخول في الآية، لأنه ليس في كناية ﴿ دَخَلْتُم يِهِنَّ ﴾ إيحاء كناية الإفضاء _ وإن كانت الكنايتان دالتين على الجماع - كما أن الإفضاء لا يتسجم في الآية كالدخول، فلكل منهما إيحاوه الخاص وسياقه الخاص. في الأقل لا نحلظ في كنايـة ﴿ مَكَلَّتُم يِهِنَّ ﴾ ذلك الاتساع في المعنى كما نلحظه في كناية الإفضاء عبر الوسائط المتعددة بين اللفظ الكنائي والمعنى المكنى عنه، وإنمـــا ينتقل الذهن في كناية ﴿ دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ إلى المعنى المكنى عنه عبر واسطة واحدة وهي الـدخول إلى مضجعها مما لم يكن مسموحاً بــه قبــل الــزواج، وهــى وساطـــة حقيقيــة في معناهــا تقــود إلى الدلالة الجازية وهي المعنى المكنى عنه (الجماع)، وبذلك تكون الكناية من النوع القريب الواضح لأن الانتقال فيها إلى المقصود سهل ميسور.

وفي ضوء ذلك نلحظ دقة الكناية في السياق الذي جاءت فيـه تعبيراً عن الجماع، فهي قد جاءت في سياق آية تقرر أحكاماً تتعلق بالمحرمات من النساء في أسلوب تقريري مفصل لا يحتمل غير معناه الذي هدف إليه على وجه من التحديد والتوضيح.

⁽¹⁾ ينظر: أساليب الجاز في القرآن الكريم، أحد حد حسن، ص 630.

⁽²⁾ صفوة التفاسي: 1 / 269.

⁽³⁾ القردات: 240.

التمتّع:

ورد التمتع كناية عن (الجمساع) في قول . تعمال .. ﴿ ﴿ وَالْمُعْصَدَتُ مِنَ الْوَسَالَهِ إِلَّا مَا مَلَكُتُ اَيْنَدُعُكُمْ كِنَكِ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأَلِمَلَ لَكُمْ مَا وَلَكَ فَلِكُمْ أَنْ يَمَنُوا أَوْنَهَا مُسْمَنِعِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَمْمُ بِدِ مِنْهُمْ قَالُوهُمْ الْجُورُهُ ﴿ وَيَشَدُّ وَلَاجُكُمْ عَلَيْكُمْ فِي يَسْدِ القريضَةُ إِنَّ اللّهُ كُلَنْ عَلِيمًا ۚ ﴿ لَا اللّهِ وَلَا مُنْكُمْ فِي مَا اللّهُ مِنْكُمْ وَلَا اللّ

﴿ فَمَا اَسْتَنَتَمُ ﴾ كناية من ألجماع، قال الزخشري: ﴿ فَمَا اَسْتَنَتُمُ بِهِ رَبُّنَ ﴾ فعا استفعتم به من المنكوحات من جماع * ((2) ونقل القرطي عن الحسن وجماعد وغيرهما أن معنى ﴿ فَمَا اَسَتَمَتَمُ ﴾ انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح * ((2) فالمنتمع كناية عن الجماع لان التلمذ لا الجماع لان التلمذ لا يحصل في المغالب إلا منه (() فينهما من التلازم والارتباط يستدعي أحدهما الآخر، والسين والتاء في الكناية للمبالغة، وسماء الله استمتاعاً لانه منفعة دنيوية، وجميع منافع الدنيا متاع، كما قال - تعالى - ﴿ وَمَا لَكِينَ الشَّيْعَ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّ

ولا تعني كناية التمتع النظر إلى الزوجة على أنها أداة للمتاع، وأشباع الغريزة، ومن شم ينظر إلى الزوجة من الناحية الانسانية نظرة هابطة، وإنما هو استمتاع حسن ينشق عن استقرار العلاقة الزوجية بمعناها الانساني القائم على المدودة والرحمة، والسكن والراحة، والأنسس والاطمئنان، فهو استمتاع منظور فيه تلبية الحاجة الفطرية: نفسية ومقلية وجسدية، والمرتبطة بغايتها الانسانية في امتدادها بالنسل الذي ينشأ عن هذا الاستمتاع الذي جعله الله لذة للاتصال بين الزوجين.

ومن ثمة نلحظ دقة الكتاية في سياقها في التعبير عن المعنى المقصود، فالسياق يكمل سياق آية سابقة تتناول سامر الحرمات من النساء ⁽¹⁾، أي اللواتى يحرم الـــزواج مــنهنّ، وقـــد ذكـــ

سورة النساء، الآية: 24.

⁽²⁾ الكشاف: 1/ 519. وينظر: المتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء:، ص 10.

⁽³⁾ الجامع لأحكام القرآن: 5 / 129.

⁽⁴⁾ أساليب الجاز في القرآن الكريم، ص 619.

⁽⁵⁾ سورة الرعد، من الآية: 26. وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 5 / 9.

⁽⁶⁾ سورة النساء، الآية: 23.

من المحرمات في هذه الآية ﴿ وَٱلْمُتَّحْمَنَكُ مِنَ ٱلقِّسَالَ ﴾ كنايةً عن ذوات الأزواج 'من أحصنها زوجها إذا حفظها واستقل بها عن غيره "(١١ واستثنى ما ملكت اليمين ﴿ إِلَّا مَامَلَكُتَ أَيَّمَنُتُكُمُّ ﴾ كنايةً عن المملوكات بالسبي فإنه يحمل وطوهن إذا استبراتموهن (٥) و ﴿ وَأَمِلَ لَكُمْ مَّا رَزَّاتَهُ ذَالِكُمْ مَا وهي كناية فيها تمثيل لحال المخاطبين بحال السائر يـترك مـا وراءه ويتجـاوزه إلى غــره، والمعنــي: -احل لكم ما صلما أولئكم الحرمات ⁽³⁾ وهنّ اللاتي بحل الزواج منهنّ، ويهنّ تتحقق تلبية الحاجة الفطرية في الاستمتاع بعد دفع أجــورهنَ ﴿ فَكَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُرَكَ ﴾ كنايـةُ عــن المهــور في مقابلــة ذلك.

وبذلك تتجلى عظمة الخالق وحكمته في خلق النفوس، وفي جعل كل من الجنسين ملبياً لحاجات القطرة نفساً وعقلاً وجسداً _ في دائرة ما احلّ الله _ وبالمني الانساني الكريم.

السرا

وورد (السر) كناية عن (النكاح) في قوله _ تعـالى _: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْتُكُمْ فِيمَا عَرَّضَهُ مِهِمِ مِنْ خِلْبَةِ النِّلَةِ أَوْ أَكْنَنْتُو فِي أَنفُسِكُمُ عَلِمَ اللهُ أَلَكُمْ سَتَذَكُّونَهُنَ وَلَكِن لَا فَاعِدُوهُنَ سِرًا إِلاّ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّسْرُوفًا وَلا شَيْمُوا عُقْدَةَ الرَّكَامِ مَتَّى يَبْلُغَ الْكِلَابُ أَجَلَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّه يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُرِ عُمْ فَأَعَدُرُوهُ وَإَعْلَمُوا أَنَّ أَقَةً عَفُورُ كِلِيمٌ } (4).

ذهب جهور العلماء على أن (السر) هنا كنايةً عن (النكاح) (د)، أي: لا تعقدوا معهن وعداً صريحاً على التزوج "(⁽⁶⁾، وذلك لأن المواعدة السرية معها _ أي مع المتوفى عنها زوجها في عدتها _وسيلة للفتنة، فضلاً عن عدم مراعاتها نفسياً بالتصويح على التزوج، لأنها ما تـزال في عدتها عالَغة النفس بذكري زوجها المتوفى عنهاففي التصريح إهانـة لهـا ولكرامتهـا.. لـذلك نهى القرآن عنه وحرَّمه على خلاف التعريض الذي هو: "إمالة الكلام عن منهجه إلى عرض منه وهـو الجانب ويقابله التصريح فهـو أن تفهم المخاطب ما تريد بـضرب مـن الإشــارة والتلــويــم

⁽¹⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 5 / 5.

⁽²⁾ ينظر: تفسير القرآن العظيم: 1 / 448.

⁽³⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 5 / 8.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، الآية: 235.

⁽⁵⁾ تفسير المنار: 2 / 423.

⁽⁶⁾ المهدر نفسه: والكان نفسه.

يحتمله الكلام على بعد بمعونة الغرينة '(1)، كان يقول لها مثلاً: إنسك لجميلة ومن يجسد مثلك ورب راغب فيك، وهمله التعريض وأمثاله هو القول المعروف ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُواْ قَوْلًا مُصَرُّوبًا ۗ﴾ أي ما عرف شرعاً من التعريض (2).

فالسرّ كناية تشير إلى دلالتها الجازية المتمثلة بالتكاح وهو المعنى المكنى عنه، والذي يقوى هـ الما المعنى الكنائي أن الكنائية وعدم التصريح به كما أضاد معنى (السر)، فضلاً عن أن النكاح المقصود بالكنائية إلما يقع في السر وليس جهراً وحلالية (¹⁰ وبلدلك تكون كناية (السر) قد ناسبت السياق مناسبة لطيفته تنسيجم بطبيعها معه من حين التعبير عن المعنى، فالسياق يحث على التلويع بالمعنى وعدم التصريح به ﴿ وَكَرَّمَّ مَلِّهِ مَلَى اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وصوله إلى المقصود، بلا وساطة، بل هي تحتاج إلى شيء من التأمل للوصول إلى المقصود.

ولا يخفى مَا في الكَتابِة من بعـد تهـذيبي في التعبيــــر صن المعنى المقــصود يربــي الأذواق والنقوس، وهو البعد الملحوظ مع الكناية الجنسية القرآنية.

تحت عبدين:

وردت هذه الكتابة في قوله ـ تعالى ــ﴿ خَرَبَكَ اللَّهُ مَثَالًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ لُولِوْكَكُتُوا عَنْتُ صَبْدَيْنِ مِنْ مِنكَادِناً صَكِيفَتِي فَخَاتَناهُمُنا فَلَرْ يُفْنِياً عَنْهُمَا مِن اللَّهِ شَيْعًا وَهَدِلَ آدَشُنَاكُ النَّانَ مَمْ النَّارِطِينَ ﴾ [40]

هذا مثل ضُربه الله للكافرين مثل بيه حال الكافرين في أنهم يعاقبون على كفرهم وعلما وتلم الم الم كفرهم وعلم أنه الم الم الم يكون وعلى كفرهم وعلم الم الم الم الم يقدم ما كان ينهم من أمر إبقاء ولا عابات، ولا يفعهم مع عداوتهم للم من غير إبقاء وكان بينهم من لحمة نسب أو صلة صهور، لأن عداوتهم للمؤمنين وكفرهم بالله ورسوله قطع المعلمات، عنه المائم المؤمن اللي يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله يتمال به الكافر نبياً من أنبياء الله يتمال به الكافر نبياً من أنبياء الله يتمال المرأة لوط: لم يغز الوسولان عنهما بحق ما ينهما من وصلة الزواج افضاء شا من

⁽¹⁾ تفسير المنار: 2 / 422. وينظر: الكشاف: 1 / 373.

⁽²⁾ ينظر: تفسير الجلالين، ص 51.

⁽³⁾ ينظر: الكشفاف: 1 / 373. والبرمان في ملسوم القسرآن: 2 / 303. والأصحاز البياني للقسرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 472.

⁽⁴⁾ سورة التحريم، الآية: 10.

#

عذاب الله ﴿ وَقِيلَ ﴾ فما عند موتهما أو يوم القيامة: ﴿ أَدْشُكُ ٱلتَّارَعُمُ ﴾ سائر ﴿ ٱلدَّيْظِينَ ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء، مع داخليها من أخوانكُما من قوم نوح وقوم لوطُ * (١).

ففي خيانة امرأة نوح وامرأة لوط الدينية التي أحدثتاها انفصلت عرى الزوجية عن معناها الحقيقي، ولابد من القول أن الخيانة المقصودة هنا ليست (الخيانـة الزوجيـة) فهـذا مـالا يليق بالأنبياء المعصومين، وإنما هي (الخيانة الدينية)، وهي عبارة عن 'نفاقهما وأبطانهما الكفر، وتظاهرهما على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلَّت على ضيفانه، ولا يجوز أن يُراد بالحَّيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصةً عن كل أحد.. وعن ابــن عبــاس ـــ رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط "(2) فهي الحيانة الدينية، وألانحراف صن الهدى الإلهي، ولا شك في أنها أبلغ أنواع الحيانة، لأنها مقاومة للفطرة الانسانية (٥٠.

والقرآن يستعمل كلمة ﴿ أَمْرَأَتَ ﴾ بدل (زوج) بالنسبة لامرأتي نـوح ولـوط، وهما زوجتان، وهذا الاستعمال الدقيق ذو دلالة اجتماعية واضمحة، توضيحه المدكتورة عائشة عبمد الرحن بقولها: 'ونتدير استعمال القرآن للكلمتين (امرأة وزوج)، فيهدينا إلى سر الدلالة: كلمة زوج تماتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً: ﴿ وَوَنْ مَالِنِيمِأَنْ خَلَقَ لَكُر مِن أَنفُسِكُمُ أَنْ فَلِهَا لِتَسَكُّنُواْ إِلَيْهَا وَيَعَمَلَ يَنْتَكُم مِّنْوَةً وَرَحْمَةً ... } (40 فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقيدة، فـامرأة لا زوج "(٥). وهـذا بيَّن بامرأتي نوح ولوط، فانبتت عرى الزوجية، وعاد كل زوج منهما امرأة فحسب، لا تربطهما رابطة من سكن، ولا صلة من مودة (a).

وفي ضوء هذه الحقيقة التي قررتها الآية نلحظ الكنايـة ﴿ غُتُ عَبْدَيِّنِ ﴾ وهـي قائمــة في بنيتها على الاستعارة ﴿ تَحَمَّتَ ﴾ " لأن وصف الرأة بأنها تحت الرَّجل ليس يرأد به حقيقة الفـوق والتحت، وإنما المراد أنَّ منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجحيل لقيامه عليها، وغلبته على أمرها، كما قال : ﴿ الرِّبَالُ قَوْمُونَ عَلَ النِّسَاءِ بِمَا فَضَكَ اللَّهُ بَسْفَهُمْ عَلَى بَسْفِ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ

الكشاف: 4 / 457. وينظر: تفسير القرآن العظيم: 4 / 393.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 458. وينظر: تفسير القرآن المظيم: 4 / 393.

⁽³⁾ الصورة الفنية في المثل القرآئي، ص 320 ــ321.

⁽⁴⁾ سورة الروم؛ من الآية: 21.

⁽⁵⁾ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 212_213.

⁽⁶⁾ الـصورة الفنية في الشيل القرآئي، ص 249. وينظر: إبن الشهم وحسه البلاضي في تفسير القبرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص 132.



أَمُوالِهِمُّ (١) ... ﴾ (١) فالاستعارة تعبير عن تقاصر مكانة المرأة عن مكانة الرجل، لا التحتية في العرف واللغة وهي الجهة المعروفة بالحس في الموضع، فاستعارها وهي محسوسة لأمر معقبول وهو الكانة والمدلة (3).

إِلَّا أَنْ التعبير ﴿ تَحْتَ عَبَدَيْنِ ﴾ ينطوي على معنيين مكنى عنهما هما:

-الأول: الفعل الجنسي (الجماع) محكم قيامه عليها، وهو معنى بيّن واضح.

-الثاني: الدونية والتسفل لحاتين المرأتين في المكانة والمنزلة، وليس المقصود بها المكانة والمنزلة في حالتها الطبيعية التي أشــارت إليهــا الاســتعارة والآيــة آنفـــا، وإنمــا مكانــة ومنزلة أوحى بها التعبير الكنائي ﴿ نُحُتُّ عَبْدَيْنِ ﴾ بمعونة سياق المثل القرآني _وهـ إيحاء دقيق في سياقه _ يشير إلى مكانة هاتين المرأتين ومنزلتهما دينياً واجتماعياً إزام النبيين الكريمين (عليهما السلام) فهما امرأتان كافرتان منحرفتان عن الهدى الإلهي، وسلوكهما يجسد عملياً دونيتهما، لأنه سلوك منشق عن الكفر والضلال.

ومن ثم نلاحظ دقة القرآن الكريم في اختيار التعبير ﴿ غَمَّتَ مُهَدِّينٍ ﴾ كناية عبن العلاقية الجنسية في سياق الثل القرآني، فليس القصود التعبير عن هذه العلاقة كما عبّرت عنه الكنايات الجنسية السابقة في ظلِّ تحقق الزوجية القائمة على المودة والرحمة اللِّين تجليسان الجانب الانساني بين الزوجين، وإنما التعبير عن هذه العلاقة في ظلُّ انعـدام الزوجية بمعناهـــا الحقيقـــي بسبب التباين والخيانة في العقيدة، وقد عبّرت الكناية بإيجاءاتها عن هذه الحالة خبر تعبير.

الطُّمَثُ والفرشُ الرفوعة :

وردت الكناية ﴿ يَطْوَتُهُنَّ ﴾ في نساء أهل الجنة في موطنين، الأول في قوله _ تعالى _: ﴿ فِينَ قَدْمِرَتُ ٱلطَّرْفِ لَوْ يَعْلِيثُهُنَّ إِنْ تَبَلَهُمْ وَلَا جَأَنَّ ﴾ (١٠).

سورة الشاء، من الآية: 34.

⁽²⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 338. وينظر: الكشاف: 3 / 139.

⁽³⁾ الصورة الفنية في المثل القرآني، ص 207.

⁽⁴⁾ سورة الرحن: الآية 56. والآية: 74 من السورة نفسها.

ووردت الكناية ﴿ وَقُرْشِ مَرْقُومَةِ ﴾ فغي نساء أهل الجنة _ أيـضاً _ في مــوطنين، في قولــه _ 山、(道)、海南南部湖南南部湖南部湖南南部山山

آلِيَوِينِ ﴾ ^{(1).}

نلحظ في الآية الأولى الكنايـة الجنسية ﴿ أَتُرْيَكُمِيُّهُنَّ ﴾، وقـد تواشجت معــهـــا الكنايــة ﴿ فَتَمِيرَتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ وهي على الرغم من أنها كناية أخلاقية تـصور بطريقـة حسية مؤثرة سمـة العفاف لنساء أهل الجنة والقناعة بأزواجهنَّ، إلاَّ أنها قد تواشجت من حيث المني والصورة مع الكناية الجنسية ﴿ لَتُرْ يَكُمِتُهُنَّ ﴾ في وصف هذه الكناية لتكتمل الصورة الجماليـة لهـنَ الـتي قـصد القرآن تقريبها إلى الأذمان.

﴿ فَتُمِيزَتُ ٱلْكُرْفِ ﴾ كناية عن العضاف على سبيل التوابع والأرداف، قسال أبو هملال العسكري: 'وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التواسع والارداف، وذلك أن المرأة إذا حفَّت قصرت طرفها على زوجها، فكان قبصور الطرف ردفياً للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف" (2) أي عدل عن المعنى الخاص إلى لفظ الارداف، وبذلك تحققت بالكناية صفة العفاف على نحو فريد ' لأن كل من عف غض الطرف عن مطموح إليه، فقد عند نظر الانسان إلى شيء وتشتهيه نفسه، ويعف عنه مع القدرة عليه لأمر آمر، وقبصر طبرف المرأة على بعلها، أو قصر طرفها حياء وخفراً أمر زائد على العفة، لأن من لا يطمح طرفها لغير بعلها، أو لا يطمح حياءً وخفراً، فإنها ضرورة تكون عفيضة قاصرة الطرف ((3) فالكنايـة تصويم مؤثر للعفة ولو ألَّ القرآن استخدم التعبير الباشر عليفات لما اطلعنا على تلك الهيئة الراضية القانعة لنساء أهل الجنة اللاتي لا يطمحن فيها إلى غير أزواجهن، ولا يفكرن في غيرهم (A). وهمذا الوصف بالصورة الكتائية يكاد يكون سمة جالية خاصة بنساء أهمل الجنة، وتتعمق هذه السمة بسمة جالية أخرى تؤديها الكنابة ﴿ لَّمْ يَكُلِّمُهُنَّ ﴾ فهي كناية عن صفة (البكارة) أي (لم يجامعهن) أنس قبلهم ولا جان، وفيها دلالة الفعل الجنسي الأول (فض

⁽¹⁾ سورة الواقعة، الآيات: 34.34. ويتظر: سورة الغاشية، الآية: 13.

⁽²⁾ كتياب المصناعتين، ص 35. وينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 277. وينظر: الاتقان في ملوم القرآن: 3 / 146.

⁽³⁾ إعجاز القرآن البياتي، حفني محمد شوف، ص 347.

⁽⁴⁾ ينظر: من بلاغة القرآن، ص 227.



البكارة) لأن الطمث هو 'الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر '(1' وقال الراغب: 'طمث المرأة: إذا التشها، ومنه استعير: ما طمث هذه الروضة أحد قبلنا _أي ما اقتضها _ '(2) فالكتابة دقيقة في سياقها وتجلّي إيجاءاً خاصاً مناسباً في وصف نساء الجنة، ويسبب هذا الإيجاء الحاص _ فيما يبدو _ لم ترد هذه الكتابة في القرآن إلا في هذين الموطنين في صفتهن ويوصفهن لوناً من الوان النعيم في الجنة لعباده المتقين، ولتوحي الكتابة بذلك ما أعده الله الإهل الجنة من نعيم هو أعظم رفعة وجالاً ومتعة عا هو متعارف عليه في الحياة الدنيا.

كما أن الكتابة ﴿ لَتَرْيَكُونَهُنَّ ﴾ الدالة على صفة البكارة تكتسب دلالة الديومة لها. الصفة من وصفهن بالآية الثانية بالهن ﴿ أَتَرَابا ﴾ قال الزخشري: '﴿ أَتَرَاباً ﴾ على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً ' (*) فالفعل الجنسي الأول (فض البكارة) داهم متكرر، وبذلك يتصاعد هذا النعيم، حتى يحقق في ذهن المتلقي معنى الحلود في الجنة وصورة دهومته.

ثم تأتي الكناية ﴿ وَيُرْتُونَهُمُ ﴾ في النص القرآني لتوحي بصفات جالية جديدة تنهض من خلالها عناصر مادية عسوسة عبية إلى المنفس نميث تصعد من وصف العلاقة الزوجيـــة والمتعة الجنسية إلى مستوى جالى غير معهود في الحياة اللنيا.

﴿ وَقُرْثِينَ تَرْفَيْكَ ﴾ الفراش ملزوم وأريد به لازمه، وهي الزوجة في الجنة، لأن المرأة يُكنى عنها بالفراش "كاءوقال أبو هلال المسكري: "﴿ وَقُرْثِيمَ تُؤْمِّكُ ﴾ كتابة من النساء 'كاو وقد دان على ظلك قوله _ تعالى _ ﴿ إِقَالَمُنَاكُونَ الْمِنْكُ ﴾ فَتَلَقُنْكُ فَكَالًا مُعْمَا أَلَيْكَ ﴾ و﴿ حُرَّى أَمْ مَا قال ابن عباس ــــ' المتحببات إلى ازواجهنَ "كا- وفضلاً من الدلالة الحسية الذي أفادتهــا الكتابـة ﴿ وَفُرْثُنُ مَرْقُتُكُمْ ﴾

⁽¹⁾ صفوة البيان لماني القرآن، ص 691.

⁽²⁾ المقردات: 457 ـ 458. وينظر: أساس البلاغة، ص 284 (طمث).

⁽³⁾ الكشاف: 4/ 38. وينظر: تفسير القرآن العظيم: 3/ 294.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 367. وينظر: المتخب من كنايات الأدياء وإشارات البلغاء، ص 3.

⁽⁵⁾ كتاب الصناعتين: 368.

⁽⁶⁾ تفسير القرآن العظيم: 4 / 294.

 ⁽ع) وصعف الله # نساء أمسل الجشدة بصفات جالية ششر بالفندة الشائير والتشويق، هشل قراب يتعالى ...
 ﴿ كَالْمُرْيَسِينَّ يَكُونُ ﴾ [مسسورة السحمانات، الايسة 49] وقول..... ﴿ رَسُولُ عِينٌ # كَانْسُؤَاللَّمُونُ ﴾ [سورة الرحن الذي 85]. ينظر: السور الالها:



فإنها موحية بالرفعة والطهارة، وهمي دلالة معنوية فموق الدلالة الحسية تستدعي أحداهما الأخرى، فهو نعيم تلتذ به الأجسام والنفوس (٥٠).

ومما تقلم من كنايات جنسية تتجلى دقة القرآن الكريم في استخدامه الكنايــة يوصــفها تعبيراً غير مباشر عن المعنى، إذ إنَّ لكل كناية جنسية، فضلاً عين المعنى المكنى عنه الرئيس (الجماع) إيحاءات خاصة بها تنسجم مع السياق الذي تتشكل فيه، فهي موضوعة في موضعها اللائق بها وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن. كما يتجلى من الكنايـة الجنسية البعـد التهـذيبي، فالقرآن بالكناية يتسامى ويترفع عن التصريح بالألفاظ البذيثة المفحشة السي تخدش الشعور وتحط من الذوق الإنساني، وهو يرتفع بالعلاقة الزوجية إلى أفق كريم يناي بها عن الصورة الحيوانية الغليظة، ومن مجموع إيحاءات الكناية الجنسية نلحيظ إيحاءاً للانسان بالصورة الانسانية ' في المباشرة والالتقاء.

الصافات، الآية: 49. والرحن، الآية: 58، والواقعة، الآيتان: 22 ـ 23 على التوالي. وكلها تشبيهات تقرب إلى الأذهان معانى جيلة متلونة، فهنّ مصونات كالدر في أصدافه، مم رقة ولطف ونمومة وصفاء، فهنَّ نميم خالد يُلتذ به بالأجسام والتفوس. ينظر: الكشاف: 4 / 23، 360. وتفسير القرآن المظيم: 4 / 293. وتفسير الجلائين، ص 592، 708، 710.

الفصل الثاني الكناية اللونية



الفصل الثاني

الكناية اللونية

يعد اللون "وسيلة هامة من وسائل التعبير والفهم، وقد دلّت الأبحـاث والتجـارب على أنه لا يزال كنزاً خبواً لم يستطع الانسان أن يصل إلى قـراره. وإنـه قـوة موجبـة نـوثر في جهازنـا العصبي (1).

ونلحظ اللون ـ في الأغلب ـ من خلال ذكر الألفاظ الدالة عليه بوصفه مـنـركا بـصرياً، إذ يستثير ذكر اللون حاسة البصر الحاصة المكلفة بترصيل ذبـذبات اللـون الإيقاعـية إلى المـخ، وذلك من جراء استثارة المراكز المصبية وتحريكها بواسطة التخيير ، (د).

كما نلحظ اللون من خلال ذكر مفردات ليست دالة على الألوان دلالـة مباشرة، وإنحا تنل عليها في صورة غير مباشرة، فهي تدعو المتلقي إلى إدواك اللـون بعمليـة ذهنيـة اكثـر منهـا عملية رصد لألوان مرتية كما في الألوان المباشرة.

وقيمة اللون في التعبير الأدبي ـ سواء كان عمصلاً بصورة مباشرة من المصردات، أو يتداعى منها في صورة غير مباشرة ـ لا يقسل أهمية عن العناصر الأساسية الأخرى في بنائه كالموسيقى والعاطفة والخيال للذلك كان لحضوره في الشعر أهمية في تلوين صوره، وفي تحريك إجواف، منذ عصر ما قبل الاصلام وحتى اليوم ⁽³⁾

وانطلاقاً من أهمية اللون في النص القرآني الكريم، يحاول هداً الفصل دراسة الكناية القرآنية اللونية، في حدود ما وردت فيه من نصوص كريمة، إذ غيد آيات قرآنية قد تشكلت فيها الكناية باللون بنوعيه، الأول: ذكر اللفظ الدال على اللون مباشرة في التعبير عن المعاني والمشاهد والمواقف النفسية المتنوعة، كالكناية باللون الأبيض، والأسود، والأزرق، والأخضر، والاصفر. والثاني: التعبير عن اللون بصورة غير مباشرة إذ يدرك اللون فيها من خلال الصورة

اللون، محمد يوسف همام، ص 10. وينظر: اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، ص 148.

⁽²⁾ إيضاع اللمون في القسيمية العربية الحديثة، د. علموي الهاشمي، ص 269. وينظر: جدل اللمون في شعر خليل حاوي، د. بشرى البستاني، ص 165.

⁽³⁾ ينظر: التعبير من اللون في الشغر العربي القديم، د. وولف دتريش فيشر، 11_1.

الكنائية التي يتغلفل فيها اللون فيتداعى للمتلقى بطريقة ذهنية، فيشير بدلك إلى المعاني والايحاءات المتنوعة، إذ إنَّ الإيحاء بالمعاني صمة من سمات الكنايـة بـاللون لما فيهـا مـن قــوة تعبرية تتجاوز مدلولها الظاهر إلى جملة من المعاني الموحية فتتصل بالقلوب والنفوس فتلونهما بألوانها.

ولَّمَا كانت الكناية القرآنية باللون نوعين ارتأينا دراسة كل نوع على حمدة انسجاماً مع طبيعة كل نوع في سلك أسلويه. وجعلنا كل لون على حدة، أو لونين على سبيل التقابل لِمــا في ذلك من تصعيد الدلالة وتكثيفها.

الكتابة باللون المياشر؛

تتنوع الصور الكنائية بالألوان المباشرة في القرآن الكريم في مشاهدها وإيحاءاتها تبعاً للون المكنى به عن المعنى، من ذلك:

الكتابة باللون الأبيض والأسودة

ياتي هذان اللونان على التقابل في مشهد من مشاهد يموم القيامـــة في قولـــه ـــ تعــــالى ـــــــ ﴿ يَوْمَ تَلِيَدُ وُجُوهُ وَتَسُودُ وَجُوهُ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ٱكْفَرُحُ بَعْدَ إِيمَزِكُمْ فَذُوهُوا ٱلْمَذَابُ بِمَا كُنتُمْ تَكَفَّرُونَ ﴿ وَأَمَّا أَلَيْنَ أَيْمَنَّتْ وُجُوهُهُمْ مَغِي رَحْمَةِ اللَّهِ خُمْ فِهَا خَلِالُونَ ﴾ (١٠

نكلٌ من الله ن الأبيض واللون الأسود إشارة كنائية مكثفة وذلك لقلَّة الوسائط بين اللون وما يشير إليه مع وضوح الدلالة، وتطوي هذه الاشارة الكنائية معانى وإيجاءات وهمى تعلو على الوجوه، فتشير إليها دون وسائط بين المكنى به (اللون الأبيـض) والمكنى عنــه (حـــال المؤمنين في ذلك المشهد)، والمكنى به (اللون الأسود) والمكنى عنه (حال الكافرين على التقابل)، وهذه هي الإنسارة في المفهوم الكنائي (٢) يتخذها القرآن وسيلة من وسائل التعبير الفني.

واعتمد تركيب الآية المذكورة ظواهر بلاغية متعددة في تبصوير حال الفريقين في هذا المشهد، ومن شأن هذه الظواهر هو تصعيد دلالة الكناية باللون بطرفيها المتقابلين. والتقابيل هو

سورة آل عمران، الأيتان: 106_107.

⁽²⁾ ينظس: مفتاح العلسوم، ص 194. وينظس: علسم البيسان في الدرامسات البلاغيسة، د. علسي البعدي،

الأطار الفنى الذي يشد أجزاء الصورة على سبيل التضاد، وهذه الأجزاء كما هو واضمح للعين الراصدة هير:

﴿ يَوْمُ نَيْشُ وُجُولًا ﴾ يقابلها ﴿ وَلَسُودُ وَجُولًا ﴾ .

﴿ فَلُوقُوا ٱلْمَذَابَ ﴾ يقابلها ﴿ فَنِي رَجْمَةِ اللَّهِ هُمَّ بَهَا خَلِيْدُونَ ﴾ .

والتقابل بين الفريقين من شأنه الكشف عن فنية الأسلوب وتجلى مستويات المعنى بأبعادها المختلفة "(i)" لأنه يجمع بين متضادين متنافرين، وبالتضاد والتنافر تتبين الأشـياء، وتجـد النفس في ذكرهما مجموعين للم، لأن اللفة في التقاء الضدين (ك) وبذلك فإن التضاد هوة مرتكز بنائي يتكئ عليه هذا المشهد في مكوناته وعلاقاته، لأنه يشيم في مفاصل النص حركة بين عناصر متضادة تجلى المني المقصود أجلى بيان (3).

المستوى القريب في المعنى للحظه بالكناية اللونية الحسية في أسلوب خبري اعتمال (الاجال): ﴿ يَوْمَ تَيْمَشُ وَجُرَّةً وَلَسُودُ وَجُرَّةً ﴾ ثم يتبعه التفصيل: ﴿ فَآمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ ... ﴾ على سبيل الاطناب الفني تتجلَّى بلاغته في تطويل المشهد في كل لقطاته وهو يعرضه للمتلقى لترسيخ المني في الذهن والوجدان.

وابيضاض الوجوه كناية عن (المسرّة) (٥٠ وحل بعضهم الكناية على الحقيقة كما يُنهم من قول الزغشري: والبياض من النور والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وأسفاره، واشراقه وأبيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديم وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده وأسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب * (ف). والأرجع أن يفهم على الكناية كما ذهب إلى ذلك

⁽¹⁾ في البتية والدلالة، د. سمد أبو الرضاء ص 37.

⁽²⁾ ينظر: الروض الربم في صناعة البنيم، ابن البنّاء، ص 111.

⁽³⁾ ينظر: في البنية والدلالة، ص 42. وينظر: البنى والدلالات في لفة القصص التراسى، د. صماد عبد يحيى، ص 284.

⁽⁴⁾ المردات، ص 359. وينظر: بصائر ذوى التمييز، للفيروز آبادي: 2 / 134.

⁽⁵⁾ الكشاف: 1 / 453.

الراض: "لأن ذلك حاصل لهم موداً كانوا في اللنيا أو بيضاً "⁽¹⁾ فهـو "مشهد حسي، ولكنه منبعث عن تأثر نفسي، القي ظلّه على الرجوء فاييشت "⁽²⁾.

كما أن بين اللون الأبيض والحالة النفسية للمؤمنين (المسرة) التي هم فيها في موقفهم ذلك تلازماً وارتباطاً، فإن هذا اللون قد اكتسب عرفياً كثيراً من التعلق بالجواء الصفاء والإشراق والسعادة (2) ولما كان البياض افضل لون عند العرب، فقد عبر عن الفضل والكوم بالبياض حتى قيل لمن لم يتلفس عماب هو أبيض الوجه ((2) كتابة عن الطهر والنقاء، والعرب تقول: 'لمِنْ نال بفيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه، ومعناه: الاستبشار والتهلل، وعند المهتبة بالسرور يقولون: الحمد للله الذي بيض وجهك، ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربلة وجهه، واخير أونه، وتبدلت صورته ((2)

ونقل الرازي قول أبي مسلم الأصفهاني (ت 222 هـ) في تفسير هـلم الكتابـة: ﴿ يَتُمْ تَيَسُّ رُجُومٌ ... ﴾ "أنْ المؤسن يرد يوم القيامة على ما قلمت يـداه، فإن كان ذلك من الحسنات أيض وجهه، بمعنى: استبشر بنحم الله وفضله، وعلى ضد ذلك، إذا رأى الكافر أعمالـه القبيحـة عصادًا: اسود وجهه، بمعنى شدة الحزن والفم" (ع).

ويتصاعد المعنى الكنائي للون الأبيض في الآية بقوله _ تعالى .. ﴿ وَأَمَّا أَلَّيْ أَيْكُتُتُ وَجُوهُهُمْ لَفِي رَحَمُ الْمُعَنِي التعبير عن حالتهم وجُوهُهُمْ لَفِي رَحَمُ القرير عن حالتهم الفنسية المشرقة بالنبور، إذ تصور الرحمة على سبيل الجاز للرسل القائم على الملاقة الحالية، فالرحة هي حال أهل الجنة لذا استعملت في هذا المرضع بدلاً من الحل (الجنة)، وقوام بلاغة التعبير ﴿ فَفِي رَحَمُوا اللهِ فَي الرحمة تغمرهم وتحتويهم، و في تدك على الظرفية

⁽¹⁾ القردات، ص 359.

⁽²⁾ مشاهد يوم القيامة في القرآن، سيد قطب، ص 204.

⁽³⁾ ينظر: اللفة واللون، ص 69. وينظر: اللون في الأدب العربي القديم وملاحظات الحمري، علمي الشوك، ص 26. وينظر: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، محمد عبد الطلب، ص 59.

⁽⁴⁾ المقردات، ص 66. وينظر: بصائر دوي التمييز: 2 / 133.

⁽⁵⁾ التفسير الكبير: 8 / 170.

⁽⁶⁾ نفسه: 8 / 170.

والانغماس في الشيء (⁽¹⁾ فضلاً عن إيجائها بالاستقرار والاطمئنان. وهمله هي الملووة في تصوير حالهم وما هم عليه من سعادة ومسرة وإشراق.. وإزاء همله المصورة الفائضة بالبشر والنور صورة الكافرين المشوهة وجوههم باللون الأصود، والمكروبة نفوسهم.

فاللون الأسود كتابة عن (للساءة) (ك أنهو مشهد صبي التي ظله على تلك الوجره فاسودت للدلالة على ما يجيش في نفوسهم (ك وين هذا اللون وللساءة والحزن تلازم وارتباط، وقد ارتبط اللون الأسود هوفيا باجواء الكابة والحزن (لله ويصاعد معنى الكلية بالاستفهام الإنكاري بالهمزة المتضمن معنى التوبيخ والتقريع مع التعجب من حالم (المحكم المحكم المورك المحكم المحكم المحكم المحكم المحكم المحكم المحكم التوبيخ المحكم المحكم

وهذا نلحظه في مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة يكنى فيه باللون الأسود عن العـذاب قولــه ــ تصالى ـــ: ﴿ وَيُومَ ٱلْفِينَكُمُ وَ تَرَى الَّذِينَ كُلْمَواً عَلَى اللّهِ وَيُحُوهُهُم شُسَوَتُهُ ٱلْفِيسَ فِي جَهَنَّمُ مَتَوَى إِلْمُنَكِّمِهِنَ ﴾ (40.

 ⁽¹⁾ القـرآن والـصورة البيانيـة، د. عبد القـادر حـــين، ص 148. وينظـر: التـرآن إهجـازه وبلاغتــه،
 د. عبد القادر حسين عن 148.

⁽²⁾ القردات؛ ص 359. وينظر: بصائر ذوي التمييز: 2 / 134.

⁽³⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 204.

⁽⁴⁾ ينظر: اللغة واللون، ص 186. وينظر: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، ص 58.

⁽⁵⁾ ينظر: الكشاف: 1 / 453.

⁽⁶⁾ ينظر: الاستمارة في القرآن الكريم، أحمد لتمعي رمضان، ص 79.

⁽⁷⁾ ينظمر: البحسر الحسيط: 3/ 26. وينظمر: الفساظ الشمواب أي القسران الكسويم، همساد صبـــد يجيسى، ص 196.

⁽⁸⁾ سورة الزمر: الآية 60.

فهذه وجوه المشركين الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك له والولد (1) تنحول بالكناية الما المشتودة ﴾ إلى خلق مشوه يشر الامتعاض والسخرية على المعنى الحقيقي القريب للكناية، أما المعنى البعد المكنى عنه فهو تصوير للحالة النفسية التي هم فيها من حزن وحد وكابة، فالكناية، أما تقسد ذلك على وجوههم عملاً من الحزن واسوداداً من الكابة. والكناية التي صورت وجوههم مشوحة فيها ايجاء على التوجيد (يتلرك مشوحة فيها ايجاء على التوجيد (يتلرك المورهم السافية التي قطرها الله على التوجيد (يتلرك الله التي المستفهام التقريري بالمعاقة (التي في جَهَدَّم مَثَوى النَّدَي في مَهدَّم مَثَوى النَّدَي في منهم علا السخرية بهم بلفظة ﴿ مَثَوى بالمَمزة: ﴿ النَّسَ فِي جَهدَّم مَثَى النَّدَي في منهم علا المنافية المنزل والمارى، والثوب في الكلام للسخرية منهم المنوب المنافية المنزل والمارى، والثوب المحافقة المنزل والمارى، والثوب المحافقة والمنافية المنزل مثوى، والثوب الموضوعة الذي يقام به. ومثوى الرجل: منزله. وأثواني الرجل: أضافي، يقال: أنولي الرجل فاثواني الرجل: أضافي، يقال: أنولي الرجل فاثواني الرجل فيه الطمأنينة والواحة، وإنما هو المكسي في الكلام تهكماً بهم وسخوية (١٠) يصعد من عداب المشركين الكادي والنفسي فين الكلام المثوى ويض العذاب.

ويصور القرآن بكتابه اللون الأسود في موضع آخر حال الذي يبـشـر بــولادة بنـت لـــه يصوره لا مجرد حزين أو مغتم، وإنما يصوره وقد تحول بالكناية إلى صورة غــير صـــورته، وفـــلك في قوله ــ تعلل ــــ: ﴿ وَإِنَّا بُشِرَا كَمَنْكُم وَالْمُنْيَ طَلَّ رَجَهُهُمْ شُسِّكًا يُوْكُونِكُمْ ﷺ يَنْوَزَيْن بِنَ الْفَوْدِ بِنِ شَقِ مَا يُشِرَ بِيَّةً أَيْسِيكُمْ وَقَلْ هُونِ لَذَرَيْسُمُّدُ فِي النَّرْابُ أَلَّا سَمَّةً مَا يَكُذُونَ كَهِ لَانَ

﴿ ظُلُّ رَمَهُمُ مُسْزَا رُوَدُكُومٌ ﴾ وصورة الذي يبشر بولادة بنت بهمله المثابة مبنية على الكتابة ﴿ ظُلُّ رَمَهُمُ مُسْزَقًا ﴾ وعلى الاستعارة التصريحية ﴿ كَلِيمٌ ﴾ فقد توانسجت الكتابة والاستعارة في تصوير المعنى على نحو صيق. قال الطبري في ﴿ ظُلُّ رَبِّهُهُمُ مُسْزَقًا ﴾: كتابة عن

⁽¹⁾ ينظر: الكشاف: 4/ 107. وينظر: صفوة التفاسير: 3/ 86.

⁽²⁾ سورة الدروم، من الآيد: 30. والفطرة: الحقلة التي نطر الله الحلق عليها، فإن تسالى نطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره. ينظر: نفسير القرآن العظيم: 3/ 416.

⁽³⁾ لسان العرب: 14 / 125_126 (ثوا).

⁽⁴⁾ ينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص 96.

⁽⁵⁾ صورة النحل، الآيتان: 58 ـ59. وينظر: سورة الزخرف، الآية 17.

الغم والحزن وليس يريد السواد، والعرب تقول لكل من لقى مكروهاً قـد اســود وجهـــه "(١)، فهـو يغالب ثورة من الحزن والضيق ﴿ وَهُوَكَلِيمٌ ﴾ أي: "علوء غيظاً وغمًا "⁽²⁾ يكتمـه ويداريـه كما صورت الاستعارة ﴿ كَلِيمٌ ﴾ فقد شبه امتلاء قلبه بالغم والحرن بامتلاء القربة بالماء،وشبه كتمانه وضيقه بما يصر به فم القربة المملوءة بالماء حتى لا يخرج منها شيء (^{0).} ثــم يــصوره وقــد شعر بخزي وهوان يجعلانه لا يستطيع مواجهة الناس فينزوي عنهم ويختفي ﴿ يَتَوَرَىٰ مِنَ ٱلْغَوْمِ مِن شُوِّهَ مَا أَيْشَرَ بِيِّتَهُ ﴾ ، فهو يعانى ذلك الصراع العنيف الذي يثور في نفسه، خوفاً من العـار الـذي يحلقه بسبب البنت، كأنها بلية وليست هبة إلهية (A).

فالكناية باللون الأسود تكثيف للحالة التنفسية للذي يُبَشِّر بالأنثي. ولا شك في أن الكناية فيها سخرية لاذعة، وهي تصور هذا الشخص مسود الوجه، متوارياً صن الناس، مغالباً لصراع رهيب في نفسه من مجرد أن يبشر بولادة بنت له، تجمل هذه الكناية كل من تولد له بنت في هذا الجتمع، قبل أن يفكر في نسبتها إليه، وقبل أن يشعر باثر ذلك في نفسه، يتمثل هذه الصورة المنفرة، التي لا يرضاها انسان لنفسه، ولا يرضى أن ينظر إليه الناس فيروه فيها ^{-(ى.}

ونرى أن مجيء الكناية باللون الأسود في سياق وأد البنات خوف العبار أو خوف الفقير كما حكى القرآن ذلك (6) فضلاً عن أنها تجلّى هوان المرأة وما تلاقيه من تعسف وظلم في الجتمع، دلالة قوية على تبشيع هـذه العادة الجاهلية وتفظيعها، إذ الملاحظ أن هذه الكناية اللونية لا ترد في القرآن إلاّ في وصف حال الكافرين والمشركين في مشاهد يــوم القياصة، رهــي مــشاهد عصيبة مروعة.. ولا تشذ هذه الكناية إلا في مجيئها في سياق (وأد البنات) مكورة مرتين (⁷⁷⁾ فيعمل التكرار على تفظيع هذه الجريمة وتبشيعها على نحو مؤكد. ويتصاعد هذا المعنى بذكـــر ﴿ الْمُؤْدِدُةُ ﴾ في سياق الانقلاب الكوني الذي سيحدث يوم القيامة، ويحسن بنا إسراده، وهسو قوله _ تعالى _: ﴿ إِذَا النَّمْسُ كُورَتَ ﴿ وَإِنَا النُّجُمُ الكَدَرَة ﴿ وَإِذَا آلِيَالُ شَيْتَ ﴿ وَإِذَا السِّمَارُ عُلِلْتَ

الجامم لأحكام القرآن: 10 / 116.

⁽²⁾ صفوة البيان لمائي الترآن، ص 621.

⁽³⁾ ينظر في توجيه هذه الاستعارة: التفسير الكبير: 18 / 196. والقرآن والصورة البيانية، ص 152.

⁽⁴⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حفى، ص 171 -172.

⁽⁵⁾ أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 172.

⁽⁶⁾ ينظر: سورة الأنعام، الآية: 151. وسورة الاسراء، الآية: 31.

⁽⁷⁾ سورة النحل، الآية: 58. وسورة الزخرف، الآية: 17.

﴿ وَلِهَ ٱلْوُحُوشُ حُوْرَتَ ﴿ وَإِنَّا ٱلْمِعَارُ سُجِرَتَ ﴿ وَإِنَا ٱلنَّقُوشُ زُوِّيَتَ ﴿ وَإِنَا ٱلْمَوْمُدَةُ شَهِلَتَ ﴿ إِنَّى ذَلْبِ قُلِلَتَ ﴾ (١)،

نذكر ﴿ أَلْمَوْمُرَدُهُ ﴾ في هذا السياق يكتسب معنى التهويل والتعظيم لـشأنها. وكـأن السياق يعرضها حدثاً كونياً من هذه الأحداث العظام، وهي تسأل عن جريمة وأدها، فكيف بوالدها؟ (٥٠

وفي ضوء ما سبق يتبين أن الكناية باللون الأسود تأتى في سياق مشهدين من مشاهد يسوم القيامة، وفي سياق جريمة وأد البنات مكررة فتضفى على المعنى التعظيم والتهويل.

أما كناية اللون الأبيض فهي تأتي في سياق مشهد واحد من مشاهد يموم القيامة مقابلة للون الأسود وقد سبق ذكره.

الكنابة باللون الأزرق:

وردت الكناية باللون الأزرق في القرآن الكريم مختصة بالتعبير عن حال الجرمين وما هـــم عليه من سوء حال في مشهد واحد من مشاهد يوم القيامة في قوله _ تصالى _: ﴿ يَوْمَ يُفَتُّمْ فِي ٱلشُّورِّ وَخَشْرُ الْمُجْرِمِينَ مِرْمَادِ ثَمْنًا ﴿ يَتَخَفَّتُونَ يَنْهُمْ إِن لِكَثُمْ إِلَّا عَشْرًا ۞ تَمَنُ أَمْلُم بِمَا يَغُولُونَ إِذَّ يَغُولُ أَنْ لَهُمْ مِلْمِعَة إِن لِلْتُمْ إِلَّا مُومًا ﴾ (0)

الكتابة ﴿ زُوُّهَا ﴾ رمز ينقلنا إلى المعنى المكنى عنه مباشرةً بما يرسمـه مــن لــون أزرق يميــز المجرمين عنىد حشرهم، وهنو يرتسم حول حدقات عيونهم، فتكنون صنورتهم مضايرة لحقيقتها ترمز على نحو مكثف إلى المعنى المكنى عنه، وهو صفة سوء حالهم وما هم فيه من كمد وكرية، قال الزنخشري: أفي حينه زرق وزرقة، وزرقت حينه وأزرقت وازراقت، وحين زرناء وحيون زُون " (4). وقال في تفسيره: "قيل في الزرق قولان، أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء مين البوان العيون إلى العرب، لأن الروم أحداؤهم وهم زرق العيون، ولذلك قالوا في صفة العدو: أمسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين. والثاني: أن المراد المعمى، لأن حدقة من يذهب نــور بــصو. تزراق " (c). وجاء في لسان العرب في هذه الكتاية: " إنما معناه أزرقت أعينهم من شدة العطش،

سورة التكوير، الآيات: 1_9.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 479_480.

⁽³⁾ سبرة طه، الأبات: 104_104.

⁽⁴⁾ أساس البلاغة، ص 191 (زرق).

⁽⁵⁾ الكشاف: 3 / 68 ـ69. وينظر: المقردات: 311. وينظر: اللغة واللون، ص 40.



﴿ زُرُّهَا ﴾ لأن السواد يزرق إذا ذهبت نواظرهم، ويقال: زرقاً طامعين فيها لا ينالونه " (٦٠.

فالكناية تشير إلى إيحاءات متعمدة تتجمع لوصف حمال الجرمين عنمد حشرهم: إيحماء العطش من شدة ما هم فيه في ذلك الموقف، وإيجاء العمى الأنهم عطَّلوا أبـصارهم في حياتهم الدنيا عن النظر في آيات الله واتباع الهدى كمـا أخـبر القـرآن عـن ذلـك في مواضـع أخـرى (²⁾ وكرهوا ما أنزل الله وبغضوه. فها هم في صورتهم البغيضة كما تصورهم الكناية، فـأبغض لـون هو اللون الأزرق ـ ليس لذاته ـ وإنما يكون بغيضاً مستقبحاً عندما يرتسم حول حدقات أعيمهم فيشوه خلقتهم فهي منفرة تبعث السخرية من هؤلاء الجرمين في مشهدهم، وهم يعانون الخنزي والهوان، والكمد والكرية.

ويمكن أن نتصور اللون الأزرق وهو يرتسم على وجوههم دون تخصيص حول حدقات عيونهم كما قال بعض المفسرين، أي يحشر الجرمون زرق الوجوه من الغم والكربة (3) وذلك لأن القرآن لم يخصص في رسم صورتهم، وبذلك يكون اللون الأزرق كناية فيها غرابة في التصوير تميز المجرمين في سناحة الحشر من غيرهم، لأنه لم يعهـ عند البشر اللـون الأزرق صفة لبشرتهم، وإنما هو معهود في ظواهر طبيعية كالسماء والماء.. وهو مصدر إثارة جمالية تتحسها النفس الإنسانية.. فعندما ينقله القرآن ويغرسه في هذا المغرس الجديد (وجوء الجرمين) في الحسر فإنه يحقق تلك الغرابة والجدة في التصوير إذ فيه إيحاء السخرية منهم، فضلاً عمّا أشار إليه من كمد وخم وكربة من شدة الموقف، ومن شدة موقفهم وكربه يتضامل في حسهم الزمان، وتنطوي معه الحياة التي كانت مسرحاً لاجرامهم ﴿ يَنَخَفَتُوكَ يَنْتُهُمُ إِن لِّقَتْم إِلَّا مَثْمًا ﴿ فَمَنْ أَعَلَمُ مِلْ يَقُولُ أَمَّنْهُمُ طَهِعَدُ إِن لِلْقَتْمُ إِلَّا يَوْمًا ﴾.

ومن شـأن هاتين الآيتين تصعيد معنى الكناية إذ تجلسي عذابهم النفـسي وحيرتـهم فهـم يتهامسون بينهم ويسر بعضهم إلى بعيض ولا يرفعسون صوتاً من الرعب والهول، فها هي الحقيقة تتكشف لهم، فلبست تلك الحياة الدنيا التي أجرموا فيها، مطمئنين إليها إلا عشر ليال بل

⁽¹⁾ أسان العرب: 10 / 139 (زرق).

⁽²⁾ ينظر: سورة طه، الأيتين 124 ـ125 مثلاً.

⁽³⁾ يتظر: مساهد القيامة في القرآن الكريم، ص 105. وينظر: التصاير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة، ابتسام مرهون الصفار، ص. 152.

هي يوم كما يقول أرشدهم وأصوبهم. قال الزنخشري: "تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول، يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا. أما لما يعاينون من الشدائد التي تـذكرهم أيام النعمـة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر، لأن أيام السرور قصار، وأما لأنها ذهبت عنهم وتقضت، والذاهب وإن طالت مدته قصر بالانتهاء.. وإما لاستطالتهم الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها همر الدنيا،ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد استرجح الله قول من بكون أشد تفاؤلاً منهم في قوله ـ تعالى ــ: ﴿ إِذْ يَقُولُ أَشَكُمْهُمْ طَهِعَةً إِن كَبِثَتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (١٠. وفي تخافتهم هذا وشعورهم تحسّ منهم الحسرة والندامة، فـضلاً عـن الـسخرية مـنهم جـزاءً ٢١ کانوا پيرمون.

وغالباً ما يخرج القرآن تصوير عذاب الجرمين على نحو خصوص، نحس فيه السدة في صذابهم، والتعنيف بهم بالقول حتى وهم يلقون في نار جهنم، من ذلك هذه الصورة الكتائية للتصلة بالكتابية السابقة صورةُ ومعنىُ في قوله _ تعالى _ ﴿ يُعْرَفُ ٱلشَّجِرَهُونَ فِيهِمَهُمْ فَيُوَّخَذُ بِالنَّوْمِي وَالْأَقَاعِ ﴿ يَاكُمُ اللَّهُ وَيَكُّمُا كْكُلْبَانِ ﴿ حَدْدِ جَهُمُ الْمِي بْكُلْبُ يَاللَّهُمْ يُونَ ﴿ مَلْمُؤْذَ يَهُمْ وَوَدْ جَدِيمَ وَ ﴾

الصورة الكنائية: ﴿ يُعْرَقُ ٱلتُّحْيِثُونَ فِيمِكُهُمْ ﴾ فللمجرمين علامة لونية تميزهم يُعرفون بها، فقوله ﴿ بِسِينَهُمْ ﴾ فيه إشارة إلى الكناية باللون الأزرق، فضلاً عن الكناية باللون الأسود، فهما من علاماتهم، قال الزيخشري: "يعرفون بسيماهم وهي سواد الوجوء وزرقة العيون" (3)، أي: يُعرف يوم القيامة أهـل الاجرام بعلامات تظهر عليهم.. "قال الحسن: سواد الوجه وزرقة الأعين كقوله _ تعالى _: ﴿ وَخَشْرُ الْمُجْرِمِينَ مَوْمَ لِدُ زُوْقًا ﴾ "(١٠).

واجتماع هذين اللونين فيه دلالة عميقة على الكآبة والغم، فهما تجسيد لما يعتمل في نفوسهم من شدة الموقف وهوله وما يعاينون من العذاب المهين الذي صورته الكنايــة الأخــرى ﴿ مَيْوَخَذُ بِالنَّوْمِينُ وَالْأَهُامِ ﴾ والاهانة واضحة في صورة العذاب التي يُؤخذ بها المجرم على انضراد لتهويل صورتها وتبشيعها وابرازهـا للعيـان ﴿ فَيُؤَمِّذُ بِالنَّرْبِي وَالْأَمَّامِ ﴾ فهمي كنايـة عـن شــدة العذاب وعنفه، أي: عجم بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره، وقبل تسحبهم

⁽¹⁾ الكشاف: 3 / 69.

⁽²⁾ سورة الرحن، الآيات: 41_44.

⁽³⁾ الكثاف: 4 / 358.

⁽⁴⁾ الجامع أأحكام القرآن: 17 / 175.

الملائكة: تارة تأخذ بالنواصي، وتارةُ تَاخذ بالأقدام "(ا)، وقال ابن عباس: "يُؤخذ بناصية الجرم وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب ثم يُلقى في النار "(د).

وهم في هذه الحال من العذاب الشديد المروع المهمين يُسالون سؤال الشوبيخ والتقريم زيادةً في العذاب النفسي فوق عذابهم المادي ﴿ هَذِيهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكُلِّبُ يَهَا ٱلدُّهْرَمُونَ ﴾ أي 'يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً هذه النار التي اخبرتم بها فكذبتم " (^{3).} قال ابن كثير: " هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، ها هي حاضرة تشاهلونها عياناً "(4) وهم: ﴿ يَلُونُونَ بَيْنَا وَيَنْ جَيدِ كَانِ ﴾ أي: " يترددون بين نار جهنم وبين ماء حار بلغ النهاية في الحرارة، قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم، ومرة بين الجحيم، والحميم الشراب الذي انتهى حرَّه " (^{c).}

وهكذا فإن الكنايـة بـاللون الأزرق الـتي تواشـجت معهـا الكنايـة ﴿ يُتَرَفُ ٱلمُجْرِبُونَ فِيبِمُهُمْ ﴾ بالمعنى والصورة، فضلاً عن الكناية التي صوّرت عذابهم في نار جهنم ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوْسِينِ وَالْأَهَامِ ﴾ تجلى على نحو محصوص العذاب بنوعيه: المادي والنفسي، الذي يواجهه الجرمون يوم القيامة.

الكشابة بباللون الأخضر والأصفر:

يشير القرآن الكريم باللون الأخضر والأصفر في بعض آياته التي يمكسن حملمها على الكناية إلى دلالات متضادة، وذلك من خلال هلين اللونين في سياق عالم النبات ذي الخلس المعجز والمعاني المتدفقة. إذ تستمخض عنهما دلالات منضادة بين الموت والفناء، والانبعاث ه الحياة (6).

الكناية باللون الأخضر في معناها الحقيقي القريب تشير إلى الحياة المنبثقة من أعماق التربة الميتة. والكناية باللون الأصفر في معناها القريب تشير إلى الموت والتحطم بعد الحياة النامية الزامية.

الكثاف: 4 / 359.

⁽²⁾ صغوة التفاسير: 3 / 298.

⁽³⁾ المبدر تفيه: 3 / 298.

⁽⁴⁾ تفسير القرآن العظيم: 4 / 277.

⁽⁵⁾ صفرة التفاسر: 3 / 298_299.

⁽⁶⁾ ينظر: مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خليل، ص 199.

ولا تقف الدلالة في هذا الجال، بل هي توحي بـالعبرة البالغــة الـتي تؤديهــا للانــــان في رحلتها هذه بين الحياة والموت، عبرة تحمى الانسان من أن ينسى نفسه والمسافة التي يقطعهـــا بــين حياته وموته تؤدي به إلى الكفر والطغيان.

فعلى صعيد الكناية باللون الأخضر نقرأ هذه الآية الدالة على قدرة الله التي تحيى الأرض الميتــة بالماء النازل من السماء، فتصبح الأرض غضرة بالنبات والزرع وهي قوله _ تعالى _ ﴿ أَلْمُ تَكُرُّ أَكِ لَقَمَانَزَلَ مِنَ السَّمَلُومَلَهُ مُنْصَبِحُ الدَّرَضُ مُعْتَمَدَّةً فِيكَ اللَّهُ لَطِيفُ عَيدٌ } (4)

بتخذ القرآن من هذا المشهد الطبيعي الخلاّب دليلاً حسياً مشاهداً على قدرة الله في بعث الحياة من الموت في مشهد منظور تتملاه العين ويتحسسه الوجدان، وهــو مشهد صبيب كمــا دلّ الاستفهام بالهمزة الذي تصدر الآية: ﴿ أَلْتُرْتُكُمْ ... ﴾ وهو استفهام يفيد (التعجيب) من هـذه الظاهرة المتكررة، ظاهرة بعث الحياة من أحماق التربة الميتة، فيلفت الأنتباه إليها بهذا الاستفهام، فهى تثير نوازع التأمل والتفكير في المشاهد.

وهله الحياة المنبئقة من الموت تدل عليها الكناية باللون الأخضر التي تصبغ الأرض على امتداد البصر: ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلأَرْضُ عُصَكَرُةً ﴾ ، والمعنى القويب الذي تشير إليه الكتابة هو: " فأصبحت الأرض متعشة خضراء بعد يبسها وعولها، وجاء المعنى بصيغة المضارع ﴿ فَتُصْبِحُ ﴾ لاستحضار الصورة وإفادة بقائها كذلك مدة من الزمن " (2). فهي قدرة الله العظيمة تتجلى لـيس في بعث الحياة في الأرض الميتة فحسب، وإنما الحياة الهادفة المرتبطة بمياة الانسان ارتباطأ يثمر فسه نوازع الخير وتحسس الجمال من خلال هذه الأرض المكسوة بالجمال المنظور.

أما المعنى الكنالي البعيد الذي تشير إليه، فهو اثبات البعث والنشور، أي بعث الموتى إلى الحياة لحسابهم وجزائهم، وقد لحظ ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ هذا المعنى والغـرض الــذي تهدف إليه هذه الكناية بقوله: 'إقامة الدليل على كمال قدرته وعلى البعث والنشور، فمن قدر على هذا قدر على إعادة الحياة بعد الموت ^{• (12)} وهذا المعنى يتجلى من الكناية أولاً، ومــن طبيعــة القرآن ومنهجه في إثبات فكرة البعث والنشور ثانياً، فـالقرآن على الأغلـب "يتخـذ مـن صـور الطبيعة الحيّة، وسيلة الاثبات البعث والنشور، ولما كانت أحوال النيات حيّة ماثلة للعيان،

سورة الحج، الآية: 63.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 2 / 297. وينظر: الكشاف: 3 / 132. (3) صفرة التفاسير: 2/ 297.



يشهدها الناس مراراً وتكراراً، فإن القرآن اهتم بها كثيراً. ويعض احوال النبات والشجر، لها صورة مقاربة لعملية البعث والنشور نفسها، كما يدلنا عليها التعبير القرآني " في هذه المقاربة بين بعض أحوال النبات والشجر وعملية البعث والنشور تتنضح من خلال مفهوم عملية البعث، فمفهومها هو: أن الأجسام التي فقدت الحياة، لا تلبث أن تنبض بالحياة من جليسا، وتخرج من باطن الأرض، فهذه هي صورة البعث، كما يستحضرها الحيال بدلالة القرآن، وخروج النبات من الأرض الهامدة الساكنة التي لا تبدو فيها حياة، شبيهة بهذا الاحراج " في كما أن الماء هو أنسب ما تمثل به الحياة، فقد اقترنت الحياة في كل الشكافا في القرآن بالماء، ويشير إلى ذلك كثير من آياته فا" فهو قوام الحياة، والعنصر الرئيس في بنيتها وتركيبها فالحياة والماء كالشيء وظلّه، وما يعلراً على الشيء من تحول أو تبدك، يستبع بالضرورة تغييراً عائلاً في طلّه، ومن هنا جيء بالماء لأن المتحكم بالشيء متحكم بظلًا، فمن تصلر عليه فهم حقيقة الحياة وماهيتها، بوسعه أن ينظر إلى مصدرها، وما جمله الله صباً لها (4).

والمعنى المكتنى عنه اثبات البصث والنشور الذي أشارت إليه الكتابة يتناسق فنياً مع جمو صورة الحج التي وردت فيه الآية ⁶²⁾، فهي تعالج فكرة البعث بعد المموت معالجسة كسيرة في شستى الصور، منها الصورة التي نحن يصددها في مشهد من مشاهد الطبيعة.

ولا يخفى ما في الكناية باللمن الأخضر من بعد جالي محسوس لأن هــذا اللــون أكثــر سحراً، وأبعد عمقاً في تقبله وتأثيره ⁽⁶⁾في المتلفي من أي لون آخــر وهو يــصبغ الأرض الممتـــــة على طول البصر.وفيه إيجاء كمال القدرة المطلقة التي تبعث الحياة في أزهى صورها تزين بها هذا الوجود ﴿ إِكَ أَلْهُ لَطِيقًا كَمِيعًا ﴾ ختام للآية يتناسق مـع مــا أشــارت إلــه الكنايــة في معاهــا

⁽¹⁾ الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، ص 346.

⁽²⁾ المدر نفسه: ص 346_347.

 ⁽³⁾ ينظر: مسورة التحسل، الآية: 65. ومسورة الأنبياء، الآية: 30. ومسورة الحسج، الآية: 5. ومسورة فصلت، الآية: 39.

⁽⁴⁾ الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر القياض، ص 319.

⁽⁵⁾ ينظر: الآيتان: 5. 7، مثلاً.

 ⁽⁶⁾ صالم حناصر الفسن، ص 136. وينظر: اللفة واللون، ص 79. وينظر: التصابير القرآئية والبيشة العربية، ص 279.

القريب والبعيد، فدبيب الحياة في الأرض لليتة، وهي حياة هادفة فيها الخير والجمال، أو دبيب الحياة في الموتى لحسابهم وجزائهم يتجلى فيها لطف الله الحبير وقدرته.

والبعد الجمالي للون الأخضر يتجلى من خلال ارتباطه بالحقول والحداثق والأشمجار، وهذا ارتباط يشير إلى الخصب والرزق (١)، ومن ثم فهو لون النعيم في الجنة، وقد ورد في القرآن الكريم وصف ملابس أهل الجنة بالخضرة كما في قولـه ـ تعـالى ..: ﴿ وَلَيْسُونَ ثِبَا خُمْرًا مِّن سُندُسِ وَاسْتَهَا ﴾ (٤) وقوله - تعالى -: ﴿ عَلِيتُهُمْ فِيكُ سُنتُين خُنسٌ وَإِسْتَهَا ﴾ (٥) لذلك يكن عــد اللون الأخضر في الجنة كناية تشير إلى معناها المكنى عنه البعيـد ويتمثـل في الخلـود، أي خلـودهم في جنات النعيم لكرامتهم على الله ﷺ الذي أخلصوا له فتعمهم وأكرمهم بالنعيم الدائم، فهو لـون يشير إلى النعيم المادي والروحي سواء.

وترد الكناية باللون الأخضر في سياق مثل قرآني في صورة حسية مشاهدة، يستدل بهما القرآن علامكان البعث والنشور لأدجل الحساب والجزاء، وذلك في قول _ تعالى _ ﴿ وَمَنْ يَكُ أَنَا نَشَلًا وَلَيْنَ خَلَقَةً قَالَ مَن يُعَى الْعِظَامَ وَهِي رَمِيدٌ ﴿ قَلْ يُجْبِيهَا الَّذِي ٱلشَاهَا أَوَلَ مَرَّزٌّ وَهُو بِكُلْ عَلَى عَلِيدُ ﴿ الَّذِي جَمَلَ لَكُو مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْفَيرِ قَالًا فَإِنَّا أَنتُو يَنهُ تُوفَدُونَ ﴾ (١٠)

قوله _ تعالى - ﴿ الَّذِي جَمَلَ لَكُر مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْفَر نَازًا فَإِذَا أَنتُه مِنَّهُ تُوفِدُونَ ﴾ كناية جاءت في سياق انكار البعث بعد الموت والـذي سوَّغ لنا عدَّ هـذا التركيب كناية، طبيعية الأسلوب الكنائي الذي يجوز حمله على جاني الحقيقة والجاز، كما في هذا التعبير الـذي جاء في هذا المثل القرآني، والمعنى القريب للكناية: "ابراز الشيء من ضده، وذلك أبدع شيء، وهمو اقتداح النار من الشيء الأخضر، ألا ترى الماء يطفيء النار ومع ذلك خرجت مما هـ و مشتمل على الماء "(⁽⁾. وقد أشار الطبري في تفسيره إلى المعنى القريب، والمعنى البعيد المُكنى عنه، فقـال:

يتشر: اللغة واللون، ص 164.

⁽²⁾ سورة الكهف، من الآية: 31,

⁽³⁾ سورة الانسان، من الآية: 21. وينظر: سورة الرحن، الآية 76.

⁽⁴⁾ سورة يس، الأيات: 8-8. ويتقلو: سورة الواتعة، الأيات: 71..71.

⁽⁵⁾ البحر الحيط: 7/ 348. وينظر: الكشاف: 4/ 24.

أي الذي جعل لكم بقدرته من الشجر الأخضر ناراً تحرق الشجر، لا يمتم عليه فعل ما أراد، ولا يعجز احياء العظام البالية واعادتها خلقاً جنبناً "(1).

فالتعبير الكنائي: ﴿ جَمَلَ لَكُر مِنَ ٱلشَّجَرِ الْأَخْمَرِ نَارًا ... ﴾ قائم على التضاد في المعنى، والتضاد من شأنه أن يجلى المعنى المُكنة عنه في أهمق صورة، فالشجر الأخضر بما فيـه مــن رواء وماء هو نقيض (النار)، لأن الماء يطفيء النار، فتخرج تمّا هو مشتمل على النقيض، وهـي حالـة محسوسة مشاهدة في صورتها ومعناها تشير إلى المعنى المكنى عنه البعيد وهو اخراج الحيساة مـن الموت فاللبي أخرج من الشجر ناراً، لم يكن يتوقع أن تخرج منه، قادر على أن يخرج الانسان ــ المذي يظن المشركون أنه لن يخرج .. من مرقده الذي ثوى فيه، بعد أن غيبه البلي بين ظهرانيه "(٥٠

فالقرآن في هذه الصورة الكنائية يقرب إلى الأذهبان حقيقة البعث والنشور، فهمو يجعمل من هذه المحسوسات في الطبيعة القريبة إلى الحس والوجدان دليلاً حسياً شاخصاً للعيان يستدل بها على أن الناس سيبعثون وأنهم سيحاسبون على ما يقترنون (٥٠

أما على صعيد الكناية باللـون الأصفر التي تشير إلى المـوت والفنـاء بعــد الحيـاة، فإننــا للحظها في مسياق عالم النبات أيضاً في تقلبه السريم بين الحياة والموت، نقرا ذلك في قول. يتعالى . ﴿ أَلَمْ نَرَ أَنَّ أَلَهُ أَنَزَلُ مِنَ السَّمَلُومَةُ مَسَلَكُهُ مَنْفِهِمْ فِ الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُهُ بِد زَيَّا تُحْزَلُهَا ٱلْوَبُدُ ثُمَّ بِهِدِيمُ لَكُنَّهُ تُصْدَكُوا لُمَّ يَعِمَلُهُ مُعَلِيناً إِنَّ فِي ظَلِكَ لِذَكِّنِ لِأُولِي الأَلْبَ ﴾ (4).

تستهل الآية بالاستفهام بالهمزة الذي أفناد التعجيب فيلفت الانتبناه إلى هذه الظناهرة الطبيعية المكرورة في كل زمان ومكان، وهي ظاهرة عجبية دالة على قدرة الله ورحمته بالانسان.

قال الزنخشـري: ' فسلكه: فأدخلـه ونظمـه ﴿ يَنْكِيمَ فِ ٱلْأَرْضِ ﴾ عيوناً ومسالك وبجاري كالعروق في الأجمساد ﴿ تُحْتَلُهَا ٱلتِّكُمُ ﴾ هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبيـاض وغـير ذلـك، وأصنافه من برٌ وشعير وسمسم ﴿ يَهِيجُ ﴾ يتم جفافه، عن الأصمعي: لأنه إذا تم جفاف حمان

جامع البيان في تفسير القرآن: 23 / 21 ـ 22.

⁽²⁾ الطبيعة في القرآن الكريم، ص 349.

⁽³⁾ ينظر: المبدر نقسه، ص 350.

⁽⁴⁾ سورة الزمر، الآية: 21. ويتظر: سورة الحديد، الآية: 20.

له أن يئور عن منابته ويذهب ﴿ حُطَاشًا ﴾ فتاتاً ﴿ إِنَّ فِي قَالِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ لتذكيراً وتنبيها، على انــه لابد من صانع حكيم، وأن ذلك كانـن عن تقلير وتلبير، لا عن تعطيل واهمال (١٠).

وقولَه: ﴿ ثُرُّ يُمْرُعُ مُ مِدِرْتِهَا تُعْلِقاً ٱلْوَقَدُمُ مَ يَهِيجُ كَنَايَةُ مُصَمَّكًا ثُمَّ يَجَعَلُهُ حُطَناناً ﴾ على وجه الاجمال يمثـل حقيقتي: الحيــاة المتجــلـدة ﴿ ثُمُّ يُغْيِجُ بِدِ زَيَّمًا تُخْتِلُفًا ٱلْوَئْتُ ﴾ في أزهــى صـــورهـا وبريقها، وحقيقة الموت والفناء ﴿ ثُمَّ بَهِيجُ فَ تَرْبُهُ مُصْفَكُوا ثُمَّرَ يَجْمَلُهُ. حُطَاعًا ﴾ ' في صورة حسية مشهودة تتملاها العين ويحسها الفكر والوجدان، ذلك في عالم النبات الـذي يـرتبط بالانسان ارتباطأ مصمرياً.

والذي يهمنا الكناية باللون الأصفر ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ مُسَكِّنَةُ مُصَكِّنًا ... ﴾ السي أنسارت إلى معناها القريب وهو (الموت) المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأشكاله وألوانه بعـد تحولـه مـن ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي في الوانه وخضرته ونضرته إلى الموت في تيبسه وجفافه وزواله.

أما المعنى البعيد الذي تنطوي عليه الكناية، فقد أشار إليه عدد من المفسرين. قال ابن كثير: ُ هكـذا الدنيا تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود عجـوزاً شوهاء، والشاب يعـود شـيخاً هرماً، كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت "(2). وقال القرطبي: "إنَّ الحياة الدنيا كـالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيماً كأن لم يكن (3). وقال الصابوني: 'غيل لحياة الانسان بالحياة الدنيا، فمهما طال حمر الانسان فلابد من الانتهاء، إلى أن يصير مصفر اللون، متحطم الأحضاء، متكسراً كالزرع بعد نضرته، ثم يكون حاقبته الموت (A.

فقصر الحياة الدنيا أو قصر حياة الانسان من المعاني التي أشار إليها القرآن في مواضع كثيرة (؟) وقد دلَّت عليها الكناية باللون الأصفر وبخاصة قصر حياة الانسان المرتبطة بحياة النبات.وبلاغة الكناية أنها تمثل المعنى بالطريقة الحسية المألوف اللانسان ليكون المعنى الملهني مؤثراً في الحس والنفس وليحقق بذلك الاستجابة النفسية التي يهدف القرآن تحقيقها في المتلقى، فهذه الحياة الدنيا هي كالزرع في تقلبه وتحوله من الحياة إلى الموت،والانسان يـشاهد هـذا

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 94.

⁽²⁾ تقسير القرآن العظيم: 4/ 50.

⁽³⁾ الجامم لأحكام القرآن: 17 / 255.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسير: 3 / 76.

⁽⁵⁾ ينظر السور الآتية يونس، الآية: 24، والكهف، الآية: 45، والحديد، الآية: 20 مثلاً.



التقلب ويتحسس هذا التحول في مشهده المكرور فـلا يغـتر بهـا ولا ينــــى نفــــه وهـــو يقطـــم رحلته بين الحياة والموت. وحياة الانسان، أو الحياة البشرية في نهاية المطاف لا تعـد. أن تك ن المعادل الانساني لعالم النبات، وذلك لأن الانسان يخرج من رحم أمه، لكن ما يلبث بعد رحلة تطول أو تقصر، أن يلبل ويتبيس وينيب ثانيةً في قلب التراب (١٠. فالموت هو النهاية التي ينتهي إليها كل حي بعـد حياة زمنية قصيرة كما دلَّت الكناية باللون الأصفر، بل أن القرآن يختزل هــذا الزمن اختزالاً، فلا يبقى بين الحيــاة والموت أيما فاصل زمني. نقراً ذلك في كناية لونية اخــرى (٥٠ في سياق النبات أيضاً، هي قوله متعالى .. ﴿ وَالَّذِي ٓ أَنْزُجُ ٱلَّذِّينَ ﴿ فَهَمَا مُنْفَا آمُونَ ﴾ (الله

والمعنى القريب: أنبت ما ترعاه الدواب، من الحشائش والأعشاب، ﴿ فَمَسَلَدُ غُنَّاتًا أَنَّوَى ﴾ أي فصيره بعهد الخضرة أسود بالياً، بعد أن كان ناضراً زاهاً(٥).

واليادي أن المعنى أشمل من هذا، وذلك لأن المرعى كل نبات، وما من نبات إلا وهـ صالح لخلق مَّا خلق الله. فهو هنا أشمل مَّا نعهده من مرعى أنعامنيا، فبالله خليق هيذه الأرض وقدّر فيها أقواتها لكل حي يدب فوق ظهرها، أو يختبيء في جوفها، أو يطير في جوّها (4).

والكناية باللون تنجلي في قوله _ تعالى _: ﴿ فَهَمَاهُمُ عُنَّاتًا أَمْوَىٰ ﴾ والأحبوي هـ الله ن الأسود الذي ينتهي إليه المرعى عند ذبوله وموته. جاء في أساس البلاغة: "وشعر أحوى: أســود، ورجل أحوى: شاب أسود الشعر ((٥) والغثاء: ما يقلف به السيل على جانب الوادي من الحشائش والأوراق والنباتات (^{6)،} فهو الموت والبلي بعد الخضرة والحياة في تلك السرعة السبر , لا نلمح فيها فاصلة زمنية بين الحياة والموت كما أفاد ذلك حرف العطف الفاء الذي يفيد التعقيب،أي تعقيب الحروج باللبول والموت، فلا يبقى في مدى الرؤية غير الموت الـذي يكتـــم الحياة.

⁽¹⁾ مم القرآن في عالمه الرحيب، ص 200.

 ^(*) هذه الكناية تشير إلى اللون الأسود أرجاناها إلى هذا الموضع لأنها في سياق عالم النبات.

⁽²⁾ سورة الأعلى، الأيتان: 4.2.

⁽³⁾ صفوة التفاسير: 3 / 548.

⁽⁴⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 549.

⁽⁵⁾ مادة (حوى). وينظر: كتاب الملم، للنمري، ص 69.

⁽⁶⁾ ينظر: لسان العرب: 15 / 116 (فثا).

أما المعنى الكنائي البعيد لهذه الصورة الموحية فهو سرعة زوال الحياة الدنيا التي يغتر بهما الانسان ويؤثرها على الحياة الباقية. وهذا المعنى المُكنى عنه يتسق مع جو السورة والحمديث عن الحياة اللذيا والحياة الأخوى: ﴿ إِنَّ تُؤَيُّونَ ٱلْحَيْزَةَ ٱلَّذِيا ﴿ وَالَّذِيزَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَ ﴾ (١٠.

الكتاية باللون غير الباشر:

في القرآن كتابات لونية، يدرك اللون فيها في صورة غير مباشرة فيشير اللون المتداعي إلى دلالته، وترد هـ لم الكنايات غير المباشرة في مشاهد يوم القيامـة، للمعظها تعلو وجـو، الضريقين: المؤمنين والكافرين على التقابل في تلك المشاهد، ألوان مشرقة تـدل عليها هذه الكنايات ترتسم في وجوه المؤمنين الفائزين. والوان قاتمة ترتسم على وجوه الكافرين الفاجرين على التقابل في الصورة والعني.

وبذلك فإن القرآن الكريم قد استعمل الوانا عديدة تدل عليها هذه الكنايات منها: للدلالة على ثواب المؤمنين وفوزهم بما توحى به من إيماءات الاشراق والتهلل والجمال والاستيشار، ومنها للدلالة على عقاب الكافرين وخسرانهم بما تحمل من ايحاءات الغم والحمزن والتحسر والاكتئاب (2). من ذلك:

الكناية بالأسفار والغبرة والقارة:

تر د هـــــد، الكنايات في مشهد من مشاهـــد يوم القيامة في وصــف حـــال الفريقين في قولـــه 如此二人能到此代明 以不是正正不會以此 無以為 就要我們就會 随此其間 النبرة 🛊 (د).

التقابل القائم على التضاد بين حال الفريقين هو الأطار الفني الذي يبرز المشهد ويكشف عن عمق المعانى والانجاءات للكنايات المتضادة التي تجسد الحالة النفسية لكل من الفريقين بما يرتسم على الوجوه في صورة حيوية مؤثرة.

كناية الاسفار تصور المؤمنين في هذه المصورة المشرقة: ﴿ رُجُوا يَتَهُو أُسُورُا ﴾ إذ يشاعى لون مشرق من وجوههم، قال الزنخشري: "أسفر الصبح: أضاه. وخرجوا في السفر: في بياض

سورة الأعلى، الآبتان: 16 ...11.

⁽²⁾ ينظر: الفاظ الثواب في القرآن الكريم، ص 198.

⁽³⁾ سورة عبس، الآيات: 38-42.

الفجر، ورُح بنا بسَفَر: ببياض قبل الليل.. ووجه مسفر: مشرق مسروراً (الله فالإصفار 'يختص بالملون "(أ، فهي وجوه مضيئة مشرقة من البهجة والسرور. وجاءت الكناية ﴿ تُمَيِّرُ ا ﴾ بمسيفة اسم الفاعل لترحي يتمكن هذا الوصف منهم سويعمق هذا المضى ويصعده الآية ﴿ مَلِيكُمُّ تُسْتَيِّرَ الله في بصيفة اسم الافاعل أيضاً لتلك على الثبات والدوام (6) أي: فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه مستشرة بللك النعيم اللمائم " (3)

واللون المتداعي من انسراق وجوههم وإضاءتها في ذلك الموقف يمكن وصفه باللون الأبيض، وهو من الألوان الناصعة الخالصة (على تكثيف تلك الحالة النفسية المسرورة المبتهجة التي هم فيها ويشير إليها على نحو لا يمكن وصفها بالكلمات، بل يتخبلها المتلقي ويتملاها ليدرك معناها وتأثيرها في حسه ووجدانه في ذلك المشهد العصيب.

ويقابل هذه الصورة في إشراقها وسعادة أهلها الصورة الكنائية الفاقة التي ترتسم على وجو، الكافرين ﴿ وَتَجُوتُ عَيَهٍ فَيَهٍ فَيَهُ مَنْ تَوَقَّقُ مَنْ الْكَنَائِيةَ الْمَافِّ أَلَيْنَ مُ الْكَنَائِيةَ ﴿ وَمُشْعِت كنايتان ﴿ فَيْمَةٌ ﴾ و ﴿ فَتَرَا أَلَ الله الله الله في الصورة لوليتان ﴿ فَيْمَةٌ ﴾ و ﴿ فَتَرَا أَل فِي إضراح صورة الكافرين الفاجرين لتصعيد الله لالة في الصورة والمفنى. في الصورة بنشويه منظرهم بلونين منظرين، فمن الكناية ﴿ فَيَرَا ﴾ يتداعى للون الخبار وهو يُردُ إلى الألوان غير الناصعة الحالصة (ك) ومن الكناية ﴿ فَتَرَا ﴾ يتداعى اللون الأسود. قال الراضي: ومن الفبار أشتن الفبرة وهو ما يعلق بالشيء من الغبار، وما كمان على لونه. قال حمال حال ﴿ وَيُحَمُّ عَيَيْزِ عَلَيْكُ فَيْهٌ ﴾ كناية عن تغير الوجه للفم (فالفرة اصلها أ من القتار والعرد وغوهما. وقوله عمالي حـ ﴿ وَيَمُثُمُ اللّهُ فَيْكُ الله عَلْ الله والعرد وغوهما. وقوله عمالي حـ ﴿ وَيَمُثُمُ اللّهُ وَالقَرْء وهو اللخان الصادر من الشواء والعرد وغوهما. وقوله عمالي حـ ﴿ وَيَمُثُمُ اللّهُ عَلَيْهِ الله الله الله المنافِقة والمورو والقرة والمورو والقرة والمورو القرة والقرة المنافي على المنافرة والقرة والمورو والقرة والمورو والمورو والمورو والقرة والمورود والقرة والمنافرة والمؤون المنافرة والمؤون المنافرة والمؤون المنافرة والمورود والقرة والمؤون المؤون المنافرة والمؤون المؤون ا

⁽¹⁾ أساس البلاغة، ص 212 (سفر). ويتقر: الكشاف: 4 / 564.

⁽²⁾ القردات، ص 341.

⁽ه) الأصبل في (اسم الفاصل) أنه أدوم وأنبت من الفصل في دلالته، ولكنته لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشجة . ينظر: مصائم الأخبية في العربية، و. فاضيل صبائح السماراتي، ص 47 وصا بصدها. أما هنا في الآية فقد الفادة أميم القاصل للتكور (الثبات والدوام) بالنظر إلى السياق فهو كالصفة المشبهة . في ثاناه ودوامه.

⁽³⁾ صفوة التفاسر: 3 / 522.

⁽⁴⁾ ينظر: كتاب الملمم، ص 8.

⁽⁵⁾ ينظر: كتاب اللمم، ص 8.

⁽⁶⁾ المردات، ص 535. وينظر: صفوة البيان لماني القرآن، ص 785.

غيرة، وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب "(ا). وقال الزغشري عبرة: غيار يعلمه ها ﴿ قَنْزَةً ﴾ سواد كالدخان، و لا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما تـرى مـن وجوه الزنوج إذا غيرت، وكأن الله الله عجمع إلى سواد وجوههم الغيرة، كما جمعوا الفجمور إلى

فالكتايتان في لونهما القاتم تشيران على نحو مكثف إلى تلك الحالة النفسية لهؤلاء في ذلك الموقف الذي يواجهونه، حالة نفسية مكروبة ملؤها الغم والحزن ومصيرها الخبية والحسران. وهي الصورة التي تقف على التضاد إزاء صورة المؤمنين، وبالتضاد يترسخ المعنى في ذهن المتلقى لحال الفريقين.

ويتداعى اللون الأمسود في صورة كثيفة إزاء صورة مشرقة على التقابــل في مـشهد آخــ من مشاهد يوم القيامة في قول حتمالى من ﴿ ﴿ لِلَّذِينَ أَصَّنَوْا لَلْمُسْنَى وَزِيادَةٌ وَلا رَعْقُ وُجُوهُمْ فَكُرُّ وَلَا وَلَّةُ أُولَتِكَ ٱصَّنَابُ المَّنَدُّ مُنْ فِيهَا حَوْدُونَ ﴿ وَالَّذِينَ كَسَرُ السَّيِّياتِ جَزَّكَ سَيْتَمَ بِيغِلِهَا وَرَوْمُتُهُمْ وِلَا عَمَّ مِن الله مِنْ عَلِيهِ يُكَالَمُنَا أَخْشِيَتَ وَجُوهُهُ مَ وَعَلَمَا مِنَ ٱلَّيلِ مُغَلِيماً أُولَيْكَ أَصَحَبُ النَّارِ مُمّ نِهَا خَلِلتُونَ ﴾ (٥٠.

فالصورة المشرقة للذين أحسنوا تتداعى من خلال نفى الفتر والذلة عن وجـوههـم ﴿ وَكِلَّا يَرْهَنُّ رُجُوهُمْ مَّ فَكُر وَلا فِأَدُّ ﴾ أي: "أي لايفشي وجوههم دخان ولا سواد كما يعتري وجموه أهمل النار، ﴿ وَلَا ذِلَّةً ﴾ أي: هوان وصَغار "(4) ونفي القتر صنهم بلونه الأسود إثبات لإضاءة وجوههم واشراقها كنايةً عن معادتهم وحالتهم النفسية المسرورة المبتهجة. فهي كنايـة تـشـير إلى كناية (الاسفار) والاشراق السابقة، إلا أن الكناية هنا تبدو أكثر إشراقاً وإضاءةً، وذلك لأنها تفف على التضاد مع اللين كسبوا السيئات في صورتهم التشبيهية: ﴿ كَأَنْمَا أَغْشِيَتَ ثُبُعُ مُهُمْ وَهَلَا إِنَّ الَّيْلِ مُظَلِمًا من ﴾ أي: "كاتما البست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعاً من ظلام الليل "كاه والليل بطبيعته مظلم، فلا يحتاج إلى وصفه بالسواد وهو اللون المتداعي من ﴿مُظِّلِمٌّ ﴾ ، لكن التقابيل في سياق المشهد يعمل على إبراز عنصر التضاد حاداً قوياً من خيلال تكشف اللي ن الأسه د

⁽¹⁾ القردات؛ ص 593. وينظر: أساس البلاغة، ص 354 (قتر).

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 564. وينظر: التمابير القرآنية والبيئة المربية، ص 140.

⁽³⁾ سورة يونس، الأيتان: 26_27.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسير: 1 / 581. وينظر: الكشاف: 2 / 269.

⁽⁵⁾ صفوة التفاسي: 1 / 581,

ليجلي الصورة للقابلة في صورة بارزة قوية في اضاءتها واشراقها. قال الشرف الرضي في ﴿مُثْوَلِمُنَّا ﴾: "وفيه زيادة معنى. لأن الليل قد سمي ليلاً وإن كان مقمراً، فإنما قال ﷺ: ﴿مُثَطِّمًا ﴾، على أن التشبيه إنما وقع به أسود ما يكون جلباباً، وأبهم الواباً *(1) فالذمن يستخلص صورة بالغة في السواد والقبح (⁶⁾ ويمذلك يشير اللون الأسود الكثيف الذي يعتري وجوههم إلى المعنى المكنى عنه بعمق رهمو عظم الغم والحزن والاكتئاب الذي يصطرع في أنقسهم في ذلك الموقف الرهيب.

ناضرة وياسرة:

تصور هاتان الكنايتان اللونيتان حــال الفريقين: (المؤمنين والكافرين) في مشهد من مشاهد يوم القيامة نلحظ فيه تصاعد اشراق وجوء المؤمنين إلى اللزوة حيث تتعللم إلى النظر إلى جلال ربها والاستغراق فيه.. وبالمقابل نلحظ وجوء الكافرين وهي كافحة صغراء تتوقع داهية وعلما بأين بهم فيزدادون علما في قوق علما بهم. وذلك في قوله ــتمالى ـــ: ﴿ وَشُورَ عَمْهُ مُنْ الْمَعْنُ اللهُ مُنْهُ اللهُ مِنْهُ اللهُ ا

المومنون وما هم فيه من سعادة وسرور تصوره الكناية: ﴿ رَبُوْمَيْمَيْرَ فَيْرَمُ ﴾ جاء في لسان المربون، وقد نـضر الـشـجر والـورق المربون، النضم النسجر والـورق والورق والنوبه واللون، وكل شيء ينضر. فهو ناضر أي حسن ألك وكل المعنين تـشير إليهما الكناية ﴿ قَارِمُ ﴾ النمعة والغني، والحسن والرونق المرتسم على وجـوههم، وأحـدهما متـصل بـالأخو ويدل عليه. قال الفراء: "لها مشرقة بالنعيم "لك وقال الطبري: "حسنة جيلـة من النعيم "لك ومثل هـذا قول الزهشري "لك فوجـوههم المناقب كما قال ـ تمال ـ في مواضع أخرى: ﴿ فَرَيْنُ فِيجـوههم ناضرة مشرقة بنعيم الجنة، كما قال ـ تمال ـ في مواضع أخرى: ﴿ فَرَيْنُ فِيجُوهِ مَنْمَرَةً النّبِيمِ ﴾ (الله ومثل هـ أن الفرة عنهم قال ـ تمال ـ في مواضع أخرى: ﴿ فَرَيْنُ فِي مُجُوهِ مَنْمَرَةً النّبِيدِ ﴾ (الله ومثل المناقبة عنهم أغرى: ﴿ لَنَافِهُ مَنْمُ وَالْمُولَةُ النّبِيمُ اللهُ وَمَنْ النّبِيمِ اللهُ ومناقبة اللهُ عنهم الفرقة الناقبة الله المناقبة الله المناقبة المناقبة الله الله المناقبة المناقبة الله المناقبة الله المناقبة المناقبة الله المناقبة الله المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة الله المناقبة الله المناقبة الله المناقبة المناقبة الله المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة الله المناقبة الله المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة المناقبة الله المناقبة المناقبة الله المناقبة المناقب

⁽¹⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 155.

⁽²⁾ يتظر: المشاهد في القرآن الكريم، د. حامد صادق قنيم، ص 350.

⁽³⁾ سورة القيامة، الآيات: 22_25.

^{(4) 5 / 212. (}نضر).

⁽⁵⁾ معاني القرآن: 3 / 212.(6) جامع البيان في تفسير القرآن: 29 / 119.

⁽⁷⁾ الكشاف: 4 / 529.

⁽⁷⁾ الخشاف: 4 / 200.(8) سورة المطفقين، الآية: 24.

قَاعِمْ ﴾ (2) أي: إذا رايتهم تعرف انهم أصحاب نعمة لما ترى في وجوههم من الدور والبياض والحسن، ومن بهجة السرور ورويقه (4) وقوله: ﴿ وَلَقَيْمٌ مَتْرَةٌ وَرَسُولًا ﴾ أي: أو أعطاهم نضرة في الوجه، وسروراً في القلب، والتنكير في ﴿ سُرُيم ﴾ أي: أو التعظيم والتفخيم (6) و ﴿ قَاعِمُ ﴾ أي: أن المرآن الكريم حينما يصف وجوه المؤمنين بالنضارة لا يعبر عن معنى الحسن فيها حسب، لأن القرآن الكويم حينما يصف وجوه المؤمنين بالنضارة لا يعبر عن معنى الحسن فيها حسب، بل يحمل اللفظ المدلالة على الاشراق والبريق والحلوص (6) ويذلك تمكس هذه الكناية اللونية المصورة حيّة في وصف وجوه المؤمنين، فقد اقترنت النضرة بأحب صورة إلى نفس العرب، الا وهي صورة النات الناضر، وذلك أن يكون شديد الحضرة مع اشراق ولمان مسائم من طواوة الزوع وغلا غوا حسائه (6).

نهذا اللون المشرق من النور والبياض والحضرة المتداعي من الكناية ﴿ أَقِرَةُ ﴾ يستم إلى تلك الحالة النفسية التي ملوها الهجة والسرور والسعادة بما يليق معها أو تحكنها من النظر إلى وجه لله الكريم: ﴿ إِلَّنْ تَهَا يَقِرُهُ ﴾ أي: 'تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جاله، اعظم نعيم لأهل الجنة روية المولى حجلٌ وهلا _ والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب ⁽⁴⁾، وقال الطبري: قال الحسن البصري: تنظر إلى الحالق، وحق لما أن تنضر وهي تنظر إلى الحالق (⁽⁶⁾، والجناس بين المكمتين ﴿ فَيَرَةٌ و وَقَيْرٌةٌ ﴾ مبعث تأسل عميق حكما ذهب إلى ذلك أحد المدارسين _ (4) في المملة بين معنى النضرة، وما يترتب عليه، والنظر إلى الله وما يترتب عليه، من الاسترواح في جلال لله ورضاه.

⁽¹⁾ سورة الانسان؛ من الآية: 11.

⁽²⁾ سورة الغاشية، الآية: 8.

⁽³⁾ صفرة التفاسم: 3 / 533.

⁽⁴⁾ المبدر نفسه: 3 / 493.

⁽⁵⁾ الكشاف: 4 / 594.

⁽⁶⁾ أثفاظ الثواب في القرآن الكريم، ص 190.

⁽⁷⁾ التمايير القرآئية والبيئة العربية، ص 161.

⁽⁸⁾ صفوة التفاسير: 3 / 486.

⁽⁹⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: 29 / 120.

⁽¹⁰⁾ فتحى احمد عامر، المعاني الثاني في الأسلوب القرآني، ص 458.

اما الكافرون فكما تصووهم الكناية ﴿ يُرِينَ ﴾ فوجوههم: "شديدة الكلوحة والعبوس (لا فهي مقطبة لما ينتظرها من العلماب، وفضاد عن ذلك فهي وجوه صغراء كالحقة كما أوحت الكناية، لأن البسارة لشعرة النخل قبل أن تصير رطباً "لأن أول الثمر طَلْمَ، شم خلال، ثم بَلْمَ، بُسرٌ، شم رطبً، ثم مُدرّ (((الله عليه المنافقة عليه المنافقة عليه المنافقة على المنافقة على المنافقة المنافقة

وتتكرر الكناية ﴿ كِيرَةٌ ﴾ في القرآن بصيغة الفعل الماضي ' بَسَرَ' في سياق يصور الوليد بن المفيرة المخزومي (6) في صورة شديمة الاتكار تشير السخرية من حاله وهـ ويشهم القرآن بالسحر، وشــدة الاتكار مكتسبة من كون هــله الكتابة قد وردت في سياق مشهد من مشاهد القيامة فتلقي ظلالها على هذا السياق الجديد وموحية بمصيرها المحتوم، وذلك في قوله _ تصالى ... ﴿ يَشَرُكُونَ وَهَرْ هَفَتُولُ كُنْ فَتُرْهِ ثُمُ فَوَلَ كِنْكُ كُنْ هُمُ مُشَرَ وَبَسَرٌ وَبَسَرٌ هُمُ تُقَرَ وَلَدَكُمُرٌ هُ فَقَالَ إِنْ مُمَالًا بِشَرِ قِيْرُ هُولَةً وَمُلَا يَقَلُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ قَلْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَالًا مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنِينًا لِللَّهُ مُنَالًا اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ا

صفرة التفاسي: 3 / 483.

⁽²⁾ لسان العرب: 4 / 58 (يسر).

⁽³⁾ الفاظ الثراب في القرآن الكريم، ص 197.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 530.

⁽⁵⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 69.

⁽⁶⁾ ينظر: الإعجاز البيائي للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 461.

 ⁽ه) قد وردت روايات المتعددة بان المعني هنا الوليمد بن المضيرة المخزومي. ينظر: لباب التحول في أسباب النزول، ص 773.

⁽⁷⁾ سورة المدثر، الآيات: 18 ـ25.

﴿ كُنَّ نَذَرَ ﴾ ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيمادة الايحماء بـالتكرار. ولقطـة وهــو ينظــر هكــذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يُوحى بالسخرية منه والاستهزاء. ولقطة وهـــو يقطـب حاجبيــه عابساً، ويقبض ملامح وجهه باسراً، ليستجمع فكره في هيئة مضحكة ! ويعد هذا المخاض كلُّه، وهذا الحزق كلُّه لا يفتح عليه بشيء.. إنما يدبر عن النور ويسكتبر عن الحق * (١) ويقول: ﴿ إِنَّ "人可能是我的原理是一个"

فالكناية رسمت تقطيب وجهمه الكالح، فضلاً عمَّا أرحت به من السحنة الـصفراء الـتي تعلو وجهه وهو يتعجل بوصفه القرآن بالسحر، قال الراغب: 'البسر: الاستعجال بالشيء قبل اوانه.. وقوله هذا ﴿ ثُمَّ عَسَى رَبِّسَ ﴾ أي أظهر العبوس قبل أوانه، وفي غير وقته ⁽²⁾ فهو التقطيب المتكلف المصطنع ليخفي به الحقيقة التي يستشعرها بعدما ضاقت به الجيّـل ولم يــدر مــا يقــول في حقيقة مصدر هذا القرآن.. ولكنه التكبر يصده عن قول الحقيقة، فيواجهه القرآن بالتهديد الحاسم، والسخرية اللاذعة كمال تصورها الكناية: ﴿ ثُمُّ أَتَّكِ وَاسْتُكْبُر ﴾، أي: "أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال " (3) والسخرية تتجلى بالكنابة ﴿ لَتُبْرَ ﴾ إذ فيهما إشارة إلى (استاه) وهو يتولى عن الحق للسخرية منه والاستهزاء، وقد قـلم السياق ادباره على استكبساره ليسوحي أن إدباره عن الحق ونفوره منه كامن في طبيعته التي لا تتطلع إلى سماع الحق أصلاً، فكأنه لم يسمعه فترتب عليه الاستكبار، فضلاً عن أن (الإدبار) حركة حسية مرئية تمهد لصفة عقلية

⁽¹⁾ في ظلال الترآن: 5 / 362 ...363.

⁽²⁾ المقردات، ص 60. وينظر: لسان العرب: 4 / 57 (يسر).

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 519.

^(*) إنَّ اللَّغَة في القرآن الكريم تؤدي دوراً كبيراً في المطباء الموسيقي ذلك أنَّ الموسيقي فيه لا تنبع مـن وزن شعري كالذي عرفناه في تفعيلات الشعر العربي، ولكنِّها نتبع من اللغة نفسها، من التتلاف الأصوات في المفظة الواحدة وفي سياق الألفاظ وتناصقها وتناهمها وأدائها للممنى ودلالته عليه، وق.د بلغت هـذ، الخصيصة في القرآن الساروة في التكاميل والوضوح. "الجرس والايقاع في تعبير القرآن، د. كاصد يامسر حبسين، ص 342 .. 343. وينظسر: فقبه اللغبة العربيسة، د. كامسد يامسر الزيسدي، ص 136. وينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في: البلاضي والتقدي صد المرب، د. ماهر هدلال، ص 288 وما بمدها.

(الاستكبار) تقريراً في نفس التلقي، ثم لا يففل ايقاع السياق للوسيقي الـذي اعتمد الفاصلة حرف الراء يتطلب هذا التقديم لإغناء المعني ^(ه)

ويتيين لنا من عرض أمثلة الكتابة باللون المباشر وغير المباشر أنها كانت غنية بإيجاءاتها، فهي قيمة فنية في تصويرها للمعاني والمشاهد فيما ترسمه من ظلال حول المعنى فترحي بـاكثر من دلالتها الظاهرة.. وهي أكثر ما ترد في مشاهد يوم القيامة بوصفها أسلوباً ذا قـوة تمبيريــة في تجسيد المعانى العقلية والتفسية في حيوية وقوة تأثير وإمتاع.

الفصل الثالث

الكناية النفسية



الفصل الثالث

الكناية النفسية

تتحدد الغاية الأساسية من دراسة الكتابة النفسية في الوقوف على الإشارات الوجدائية والمشاعر النفسية التي تجسدها الكتابة بالتصوير الفني للؤثر.

والتصوير هو الأداة الشائعة في أسلوب القرآن، فهو يعبر: "بالصورة الحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحدوث المحدوث الانساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالمعروة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى اللهبي هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية عسمة مرتبة. أما الحوادث والشاهد، والقصص والمناظر، فيوردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار، فقد استوت لها كل عناصر التخييل (10).

والكتابة القرآنية لا تقف في معانيها ودلالاتها هند التصوير الحسي، وإنما يوحي التصوير فيها بشضاعف دلالي معنسوي ونفسي مؤشر يقرب الأفكسار والمعاني إلى الحس والوجدان فتنفعل لبه النفس انفعالاً من شأته أن مجدث استجابة نفسية معينة في المتلقي.

فالكناية القرآئية تخرج فيها المنزيات والمجردات والانفعالات النفسية باللباس الحسمي اللب الله الله الله النفس المسمي يكون تأثيره في النفس واللهن أحمق من المجردات، وفي ذلك يقول الرازي: ' إلف النفس مع الحسيات أثم من إلفها مع المقليات فإذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتعثيل الحسى فكأنه قد نقلت النفس من الغريب إلى القريب "ف.

" فنقل المعاني في صورة حسية يزيدها قوةً وتأثيراً، وهذا ما نلحظه مع الكتابـة النفسية في القرآن الكريم إذ تظهر بالتصوير الحسي دخائل النفوس، والمشاعر الباطنة، والانفعالات النفسية والحلجات الشعورية في حركات حسية نابضة بالحياة ترصم نموذجاً جماء بشرياً بكـل عواطفـه ومشاعره وانفعالاته المختلفة من نلم وحسرة وغيظ وحقد وحسد، وجحود وإعراض وهزيمـة،

التصوير الفني في القرآن، ص 32.

 ⁽²⁾ نهاية الإنجياز في دراسة الإصحار، ص 108. وينظمر: تفسير التحريم والتنموير: 9/ 268 مالكتاب الثاني مو: 10 / 25.

وخوف وهلع وفزع، واحتقار واستهانة، وفوح ومسرة وطمأنينة تعرض كل هله المعاني النفسية في سياقات غنلفة وأحوال متيايشة في الحياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي الآخرة في بعـض مشاهد يوم القيامة المروعة..

فالكنابة القرآنية أسلوب تصويري من أساليب النصوير الفني يعمل على إثارة الانمالات الوجدائية، وتغذية الحيال بالصور والمعاني والظلال وهو يعرض تلك المشاهد المتنوعة في طريقة لا مجداها بالأسلوب اللهني التجريدي، إذ إنّ الأسلوب اللهني يعرض المعاني والأفكار في طريقة "تخاطب اللهن والوصي، وتصل إليهما مجردة من ظلاما الجديلة، وفي الطريقة التصويرية يخاطب الحمن والوجدان وتصل إلى النفس من منافقة شتى: من الحص عن طريق الحوامي، ومن الوجدان المنصل بالأصداء والأضواء. ويكون اللهن منفقاً واحداً من منافقها الخوامي لا منفقا المقرد الوحية (1).

لذلك سيعنى هـلما الفصل ببيان الأثر النفسي الكامـن في الكنايـة القرآنيـة في سياقاتها وموضوعاتها التي صورتها.

وسنعمد إلى تناول الكنايات القرآنية النفسية كل كناية على انفراد، ومن ثم نحــاول إسراز الآثار النفسية التي انطوت عليها بوصفها أحد الأصاليب الفنية البارزة في القرآن.

عض الأتامل:

وردت هذه الكناية في سياق توبيخ المؤمنين على موالاتهم لمنافقي أهل الكنـاب الـلـين يضمرون الحنق والبغضاء لهـم، كما بجسده النمبير القرآني بالتصوير الكنالس في قوله ــ تمالى ــ: ﴿ مَنَاتُمُ الْوَلَاءُ فَيُؤَيِّمُ وَلاَ يَجْهُرُكُمُ وَقَيْمُونَ فِالْكِنِي كُلِّيهُ وَإِنَّا لَقُولُمُ قَالُوا مَاكُنَا وَإِلَى عَلَمُ ا الْأَنَالِ مِنَ الْفَيْفِ قُلْ مُوفًا يَسْتِطِكُمُ إِنْ اللّٰهُ وَلِيمُ إِلَانِ الشَّكْمِ ﴾ (٥٠

الكنابة: ﴿ عَشُوا طَيْتُكُمُ الآفايل ﴾ تعبير موح موجز يجسد تلك الانفعالات النفسية لهولاء للنافقين بهذه الحركة المادية المنفعلة، وهي عض اطراف الأصابع (الأنامل) إذا خـلا بعضهم إلى

⁽¹⁾ مشاهد القيامة في القرآن، ص 8_9.

⁽²⁾ سورة آل عمران، الآبة: 119.

 ⁽ه) نفسد يالحركة الكتائية، الحركة لللاية المرتبة في التعبير الكتابي سواء أكانت بالبدام بالرأس أم بالعين أم غير ذلك من أصضاء جسم الانسان، وهي كتائية لأنها تتطوي على معنى مكنى عنه هو المتعبود.

بعض، وهو المعنى الظاهر الذي تدل عليه هذه الحركة الكنائية (60)، إلا أن ملا المعنى ليس هـ و المتصود الذاته، وإنما المقصود ما يرتبط بهـ أه الحركة ويلازمهـا من مشاعر وانفعالات هـ ولام المنافين تجاه المؤمنين وهو المعنى المكنى عنه بهله الحركة، قال أبر حيان: "يوصف المغناظ والنادم بعض الأنامل ((1) يوسياق الكناية في الآية يبدل على الحنق والفيظ: في الأواعية المتابع. ﴿ وَقَلُمُ الْأَنْكُمُ الْأَنْكُمُ الْأَنْكُمُ مَا الْفَيْعِينَ وَهُ الله العيظ، فضالاً عن التأسم و والندم ما يُوتِهُم من إيذاء المؤمنين، وشلة الفيظ التي تتابهم حنقاً وحسلاً يعمقه التعبير ﴿ وَقَلُ مُوتُواً يَوْتُوكُمُ ﴾ لان فعل الأمر ﴿ مُوقًا ﴾ هو بحاز في دلالته يراد منه الدعاء وهو موتهم بغيظهم. قال الزخشري: " دعاء عليهم بأن يزداد فيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الفيظ زيادة ما يفيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهـم في ذلك من الذل والحزي والنبـار ((2) وهذا إنجاء بشلة الغيظ الذي يعتمل في نفوسهم فيسلمهم إلى الهلاك والموت، وفي هذا تطبيب انفوس المؤمنين وبعث الرجاء فيها والاستبشار بوعد الله أن يهلك المنافقون غيظاً بإعزاز الاسلام وإذلاهم به (0).

وإذا كان الله هيكشف غيظهم وحقدهم وحسدهم بتلك الكتابة الحركية فهي ظاهرة لعين المونين، فإن الكتابة التي انتهت بها الآيد: ﴿ يُلَانِ النَّهِنَّ فِي حَسَى مكشوفة أنه هي تتلك. وذات الصدور كتابة عن الأسرار الحقية المصاحبة للصدور اللازمة لها لا تبارحها. وهي كتابة تتكرر في مواضع أخرى من القرآن (٥٠٠ وهي هنا تشير إلى معان تتناسب مع السياق فيكشفها في النور يطلع عليها المؤونون. جاء في تفسيرها: فهو يعلم ما تضم صدوركم من شعور الفيظ والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يبديه بعضكم لبغض من ذلك. ويعلم كذلك كما تنظوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حباً الخير والنصح لكم (۵۰).

البحر الحيط: 3/ 41. وينظر: الكشاف: 1 / 459.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 459.

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 1 / 459.

ينظر: صدور آل مصران، الأيسة: 154، والماقسق، الآيسة: 7، والأنسال، الأيسة 43 وصود، الآيسة: 50 والمسان، الآيسة: 24، والمسان، الآيسة: 77، والسشورى، الآيسة: 24، والمؤسف، الآيسة: 77، والسشورى، الآيسة: 24، والمؤسف، الآيسة: 38.

⁽⁴⁾ تفسير المنار: 4 / 91.

وبللك تصور هذه الكتابة، فضلاً عن كتابة (عض الأنامل) مشاعرهم الباطنة، وانفعالاتهم الظاهرة بتلك الحركة المنفعلة فتزيدهم ألمأ وغيظاً، وهـى تتكـشف في النــور يطلــع عليها عباد الله المؤمنون فيزدادوا استبشاراً بوعد الله باعزازهم واهلاك أعدائهم غيظاً وذلاً.

عَشَ البليث:

ترد هذه الكتابة في مشهد من مشاهد يوم القيامـة في قولـه ــتعالى ـــــ ﴿ ٱلْمُثَلُّ يَوْيَهِـ لِالْمَقُ الرَّمْنِيُّ وَكَانَ يُومًا مَلَ الكَيْدِينَ عَسِيرًا ﴿ وَيِّومَ يَعَشُّ الطَّالِمُ مَلَ يَدَيْدِ يَكُولُ يَدَيْنَنِي الْضَدَّتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيلا ﴿ يَمَانُهُ لِنَنْ لَرُ أَفِّيدُ الْآنَاعَلِيلًا ﴾ (١٠

الصورة الكنائية: ﴿ يَعَشُّ الطَّالِمُ كُلِّ يَكَيِّهِ ﴾ تكشف عن الحالة النفسية المنفعلة للكافر الظالم في يوم القيامة حتى يعاين عذابه ومصيره. وبين معنى هذه الكناية الذي تدل عليه ظاهرياً في حركتها المنفعلة (عض اليدين)، وبين المعنى المكنى عنه المراد وهو ندم الظالم وتحسره علاقة تلازم وارتباط. قال الزخشري: "عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليدكنايات عن الغيظ والحسرة، الأنها من روادنها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفيصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان مالا يجده عند لفظ المكني عنه °(±).

والكناية في سياقها الذي وردت فيه أنسب وأدق في تصوير الحالة النفسية التي فيها الظالم في موقفه العسير من أي كناية أخرى مما ذكره الزخمشري كصض الأناسل مثلاً التي تشترك في إيحاتها عن الندم في حركتها وصورتها مع كناية (عضّ اليدين)، وذلك لأن موقف الظالم هنـــا في مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهـو موقف مروّع عصيب يعاين فيه الظالم عقابمه ويستيقن بما كذب من قبل.. فالتعير صن حالت النفسية وتجسيدها بكناية صض اليدين توحى بذلك الانفعال الشديد المضطرب وهدا يناسبه الحركة الغليظة المصورة للمعنى النفسي القصود، فهو لا تكفيه بد واحدة يعض عليها، إنما هو بداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم المتعلل في عضه على البدين فتكون رمزاً مناسباً لحالته النفسية فتجسمها تجسيماً (3) وهو معنى يتعمّى بأسلوب التمني الذي بصاحبه: ﴿ يَنَكِتُنِي أَغْمَلْتُ مَمَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إذ نحس اللهفة المكروبة في هـ أا التمني وكيف تتعلق نفس الظالم بما فات، وكيف هيأ لهـ أنه الـصرحة الملتهبة بهـ أنا الـصوت

سورة الفرقان، الآيات: 26_28.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 218.

⁽³⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 6 / 156.

المنبه بقوله (يا) وهي دعوة البيد الذي لا يتحقق فيصبح حلماً يتمناه. ثم تتصاعد هذه الصرخة في حدتها وألمها بقوله: ﴿ يَتَوَتَّكُونَ كَنَوْ أَنَّقِلْمَا فَكَرْكَا عَلِيلَا ﴾ وذلك لأن الندم هناك على آنه لم يتخذ سبيل اللين آمنوا مساراً له، والنام هنا على آنه اتخذ سبيل للضاين، وهو ليس وفضاً لسبيل اللين آمنوا فنصب وإغاهو فوق ذلك معائدة له وذهاب في الوجه للقابل (له وقوله ﴿ يَتَوَاتَكُى ﴾ ينادي فيه ويلته يعني هلكته كما قال الزهشري يقول لها تعلل فهذا أوانك (لله وفلان كتابة عن كل من أطبع بمصعية وارضي بإسخاط الله (لا) وقال الزهشري: فكل من اتخذ من للضلين خليلاً كمان خليله اسم علم لا خالة، فجعله كتابة عنه (له) فهي تشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله.

وبذلك يتجلى من خلال هـذا المشهد الترآني فضلاً عن الكتابية عض البدين صورة نفسية بالغة التأثير تجسدها الانفعالات الظاهرة بحركاتها المضطربة الصادرة من الظالم في ذلك الم قف العصيب.

ويلحظ على هـذا المشهد، مشهد الظالم يعض على يديه من النسدم التطويل في عرضمه حتى يخيّل للسامع أنه لن ينتهي، وذلك زيادةً في عذاب الظالم ندماً وتحسراً من جهـة، ولزيـادة تأثير المشهد في المتلقى (⁶⁰ من جهة أخرى.

تقليب الكفّين؛

وردت هذه الكنابة في سياق قصة الرجلين، جعل الله لأحدهما جنتين فتكبر على الأخر واغتر بما عنده من الحير والنصيم ولم يـومن بربـه الـلـي وهبـه هـذه النمــة، فدحــ الله جنتيـه، وصحف بزروعهــا وثمارهـــا، فاصبحت أنــراً بعــن صـين، وذلــك في قولــه ـــ تعــال ـــ: ﴿ وَنَّهِمَدُ يَمْرِيهِ فَأَسْبَتَ يُثِيْرُهُ كُنْيُو مِنْ مَالْفَتَنَ فِهَا وَهِي خَلِيهٌ مَنْ مُرْفِضًا وَقُولًا يَكِتَنِي ثَرُ المَّرِيَّ لَمَنَا صَيْعِيمُهُ ﴾ (40.

⁽¹⁾ ينظر: دلالات التراكيب، د. محمد أبو موسى، ص 209.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 3 / 218.

⁽³⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 262.

⁽⁴⁾ الكشاف: 3 / 218.

⁽⁵⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 99.

⁽⁶⁾ سورة الكهف، الآية: 42.

الصورة الكتابة: ﴿ قَاسَمَ قِيْلُهُ كَلَيْهِ ﴾ منبقة في معناها عن الاستعارة الكنية ﴿ وَلَهِطُ يَسْمِهِ ﴾ ومتعلة بها، لأنها تجسيد بالحركة المحالة النفسية الماثرة بتلمير الجنين الذي صورته الاستعارة بقوتها التعبيرية، فقد استعار الاحاطة واصله من أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به من قد ملكه واستولى عليه ' أنه ثم حلدة المستعار منه (العدو) وأبقي شيئاً من لوازمه وهي الاحاطة على مبيل الاستعارة وفي ذلك تعميق لمني تدمير الجنين لأنها احاطة تعلى شرها وهو أنفس ما يكون في المجاونة، ثم يتصاعد مشهد الملوت في المجتورة وكونكونية في تأثير بالكتابة ﴿ وَمَن كَلِيهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله الله المستعارة وفي المناه والموت. وصاحبها يقلب كفيه ظهراً لبطن إشارة لذلك الاحساس النفسي الذي انتابه بعد البطر والاستكبار وهو النام والتحسر على ضباع ما أنفقه فيها من مال وجهد، فعبر باللازم وهو تقليب الكفين أصبح عنواناً ورمزاً لمذا المناه الكفين أصبح عنواناً ورمزاً لمذا المناه المناه المناه في حركتها المني وحد حضوره، وكان تقليهما أموى مناه المناه والتحسر على شباء أي غاب الشيء بعد حضوره، وكان تقليهما والمناد مناه فضلاً عن النام والتحسر عليه. كما تكشف علم المصورة الكتائية من الجانب المناه المعرورة الكتائية من الجانب المناه المناه فالمناغ في شخصية منا طرور النجاح إلى الشقاء والافلاس والفسمة ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الكشاف: 2 / 565. وينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص 125.

⁽ه) تتكسر هسله الكتابـة في موضدهين آخــوين في القسراَن، ينظــو: مســورة البقــوة، الأيــة: 259. ومســورة الخيج، الآية: 345.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 2 / 193.

⁽³⁾ ينظر: القرآن والصورة البيانية، ص 169. وينظر: القرآن اعجازه ويلافته، ص 220.

 ⁽⁴⁾ ينظر: السموير الفيني في القرآن، ص 47. وينظر: البني والسدادالات في القصص القرآني،
 ص 252.

السقوط في اليد:

﴿ سُوَّطَ فِتَ آيِلِيقِم ﴾ صورة كنائية حركية تشير إلى شدة الندم والحسرة على عبادتهم المعجل. قال الزغشري: ﴿ وَيَاسُقِطَ فِت آيَدِيهِم ﴾ ولما اشتد نندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده ضاً، فتصير ينده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها. و ﴿ سُوَّطً ﴾ مسئد إلى ﴿ وَت آيَدِيهِم ﴾ وهو باب من الكتابة " (ث) أي نندموا أشدً الندم فسقوط الأبدي لازم له، فعير باللازم وأراد الملزوم.

فالكناية تصوير لتلك ألحالة النفسية الناحة المتحسرة، يفرجها في صورة تصلاها المين ويتأثر بها الحس، وكأن الندم يسقط في أيديهم انمكاساً للنفس المتلتة منه، وهذه الكناية وإن كانت تشترك مع غيرها من الكنايات التصويرية التي تشير إلى الندم والتحسر، إلا أن فيها إيجاء لطيفاً يناسب سياقها، لا تعبر عنه كناية أخرى. فالسياق سياق عبادة العجل والاشواك به، ومادة الكناية فر شكلاً كه توحي بمناها الأصلي، وهو السقوط من أعلى إلى أسفل، جاء في أساس البلاغة: منقط من الجلي، وسقط الشيئ من يده. وهذا مسقط السوط. وهذه مساقط الغيث ومواقعه (لا) فالكناية وإن كانت تحيي في دلالتها الرئيسة السقوط النفسي المتعشل في الندم والتحس والذي يتجسد في صورة حسية إلا أن فيها إيجاء السقوط الاغهم المزعوم (العجل) من أعلى إلى أسفل في نفوسهم وفي واقعهم، وفي ذلك تنجلى السخرية منهم ومن إلههم المذي لا

وبذلك فإن الكناية تؤدي المعنى المُراد خير أداء في موضعها الذي تشكلت فيـه وتــوحي بمعان إضافية مع السياق والهدف الذي يقصد إليه القرآن.

⁽¹⁾ سورة الأعراف، الأيتان: 148-149.

 ⁽²⁾ الكشاف: 2 / 126. وينظر: القسرآن إمجازه وبلاغته، ص 200 _ 221. وينظر: المجرزة الكبرى الفرآن، عمد أبو زهرة، ص 241.

⁽³⁾ ص 213 ﴿ شَوْمًا ﴾ .



ردُ الأيدي في الأقواد:

رَرَدْتُ مِنْهُ الكنابِة فِي قولِه _ تعالى: ﴿ أَنْدِيَاتُهُمْ مَثَوَّا الَّذِيكَ مِنْ مَبْلِكُمْ مَوْر فَيْعِ وَعَادٍ وَتَمُودُ وَالَّذِيكِ مِنْ مَدِهِمْ لَا مِتَكَمَّمُ إِلَّا اللهُ جَمَّتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيْنَتِ مَرَدُّزاً لَلْيَنِهُمْ فِي أَوْمِهِمْ رَقَالِزًا إِنَّا كَذِيا بِمَا أَرْسِلْتُمْ بِهِدَ وَإِنَّا لَنِي شَلَقِ مِتَا تَشْمُونَا إِلَيْهِ

الكتابة المسوّرة للمعنى في حركتها المادية الغليظة ﴿ فَرَدُّوا أَيَّدِيَهُمْ فِي أَفْرَهِهِمْ ﴾ فيها معان وإيجاءات متعددة. ومن هذه المعماني ما يمورده الزنخشري في تفسير: ﴿ فَرَدُّوا لَلِّيهُمُّ فِي أَفْرُهُهُمْ ﴾ نمضوها غيظاً وضجراً عَا جاءت به الرسل، كقوله: ﴿ إِنَّا كَثَرْنَا بِمَا أَرْسِلْتُمْ بِيدٍ ﴾ (40 او ضحكاً واستهزاءً كمن غلبه الضحك فوضع ينه على فيه، أو أشاروا بأينديهم إلى السنتهم وما نطقت به من قولهم: چغة مدچ أي هـ لما جوابنا لكم ليس عندنا غيره، اقناطأ لهم من التصديق أو وضعوها على أقواههم يسكتونهم ولا يلرونهم يتكلمون، وقيل: الأيدي، جمع يـد وهي النعمة بمعنى الأيادي، أي: ردّوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم، لأنهم إذا كذَّبوها ولم يقبلوها، فكأنهم ردُّوها في الواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل (3). وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد يهذه الكناية كما يقول الشريف الرضى: "أن الكفار كانوا إذا بدأ عليهم الرسل بالكلام سمدوا بأيديهم أسماعهم دفعةً، وأفواههم دفعة، إظهاراً منهم لقلة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم، ليدلُّوهم جهذا الفعل حلى أنهم لا يصغون لهم إلى مقال، ولا يجيبونهم عـن سـوال، إذ قد أبهموا طريق السماع والجواب، وهما الآذان والأفواه " (4). وقال بعض الحدثين 'ردّوا أيديهم في أفواههم كما يقعل من يريد تمويج الصوت ليسمع عن بُعد، بتحريبك كفيه أمام فمه وهمو يرفع صوته ذهاباً وإياباً فيتموج الصوت ويُسمع. يرسم السياق هذه الحركة التي تدل على جهرهم بالتكذيب والشك وافحاشهم في هذا الجهر، وإتيانهم بهذه الحركة الغليظة التي لا أدب فيهما ولا ذوق، إمعاناً منهم في الجهر بالكفر " (^{3).}

⁽¹⁾ سورة ايراهيم، الآية: 9.

⁽²⁾ سورة آل عمران، من الآية: 119.

⁽³⁾ الكشاف: 2 / 422. وينظر: القردات، ص 280.

⁽⁴⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 182.

⁽⁵⁾ في ظلال القرآن: 5 / 141.

وكل هذه المعاني تُوحي بها الكناية وتتجمع فيها لتشير إلى إمعان هولاء بالتكذيب والكفر وإصرارهم وتصميمهم على مجابهة رسل ألله مصلوات الله وسلامه عليهم على مجابهة رسل ألله مصلوات الله وسلامه عليهم على الكفر والتكليب تُوحي به الكناية تتصوره على أثمه سلوك منهم دائم متكرر لأنه حركة كنائية متكررة، فالفعل (ردّد) الذي يُنيت عليه يُوحي بهذا التكرار، جاء في أساس البلاغة: "ردد القول: كرّره، ولا خير في القول المردد. وراده القول راجعه إياه وقال الراغب في هذا الكناية: "واستعمال الرد في ذلك تنبيها أنهم فعلوا ذلك مرة بعد أخرى "(أ) فيتممق بتكوار هذا الفعل الكنائي ويتأكد المنى المكنى عنه الذي يصمهم بالتكذيب والجهر بالكفر وإصرارهم عليه، فنفوسهم غليظة كافرة يناسبها التصوير بتلك

جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب:

الكتابة الأولى: ﴿ جَمَلًا أَسْيَحُمُ فِي مَكَايَمٍ ﴾ تدبير موح يجسد حالة نفسية لقوم نوح 88 بهده الحوكة المادية وهي سد آذانهم بأصابعهم كيلا يسمعوا رسوفسم وسا يدعوهم إليه من الهدى والنور والمففرة. وهذا هو المعنى الظاهر الذي تدل عليه هذه الحركة الكتابية البغيضة التي بسوء أدبهم وتصرفهم مع نبي الله واستهزائهسم به. إلا أن هذا المعنى ليس هو المراد فحسب،وإنما المراد المعنى المكتى عنه الذي يرتبط بهذه الحركة ويلازمها وهو الحالة النفسية تتمثل في تصميمهم على الإعراض وعدم للاستماع والدهدة في الاصحاع والشدة في الاستماع والشدة في مكابرتهم، ثوحي به بنية الكتابة، فهو لم يقرار (يجعلون أناملهم في آذانهم) كما يقتضي التعبير في

⁽¹⁾ ص 159. (ردد).

⁽²⁾ القردات؛ ص. 280.

⁽³⁾ سورة نـو-، الآيـة: 7. وينظـر: صورة البقـرة، الآيـة: 19. حيـث تتكـرر كتابـة (جمـل الأصـابع في الأذاذ). وينظـ: سورة هود، الآية: 5. حيـت تكرر كتابة (استغفاء النياب).



الظاهر، أأن الأنامل (أطراف الأصابع) هي التي تُجعل في الأذان وليس الأصابع كلها، قال الزغشرى: 'فهلا قيل اناملهم. قلت: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها وأيضاً ففي ذكر الأصابع من ذكر المبالغة ما ليس في ذكر الأناسل (١)، وهذه المبالغة تتمثل في الضغط الشديد بالأصابع على الآذان فتُوحى بـذلك الإعراض الـشديد وصـدودهم وبغـضهم للدعرة وكراهتهم لها. وهم إذ قد عطَّلوا سمعهم، فإنهم يعمدون إلى تغطية أنفسهم بثيابهم حتى لا يروا الداعي، فضلاً عن عدم سماعه إمعاناً في الإعراض والإستكبار، كما تصور ذلك الكناية الثانية ﴿ وَأَسْتَغَشُوا ثِيابَهُمْ ﴾ ' قال الزهشري: ﴿ وَآسَتَغَشَّوا ثِيابَهُمْ ﴾ وتغطّوا بها، كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلاً يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله ^{• (2)} فهم كارهون للداعي والدعوة سواء، وهم لم يكتفوا بتعطيل أسماعهم، فإنهم قد عطَّلوا ابصارهم كما أوحت الكناية،ليس إبصارهم النبي نوح ١١٨ ورؤيتهم في أثناء دعوتهم لهم فحسب، وإنما الكناية رامزة ودالة على تعطيل أبصارهم في المعنى الشامل للداعي والدعوة والتفكر فيما يدعوهم إليه، فهم بمنزلة من منم بصره بوصفه وسيلة للادراك والمعرفة. ويذلك تتضافر الكنايتان في التعبير فتصورهم مسلوبي ومسائل الإدراك (السمم والبصر) الهاديــة إلى الـتفكير والإيمان، قال أبو حيان: "ذلك كناية عن المبالغة في إعراضهم عمّا دعاهم إليه، فهم بمنزلة من منذ سمعه، ومنع بصره (° ﴿ وَأَشَرُّوا وَاسْتَكَيْرُوا أَسْتِكَيْرُا ﴾ أي واستمروا على الكفر والطغيبان، واستكبروا عن الإيمان استكباراً عظيماً، وفيه إشارة إلى فرط عنادهم، وغلوهم في الضلال (4).

وإعراض قوم نوح هيد وصدودهم الذي صوّرته الكنايتان بقوتهما التعيرية في التصوير الموحي يتممق بالاستهارة: ﴿ وَآسَرُها ﴾ ' إذ إن الإصرار على المذب من إصرار الحمار على المائة كما قال الزخشري (٤) فقال في تفسير قوله ﴿ وَآسَرُها ﴾ : الإصرار: من أصر الحمار على على العائة إذا صرّ أذنيه وأثبل على الماضي والاكباب

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 217.

⁽²⁾ نفيه: 4 / 493.

⁽³⁾ البحر الحيط: 8 / 338.

⁽⁴⁾ ينظر: الكشاف: 4/ 493.

⁽⁵⁾ أساس البلاغة، ص 252 (صور).

عليها "(١)" والاستعارة موحية بأن قوم نــوح ١٩٨٩ كالحمير لأنهم عطَّلوا وســاثل المعرف، ويقــوى هذا أنَّ الله على شبِّه أهل النار من الجن والإنس اللَّين عطَّلوا وسائل للعرفة، القلب والدين والأذن، فضلوا وظلموا بالأنعام، فقال: ﴿ ... أَوْلَيْكَ كَالْأَشْهِرِ بَلْ هُمْ أَصَلُّ أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلنَوْلُونَ ﴾ (4.

فدلالة الاستعارة تُوحى بأن قوم نوح أشبه بالحمير الذين يركضون وراء الأنثى لطرقهما، فاكبابهم على المعاصى كإكباب الحمار على العانة ^{(3).}

وإزاء حال قوم نوح بوصفهم الذي صوّره التصوير الكنائي والاستعاري، فإنَّ الكنايتين فيهما إيحاه يلمح من طرف خفي، هـ و تصميم النبي نوح على ربجاهدته في تبليغه الـدعوة لقومــه في كل فرصة سالحة ووقت،ليوصلها إلى أسماعهم ويواجههم مواجهة تقع عليــه أنظــارهـم رغــم إصرارهم الذائم واستكبارهم الثابت.

التينا وراء الظهورة

وردت هذه الكناية في موطنين من القرآن مختصة بشأن اليهود مصورة لحقيقتهم في اهمالهم البلاغ المبين وطرحه وراء ظهورهم، كما نقرأ من قولـه _ تعـالي ــ: ﴿ وَإِذْ أَخَذُ اللَّهُ مِيكُنَّى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ لَيْهَ لُتُكَ لِنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَهَدُوهُ وَذَاتَهُ طُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِدِ ثَنْكَ قِلِيلاً فَيْقَسَ مَا يَشْتُونَ ﴾ (4).

التعبير ﴿ فَنَسَدُوهُ وَرُأَةً ظُهُورِهِمْ ﴾ يصورهم بحال من يطرح الشيء وراء ظهره، وهـذا التعبير في حقيقته قائم في بنيته على الاستعارة(النبـــل) وعلى الكنايــة ﴿ وَرَأَتُهُ طُهُورِهِمْ ﴾ فقــد تواشجت الاستعارة والكناية في أداء الدلالة التي يهدف إليها القرآن في حركة مصورة. قال الشريف الرضى: " والمراد: أنهم غفلوا عن ذكره، وتشاغلوا عن فهمه، يعني الكتاب المنزل عليهم، فكان كالشيء المُلقى خلف ظهر الانسان، لا يراه فيذكره، ولا يلتفت إليه فينظره ° (5). والطرح والترك للشيء ليس فيه معنى (النبذ)، لأنه لا ينبسذ إلاَّ السيء الحقير التاف الذي لا

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 493.

⁽²⁾ سررة الأصاف، من الآبة: 179.

⁽³⁾ البُني والدلالات في لغة القصص القرآني، ص 263.

⁽⁴⁾ سورة آل عمران، الآية: 187. وينظر: سورة البقرة، الآية: 101.

⁽⁵⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 126.

يُبالى به (أ) قالنبذ يدل على احتقارهم وسخريتهم وغفلتهم المتعمَّدة التي فيها استغناء وكراهية

فالاستعارة (النيذ) التي عدل إليها القرآن بدلاً من (الترك أو الطرح) مثلاً ، همي استعارة تصريحية نيها تشبيه من يترك أو يطرح كتاب الله وراء ظهره احتقاراً له واستهانةً بمـن مُعــه شــيء فنيله وراه ظهره، فاستُعمر المشبه به (المستعار منه) وحلف المشبه (المستعار لـه) على سبيل الاستعارة التصريحية.

فالاستعارة التي أخرجت المعني في حركة تصويرية، موحية للنفس أشد الإبحاء بمغض اليهود وكرههم لكتاب الله، ويتصاعد هذا الإيجاء ويتعمق بالكنايـة ﴿ وَرَأَةَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، قـال الزنخشري: "وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناءُ عنه وقلَّة التفات إليه (2) وتقول العرب: "جعل هذا الأمر وراء ظهره أي تـولى عنـه معرضـاً لأن مـا يمعل وراء الظهر لا ينظر إليه، فهو كناية عن الإعراض عن التوراة بالكلية "(ا).

فالكنابة تمثيل حسى للإعراض لأن من أعرض عن شيء تجاوزه فخلفه وراء ظهـره، وفي إضافة الوراء إلى الظهر تأكيد لبعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك، فالظهر تأكيد لمعنى وراء كقول القافل: من وراء وراء (٩٠٠ وهـ لما التصوير الكنائي يدع الحيال يتملى هـ له الحالمة الزريمة الموحية محماقتهم وفلظتهم ويشاعة تـصوفهم، فـضلاً صن جحودهم لكتـاب الله وحجبه صن الناس.

والكنابة فضلاً من الاستعارة تنمّى إحساساً نفسياً في المتلقى وانفعالاً بغيضاً ينتاب شعوره ووجدانه تجاه اليهود، لأن الدلالة الإيجائية النفسية فيهما ترتبط بكتاب الله وهم يُنبل وراء الظهور، ويعمق هذا الاحساس الاستعارة التصريحية ﴿ وَأَشْتَرَقا بِهِ ثَمَّنَّا قَلِيلًا ﴾ التي انتهمت بها الآية. بالاستعارة ﴿ وَأَشْغَرًا ﴾ بدلاً من (استبدلوا) تُوحى بأن هؤلاء اليهود لا يكتفون بنبـ أ كتاب الله وراء ظهورهم سخريةً واحتقاراً، وإنما لا يتورصون كذلك على عقد الصفقات التجارية بآيات الله عن عمد وقصد وتبجع على الله والناس لينالوا (الثمن القليل) طغياناً منهم

⁽¹⁾ ينظر: الفروق اللغوية، ص 245. وينظر: أساس البلاغة، ص 443 (نبذ).

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 300، 486.

⁽³⁾ صفوة التقاسي: 1 / 84.

⁽⁴⁾ ينظر: تفسير التحرير والتثوير: 1 /626 الكتاب الثائي ...



وكفراً وزيادةً في السخرية وإمعاناً في الاعتداء،فضلاً عن أن التعبير القرآني يُـوحي بـأن هـولاء الههود يرون في كتابهم شيئاً لا قيمة له في حياتهم فيستفنون عنه بالبيع وباقل ثمن، ولا ريب أن هذه الأفعال تثير احاسيس وانفصالات في النفس المؤمنة، فهم ينبذون العهود في كـل مـوة، وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ويشترون به ثمناً قليلاً فبُس ما يفعلون وبُس ما يشترون.

الانقلاب على الأعقاب:

وردت هما.ه الكناية في سياق يُوحي بالتغليظ على المؤمنين فيما كمان منهم من الفرار والانسصراف عمن رمسول الله # من أرض المعركة في أحُمه، وذلمك في قوله _ تعمال حـ: ﴿ وَمَا تُسَكِّدُ إِلَّا رَصُولٌ فَا خَلَتَ مِن قَبِلِهِ الرَّمُلُّ أَلْمَانِينَ مَاتَ أَوْ مُتِّدِلُ القَلْبَعُ مِنْ مَنْ المَعْلِمُ مَنَى يَعْلِبُ عَلَىٰ مَنْ المَعْلِمُ وَمَنْ يَعْلِبُ عَلَىٰ مَنْ يَعْلِبُ عَلَىٰ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اله

الكتابة التصويرية: ﴿ لَنَقَلَتُمْ عَلَى الْمَعْكُمُ ﴾ تصور المدنى النفسي في صورة حسية موثرة في النفس، وهي تتملى هـ لما الشهد الحسي المنظور المتمثل في هـ لمه الحركة العنيفة السريعة في الموكة والمنعى القريب للكتابة هو: الانصراف عن رصول ﴿ والانكشاف عنه في الموكة (أن ال الراغب: قلب الشرب، وقلب الانسان، أي صرفه عن طريقته. والانقلاب: الانصراف (أن إلا أن الكتابة تدعنا نتخيل حركة عنيفة تتمثل في الانقلاب على الأعقاب في حركة نصف دائرية بهنا وشما لأ تشمير إلى المعنى المكنى عنه بحيوية وقوة تأثير: وهـ الحركة النفسية العنيفة في ارض الموكة التي اتنابت نفـوس المؤمنين وقلوبهم فزاراتها خوفاً وهلماً فانقلبوا منهزمين، ويتبدى جمال الكتابة فياً في اتساقها بحركتها العنيفة الغليظة المصورة المهورة المفرية النفسية مع جو معركة أحد الذي جاءت فيه والمني ونفوسهم.

والكتاية ذات بعد شامل في معناها يتجاوز الهزيمة في أرض المعركة إلى معنى الارتداد صن الدين. جاء في التفسير: ﴿ لَشَقِلَتُمْ عَلَى الْمَسْكِمُ ﴾ من قبيل المثل تضرب لمن رجع عن الشيء بعد الاقبال عليه والأحسن أن تكون عامة تشمل الارتداد عن الدين الذي جاهر بالدعوة إليه بعض

⁽¹⁾ سورة آل عمران، الآية: 144. وينظر: سورة البقرة، الآية: 143.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 1 / 468. والفردات، ص 620.

⁽³⁾ المردات، ص 620.

المنافقين، والارتداد عن العمل كالجهاد ومكافحة الأعداء وتأييد الحق ((1) ويتأكد هدا، البُعد الشامل للكناية حين أحس عدد من المسلمين في معركة أحد أنَّ لا جدوى من قدال المشركين، حين هتف الهاتف: أنَّ عمداً قد قُتِلَ، وظنّوا أن يموته نهاية أمر هذا الدين، ونهاية أمر الجهاد للمشركين. وهذا الهاتف، وما أطلق من أراجيف في أرض المركة كانت من قول المنافقين. وأرتباب المؤمنين وحركتهم النفسية تجسمها الكناية، فتصورها حركة أرتداد على الأعقاب، كارتدادهم في العركة على الأعقاب،

تنكيس الرؤوس:

تأتي هذه الكتابة في موضعين، أحدهما في مشهد من مشاهـد يـوم القيامـة وصــفاً لحـال المجرمين وهم ناكسو رؤوسهم عند ربهـمـهاتاني قولـه ــ تسالى ...﴿ وَلَوْ تَرَبِيّ إِذَ النَّجْدِيْرِي كَاكِشُواً ذَّمُوسِهُمْ عِنْدُ رَقِهِـدُ رَبِّنَا أَشَرَقُ وَسَيْمِتَا قَالُوسِتَنَا فَشَعْلَ مَبْلِكًا إِنَّا مُهْتَثِيك ﴾ (4)

المصورة الكنائية الحركة ﴿ تَأْيَسُوا تُعُوسِم ﴾ ينطوي غنها معان وإيماءات فهي تشير إلى حزي الجرمين واعترافهم بالخطينة والإقرار بالحق الذي بحصدو، في حياتهم الدنيا (الله هي تحسيد للحالة النفسية المصبية في موقفهم هذا، وهي دالة على الذل والانكسار، والندم والحبيل عُما أجوموا، فيطلبون المودة إلى الأرض لإصلاح ما فات في الحياة الأولى وقد فات الأوان، وهمذا الموقف النفسي للمجرمين يعظمه المشهد ويعمقه بحدف جواب (لو)، وذلك ليترك خيال المتلقي أن يتصوره، ولتذهب فيه نفسه كل مذهب في تقديره، قال الزخشري: "لو الامتناعية قد حدف جوابها، وهو: لرأيت أمراً نظيماً. أن: لرأيت أسوا حال ترى " (الأ) فحدفه الملخ من ذكره في وصف حال الجرمين في هذا الموقف العظيم عند ويهم، لأن في ذكر الجواب تضييقاً له وتحديداً، فهو موقف مروع حصيب على الجرمين الذين كانت رؤوسهم شاخة في الدنيا لا تسمع قول الحق ولا تبصر طريق الهذي، فهاهم منكسة رؤوسهم ذلاً وانكساراً، وهم الأن فقع له يسمعون

⁽¹⁾ النار: 4/ 161.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 2 / 94. وينظر: الكشاف: 1 / 468.

⁽³⁾ مسورة السنجلة، الآية 12. وينظر المؤضع الآخرز: مسورة النساء، الآية 65 في سياق فنصة مسيدة ابراهيم 20% مع قومه.

⁽⁴⁾ ينظر: في ظلال الفرآن: 6 / 516.

⁽⁵⁾ الكشائي: 3 / 403.



ويبصرون في موقف العذاب والحزي والهوان، والآن يدعون ويستغيثون .. حين لا ينضع الـدعاء ولا تنجى الاستغاثة ﴿ رَبُّنَا أَبْصَرْياً وَسَمِعْنَا فَالْبِعْنَا ... ﴾ أي: 'أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنّا عمياً وصمّاً فأبصرنا وسمعنا ﴿ فَالرَّحِقْنَا ﴾ إلى الدنيا "(١).

فهم كانوا عمياً وصماً في الحياة الدنيا كما يشهدون على أنفسهم، فيشمخون برؤومسهم ويتكبرون، لأنهم عطَّلوا وسائل المعرفة النَّالة إلى الحق والنَّـور والحُـدي، فمالوا برؤوسهم عن الحق تكبراً وخيلاء، فجاءت الصورة الكنائية لتبصور تلك الرؤوس مطاطأة خاضعة مطرقة ولتدل على جزائهم من جنس عملهم.

ويقدم لنا القرآن نمطأ من هؤلاء بالمادة الكنائية نفسها، تصور موقفهم في الحياة الدنيا من الإيمان والهدى بعد لزوم الحجة والبيان في قصة سيننا ابراهيم ١٩٩٩ مم قومه بعد تكسيره الأصنام، فجادلوه بالباطل ليدحضوا به الحق، وذلك في قولـه .. تعـالي ــــ ﴿ قَالُوا مَالَتَ مَمَلَتَ هَلَا كَالْتِنَا يَتَازَهِمُ ﴿ قَالَ بَلْ فَكُدُ كَيْمُهُمْ هَلَا تَسْتَلُوهُمْ إِن كَاثُواْ يَعِلَمُونَ ﴿ فَرَيْمُمُ الَّة لَتَشِيهِ مَنْ الْوَالِدُكُمْ أَنْكُ الظَّالِمُونَ ﴿ مُنْ أَنْكُمُوا مَلَ رُمُوسِهِ لَقَدْ عِلْتَ مَا كَثْوَلَهِ يَنطِعُونَ ﴾ في

فالكناية ﴿ أَكِكُمُواْ هَكُنْ مُعْوِمِهِمْ ﴾ صورة حركية عنيفة، إذ الانقلاب على الرؤوس، قال الزخشري: "نكسته: قلبته فجعلت أسفلاه أصلاه. وانتكس: انقلب "(3) قهم قد قلبوا على رؤوسهم حقيقةً عمّا بهتهم به ابراهيم على فما أحاروا جواباً إلا ما هـ و حجة عليهم (4)، فتشير هذه الحركة إلى ما أنتاب نفوسهم من خجل وانكسار عند لزوم الحجة،فالحركـة الكنائيـة تبصوير لانتكاسهم النفسي بعد أن أذعنوا، استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الـصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا هن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم على مجادلين عنه، حين نفوا عن أصنامهم القدرة على النطق "(3). واستقامتهم حين رجعوا إلى أنفسهم تصوره الآية: ﴿ فَرَبَّعُمُّوا إِلَّتَ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِلَّكُمُّ أَشُدُ الظَّالِمُونَ ﴾ فهم يشهدون على أتفسهم بالظلم بعبادة هذه الأصنام، وهي رجعة إلى الفطرة والاستقامة فيلحقهم

⁽¹⁾ تاسه: 3 / 403.

⁽²⁾ سورة الأنساء، الأبات: 62_62.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 98. وينظر: أساس البلاغة، ص 472 472 (نكس).

⁽⁴⁾ الكشاف: 3 / 98. وينظر: تلخيص البيان في عجازات القرآن، ص 231.

⁽⁵⁾ الكشاف: 3 / 98.

من الخضوع والاستكانة والاطراق للحق والمنطق الذي مع نبيهم ابراهيم ﷺ ولكنهــا رجعــة لا تدوم،فانقلبوا منتكسين مجمادلون ويكمابرون بتلك القوة والـشدة الـتي أوحـت بهـا الكنايـة في صورتها الحركية القوية العنيفة.

تسدية الأرض بالكافرين:

تجلِّي هذه الكناية حالة نفسية للكافرين في مشهد من مشاهد يـوم القيامة وهو في قولــه _ تعالى ..: ﴿ يَوْمَهِذِ تَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّمُولَ لَوْشُوكِ بِهُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكُنُّونَ اللَّهَ حَدِينَا ﴾ (١٠٠

﴿ لَوَ أَسُونَكُ بِهِمُ ٱلأَرْضُ ﴾ كناية جاءت بأصلوب التمني بـ ﴿ لَوَ ﴾ الـتي يـزداد بهــا المُتمنّـي بُعْداً تَكْبَرزُ شعور اللَّهَة اليائس (2) للكافرين في موقفهم العصيب اللين يتمنون فيه لما يرون مـن أهواله أن تسوى بهم الأرض فيختفوا صن الأنظارقيال الزخيشري: ﴿ لَوَ شُوَّى بِهُمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ لم يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تُسوى بالموتى، وقيل يـودون أنهـم لم يبعثـوا وأنهـم كـانوا والأرض سواء، وقول تصبر البهائم تواياً فيودون حالها "(3).

هذا هو المعنى القريب الذي تدل عليه الكناية، أما المعنى المكنى عنه اللذي أشارت إليه فضلاً عن شدة الأمر عليهم وهوله فإنه تصوير لحالتهم النفسية المتلشة خجلاً وندامةً، وخزياً ومهانةً في ساحة العرض بمشهدها العظيم الذي تشهده الرسل والأمم، كما أخبر قبل الكناية: ﴿ تَكُنَّكُ إِذَا يَعِنْنَا مِن كُلُ أَمَّمُ بِشَهِيدِ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَوْلِاتِم تَهِيدًا ﴾ (أ) فهرم مكرشوفون في صاحة العرض لا تخفي منهم خافية، والشهيد حاضر يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (⁵⁾ فما يصنع هؤلاء الكافرون في هذا الموقف الذي كانوا به لا يؤمنون؟. إنَّ جمال التعبير الكنائي هذا يتمثل في حمق الظلال النفسية والشعورية التي يجلّيها، والجال الذي يفتحه لتأمل بواطن الـنفس، وخلجات الحس، في هذا الموقف الذي يقفه الكافرون، والهول النفسى الذي يعانون مـن خمجـل وخزى وندامة ^{(6).}

⁽¹⁾ سورة النسام، الآية: 42.

⁽²⁾ ينظر: دلالات التراكيب، ص 211.

⁽³⁾ الكشاف: 1/528. وينظر: صفوة التفاسير: 1/276. وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 5 / 59.

⁽⁴⁾ صورة النساء؛ من الآبة: 41.

⁽⁵⁾ بنظر: الكشاف: 1 / 527.

⁽⁶⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص. 207_208.



خضوع الأعثاق:

وردت هذه الكنايـة في قولـه ـ تعـالي ـ: خطابـاً للرمسـول ١٪ ﴿ تَتَلَّكَ بَدُمُّ تَنَّسَكَ ٱلَّا يَكُونُوا مُنْهِينَ ﴿ إِن ثُمَّا أَنْزَلَ مُلَّهِم مِنَ الشَّلُو مَلِدُ فَطَلَّتَ أَمَّنَاتُهُمْ لَمَا خَنِيْدِينَ ﴾ (١٠-

جاء في التفسير: ".. لعل: للاشفاق، يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ﴿ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ لئـلا يؤمنـوا، أو لامتنـاع إيـانهم، أو خــيفة أن لا يومنوا، (آية) أزاد: آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه.. " (2).

والكناية ﴿ فَظُنَّ أَعَنَّقُهُمْ لَمَا خَفِيهِينَ ﴾ ذات تشكيل فني في التعبير عن المعنى المقصود. وقد لحظ الزمخشري ذلك فقال: 'فإن قلت: كيف صحّ مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق قلت: أصل الكلام: فظلُّوا لها خاضعين، فاقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع "(3) وهذا الاقحام للأعشاق في الصورة ومجيء ﴿ خَيْنِهِينَ ﴾ خبراً عنها، أعطى المصورة الكنائية حيويتها وقوة تأثيرها صورةً ومعنى لتأكيد دلالة القسر والقهر في خضوع أعناقهم كرهـاً بآيـة تقسرهم على الإيمان تسرأفيتجلي منها المعنى المكنى عنه المتمثل في ذلُّهم وهـوانهم، لأن أعناقهم خاضعة لا تستطيع حركة في هيئتها التي رسمتها الكناية، فهم عليها مقيمون ثابتون.

ولا يخفى ما في هله الصورة الكتائية من تسلية للرسول # وتسرية عنه عُما كمان يعانيه من تكذيب قومه، وهو يجرص على إعانهم وهداهم.

بلوغ القلوب الحناجر:

وردت هذه الكناية في موضعين من القرآن، الأول في سياق معركة (الأحزاب) في تدل. _ تعالى ﴿ يَكَانِّهُا الَّذِينَ مَامَنُوا لَأَكُرُوا فِيمَدَ اللَّهِ مَلْيَكُمُ إِذْ جَلَةَ تُكُمْ جُنُودٌ فَأَرِمَكَا مَلِيْمٌ رِجَا رَحُنُونَا أَمْ تَرْفِكَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا مُسَلُّونَ بَعِيهِ اللَّهِ اللَّهِ مَلْمُؤَكُّمْ مِن فَرْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَافَتِ الْأَبْعَاشُ وَلِلْفَتِ الْقُلُوبُ الْمَنْكِيرَ وَتَطَلُّنُونَ بِاللَّهِ الثَّانُوفَا ﴾ (4).

سورة الشعراء، الأيتان: 3.4.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 235.

⁽³⁾ نفسه: 3 / 235.

⁽⁴⁾ سورة الأحزاب، الآيتان: 9-10.

والموضع الثاني في مشهد من مشاهد يوم الغيامة في قوله ـ تصالى ـــ ﴿ وَٱلْفِرْهُمْ يَوْمُ ٱلْآيِكَةِ إِذِ ٱلثَّقُوبُ لَدَى ٱلْمُسَاعِرِ كَظَيْمِينُّ مَا لِلشَّالِمِينَ مِنْ جَيْسِو لَلاَ شَفِيعِ يَشَلُحُ ﴾ (ا).

في الآية الأولى مهّدت كنايتان منلازمتـان في معناهـمـا لمعنـى الكنابـة ﴿ وَيَلْفَتُ ٱلْقُلُوبُ المَسْتَايِنَ ﴾ هما: ﴿ إِذْ جَاتُونُمْ مِن فَوَقِكُمْ وَيَنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ و ﴿ وَإِذْ زَاضَتِ الْأَيْسَاتُ ﴾ ؛ ﴿ إِذَ جَمَّةُ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِن أَسْفَلَ مِنكُم ﴾ كناية عن إحاطة جيش الأحزاب للمسلمين من كل جانب، وتمكنهم منهم كل تمكن، وكأن جيش الأحزاب بالتصوير الكنائي يتحدرون من نــوق رؤوس المسلمين، وكأن الأرض تنفجر عنهم من تحت أقدامهم (داً فالكناية تصوَّر كثرتهم، فهم كـالهول يحيط بالمسلمين فيكربهم فبملأ نفوسهم خوفأ ورعبأ، وهمو المعنى النفسي الذي تصوره الكنايسة الثانيمة في حركمة عيونهمم وميلانهما حيمرة ودهمشة بمما ﴿ وَلِهُ زَاعَتِ الأَبْعَثُونُ ﴾ قـال الزخـشري: ﴿ وَلَغَتِ الْأَبْعَثُورُ ﴾ مالست عـن مسننها ومستوى نظرهـا حـيرةً الكتائي يتدرج في وصف الحالة النفسية للمسلمين فزيسة الأبسار يمثل أوّل أحوال الشدة، فالمكروب المفاجأ يرسل بصره، ويقلب محاجره، يلتفت هنا وهناك ذهشا حاد أ، والكنابة ﴿ زَاضَتِ الْأَبْصَدُرُ ﴾ معبرة عن هذه المعاني، لأن الحيرة والندهش الازمة من لوازمها (٩٠٠ ثمم تتصاهد معاني الحتوف والاضطراب والفزع الـتى انتابت نفوسـهم بالكنايـة ﴿ وَيَلَمَتَ ٱلْقُلُوبُ المُتَكَايِرَ ﴾ فهي كناية عن شدة الحوف والفزع، حتى لكان الحوف يتصاعد بالقلب فيعلو به إلى حيث يقذف كما تصوره الكناية، قال الزغشري: 'قالوا: إذا انتفخت الرقة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة "(ك) ، فالكناية من لـوازم مدر الأحرال التفسية.

سورة غافي الآية: 18.

 ⁽²⁾ يتظر: من أسواد التصبير القرآني حارامة تحليلية لسورة الأحزاب عدد محمد أبدو موسى،
 ص 47.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 416.

⁽⁴⁾ ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص 48.

⁽⁵⁾ الكشاف: 3 / 417. وينظر: الألفاظ النفسية في القرآن الكريم عدراسة دلالية ، ص 23.



وبذلك يجسد التعبير الكنائي المصور الحالة النفسية الفزعة المكروبة للمسلمين في مشهد من مشاهد المواجهة مع أعداء الله والمسلمين.

وعًا يصوِّر شدَّة الخوف والفزع التي انتابت المسلمين في هذه المعركة ويعظمها أن الكنايـة تر د في مشهد مشاهد القيامة، وهي مشاهد عبصيبة مروّعة: ﴿ وَٱلۡذِرَهُمۡ يَوۡمُ ٱلۡآرَفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلْمُنَاجِر كَيْظِيدِنَّ مَا الظَّائِلِينَ مِنْ جَيِدٍ وَلَا شَغِيمٍ يُطَاعُ ﴾.

ثم نلحظالقلوب كأتما تفارق مواضعها وتبلغ الحناجر حقاً من شدة الضيق (١) والكرب بالتصوير الكنائي ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَكَى لَلْمَنَاجِرِ ﴾ الذي يشير إلى الحالة النفسية للظالمين ومـا ينتابهـا من هلم وخوف من شدة الموقف وهوله. إلاّ أننا للحظ تبايشاً في التعبير عن المشاهد النفسية وتصويرها على الرغم من استعمال الكناية نفسها مع اختلاف في تركيبها، حيث قـــال هنـاك: ﴿ وَمُلْمَتِ الْقُلُوبُ الْحَسَائِرَ ﴾ وقال هذا: ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَنَّكَ الْحَنَّائِرِ ﴾ ، وكمل من التركيميين يناسب المشهد الذي جاء فيه في إيجائه رضم اشتراكهما من حيث الدلالة العامة المكنى عنها والمتمثلة في شدة الحوف والفزع.

فشدة الموقف وهوله في مشهد القيامة أعظم على النفوس والقلوب، إذ للحظ الظالمين في أول أهوال الأزفة قلوبهم لدى الحناجر، ثم هم ﴿ كَلَيْلِينَ ﴾ أي كاظمين على قلوبهم لـدي الحناجر، أو قلوبهم كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، كلا المعنيين يحتمله حالهم ﴿ كَفَطِيرَةٌ ﴾ (²⁾ فالقلوب المكروية تضغط على الحناجر، وهم كاظمون عاجزون عن

الكلام ليتروحوا، لأن الكظم هو الامساك والحيس(3)، وفي ذلك تصعيد للعذاب والغم والضيق، فليس لهم صديق بيثون له، وينفسون عن صدورهم بالبث ما تضيق به، وليس لهم من شفيع ذي كلمة مسموحة يسعى لهم في تفريج الكرب، ورفع الحرج، وهم هنالك بين الضيق والانفراد والاهمال (4).

الشاهد في القرآن الكريم، ص 383.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 122.

⁽³⁾ ينظر: لسان العرب: 12 / 520_520 (كظم).

⁽⁴⁾ مشاهد القيامة في القرآن، ص 141.

شخوس الأبصار والاهطاع وإقتباع الرؤوس:

كانت الرؤوس منكَّسة إلى أسفل في الكناية السابقة، أما هنا فإن رؤوس الظالمين مرفوعـــة إلى أعلى قصراً كما تُصورها الكنايات الثلاث المتنابعة في هذا المشهد من مشاهد يسوم القيامـة في قوله . تعالى .: ﴿ وَلَا تَحْسَبَكَ اللَّهُ غَنْفِلًا حَمَّا يَسْمَلُ الطَّلِلُونَ ﴿ إِنَّا يُؤْخِرُهُمْ لِيوْر تَشْفَسُ فِيهِ ٱلْأَمْسَدُ ﴿ مُهَامَةٍ لِمِينَ مُقْتِي رُمُومِهِمْ لَا يَرَقُ إِلَيْهِمْ مَرْفَهُمٌ وَأَوْمَتُهُمْ هَوَاتُ ﴾ (ال

نضافرت ثلاث كنايات في تصوير الحالة النفسية للظالمين في هذا الموقف العصيب، ويمكن تتبع حالم مشهداً مشهداً حتى تكتمل الصورة الكلية في أداء المعنى القصود.

الظالمون موخرون إلى البوم الـذي هم فيه موعودون: ﴿ إِنَّمَا يُؤَجِّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْغَصُ فِيهِ ٱلأَبْصَائرُ ﴾ فهو يوم رهيب تكون فيه أبـصار الظـالمين شاخـصة، أي: "نظـل مفتوحـة مبهوتـة لا تطرف ولا تتحرك "(ك" وذلك كناية عن شدة الخوف والهلم الذي يأخذ أنفسهم فهم ذاهلون، ويتعمق هذا اللهول من الخوف بكنايتي (الاهطاع واقناع الرؤوس): ﴿ مُهطِيعِكَ مُقْنِي رُءُومِهُمْ ﴾ مهطمين: أي ماشين سريعاً مادي أعناقهم، وهي مشية المذعور غير ملتفتين إلى شيء (3)، وقــال الراغــب: * هطع الرجل ببصره إذا صرّبه. وبعير مهطع: إذا صوّب عنقه "(ها" فهم قد مدّوا أعناقهم إلى الداحي مسرعين يقادون كما تُقاد الدواب من أعناقها، ورؤوسهم مرفوعة إلى أعلى كما دلَّت الكتابة ﴿ مُقِيع رُمُومِهم ﴾ أي: ' رافعها ' (ك في معتاها الظاهر، ومن وراء الكتابتين (الاعطاع واقشاع الرؤوس) للمح المعنى المكنى عنه في مشهد الحوف والهلع هـو السخرية من هـؤلاه الظالمين، فهم كالدواب يُقادون لا كرامة لحم، وهم مرفوعة رؤوسهم على أعلى قسراً ومهانة، فهم كانوا في حياتهم الدنيا لا يتقادون للحق ولا يستجيبون، وعطَّلوا احساسهم ووعيهم بـالنور والهدى، وهم في مشهدهم هذا كما تعمقه الآية وتؤكده: ﴿ لَا يَزَيُّمُ إِلَّتُهِمْ طُرْهُمُونُ ﴾ أي: 'لا يرجع إليهم أن يطوفوا بعيونهم، أي: لا يطوفون، ولكن عينونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك

سورة السراهيم، الآيتان: 42 -43. ويتنظر: سدورة الأنيساء، الآيسة 97. في كنايسة (شميخوص) الأبصار). وسورة القمر: 8، وسورة المعارج، الآية: 36. في كناية ﴿ مُهْطِيعِكَ ﴾.

⁽²⁾ صفوة التفاسي: 2 / 101. (3) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 7/ 177. وينظر: الكشاف: 2/ 438.

⁽⁴⁾ القردات، ص 791.

⁽⁵⁾ الكشاف: 2 / 438.

للاجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ((!) فهم لا حسرٌ لهـــــــم ولا وصــي ﴿ وَلَكُودَتُمُ هَوَرُهُ ﴾ بهذه الصورة التشبيهية البليغة حيث شبّه قلوبهم بالهــواء لفراغها، قـال الشريف الرضي: أفتدتهم لا تعي شيئًا، للرعب الذي دخلها، والهـول الذي استولى عليهـا ((2) قلم بهم خالية من العقل لشدة الفزع (أ) فهي هواء خواه.

والآية بمجعلها بما فيها من ظواهر بلاغية كتائية وتشبيه توصل إلى الحس مشهد الفرع والحوف والهلع الذي يأخذ الظالمين، فهم خاوون من كل وعي وإدراك، فضلاً عن السخرية بهم والمسلل الذي يصيبهم، فهم مرفوعو الرؤوس قسراً، يُقادون كالدواب المشدودة لا تلتفت احينهم إلى شيء ولا تتطوف من هول ما يرون فهم ذاعلون.

خشوع الأبصار:

ترد هـ له الكتابية في مشاهد يوم القيامة وصبغاً خدال الكنافرين من ذلك تولـ عـ تعـ للي ــ: ﴿ حُشَّنا أَشِيرُهُمْ يَعَرُهُنِ مِنَ الضَّينَا وَعَلَيْمَ جَنَدُ تُنْتِرُ ﴿ حُشَّا أَضِيرُونَ الْكَلِيمَ مُؤَلِّ الْكَرْدِينَ مَكَا يَرَّمُ ﴿ ((4)

الكتابية: ﴿ خُمَّمًا أَشِيرُهُمُ ﴾ تصور حال الكافرين عند بعثهم من تبورهم. جاء في أساس البلاغة: ﴿ خُمَّما أَشِيرُهُمُ ﴾ تصارهم عند أساس البلاغة: وخشعت دونه الأبصار، وخشع بصره: غضه (ك) فهم يغضون أبصارهم عند خورجهم من الأجداث لا يرفعونها إلى شيء، وذلك كتابية عن فلم وهوانهم، قال الزغشري: فوضع الإبمار: كتابة عن اللذة والانجزال، لأن ذلة الذليل وحزة العزير تظهران في ميونهما الكف فالحالة النفسية لهم تتجسد في عيونهم فهي خاشعة ذليلة، ثم تأتي المصورة التشبيهة لتضيف ملمحاً جديداً وتزيد الصورة توضيحاً وتقريباً إلى الأذهان، فقد شبه خروجهم من القبور بالجراد المتسر، وفي هذا إيماء الكثرة، فهم يخرجون جوعاً متشرة هنا وهناك، قال الزغشري: الجراد مثل في الكثرة والتحرج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض : جاءوا كالجراد منتشر في

⁽¹⁾ الكشاف: 2 / 438. ويتظر: العمايير القرآنية والبيئة العربية، ص 133.

⁽²⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 185.

⁽³⁾ صفوة التفاسر: 2 / 101.

 ⁽⁴⁾ سبورة القصر، الأيسان: 7 -8. وينظر: سبورة القلسم، الآيسة 43. وسبورة للعبارج، الآيسة: 44.
 وصورة النازعات، الآية: 9.

⁽⁵⁾ ص، 111، مادة (خشم).

⁽⁶⁾ الكشاف: 4 / 344. وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 27 / 177.



كل مكان لكثرته '(أ'' وهم على كثرتهم وتماوجهم وانتشارهم في كل مكمان حيارى فرعين (⁽³⁾ يستتر بعضهم بعض من شدة الحتوف، مسرعين ماذي اعناقهم إلى الساعي ﴿ تُقَهِينَ إِلَى اللَّهُ ﴾ في صورتهم اللَّالِملة الخاشسة، يدعوهم الأمر غريب شسليد ﴿ يَقُولُ الْكَرُّرِنَ كَلَا يَمَّ عَرَّ ﴾ ولا يوصف اليوم بالعسر، وإنما هم أنفسهم في حسر وضيق وكرب، فهو قولُ من أثر ما في نفوسهم من خوف وشدة، فهو مجاز عقلي باعتبار كونه يوماً الأسور عسرة شسديدة من شسلة الحساب

الزلق بالأبصار:

نفرا هذه الكناية في قوله _ تصالى _: ﴿ وَلِوَ يَكُونَا أَلِينَ كَشُواْ فَيَهُونُهَ يَلْسَنَهِمْ لَنَا تَوَخُوا الذَّكُرُ وَيَقُولُونَا إِنَّهُ لِتَجَوْقُ ﷺ وَمَا هُوْ الْعَلَمْيَةِ ﴾ (أ^{نا)}

الكتابة: ﴿ لِيَرْفُقُ لِلْمَبْرِينَ ﴾ تمبر عن الحالة النفسية للكافرين تجاه الرسول ﷺ تنبعث من خلال حركة المين الحَلقة في نظرها شرراً عدارة ويفضاء، وهي نظرات في شدتها وقدة تأثيرها تكاد قدم الرسول الشئرل منها كما تصوره الكتابة، قال الزخشري: "يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شرراً بعيون العدارة والبغضاء، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولمم: نظر إلي نظراً يكاد يعمر عني، ويكاد ياكلني، أي: لو أمكنه بنظره المصرع أو الأكل لفعله "دناً، وذلك لا يكون إلا نظر المقت والابضاض، وعند النزاع والحصام (ش).

فالكناية تجسد الحالة النفسية للكافرين من خلال حركة عبونهم بتحديق النظر بشدة، وهي حركة قبيحة تشير إلى تلك النفوس الممتلثة عداوةً ريفضاءٌ وحقداً وحسداً. ولا تكفيهم تلك النظرات المسمومة في التمير عن مشاعرهم وانفمالاتهم، بل يرافقها السب والشتم البلدي،

⁽¹⁾ ناسه: 4 / 344.

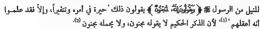
 ⁽²⁾ ينظر: اقتشيهات القرآنية والبيشة المربية، واجدة بجيد الأطوقجي، ص 203. وينظر: التصابير القرآئية والمئة العربة، ص 111.

⁽³⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 27 / 177 ـ 178.

 ⁽⁴⁾ سورة القلم، الآية: 51_52.
 (5) الكشاف: 4/ 478. وينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 343.

 ⁽⁵⁾ تلخيص البيان في عازات القرآن، ص 343.





فهي نفوس معاندة وقلوب متكبرة، فضلاً عن العدارة والبغضاء والحقد والحسد.

الأزدراء بالأعين:

الكتابة: ﴿ تَرْبُوعَ أَشِيُكُمُ ﴾ والازدراه: افتعال من زرى عليه إذا غايه، وأزرى به: قسمر به، يقال: أزدرتم عينه، وأقتحمته عينه (⁽⁴⁾، وقسال الشريف الرضمي في همذه الكتابة: "كما يقول الفاقل: أقتحمت فلاتاً عيني، واحتقره طوفي. إذا قمح في منظر عينه خلقة، وصغر دمام (⁽⁴⁾

فالكتابة حركة مين ذميمة تجسد الحالة النفسية للكافرين تجاه المؤمنين تتمثل في احتقدارهم واستصفارهم والاستهانة بهم، في حالة نفسية تسترذل المؤمنين على نحو قبيح فهي نفسوس تنزن الأمور بقايس الكفر والفسلال.

شرة المين:

تكثف هذه الكناية الحالة النفسية الراضية المطمئنة خلاف ما أدته الكنايتان السابقتان من مشاعر وانفعالات تمهاه المؤمنين.. وبذلك تكون الكناية بحركة الصين وسيلة تعبيرية مهمة في

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 478.

⁽²⁾ ينظر:: في ظلال القرآن: 8 / 243.

⁽³⁾ سررتميد، الأبة: 31.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 305. رينظر: أساس البلاغة، ص 190 (زرى).

⁽⁵⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 160.



التعبير عن الحالات النفسية المتباينة.. وقد وردت هذه الكناية في عـدة مواضع، منها نوله _ تعالى .: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هَبَ لَنَا مِنَ أَنْوَلِينَا وَقُرْيَنْكِنَا شُرَّةً أَمُّهُنِ وَلَجْعَكُنَا لِلنَّفِّينِ إِمَامًا ﴾ [1]

الكناية: ﴿ قُـرَّةً آَمَّالِي ﴾ في سياق دهاء عباد الرحن ربهم أنْ يكونْ أزواجهم وذرياتهم طائعين لله تقرُّ بهم أعينهم، كما صوَّرت الكنائية بحركتها الجميلة الوادعة ﴿ أَحُرَّةٌ أَثَيُّنِ ﴾ أي أ أجعل لنا في الأزواج والبنين مسرة وفرحاً بالتمسك بطاعتك والعمل بمرضاتك "(2) فالكناية تعبير عن حالتهم الشعورية المتمثلة في الفرحة والمسرة (د)، وفي الكناية إيجاء القرار النفسى، قال الراغب في هذه الكناية: 'وقيل هنو من القرار. والمعنى اعطاء الله ما تسكن بنه عينه فبلا يطمنح إلى غيره (١٠) نفوسهم مطمئنة مستقرة وهم يرون القدوة الطبية من أصلابهم يتقون الله ويخافونه فهي الأمنية التي يطمح إليها عباد الرحن، فالكناية تعبير عن هذا الشعور الفطري الإيمائي الممين الذي يستقر في نفوس المتقين وقلوبهم، شعور الرغبة أن نعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواج من نوعهم، فتقر بهم النفوس، وتطمئن بهم القلوب.. والرغبة في أن يحس المؤمن أنه قدوة للخبر، يُـاثَمُ بـه الراغبـون في الله المتقـون ﴿ وَأَجْمَـانَا اللَّمُنَّةِينَ إِمَامًا ﴾ وليس في هذا من أثرة ولا استعلاء فالركب كله يحدوه الإيمان والتقه، (٥٠.

ومما مبيق من كنايات نفسية يتبين أنها تعتمل على حركمات حسية متباينة في تجسيد الحالات النفسية، إذ تظهر بالتصوير الحسى الحركس دخائل النفسوس والمشاعر الباطئة والانفعالات النفسية المتباينة، سواء كانت الحركة الكنائية باليند أم القندم أم العين أم الرأس أم غير ذلك من أعضاء جسم الانسان، وهذه الحركة الكنائية ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي وسيلة تعيرية نابضة بالحياة تشير إلى دلالاتها النفسية المتباينية فتجسدها في صبور حركيية مرئية يتملاها الحس والوجدان، ومن ثمُّ يكون تأثيرها في النفس واللهن أعمق عُما لمو جماءت في تعبرات ڏهنية بجردة.

⁽¹⁾ مسورة الفرقان، الآية 74. وينظر: السور الآلية: مديم، الآية: 26. طبه، الآية: 40. التبعض، الأيتان: 9، 13. السجلة، الآية: 17. الأحزاب، الآية: 31.

⁽²⁾ صِفوة التفاسير: 2 / 372.

⁽³⁾ يطر: الصدر نفسه: 2/ 371.

⁽⁴⁾ المردات، ص 601.

⁽⁵⁾ ينظر: أن ظلال القرآن: 6 / 187.

الفصل الرابع الكناية الخُلُقية

الفصل الرابع

الكناية الخُلقية

نقصد بالكناية الخُلْقية: الكناية التي تتناول موضوعاً يتعلق بقيمة خُلْقية إيجابية كانت أم سلبية في حدود ما ورد من كنايات قرآنية احتضنت تلك الموضوعات ومنها: الغيبة والنميمة، والبخل والتبذير، والشجاعة والجبن، والتكبر والتواضع، والعفة والنصير على مغربات الحياة الدنيا.. وما إلى ذلك من موضوعات تتعلق بـأخلاق الانسان وسـلوكه وهـو يتحـرك ضمن الجتمع الذي يعيش فيه.

والقرآن حين يعرض هذه الموضوعات المهمة، فإنه غالباً لا يعرضها بتعابر ذهنية مجردة وبتقريرية مباشرة، وإنما يعرضها بالأسلوب الكنائي المصور للمعنى فيكون أكثر حيوية وتـاثراً، من شأنه أن يحدث الاستجابة الشعورية والوجدانية في القبارئ أو السامع وهـ و يتلقمي هـذه الموضوعات التي يهدف القرآن تثبيتها في ذهنه ونفسه أو تنفيره منها.

وقد حاولنا توزيع الكنايات الخُلْقية الى موضوعاتها التي عالجتها، فاستقلت كنل كنايتين أو أكثر بموضوع خُلُقي واحد يصل إلى المُتلقى عبر فـن الكناية الذي يقـوم بنصيبه الفني الكامل في أداء المعاني وتصويرها خير أداء فينقل المعنى الكبير في اللفيظ القليل في طريقة يعجز التعبيسر الحقيقي المباشر أن يؤديه كما تؤديم الكناية في المواضع التي وردت فيهما، وهمذا من خصائص الكناية القرآنية (١).

وهذه الخصائص الفنية للكناية القرآنية ستتجلى عند عرض الكنايات التي يتكون منهما هذا الفصل بالطريقة التي مرضنا فيها الكنايات في الفصول السابقة.

أكل لحم الأخ المت:

يعرض القرآن بالتصوير الكنائي (الغيبة) بوصفها مرضاً اجتماعياً فتّاكاً يعمل على هدم الأواصر والروابط داخل المجتمع، تلك الأواصر التي يحرص القرآن على قوتها وتماسكها، ويدل

⁽¹⁾ ينظر: من بلاغة القرآن، ص 226. وينظر: التعبير الفنى في القرآن، د. بكري شيخ أسين،

على بشاعة (الغيبة) وخطورتها التصوير الكنائي الذي عرضها، فهو يعرضها في صورة غاية في المناعة والتغير، ليحدث الاستجابة الشعورية المقصودة، وهي (الامتناع) عن الغيبة، وقد جام المنع بصيغة النهي الحقيقي (لا يغنب) ثمّ تلتها في المعنى ذاته صورة كنائية نظل عالقة موثرة في ذهن المتلقي وحسّه وهو يتملّى صورتها البشعة المنضرة، وذلك في قوله ـ تعالى .. ﴿ يُكَانِّهُ اللَّهِيَّ مَمْثُولًا كُنِّهُ مُنْ مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا المُنْكُولُة المُنْكُولُة مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا المُنْكُولُة اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا مُنْكُولًا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّ

الكُنَاية في قوله _تعلل -: ﴿ أَيْشِكُ أَحَدُكُمُ أَنْ يَأْكُلُ لَشَمَ لِنِيهِ مِنَكَا فَكُوْشُرُونَّ ﴾ حوض للغنية في صورة تثير الاشمئزاز والحوف في النفس⁽²⁾ قلّما يصوّر القرآن موضوعاً آخر كهذا التصوير.

وبناء الكناية قائم على التشبيه التمثيلي الفسمي ومن ورائه يفهم المعنى الكتنى عنه
(الفيية)، حيث شبّه المغتاب أخاء يشخص يعمد إلى اكل لحم آدمي، وليس الآدمي سوى أخيه
الميت، ولم يكن الأكل عن ضرورة أو إكراء، وإنما هو اكبل عن اختيار ورضبة وشهية، ووجه
الشبه بين المشبه (المغتاب أخاء) وبين المشبه به (صورة الذي ياكل لحم أخيه ميتاً) واضح بين
وهو جملة صفات أولاها الكراهية في الاثنين (الغبية واكل الأخ الميت)، ومن الطبيعي أن تكون
الكراهية أشد في المشبه به (الأكل) لتبرز صفة المشبه بها وتتاكما، وثانية صفات وجه المشبه صدم
المكراهية أشد في المشبه به (الأكل) لتبرز صفة المشبه بها وتتاكما، وثانية المعفات (النهسش
والتعزيق) في الاثنين (المشخص الذي وقصت عليه الغيبة، والميت)، وثالثة الصفات (النهسش
والتعزيق) في الأثنين، ولكن النهس في الغيبة لمنى ذهني هسو (سيرة الناس وأعراضهم) أما
النهش في الأكل فهو لمادة عسوسة، ولابد أن يكون المشبه به حسياً في همله الحالة ليخلع على
المشبه المعلمي ثوبه المحسوس فيحقق حضوره وفاعليته في ذهن المتلقى ونفسه.

فالتشابه واضمح قريب بين الصورتين. إلاّ أن التصوير بالتشبيه له وقعه المـوّثر في الـنفس، فمن يستطع أن يقبل على أكل لحم انسان، أخ، ميت، متفسخ للـنود منه نـصبب ⁽¹³⁾ فهـو التبشيع والتنفي، قال ابن عبـاس ــوضي الله عنهما ــــ" الفيــة أدام كـلاب النـاس ⁽⁴⁰⁾ ويقــول

سورة الحجرات، الآبة: 12.

⁽²⁾ ينظر: البلاغة العربية المعانى والبيان والبديم . د. أحمد مطلوب، ص 229.

⁽³⁾ ينظر: التعبير الفني في القرآن، ص 201.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 296_297.

الزغشري في هذا التصوير القرآني: "تمثيل وتصوير لِما يناله المغتاب من عـرض الغائب على افظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتى: منها الاستفهام الذي معناه التقرير (°)، ومنها جعل مــا هـ في الغاية من الكراهة موصولاً بالحبة. ومنها اسناد الفعل إلى أحـدكم والاشـعار بـأن أحـداً من الأحدين لا يجب ذلك. ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الافتياب بأكـل لحم الانسان، حتى جعل الانسان أخاً. ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل مبتاً، وعن قتادة: كما تكره أن وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي (١٠).

هذه الصورة التشبيهية تداخلت مع الصورة الكنائية في نسيج فني بديع من التعبير القرآني الكريم لتجسيد المعنى وتحصيل الاستجابة المطلوبة إذ جعلت صورة المشبه به كناية عبن صفة الغيبة من نوع الاشارة المباشرة إلى الصفة المنهى عنها فيما سبق الكناية.

وبهذا التصوير القرآني للغبية يتجلى البعد الاجتماعي، وهو بعد يحرص عليه القرآن كل الحرص، ليس في هذه الصورة الكنائية فحسب، وإنما في السورة التي انتظمت فيهما، وقراءة الآية التالية للكناية نرى فيها الربط بين الغيبة والبعد الاجتماعي العام،وهي قولــه _ تعــالي ـــ ﴿ يُكاتِّيَّا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكَرَ وَأَدْيَنَ وَجَعَلْنَكُو شَعُوهَا وَهَا إِلَى لِتَعَارَقُوْأَ إِنَّ أَحَدَرَكُمْ عِنذَ اللَّهِ أَنْسَنَكُمْ إِنَّ اللَّهُ طَلَّمُ رَي. مَنْ اللهِ (2). مَنْ اللهِ (2).

فالآية تحصر الغرض من اختلاف النوع البشري من الذكر والأنشى، واختلاف الأساكن والشعوب والقبائل في غاية واحدة هي (التعارف) وربط البصلات الاجتماعية _التي تعمل الغيبة على تمزيقها _ على كل طبقاتها ومراحلها بين الأفراد والجماعات والأمه، والجزء الأخس من الآية يشير إلى الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه هـذه الروابط والـصلات، وهـر (التقـوي) بكل ما تعنيه كلمة التقوى من معان روحية ومعان اجتماعية، إذ الميزان الوحيـد للتفاضل بـين الناس هو (التقوى) فالله # لا ينظر إلى الناس ولا يعاملهم إلاَّ بهذا الميزان، وهي دعوة صريحة

^(*) والبادئ أن الاستفهام في الآية هو للنفي والاتكار وليس للتقرير.

الكشاف: 4 / 297. وينظر:: الثار السائر: 3 / 62. ومن بلاغة القرآن، ص 226.

⁽²⁾ سورة الحجرات، الآية: 13. يلاحظ أن للوضوع الرئيس للسورة هو تنقية الجتمع وتنظيفه من الأمراض الاجتماعية وفي مقدمتها الغيبة.

إلى التقوى لتكون خلقاً لكل فرد، وحيث يكون الأفراد انقياء، فستكون صلاتهم بالـضرورة قائمة على التقوى، وهو الهدف الأخير في هذا المقام (1).

ومن ثم يتضح بجلاء لماذا يشدد القرآن في النهي عن (الفيبة) بذلك الأسلوب الكنائي المصور لمعناها في ابشع صورة واقحشها لينفر النفوس منها والقلوب ولتظل حاضرة في الذهن والحس يتقيها الانسان المؤمن وينفر عنها، فإنها (ادام كلاب الناس) كما قال ابن عباس _ رضي الله عنها، وقد قدّم القرآن الكريم نموذجاً من هولاء في صورة كتافية أخرى بالفة التأثير، لله عنها (الغيبة) وهي أدام للمجرمين يقتاتون عليها أو يتلذذون بها، فتكشف عن طبيعة المحسومين الأخصين السدن احتسادوا أدام المنسسة للنيسل مسن المسومين، وذلك في قولمه مناسعة المناسفين القرائد كرائد والمناسفين القرائد كرائد القرائد القرائد كرائد القرائد كرائد القرائد كرائد القرائد كرائد القرائد كرائد القرائد كرائد القرائد القرائد كرائد القرائد القرائد كرائد القرائد المناسفين الأقرائد القرائد القرائد المناسفين المن

فقد تواشجت كنابتان في تصوير غيبة المجرمين للمدومتين، الكنابية الأولى: ﴿ يَنْفَاتَهُمْهُ ﴾ وأصل الفمز: "الإشارة بالجفن أو اليد طلباً إلى ما فيه مُمَاتٍ ⁶² ومطعن، وغالباً ما تكون بـالمين والحاجب ⁽⁶⁾ وهي حركة كنائية لليمة تنمُ عما وراءها من معنى مُكنى عنه يتمثل في (السخرية والاستهزاء) من المؤمنين لايقاع الأذى في قلويهم، وهي في الوقت نفسه تكشف عين سوء أدب المجرمين وتجردهم من التهليب.

وينــصاعد ســـو، أدبهـــم بالكنايــة الثانيــة ﴿ وَإِنَّا لَقَلَبُمْ اللهِ أَسْلِيمُ الْفَكْبُمُ الْمُكِيمَّ فَ مستمتعين مبتهجين، وأصل الكناية ﴿ فَيْكِيمِنَ ﴾ من: "فتكه القوم: اكلوا الفاكهة، وفكهنهم أنا. ومن الجاز: تفكه بكذا إذا تلذذ به، وتركتهم يتفكهون بعرض فلان أي يتلذون باغتياب، وفــلان فكة بأعراض الناس (¹³⁾ وهذا هو المنى الكنى عنه: اغتياب المؤمنين والاستخفاف بهم.

⁽¹⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 178.

⁽²⁾ سورة المطقفين، الأيات: 29 ...31.

⁽³⁾ القردات، ص 548.

⁽⁴⁾ ينظر: أساس البلاغة، ص 328 (غمز). وينظر: أسان العرب: 5 / 388 (غمز).

⁽⁵⁾ أساس البلاغة، ص 346 (نكه).

معاودته. وفي ذلك إيجاء بان نفوس المجرمين قد أصبح شغلها الـشاغل هــو غييـة المــومنين، فهــي الهلـف الملـي يجرص عليه المجرمون فيتلـتـدون بــه، ولا تتفكـه الـنفس ولا تتلـــلـذو إلاّ بــشيء قــد اعتادته والازمته. وصورة انقلاب المجرمين على أهليهم بهذا الهلـف الحقير الــلـي اعتــادوه يــمــورٌ منتهى ما تصل إليه النفس من ضعف واسفاف في الـــلـوك والأخلاق.

ومن وراء الكنايتين ﴿ يَتَمَاتُمُونَ ﴾ و ﴿ هَجِهِينَ ﴾ نحس إيجماء يتمثل في قوة الشخصية المومنة المتزنة وهـي تلقـي الأذى(الغيــة) والـسخرية والاسـتهزاء بـصبر يغـيظ قلــوب المجــرمين ونفوسهم.

حمَالة الحطب:

البادي إرادة المعنين الحقيقي القريب والمجازي البعيد لاتبصال أحدهما بالآخر اتبصالاً يُكمُّل الصورة بمعانيها وإنجاءاتها التي يهدف القرآن تأديتها في إخراج وصف لم جميل التي كانت شليدة المدارة والإيذاء للرسول \$ كما اخير القرآن.

والمعنى القريب لقوله _ تعالى ـ : ﴿ وَأَسْرَأَتُكُ حَنَّالُةُ ٱلْمُحَكَبِ ﴾ كمنا أشار المفسوون أن زوج أبي لهب كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها باللبل في طريق النبي ﷺ (⁽²⁾ الإيدالسه. ولكسن صورة (حمسل الحطسب) تسشير إلى معنى تكنس عند أخسر همسو

سورة المسد، الأيتان: 4 ـ 3.

 ⁽²⁾ تفسير إسي السعود: 9/ 211, وينظر: الكشاف: 4/ 651. وينظر: مواهب السرحن في تفسير الذرآن: 7/ 766.

⁽ه) النعيمة: مرض اجتماعي يعمل على إثارة القبتن والمداوة والبضعاء بين الدواده. والنعيمة: هي تزيين الكلام بالكلاب، ونقله من قوم إلى قوم على جهة الإنساد والشرر. (ينظر: لسان العرب، مادة تمهم) وقد حارب القرآن هذا المرض الاجتماعي واشار إلى خطورته، وسخر من كمل هماز مشاء تمهم.
ينظر: سورة القلم، الآية: 11.

(النميمة) (ه) ويورد ابن قتيبة هذا المعنى صن ابن عباس رضي الله عنهما بيقوله: قال ابن عباس: الحطب: النميمة وكانت تأمُّ وتؤرَّش بين الناس. ومن هذا قيل: (فيلان بحطب علي) إذا أغرى به شبهوا النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، الأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب "(أ). وقال الزهشري: "وقيل: كانت تمشي بالنميمة، ويُقال للمشاء بالنمار الناس بحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النائوة ويورث الشر "(أ).

وفي كِلا المعنين القريب والمكتى عنه البعيد الذي تُوحي به المصورة الكتائية ﴿ حَمَّالَةُ الْحَسَّلِي ﴾ تتجلى سخوية القرآن من أم جيل بجلاء، لأن صورة حمل الحطب على الحقيقة فيها مهانة وسخوية، فالذي يجمع الحطب ويجمله هنذ العرب عادة _ أما العبيد الأرقاء أو الفقراء المعلمون، فجامعو الحطب ليسو من السادة، بل ليسو من أوساط الناس، وإنما هم في درجة من صغر الشأن قد يُضرب بها المثل في هذا الشأن الهتين الصغير وسخوية القرآن تختار هذه المصورة من الحوال الاجتماعي في نظرهم، لا لتشوه بها رجاد، فالعمل الحلال أيا كمان نوحه في الاسلام شوف ونوع من الجهاد، وإنما اختارت سخوية القرآن هذه اللصورة لتكسر بها من شصوخ أنف أمرأة متمائية طاغية، تحتمي بمجد الآباء والأجداد، وتتدوع بشراء الزوج والأولاد، فتبغي على المسلم، وتصد عن سبيل الله ودينه الحيف، ومن الواضح أن اصرأة بهذه المنزلة في قومها، المسلمة، المعنونة على المسلم الحليف، وتصور في صورة جامع الحطب (لا)

لمسورتها مجرد حمالة حطب صورة مضمحكة، فضلاً عما تشير إليه من خلق (النميمة) التي كانت تسمى فيها بين الناس لتأليمهم على عداوة رسول الله ﷺ وإيذاله

وتعمن دلالة السخرية منها بالكناية التالية: ﴿ فِي جِيرِهَا حَبِّلُ مِنْ مَسَلِمٍ ﴾ إي: "في عنقها حبل من ليف قد فتل فتلاً شديداً، تُعلَّب به يوم القيامة، قال مجاهد: هو طوق من حديد، وقال ابن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللأت والعُزِّى الأنفقيها في عداوة عمد، فاصقها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار (٥)، وهذا هو المعنى القريب الذي اشار إليه المنسرون، ولكن الآية تشير إلى معنى مكنى عنه بعيد هو صفة الانقياد الأصمى إلى الأذى

أديل مشكل الفرآن من 159 ـ 160. وينظر: روح المعاني: 9 / 480.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 651. وينظر: المتنخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء، ص 8.

⁽³⁾ أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 154.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسير: 3 / 619. وينظر: الجامع الأحكام القرآن: 20 / 242.

والانتقام من الرسول ﷺ والمسلمين وهذا المعنى قد وصف القرآن به المشركين في مواضع اعرى (١٠) والكتابة جسدت هذه الصفة بالتعبير عنها يجبل من مسد المرتبي والملسوس فعله لترسخ المعنى في نفس التلقى ويتجنب السلم هذه الصفة.

وبالنظر إلى سورة المعد أو اللهب يتجلى ملحظ في وجالي للكنايتين فيها، ويحسن بنا إيرادها ليتضح ذلك: ﴿ تَبَتّ مُمَا أَشَى فَعَتَ مُنَالُهُ وَمَا صَحَسَلُ ﴾ وأن مُمَا تَضَمَلُ كَارَا مُلْمِ وَتَبّ هُمَا أَشَى عَتَمَ مُنالُهُ وَمَا صَحَسَلُ ﴾ وأن ألكنايتين تتناسقان مع الأداء التعبيري للمسورة في موضوعها وإيجاءاتها، فالسورة تجترح لعبد المُزّى زرج إم جيل السمأ جديداً على سبيل الكتية (أبو لهب)، وهي كنية يكسوها لهب ونار، وهو ﴿ سَيَصَلُهُ كَانًا لَمُ لَمُ عَلَى الكتية (أبو لهب)، وهي كنية يكسوها لهب ونار، وهو ﴿ سَيَصَلُهُ كَانًا لَمُ لَمُ عَلَى الله وقود النار. وهي مستصلاها وفي عنقها حيل من مسد، وبذلك يتجلى تتاسق في اللفيظ، وتناسق في الصورة، فجهنم هنا نار ذات لهب. يسلاها أبو لهب ! وامرأته تحمل الحطب وتلقيه في طريق محمد لإيذاك (بهناء الحقيقي أو إلجاري). والخطب ما يوقد به اللهب. وهي تحزم الحسل. والخبل من مسد. ليتم الجزاء من جنس العمل، وتتم الصورة بمحترياتها: الحطب والخبل. والنار واللهب. يصلى به أبو لهب وامرأته حالة الحطب "فنموم النار وتضرياتها: الحطب والخبل. والنار والهب. يصلى به أبو لهب وامرأته حالة الحطب "فنموم النار وتضديها بالوقود ليستمر أوارها من ودن أن تدري بأن زوجها هو الذي سيصلاها وأنها ستلحق به.

غل اليد إلى العنق وبسطها كلَّ البسط:

من الكنايات المصرّرة الموحية قوله _ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَجَسَلَ بَسُلَةَ مَقَلَيْلَةَ إِلَىٰ مُتُولَةً إِلَىٰ مُتُولًا وَلَا تَجَسَلُونَا كُلُّ الْلِسَوْلِ فَنَقْعُكُمْ مَلُومًا تَحْسُمُورًا ﴾ (10

ينظر: سورة الأعراف، الآية: 179. وسورة الفرقان، الآية: 44.

⁽²⁾ في ظلال القرآن: 8 / 699.

 ⁽³⁾ سبورة الإمسراء، الآية: 29. وتبود صبورة (غبل اليبذ) في موضع آخر من الشرآن في سبورة الماشدة،
 الآية: 64، كتابة عن نظل اليهود.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، من الآية: 143.

فكل غلوَّ أو تفريط يخلُّ بهـذا التوازن منهيٌّ عنه. فالبخل هو تفريط. والتبذير إفـراط وإسـراف، وكلاهما ليس من الفضائل التي بحثٌ عليها القرآن.

ويعرف الفلاسفة الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين (١١. فالجود يُعد فضيلة، ولكن الجموح فيه يعد رذيلة، كما أن الاقتصاد والتدبير محمود ولكن المغالاة فيه ملمومة.

وحين ينهى القرآن عن (البخل والتبذير)، فإنه لا يسلك في ذلك التعبير الـذهني الجمرد، وإنما ينهى عنهما قوياً مؤثراً، وهذه سمة من سمات الكناية عامة،فهي وسيلة تعبيرية محسوسة تعلق بالنفس وتشرها لأنها تُبدي المعنى في صورة حسية، والصورة الحسبة أكثر تأثم أ من الحيدة لأنها أقرب إلى التصور وأدعى إلى التمثل في الخيـال، وبـذلك تكـون أسـرع إلى الفهــم وأكــد في احداث رد الفعل،قال عبد القاهر الجرجاني: "إن اثبات الصفة باثبات دليلها، وإيجابها بما هم شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها ساذجاً غفلاً "(2).

فالكناية ﴿ وَلا يَجْمَلْ بَدَكَ مَثَلُولَةً إِنَّ عُنُونَكَ وَلا نَبَسُّلُهَا كُلُّ ٱلْبَسُولَ ﴾ همي صورة تمثيلية حركية، مركبة من صورتين على سبيل التضاد والطباق ﴿ وَلَا تَجْسُلْ يَدَكُ مَثْلُولَةً إِلَىٰ عُنْقِكَ ﴾ إزاء إزاء ﴿ وَلِا نَبْسُمُهُمَا كُلُّ ٱلْبَسَطِ ﴾ على سبيل (اللف والنشر) (*) المرئب، أي عاد لفظ ﴿ مَلُومًا ﴾ إلى صورة فل البد إلى العنق، وعاد لفظ ﴿ غَشُورًا ﴾ إلى صورة بسط اليد كل البسط على الترتيب، وذلك لبيان عاقبة كل صورة تباعاً.

ولكون اليـد آلة العطاء يوظفها القرآن في التعبير عن صفتي التقـتير والتبـدير في صـورة قريبة إلى الذهن والحس. فنلحظ البد مغلولة إلى العنــق ﴿ وَلَا يَتَمَلُّ بِلَكُ مُثْلُولَةً إِلَىٰ عُنْكِكَ ﴾ كنايــةُ عر: (البخار) (٩) إلاّ أنَّ هذا المعنى المُكنى عنه يـصل إلى المتلقى في صــورة طريفـة. فالبخيــل في

 ⁽¹⁾ ينظر: الفلسفة الحُلْقية نـشاتها وتطورها، د. توفيسق الطويس، ص 58. وينظر: تهدايب الأخدائ. مجي بن عدى، ص 24. وينظر: الملاهب الأخلاقية الكبرى، افراتسوا فريغوا، ص 42.

⁽²⁾ دلائل الإمجاز، ص 110_111.

^(*) اللف والنشر: أن يذكر متعدد، ثم يلكر ما لكل منهما شيئاً من غير تميين احتماداً على تـصرف الممامع في تمييز ما لكل والحد منهما، وردّه إلى ما هو له. وهو توعان: النشر فيه على ترتيب اللّغ، والنسشر على خبلاف ترتيب اللَّف. ينظر: خزائمة الأدب، ص 66. وجمواهر البلاغة في المساتي والبيان والبديم، ص 376_377.

⁽³⁾ ينظر: من بالاضة القرآن، ص 226. وينظر: التعمير الفيني في القرآن، ص 201. وينظر: البلاغة العربية المعانى والبيان والبديم ،، ص 229.

هـذه الصورة الكتائية ليس هو مجرد ثغيل يمنع عطاءه عن الناس في كل حين، ويكتنز ما عنده،
شحيحاً على نفسه.. وإنما هو إنسان مغلول البدين في صورة غربية، لأن يديه ليست مغلولتين
إلى أمام كما هو مألوف، وإنما يداه مغلولتان إلى عنقه فلا يستطيع حركة.. إنها صورة تناسب
موضوع البخل بما فيها من قوة تصوير وغرابة وذلك لأن البخل _ فيما يبدو _ هو أشد ضرراً
من ضدة (البذير)، وأكثر كوماً إلى النفس، الذلك لجد القرآن في عدة مواضع يصف الذين يقون
انفسهم الشع بالفلاح (11) وذلك لتجاثره في النفس والتمكن منها، والبخل أشرب إلى الشر
من (التيذير) الذي كتي عنه بهذه الصورة ﴿ وَكَل نَسْطُهَا كُلُّ الْهَامُول ﴾ وهي صورة تخف قوتها في
التصوير إذاء كتابة (البخل)، وذلك لأن التبذير _ وإن كان مذموماً _ هـو قريب في طبيعته من
الخد والمنعة.

وصورة غل اليد إلى المنتى ترحي بالقيد المانع من الحركة، وفي هـذا إمــــاك عــن العطــاء، كــا أنّ بــط اليد يُوحي بالحلو التام، وفي هـلما دلالة عـلى العطاء الكثير الذي لم يُبقر شيئاً ويمكــن إن نمد ذلك تله بِحاً.

ثم تمدور الآية ما تتهي إليه الصورتان الكنائيتان بدلك التعقيب الموحى: چو مُنَقَعَدُ مُرَّعًا عَسْرَدًا ﴾. فمن مكوًا تَشْرَدًا ﴾. فمن معاني الحسير: الدابة تعجز عن السير فتقف من الإعياء والتعب، قال ابن منظور: 'حَسْرت الدابة إذا سيرَّهُا الدابة والناقة حَسْراً واستَحْسَرَت الدابة إذا سيرَّهُا الدابة والناقة حَسْراً واستَحْسَرَت: أَمْيَت وكَلَّت. والعرب تقول: حَسْرت الدابة إذا سيرَّهُا حضى من ال في التعمير القرآئي دلالة ساخرة من البخيل والمسرف، فكلاهما بالتعموير (قامد): فالبخيل قالمحقول اللوم الذي ينها لل عليه من كل جانب، والمبذر أيضاً قسيد الأرض بعد أن نفذ ماله، ويمكن أن نتطله جالساً مطرقاً إلى الأرض، شارد اللمن، يقيض أسى وحسرة والله، فلم يجد من ماله شيئاً، ولم يجد من اللين وجدها

⁽¹⁾ ينظر: سورة الحشر، الآية: 9. وسورة التغاين، الآية: 16. وكبلا المؤسمين في سياق الحث على الإتفاق. أما المؤسم الأخير اللذي ورد فيه لقبظ (الشيع) فهيو في سورة النساء، الآية: 128. يشمل معنى البخل في الإتفاق ومعنى آخر في سياقه (سياق الصلح بين الزوجين).



أمعنت في الانزواء من حيث أراد لها الظهور ^{•(1)} وهكذا تظـل صــورة البخـل وصــورة التبــلـير عالقة في الحس والوجدان نفعل فعلها، وما كان أي تعبير آخر أن يبـلغ إلى الحــس مــا يبلغــه هــذا الأسلوب الكناتي.

قبض اليد:

الكتابة: ﴿ وَيَعْمِثُونَ الْجَيْهُمُ ﴾ تضيف صفة جديدة للمنافقين تنمثل في (البحل). قال ابن قنية: " يسكون عن العطية، وأصل هذا: أن المطبي بيد، يمدها ويبسطها بالعطاء، فقيل لكل من فخل ومنم: قد قبض يده " (9.

والتصوير الكتابي يُوحي بقوة هـلم الصفة في شخصية المنافين وتحكها في أنفسهم، وذلك لأن القبض تناول الشيء مجميع الكف، نحو قبض السيف وغيره. وقبضها عن الشيء جمها قبل السيف وغيره. وقبضها عن الشيء جمها قبل تناوله، وذلك إمساك الله إمساك البد عن البلل: قبض المنافق نها إيجاء القوة تشير إلى الإمساك النفسي للمنافقين (البخل) عن الإنفاق، والقبض على الشيء في إيجاء القوة في إيجاء القرة في الإمساك، وهو إيجاء يناصب دلالة البخل المقترنة بالمنافقين، لأن النفوس المنافقة هـدفها المنعمة اللماتية، لا تعرف البلل والتضحيق، بل البخل من المقومات الأساس فيها، ويؤكد هـذا الإيحاء ويقوعه صبغة الكناية بالفصل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث (2) فهي صمة متجددة للمنافقية في كل وقت.

⁽¹⁾ أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 184.

⁽²⁾ سورة التربة، الآية: 67.

⁽³⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 167.

⁽⁴⁾ القردات، ص. 590.

⁽⁵⁾ ينظر: معانى الأبنية في العربية، ص 9.

فالكناية تجسد الحالة النفسية للمنافقين المطبوعة على الشح والبختل في صورة حيّة تتمشل يحركية اليد في وضع يشي بالحرص على الشيء والامتناع عن إعطائه فضلاً صمّا قررته الآية مـن صفاتهم الاشوى.

النقيره

ويصورٌ المقرآن مخل اليهود بكتابة (النقير) في قوله ـ تعالى ــــَ ﴿ أَمُّ مُكَمَّ تَصِيبٌ بَنَ ٱلنَّمُلُكِ فَإِذَا لَا يُؤَمُّونَ الثَّاسَ تَوْبِيًا ﴾ (١٠.

الكتابة: ﴿ وَتَوَمُ ﴾ تجلي جانباً من شخصية اليهرد التي عرضها القرآن في مواضح شمى، ومنا تتجلى صفة الأثرة البغيضة، والبخل الشديد برصفه طبيعة أصيلة دائسة، كما تسرحي الكتابة، فالتقر أصله: "التُكتّة في ظهر النواة "⁽²⁾ والنقر يُضرب به المثل في الشيء الطفيف ⁽²⁾ فهو رمز من الشيء التافي الحقي المثنية اليهردي. فالكتابة تجسد بخلهم على نحو خصوص ⁽³⁾، فهل هناك أحقر من نكتة أو نقرة في ظهر نواة تشع بها النقس وتأبى أن تعطيها للناس، فالكتابة على بساطتها التعبيرية تجسد المبالغة في المعنى إلى أقصى ما تكون عليه النقس من أثرة وبخل، فكيف الحال لو كان لهم نصيب من الملك؟ إذن لهلك الناس جيماً من دون أن يعطوهم الشيء الحقير النافه ﴿ تَوَمَّا ﴾

والكتاية وإن كانت تقرر حقيقة الشخصية اليهودية في جانب من جواتبها، إلا أنها تجلي سخرية القرآن منهم في أجلى صورة وهي تدمقهم بصفة البخل، وتكشف من حرصهم على حياة في أحقر صورة، وأن نفوسهم قد نضبت من أي باعث إنساني يحركهما الإيشاء الناس شيئاً ولو كان ﴿ كَتِيلًا ﴾:

⁽¹⁾ سورة النساء، الآية: 53.

⁽²⁾ أساس البلاغة، ص 470 (نقر).

⁽³⁾ القردات، ص 677.

 ^(♦) لللاحظ على كناية ﴿ وَتَوْبِدُ ﴾ أنها لم تأت في القرآن كتابةً من البخل إلا في هـلما الموضع وصفاً لليهود لهى تختص بهم.

بل هم لا يتحرجون حتى مع لله للله من ما لله الله عنه منهم الاثم في أبشع صوره كما يحكمي عنهم الفرآن في موضع آخر يتصل بمعنى الكناية ويقريها، وذلك في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيُهُودُ يَدُ اللَّهِ مُنقُولًا هُلُتَ إِذَ وَلِمُونًا بَا قَالُواْ مِنْ يَكَامُ مُنِسُوعَتِان بُجِينُ كِنْكَ يَثَاثًا ... ﴾ (١٠.

﴿ ظُلَّتَ آيَدِيمَ ﴾ دهاء عليهم بالبخل وإثبات هذه الصفة لديهم، لذلك فهم أبخل خلق الله
لأن الدماء من الله قضاء افافد. قال الزخشري: "معناه الدماء عليهم بالبخل والنكد، ومن شم
كانوا أبخل خلق الله وانكدهمفإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل
والنكد؟ قلت: المراد به الدماء بالخذلان الذي تقسو به قلويهم فيزيدون بخدة إلى بخلهم ونكداً
إلى نكدهم "كُنه فهي طبيعة ثابتة فيهم، إلا أن الكناية في تصويرها القري بغل البيهم دالة على
بخلهم الشفيد المناصل في انفسهم، فهي لا تتحرك إلى عطاء ولو كان ﴿ تَقِيلًا ﴾ ، وبدذلك
تتواشج الكنايتان في التصوير والثمير.

منع الماعون:

ويعرض القرآن كناية أخرى عن (البخل) الذي ينشأ بسبب السهو عن السلاة ومراءاة الناس، وذلك في قوله ــ تعالى ـــ: ﴿ فَوَسُلُّ الْمُصَلِّحِينَ ۞ الَّذِينَ هُمَّ مَنَ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمَّ يُرْيَّاوُونَ ۞ وَيَسْتَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ (⁶³

﴿ وَيَعَشَوْنَ أَلْمَاهُونَ ﴾ كتاية أوجي بمعان كثيرة، ومن معاني هذه الكناية ما ذكره بعض المنسرين: ألماهون: الزكاة. وعن ابن مسعود: ما يتعاون في العادة من الفاس والقدر والدلو والمدلو والمقدحة. وعن عافشة: الماء والنار والملح * (المناق المائة لهذه المعاني ودالة أيضاً على كل بر يمنعه الانسان في كل صوره وأشكاله بدافع (البخل) الذي تشير إليه عبر الواسطة (منع المائون) التي تمثل حركة حسية بحسمة يسببها البخل. وهذا البخل ناشيء كما يقسرا المعلاة على التراني من السهو عن الصلاة على التراني من السهو عن الصلاة على وجهها، ولو أنهم أقاموها حقاً لظهرت آثارها في السلوك والواقع، ومن هذه الآثار مديد العون للناس.. وبذلك فإن إقامة الصلاة على وجهها الصحيح تنشيء آثارها العملية الحقائية الإيجابية

مورة المائدة، من الآية: 64.

⁽²⁾ الكثاف: 1 / 628_627 (2)

⁽³⁾ سورة الماهون، الآيات: 4، 7.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4/ 643. وينظر: صفوة التفاصر: 3/ 609.



من خلال تنميتها بفرائز الخير وتهذيبها لغرائز الشر، التي تمثلت هنا في الكتابة بصفة (البخل) بوصفه قيمة حُلُقية سلبية يُحَلِّرُ القرآن منها المؤمنين، ويشتد التحلير من هذه الصفة عندما يُكنى القرآن عنها بالفحشاء،وذلك في قوله _ تعالى _ في سياق حث المؤمنين على الإنفاق من طسيات منا يكسسون: ﴿ يَعَالِيُهَا ٱلَّذِي عَامَتُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّكَتِ مَا كَسَيْتُمْ وَمِيًّا أَوْتَمَا لَكُم مَّرّ الآرَيْنُ وَلا تَيْمَمُوا الخِيتَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم عَاضِلِهِ إِلَّا أَن تُنْمِشُوا فِيدٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ عَنْ حَسِدُ اللَّهِ اَلَشَيْكَانُ يَهِدُكُمُ الْفَتَرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْسَكَةِ وَاللَّهُ يَهِدُكُم مَّفَغِزَةً مِّنْهُ وَفَضَالاً وَاللَّهُ وَسِمُّ عَلَيْهِ لَهِ (١٠.

الآية نداء عام للمؤمنين تحثهم على الإنفاق من جميع أنواع المال الحلال الطيّب في كـل صموره وأشكاله.. ويُكنى عن (البخل) بالفحشاء ﴿ الشَّيْطَانُ بَيِدُكُمُ الْفَقَرَ وَيَأْمُرُكُم الْفَحْشَكَةُ ﴾. جاء في أساس البلاغة: ' فلان فاحش أي بخيل، ومنه: ﴿ وَيُأْمُرُكُم بِالفَحْسَكُو لَهُ ١٤٠٠ وجاء في لسان العرب: "الفحش والفحشاء والفاحشة القبيح من القول والفعل، وجعها الفواحش.. وهو كيل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى.. وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة.. وأما قول الله الله: ﴿ اَلشَّيْطَانُ يَهِدُكُمُ الْفَقَرَ وَيَأْمُرُكُم كَالْفَصْسُكَةً ﴾ قال المفسرون: معناه يأمركم بأن لا تتصدّقوا، قيل: الفحشاء ههنا البخل، والعرب تسمى البخيل فاحشاً "(3). وجاء في التفسير: ﴿ الشَّيْطَانُ بَيِدُكُمُ ٱلْمَقَر ﴾: أن السر في بخلكم بصرف الطيّب واقدامكم على صرف الردئ همو غافة الفقر الذي أنذركم الشيطان به حيث ومسوس في صدوركم أنكم إذا صوفتم الجيِّد يبقى لكم الردئ. ويأمركم بالخصلة الفحشاء، أي البخل واللُّوم وعبة الأسور العاجلة التي تكون سبياً لمباشرة المعاصى الفاحشة، ولذلك تصرفون ما لا خبر فيه (44.

فالفحشاء كناية عن (البخل) ولكنها تخرجه بظلال بشعة موحية مكتسبة من إيحاءات الكتابة اللالة على ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى، فيتجلى التهذيب الخُلُقي الله تبعثه في نفوس المؤمنين فتنفّرهم أشمد ما يكون التنفير من البخسل والشمع بوصفه معصية تفحش . فتتجاوز الحد، لأنها تمنعهم من الانفاق في سبيل الله، وتبعث في نفوسهم الخوف من الفقر، أو انفاق الردئ الخبيث بدلاً من الحلال الطيِّب، الخبيث الذي تعافه النفس فلا تقبله إلاَّ على غير

سورة البقرة، الأيتان: 267_268.

⁽²⁾ ص 335 (فحش). وينظر: الكشاف: 1 / 396.

^{(3) 6 / 325 (}قحش).

⁽⁴⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 2 / 106 ـ107.



من التغافل والنساهل والامتعاض كما تـصور الكنايـة هـذا المعنى النفـــي مـن خـــلال حركــة الهماض المعين أن التي تشير إليه: ﴿ وَلَسَتُمْ يَعَاجِلِهِ إِلَّهَ آنَ تَشُّوشُواْ فِيهُ ﴾:

ثم يكشف السياق القرآني عن الباعث الحقيقي الأمر بكل هذه المساني: بخل النفس وامساكها عن الانفاق، أو انفاق الردئ الحبيث، والحوف من الفقر، يكشف عن باعث وهــو الشيطان: ﴿ الشّيّخَلُقُ يَهِدُكُمُ الفَّمَدُ … ﴾، فهو الآمر بكل فحشاه.. ويتصاعد التنفير في النفوس والقلوب عا يامر به الشيطان ويَعِدْ.

تصعير اثقد:

ينهى القرآن الكريم عن التكبر بوصفه سلوكا خُلقياً مذموماً، قال عنه طلماء النفس بانـه شعور خفي بالحاجة إلى أن تتفوق الشخصية على الآخرين، أو أن تبـسط نفوذها عليهم، أو تصبح متميزة منهم بشكل أو بآخرياتي شعور المرء بالتكبر أو العلو نتيجة إحساسه الداخلي أو الملك فيقوم بتعويض ذلك بتكلف التعالي على الآخرين (¹⁰⁾ ويعلل أحد المفسرين سبب ذم التكبر قاملاً: إن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الحلق، إذه ليس لمه كير ولا عُلُوه بل ليس له إلا الدِلَة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذباً فكان صدموماً في حق الحاس (10).

وحين ينهى القرآن عن هـذه الصفة النفسية المدومة، فإنسه يُوطِّـف الأسـلوب الكنـائي المسرَّد للمعنى فيرز تلك المشاعر النفسية المريضة ويجسدها في وضمع ظاهر للعيـان مـن خـلال تلك الحركات المادية التي يصطنعها المتكبرون.

ينظر: القردات، ص 548. وينظر: الكشاف: 1 / 396.

 ⁽²⁾ دراسات في علم النفس الاسسلامي، د. عمسود البسستاني: 1 / 235. ويتظر: الألفاظ الفسسة في القرآد الكوبم، ص 152.

⁽³⁾ التفسير الكبير: 29 / 294.



منها كناية (تصمير الحد) الواردة في قوله - تعالى - على لسسان لفعان الحكيم بعينظ ابنـــه بالتواضع للناس ولين الجانب لهم، وينهــــاه عــن التكـــبر: ﴿ وَلَا تُشَيِّرَ حَلَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَشَيْ فِي الْأَرْضِ مُرَّسًا إِنَّ اللَّهُ لَا يُشِحُّ كُلُّ تُحْتَالِ مَشْوَرٍ ﴾ [40.

قوله _ تعالى _ : ﴿ كَلَا شُمِيْرَ خَلَكَ ﴾ كتابة عن صفة التكبر، وهي تصور للتكبر في صورة فنيسة بالفسة التساثير، إذ يرتسم فيهما المتكبر شخصاً مريضاً، وذلك آن (السمئنر): "داء ياخذ البعير فبلوي منه عنه ويُميله "⁽²⁾ فهو مرض يصيب الإبل فيلوي أعناقها فتمشي معوجة المنق منقلبة الرجه إلى أحد الشقين، فهو منظر يثير العطف في المشاعد.

يعمد القرآن بهذا التصوير الكتائي إلى هذا المرض فيصم به المكتبر التصالي المعرض بوجهه عن الناس، وهو بحسب بذلك الباعث النفسي المريض أنَّ له هيبة ومكانة، وأن ذلك يزيد ترفّعاً وجاهاً. وهـو في حقيقته كما تخرجه الكتابية شخص صريض، وبدلاً من أن يشير الرهبة والحرف في نفوس الآخرين يثير السخرية والإزدراء لآنه اصطنع في مظهره صورة متكرة شديد النكر.

ويذلك تكنف الكناية دلالة التنفير من هذا السلوك الاجتماعي (التكبر)، فإن النفس السوية لا ترضى أن ترتسم في هذه الصورة الزرية وهي تمشي بين الناس، كما تجلي الكناية سمة فنية للقرآن في رسم صوره، وهمي توظيفه لعناصر بيئية، وذلك ليكون المشهد أقرب إلى انفسهم، وأكثر تأثيراً في حسهم (¹⁰⁾ كما في هذه الكناية التي يعرقها العرب في بينتهم.

ليَّ الرؤوس:

سورة لقمان، الآية: 18.

 ⁽²⁾ لبنان العرب: 4 / 456 (صعر).

⁽³⁾ ينظر: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص 173.

⁽⁴⁾ سورة المنافقون، الآية: 5.



الكتابة: ﴿ وَلَوَا تُوْصِهُمُ ﴾ حركة مادية تجسد حالة نفسية خاصة بالمنافقين، يُعَـال." اللـوي الرجلُ برأسه ولوَى راسه: أمال وأعرض. والـوى راسـه ولَـوى برأسـه: أمالـه مـن جانـب إلى جانب "(٨٠ وقـال الزخشري: "عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً.

والتشديد للتكثير "أ⁽¹⁾ والمبالغة. فهي كناية عن استكبارهم وإعراضهم عن دعوة الرسول # للاستفقار لهم. والكناية تمدل بالتشديد على أنهم قد اعتادوا هذه الحركة بكثرة، أأن تضعيف العين في الفعل يدل على تضعيف الفعل، أي أنهم قد كرروا هز رؤوسهم وتحريكها عما يؤكد دلالة استكبار المنافقين وإعراضهم فضلاً عن استهزائهم، وقد يكون المراد تكثير عمال الهزر وهي الرؤوس ، أي لوى جم كثير منهم رؤوسهم استهزاء واستكباراً (⁽²⁾)

التمطي:

وردت هذه الكناية في موضع راحد من القرآن في قوله _ تعـالى ...: ﴿ وَتَكِينَ كُنْبُ رَتَوْلَى ﴿ ثُلِمَ هَمْهَا إِنْهُ لَقَلِيمِ يَسْتَقُقُ ﴾ للله أنف للهُ تَلْهُ ﴾ ⁽⁴⁾

تصورً الكناية مشية الإنسان الكافر المرصوف في هذا النص القرآني (* فن المطّ: المائه يقال: مَطْرَتَ بَالقَدُومَ مَطُواً إذا مَنذَت بهم في السير، وتمطّى النهار: اصنة وطال. وتمطّى بهمم السفرُ: امند وطال، وكمل شيء مَنذَكه فقد مَطُوئه، والمطيّة من الدواب: التي تمطُّ في سيرها، وهو ماخوذ من المُطُورُ في المُذَّ (ومن دالالة المطاً على المدجاء "النمطي" ليدل على التبختر ومد اليدين في المشمى، (⁶³ وأصل ﴿ يَتَنظَى ﴾: يتمطط، فقلبت الطاء فيه حرف علة كراهـة اجتمـاع الأمشال. ومعنى يتمطط: يتمدد لآن المنبختر بمد خطاء،وهى مشية المُنجب بنفسه، وقيل المعنى: عـد مطاه

أسان العرب؛ مادة (لوي):15 / 264.

⁽²⁾ الكشاف: 4، 433.

 ⁽³⁾ ينظسر: لفسة للنسافتين في القسرآن، د. عبسد الفتساح لا شسين: 2 / 234. وينظسر: تفسسير التحريسو
 والتنوير: 28 / 244.

⁽⁴⁾ سورة القيامة: 32_33.

 ⁽ه) قبل أنها نزلت في أبي جهل. ينظر: صفوة التفاسير: 3/ 488. ولباب النفول في اسباب النزول /،
 م. 775

⁽⁵⁾ بنظر: أسان العرب: 15 / 284_285 (مطا).

أي ظهره ويلويه من التبختر ^{(1).} والتكلف والتصنع واضح في مشية هـذا الانسان الكافر المضرور يـذل على ذلك صيغة (تفعّل) التي تفيد هذا العني^{(2).}

فالكناية تصوّر الكبر المنبعث من الاعجاب بالنفس من خلال حركة الجسد كله وليس من خلال حركة الجسد كله وليس من خلال الرأس وهـزه أن تصعير الحد كما في الكنايتين السابقتين، وبذلك تتعاظم دلالا كراهية هد المشية والسخرية اللاذعة بهذا الذي يتمطى، فضلاً من أن هذا المشهد ياتي مباشرة بعد مشهد الاحتصار المتصل بمشهد من مشاهد يوم القيامة: ﴿ ثَكُولًا فَيُؤَلِّكُ اللَّهُ وَيُونُهُ عَيْمُ اللَّهُ وَيُونُ اللَّهُ وَيُونُ عَيْمَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

وهذا تصوير على نسق خاص كأن ليس بينهما فاصل زمي، ذلاك أنه ' صرض مشهد الاحتضار المقبل، كانه حاضر الآن! ثم جعل الحياة الحاضرة، كانها من ذكريات الماضي ! لبرى هذا الذي التقت منه الساق بالساق من الهول والرعب،أو من الداء والألم، وبلغت روحه التراقي، وتسامل من تسامل: الا من راق يرقيه ويرفع عنه هذه الحال، وتوقع هو أنه مغارق هذه المناو وينافي منه المناو منه منه المناو، ويترفع منه علم الخوى. وهو يكذب ويترلى، الدنيا وما فيها. لبرى صورته هذه، ويستحضر في خياله صورته الأخوى. وهو يكذب ويترلى، ويذهب إلى أهله يتمطى، تيها وكبراً (10) فمن شأن هذا النسق الحاص للسياق الذاء الضوء على هذه الشخصية المفرورة الغافلة في تبخترها واصحابها بنقسها فتتكبر ويتنظرها هذا المصير الدي سيفاجئها بسرعة فهو التيه والشهال والنفلة.

ثُنِّي العطف:

ولون آخر من الوان التكبر في الحركة والشعور نجسده الكنايـة (شي العطف) في قولـهـ نعالى -: ﴿ وَمَنَ النَّابِسَ مَنْجُنُولُ فِي الْهُوجِيْنَدِ عِلْوَكَةَ هَلَكَ وَلَا كِنْتُمِ شَيْدِيقٍ الْهُو الدُّيْلِ خِزْقٌ نَظِيقُهُ مُزِيمَ الْهِيْمَةِ وَمُلْكِ لَقَهِيقٍ ﴾ (٥٠ لَقُولُ الدِّينِ فَيْرِهِ اللهِ

ينظر: الكشاف: 4 / 531. والطسير الكبير: 30 / 233.

⁽²⁾ ينظر: الألفاظ النفسية في القرآن الكريم، ص 166.

⁽³⁾ سورة القيامة، الآبات: 20 ـ 33.

⁽⁴⁾ مشاهد القيامة في القرآن، ص 69.

⁽⁵⁾ سورة الحج، الأيتان: 8_9.

الكناية التصويرية قوله _ تعالى _ ﴿ قَانِيَ عِلْمَهِم ﴾ نجسد حالة نفسية متعالية متعجرفة وذلك من خــلال حركة ثنى العطف. والعِطْفُ: المُنْكِبُ وعِطْفًا الرجل: جانباه عن يمين وشمــال وشقاه من لذن رأسه إلى وركه "(١)، وهي حركة تشير إلى معنى الكبر والخيلاء، كتصعير الخد وليّ الجيد. وقيل: الإعراض عن الذكر "(ك" وقال الراغب: "ثاني عطف: عبارة عن التنكر والأعراض غوز لدى شدقه، ونأى بجانبه "(3) فهو (التكر) المنبعث عن الإعراض عن آيات الله، وهذا المعنى المكنى عنه هو أقرب إلى السياق.. وهو صورة من التكبر شديدة الكراهية لكه نها تتعلق بآيات الله والجنال فيها بغير علم بهذا الباعث النفسي الممقوت، ولكون الشاني عطفه يجادل ﴿ يُجَدِلُ فِي أَلَّهِ بِمَنْهِ عِلْمِ وَلَا هُدُى وَلَا كِنَابٍ شَّيْمٍ ﴾ اي لا يستند إلى حقيقة يركن إليها، ولا حق يجادل عنه، فإنه يعوّض عن فراغه النفسي والعقلي بتلـك الحركـة الدالـة على تكبيره وإعراضه، قضلاً من أنه مضلّ لفره عن الهدى والكتاب المنير.

انفاض اثر ؤوس:

يقدّم القرآن بهذه الكتاية لوناً آخر من ألوان التكبر عن الإيمان باعثه التعجب والاستهزاء من فكرة إعادة الحياة بعد الموت وذلك في قوله _ تعالى _ : ﴿ وَقَالُواْ لَّوَنَا كُمَّا عِطَامًا وَنَفْكًا لَّونًا لَتُسُدُّدُنَ غَلْقًا كِدِيدًا ﴿ إِلَى الْمُواحِدُونَ أَوْ كِيدًا ﴿ أَوْ مَلَقًا إِنَّا إِنَّ كُنُ فَ مُدُورًا فَ مَن أَمِدُمُا اللَّهِ اللَّهِ مُعْلَمُ اللَّهُ مَن أَمِدُمُا اللَّهِ اللَّهِ مُعْلَمُ اللَّهِ اللَّهِ مُعْلَمُ اللَّهِ مُعْلَمًا اللَّهِ اللَّهِ مُعْلَمًا اللَّهِ اللَّهِ مُعْلَمًا اللَّهِ مُعْلَمًا اللَّهُ مِن أَمِيدُمُا اللَّهِ مُعْلَمًا مُعْلَمًا اللَّهُ مُعْلَمًا مُعْلَمُ اللَّهُ مُعْلَمًا مُعْلِمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلِمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلَمًا مُعْلِمًا مُعْلِمً عُلُ الَّذِي فَلْرَكُمُ أَوْلُ مَرَّةً مُسَيِّعِهُ وِنَ إِلَىٰ رُءُوسَهُمْ وَعُولُونِ مَنَّ هُوٌّ قُلْ مَسَى آن يَكُوبَ فَيها ﴾ (4)

في المنص الكريم كنايتمان، الأولى: قوله: ﴿ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْحَدِيمًا ﴾ والثانية: ﴿ نَسَيْتُونَوْنَ إِلَيْكَ رُمُونَهُم ﴾ قال الزنخشري: لَمَا قالوا: أندا كنّا عظاماً قيل لهم ﴿ كُونُواْ حِبَارَةً أَوّ سَيِينًا ﴾ فرد توله: كونوا، على قولم: كتَّا، كانه قيل: كونوا حجارةً أو حديداً ولا تكونوا عظاماً، فإنه يقدر على إحياثكم والمعنى: أنكم تستبعدون أن يجدّد الله خلقكم، ويردّه إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحس وغضاضته بعدما كنتم عظاماً يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هو همود خلقه الذي يُبنى عليه سائرة، فليس ببدع أن يردّهـا الله بقدرتـه إلى حالتهـا الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس منا ركب منه البشر، ــ وهمو أن

⁽¹⁾ لسان المرب، مادة (عطف): 9 / 250. وينظر: المقردات، ص 506.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 115.

⁽³⁾ المقردات، ص 111.

⁽⁴⁾ سورة الإسراء، الآيات: 49 ـ51.

تكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أن طباعها الجسارة والصلابة ـ لكان قادراً على أن يردكم إلى المائة و أو تنظام ينا المحياة و أو تنظام ينا يكبر عندكم عن قبول الحياة حويمظم في زعمكم على الخالق احياؤه فإنه يجيبه (ألك و حدولاه الكافرون لا يمكون أن يكونوا حجارة أو حديداً ولكه كنا يقتل الحياة تشعير إلى معنى التحدي والتعجيز لهم، فضلاً عن توييخهم حجارة أو حديداً ولكناية بالحجارة والحديد وهما من الجماد الذي لا يحس ولا يشعر فيهما إيام أن ما في الكارم الكام الكام والمعتبر المحاوة في المحيوة في المحياة إلى ما في المائة المحياة بعد المحياة والحديد وهما من الجماد الذي لا يحس ولا يشعر فيهما إيام وريتاني من جود أو تحجر، أو أكبر من هذا الإيجاء وأهم كما أضاد التعبير بعد الكتابية والكناية و مَنْ يُومِي تتعالوهم واستهزائهم وتكبرهم كما تجسيده الكتابية في مي يومي يتعالوهم واستهزائهم وتكبرهم كما تجسيده تمائي المحيدة والحي تحمل ذلك التعمور المتحبر الجاهد، قال الفراء "يقال أنفض فلان وأسه إذا حركه إلى فوق وإلى السنهزائم والتي يومي تتعالوهم واستهزائم وكرنها غوك تعجباً أسفل حواله والكنى عنه هو: التعجب والاستهزاء المنبعث عن تلك الحالة النفسية المتكبرة عن الإمان المستذرة، وتصاهد دلالة الانكار وتعمق بالاستفهام بالاداة مني ويتواؤوك من هواء أل

الإعراض والناي بالجانب:

تصوَّر هذه الكتابة تكبر الانسان حين النمه والرخاء، ويأسه وقنوطه حين الـشدة، نقراً ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا أَلْمَتَنَا قُلَ الْإِنْهَا أَمُونَا وَيُقَافِيرًا وَإِلَا اللَّهِ أَلَا اللّ

الكتابة في ـ تعلل ـ ﴿ أَمَهُنَ وَكَا يَعَالِيهُ ﴾ والإعراض والناي بالجانب حركة بُراد منها ما تشير إليه من معنى الاستكبار وياعثه الطفيان. وفي الكتابة تأكيد لهذا المعنى المكنى عنه، لأن ﴿ وَكَا يُعَالِيهِ ﴾ تأكيد للإعراض، قال الزهشري: الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. والناي بالجانب: أن يلوي عنه عطفه ويوليه، وأواد الاستكبار، لأن ذلك من هادة المستكبرين أ

الكشاف: 2/ 524. وينظر: صفوة التفاسير: 2/ 163_164.

⁽²⁾ الطسير الكبير: 20 / 226.

⁽³⁾ الكشاف: 2 / 524. وينظر: صفوة التفاسير: 2 / 164.

⁽⁴⁾ سورة الاسراء، الآية: 83.

(١) فالكناية تكشف عن صفة من صفات النفس المستكبرة في حين النعمة من صحة وصعة في الرزق.. فتصور هذه النفس النها مستغنية عن الله مستبلة بنفسها، فهي نفس معرضة لا تملكر ولا تشكر، بل هي تطغى وتبطر وتستكبر.. والجزء الاخير من الآية يكشف عمن الجانب الاخير المضاد لهذه الحالة النفسية: ﴿ وَلِهَا مَنْهُ الشَّوْكَانَ يَعْرَبُنَا ﴾ حين الشدة من فقر أو مرض أو نازلة من النوال ﴿ كَانَ يُوسًا ﴾ شليد البأس من روح الله (١٠).

ونلمح في حالة بافسة حين الشدة والبسلاء حركة خفية تقابل حركته هند تكبره وبطره، حركة نلمحه فيها مطاطأ الرأس هفوض الجانب من نسدة الياس والقنوط. فهذا الإنسان في الحالتين: حالة الاستكبار، وحالة الياس والقنوط مجانب لطريق الله، طريق الهدى.

وبذلك تلمح الآية بمجملها إلى قيمة الإيمان بالله والاتصال به في الحالتين، فهمو رحمة في السراء والضراء على حد سواء.

ونلحظ في الحالين النفسيين المتقابلين على النضاد في هذا النمط من البشر، أن التأكيد والقوة في النمير تجلّى في النمير الكنائي عن حالة الاستكبار المنبخة عن طفيان الإنسان حين النمة والرخاء أكثر من الحالة الثانية في التمييرعن الياس والقنوط حين الشدة والابتلاء، فالقوة النميرية في الكناية تمثلت في:

 تصوير المعنى المكنى عنه بحركة مادية حسبة، والتصوير الحسي للمعنى أكثر تأثيراً من التعبر اللحفي الجرد، شأنه شأن من يأتي بيئة على ما ادعى.

2_ تأكيد حركة الاعراض بقول: ﴿ وَكَا يَكْتِرُهُ ﴾. مما دلاً على تغلفل هــذه الحالـة الشعورية وتمكنها من النفس. وهذا لا نجده في الحالة المقابلة لها.

ويذلك تتجلى دقة التعبير الفرآني في الكشف عن أسرار النفس الإنسانية في تأثراتها وتقلباتها واظهارها بشكل محسوس، فالله الذي خلق النفس الإنسانية هو أعلم بها سن حاملها، ويعلم أي الأشياء ترضها وتنجلب إليها، وأيها مدهاة للنفور والرهبة.. ﴿ وَلَقَدَ خَلَقَ ٱلْإِسْنَنَ وَلِشَلًا مَا وَسُونُ بِهِ خَسْمًةٌ وَكُنْ أَلْزُنَ إِلِّهِ مِنْ حَلِي الرَّفِيدِ ﴾ (9.

⁽¹⁾ الكشاف: 3/ 538.

⁽²⁾ يتظر: الصدر نفسه: 2 / 538.

⁽³⁾ سورة ق، الأية: 16.





المشي على الأرض هوناً:

يقدم القرآن بهمذه الكناية صورة وضيئة في معانيها وإيجاءاتهما تقلف على النبضاد من العمور الكتائية السابقة التي أشارت إلى ألوان من التكبر على النباس والاستكبار والإصراض عن آمات الله.

هذه الكتابة تصوَّر خُلُقاً أيجابياً من أخلاق للإمنين وهم عشون بين الناس كما يصفهم بقوله ـ تعالى ﴿ وَمِسَادُالرَّسَوَالَّذِينَ يَسَشَّى مَوْلِلَّارِ مَوْلِكَ وَالْمَائِمُ الْمَائِمَةُ الْمَسِّدُونِينَ عَالَوْامَالُمَا لَمَ اللهِ

والكتابة ﴿ يَسْشُونَ مُؤَلِّلُونِي مُوفِكا ﴾ تتكف الدلالة فيها بالصفة ﴿ مُوَكِا ﴾ فهي تشير إلى معنى الرفق الذي يتحلى به هؤلاء الموصوفون بائهم ﴿ وَقِيَاتُهُ الرَّحْلَى ﴾ بهداء الإضافة التي توفعهم رخصصهم. قال الزغشري: ﴿ هَمْنَا ﴾ حال، أوصفه للمشي، بمعنى: هيئنا. أو: مشيأ هيئا، إلا أن وضع المصدر موضع ألصفة مبالغة. والمون: الرفق واللين (⁽¹⁾ والمعنى المكنى عنه: السكينة والوقار والتواضع ⁽¹⁾ فهم لا يضربون الأرض باقدامهم ولا يثنون أعطانهم ويلوون روسهم.. وإنما هو اللين والتواضع يتجسد في مشيتهم على الأرض برفق، فهم عبداد الرحن وإليه ينتسبون، تفيض من نفومهم الرحمة بالناس والمففرة هم ﴿ وَلِمَا عَلَيْكُمُ مُ المَبْدُولِيكَ عَالَمُ السفه وقلة من الإيلاء والاثم. والمراد بالجهل: السفه وقلة الآدب (⁽¹⁾ فهو الحلم والأدب والصفح الجميل الذي يتصف به عبداد الرحن.

تثبيت الأقدام:

يصوَّر القرآن بهذه الكتابة الصمود والنصر الذي يمنحه الله لعباده المؤمنين الذين ينصرون لله # وذلك في قوله _ تعالى : ﴿ يَكُنِّ الْمُؤْمَّ مَتَمَّزًا إِنْ تَصَرِّرًا اللهُ يَشْتَرُكُمْ وَكُيْتُ لَلَ

سورة الفرقان، الآبة: 63.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 229.

⁽³⁾ ينظر: المهدر نفسه: 3 / 203.

⁽⁴⁾ الكشاف: 3 / 230.

⁽⁵⁾ مسورة محمسد، الآية 7. وينظس: مسورة البقسوة، الآيسة: 25. ومسبورة آل حمسوال، الآيسة: 147. وصورة التحل، الآية: 94.

الكناية التصويرية ﴿ وَكُيِّتَ لِشَاكَمُ ﴾ أي: "أن تنصروا دينه ينصركم على أعــــدائكم ﴿ وَكِيِّتَ لِلْمَاكَمُ ﴾ أي ويثبتكم في مواطن الحرب ^{* (1)} وجــُدت الكناية المنى بالأقدام لأنها آلة الوقوف والمشي و "الثبات والتولزل يظهران فيها "⁽²⁾ فهي التي يرتكز عليها الجسد فياذا زلّت انهار، وإذا ثبت استقام وثبت فهو التصوير الحي الذي يشير إلى المعنى المكنى عنه الذي يتمثل في الصمود في أرض المحركة والثبات عند مواجهة الكافرين الذي يجلب النصر عليهم.

والبادي أن المعنى المكتنى عنه لا يتقيد بالصمود والنصر في مواطن الحرب حسب، وإلها للمورب حسب، وإلها النصر في كل جالات الحياة، ومنه الصمود والثبات في جاهدة العلم والانتصار عليهم، ولا يتميد ذلك إلا حيثما يكون الثبات على الدين (3) والاستقامة عليه والعمل على رفته، وجاهلة العلمو، ودفعه بكل قوة وقلوة وهي من صور نصرة المؤمنين ربهم الله الله المنافذة وقال الزخشري في الكتابية نفسسها السواردة في موضسح آخسس في قولسه تعسل ... تعسل ... والانتظارة المنتزعة منكدفتر من سكيل الله والكر مكان عطيمة في الدن المنافذة المنتزعة وتقوفوا المنافزة عما ممكدفتر من سكيل الله المنافذة المنتزعة على المنافذة على المنافذة المنافذة المنافذة المنافذة المنافذة عن حجة الاسلام بعد المنافذة المنافذة

فالكناية تصوير حسي لحقيقة النصر في مواطن الحرب بوصفها نتيجة من النبات على عجة الاسلام أو دين الله الذي بابع المؤمنون ربهم عليه، نثباتهم عليه وإخلاصهم فيه يترتب عليه النصر ليس فقط في مواطن الحرب وإنما في كل جوانب الحياة.

⁽¹⁾ صفوة التفاسير: 3 / 207.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 3 / 215.

⁽³⁾ ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: 2/ 396. وينظر: "النساط النصر والتمكين في القرآن الكريم سدواسة دلالية ... عبد الوهباب عمد علي المدواني وعماد عبد يجيى، ص 141. (جملة آداب الوائدين، المدد: 33، 1922).

 ⁽⁴⁾ ينظر: مقوصات النسصر في القسرآن الكريم ، د. كاصد ياسسر الزيسدي، ص 18. (علمة آداب الرائدين، المدد 23، 1992).

⁽⁵⁾ سورة النحل، الآية: 94.

⁽⁶⁾ الكشاف: 2 / 492.

القتال في قري محصَّنة أو من وراء جُلُر:

يكثف القرآن من خلال هذه الصورة الكنائية الموحية دلالة مخلَّقية لليهود واخبواتهم المنافقين تتمثل في جينهم وخوفهم من مواجهة المؤمنين في ميسدان القسال، بـل تــوحي الكنايــة بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء بأن (الجين) صفة ملازمة ثابتة في شخصيتهم، وذلك نى قوله _ تعالى _: ﴿ لَا يُعَنِّلُونَكُمْ جَيِعًا إِلَّا فِي قُرَى تُحْسَّنَحَ أَوْ مِن وَزَلَهِ جُدَّرٌ بأَشْهُر يَسْهُمْ شَدِيدُ تَعْسَمُهُمْ جَمِمًا وَقُلُومُهُمْ شَقَّى قَالَ بِأَنْهُمْ فَيْ لَا يَمْ فِلُونَ ﴾ (1).

قال الزخشري في هذه الآية: ﴿ لَا يُقَائِلُونَكُمْ ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم ﴿ جَمِيمًا ﴾ مجتمعين متساندين، يعني: اليهود والمنافقين ﴿ إِلَّا ﴾ كاننين ﴿ فِي قُرَّى شُمَّنَا ﴾ بالخنادق والدروب ﴿ أَوْ مِن رَزَّلُو جُدُونَ ﴾ دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيثٌ ﴾ يعني: أَلَّ البَّاسِ الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا أقتتلوا: ولو قاتلوكم لم يبقَ لهم ذلك البـأس والشدة. لأن الشجاع يجين والعزيز بذل عنه عند محاربة الله ورسوله ﴿ تَحْسَبُهُمْ رَجِيعًا ﴾ مجتمعين ذوى الفة واتحاد ﴿ وَقُلْوَيُهُمْ شَقَّ ﴾ متفرقة لا الفة بينها، يعنى أن بينهم إحداً وعـداوات، فـالا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة "(2). وقوله ؟ ﴿ لَا يُقَائِلُونَكُمْ جَيِيمًا إِلَّا فِي قُرِي تُحْسَنَةِ أَوْ مِن وَرَلَهِ جُدَّرً ﴾ اللي أعددناه كناية، وإن كان يشير في ظاهره إلى اتخاذ اليهود والمنافقين أسباب القوة والحيطة والحذر عند مواجهة جنود الله المؤمنين في سباحة القشال، إلا أن بناءه جاء في أسلوب القصر الذي أفاد قصر قتالهم على صورة التحصن بالقرى أو التحصن بالجُنر لا ينصرف إلى صورة غيرها، والمراد به الجين اللبي يتصف به اليهود وحلفاؤهم من المنافقين حيثما التقي المؤمنون بهم، فالكناية تقرر حالة قائمة في نفوسهم، وحيثما انكشف اليهود والمنافقون في أرض المعركة فإنهم يولُّون الأدبار جبناً وخوفاً من المؤمنين.

وتبوحي الكتابية من طبرف خفي بعث المؤمنين وتشجيعهم على مقباتلتهم لكسر شوكتهم.. وذلك لأن المؤمنين خلاف هؤلاء بملاعهم النفسية التي جلَّتها الآية الكريمة ﴿ بَأْشَهُمْر يَتَهُمْرَ شَيْدِيدٌ ﴾ و ﴿ تَحْسَبُهُمْرَ جَيِمًا وَتُلْوَيُهُمْرَ شَتَّى ﴾ ، فالمؤمنون متضامنون متصاونون يجمعهم

⁽¹⁾ سورة الحشر، الآبة: 14.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 504 405.

ويقويهم الإيمان بالله، فهم قلب واحد، وقوة واحدة في ألفــتهم وتعاضــدهم، فهــم يرمــون عــن قوس واحدة.

الإصعادُ واللِّي:

وردت هذه الكناية في مشهد من مشاهد معركة أكد تجسد حالة الضعف والهزيمة النفسية للفارين من جيش المسلمين المرتدين عن ارض المعركة لما أصابهم من دهش وذعر، تمرد هما. الكناية إزاء صورة كنائية أخرى على التقابل تجلّي ثبات الرسول ﷺ وشجاعته في اعلى صورها، وذلسك في قولسه ـ تصالى ـ ـ ﴿ ﴿ إِذْ تُصَّمِيدُورَكَ وَلَا كَنَائِورَكَ وَلَا كَنَائِورَكَ وَلَا تَكَنُورَكَ وَلَا تَكَنُورَكَ وَلَا مَا وَالْرَسُولُكَ مِنْ الْمَعْلَمِ مُمَنَّعًا مُعَمِّقًا مُعَمِّقًا لِحَسِيدُورَكَ وَلَا تَكَنُورَكَ وَلَا تَكَنُورَكُ وَلَا مَا فَانَكُمُ وَلَا مُعَلِّقًا مُعَمِّقًا مُعَمِّقًا مُعَمِّقًا مُعَمِّقًا مُعَمِّقًا مُعَمَّلًا مُعَمَّلًا لَهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَلَى مَا فَانَكُمُ وَلَا مَا فَانَكُمُ وَلَا مَا فَانَكُمُ وَلَا مُعَلِّقًا مُعَمِّلًا لَهُ مَا فَانَكُمُ وَلَا مُعَلِّقًا مُعَمِّلًا مُعَمِّلًا لِمُعْمَلِهُ مَا فَانَكُمُ وَلَا لِمُعَلِّقًا مُؤْمِلًا المُؤْمِلُولًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤْمِلًا مُعْمِلًا مُؤْمِلًا مُؤ

فالاية تقابلت فيها كنابتان على النضاد نجلي حالتين خُلَقيتين في صورة حسية حركية، الأولى: ﴿ ﴿ إِذَ تُصَهِدُونِكَ وَلَا تَكُونُكُمْ اللَّهِ اللهُ اللَّهُ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّ

فالكناية الأولى في حركتها الحسية، القوية تصور ذلك الانفعال الحسي القدي المتعشل في الحوف والذعر، فلا ينظرون إلى ورائهم لشدة الدهشة ولا يعطفون على احمد ولا مدافعة.. وإذاء همله الصورة الكنائية التي جسكت حالتهم النفسية المكروبة، تجلّي الكناية المقسسابلة وإلى مناها المكنى عنه المتعشل في ثبات الرمسول قال

⁽¹⁾ سورة آل همران، الآبة: 153.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 471,

⁽³⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 2 / 274.

⁽⁴⁾ الكشاف: 1 / 471.

وشجاعته في ذلك الموقف العصيب، فهو الثبات في الصورة والمعنى في أحلك المواقف كما تعمل هذه الكناية على تعميق معنى المزيمة وتصعيدها في حس الفارين من أرض المعركة وذلك من خلال التضاد في المعنى، فكان يجب عليهم أن يكون لهم أسوة حسنة في الرسول ﷺ ثباتمه وصيره وشجاعته، فما يكون لمم أن يفروا ويتركوا رسول الله راغيين بأنفسهم عن نفسه.

ولا يخفى ما في ذلك من ابتلاء للمؤمنين: ﴿ فَأَتَّذِكُمْ عَمَّا بِغَيْرٍ ﴾ أي: ' فجازاكم الله ﴿ غَمَّا ﴾ حين صرفكم عنهم وابتلاكم ﴿ بِضَتِّي ﴾ بسبب غم أذتنمو، رسول الله تَدُّ بعـصيانكم له أو غماً مضاعفاً غماً بعد غم وضماً متصلاً بغم من الاغتمام ﴿ لِحَكَيْلًا تَكَمَّـزَتُوا ﴾ لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار (١). فهو الابتلاء الذي يعمل على إثبارة النفوس والقلبوب لإزالة النضعف الذي حيلٌ ضمن المنهج التربوي للقيرآن الكريم في معالجة النفوس والقلبوب ولا سيّما وهي ته اجه الأحداث العظام،

غَضُّ الأبسار والشَّرْبُ بِالأَرْجُلِ:

يُعلم القرآن المؤمنين والمؤمنات القيم الخُلُقية الإيجابية ويأمرهم بالالتزام بها، لِما لهما من دور فاعل في بناء الجتمع الذي يهدف إليه القرآن، وبالمقابل ينهاهم عن الأخلاق السلبية التي تعمل على هذم هذا الجتمع وتحطيمه.. وهنو إذ يُعلم المؤمنين والمؤمنات وينامرهم وينهاهم، فإنه يخاطبهم بالأسلوب البياني المؤثر الذي يؤدي المعنى في حيوية وقوة تأثير يظل معها عالشاً في الذهن يحدث الاستجابة الوجدانية التي يبتغيها القرآن.

ومن ذلك الكنايشان الواردتيان في قوله _ تعيال _ خطاباً للمؤمنين والمؤمنيات: ﴿ قُلُ لِلْمُؤْمِدِينَ يَنْفُنُهُوا مِنْ أَيْمَكُوهُمْ مَهُمْقَظُوا فَرُوجَهُمُّ ذَيْكَ أَنَّكُ لَمُمُّ إِنَّ اللّهُ خَيرًا بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿ وَأَل إِلْمُؤْمِنَاتِ بْنَعْشِنَ مِنْ أَتِسَدِهِنَّ وَيَعْفَظُنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا بَنِيمِت دِينَتَهُنَّ إِلَّا مَاظَهَرَ يِنْهَا وَلِيَمْرِينَ بِعُدُونَ عَلَى يُرْمِينً وَلا يُرْدِي زِينَتُهُنَّ إِلَّا لِمُولِتِهِ لَوْ مَاتَابِهِ كَ أَوْ مَاتِلُو بُثُولَتِهِ كَ أَوْ أَمْتَأَبِهِ كَ أَوْ أَتِكَ بُمُولِهِ ﴾ أَوْ لِغَرْتِهِ فَأَوْ مِن إِخْرَتِهِ ﴾ أَوْ مَن أَخْرَتِهِ فَ أَوْ يَمَالِهِ فَأَ وَمَا مَلَكُتُ أَيْمَتُهُمَّ أَو

⁽¹⁾ ناسه: 1 / 471.

التَّبِيهِ كَ فَيْرِ أَوْلِي الْإِرْنَةِ مِنَ النِّيَالِي أَنِّ الْلِيْقِلِ الَّذِيكَ أَنْ يَظَهَرُوا ظَنَ مَوْرَتِ الْسِّسَةُ وَلَا يَشْرِقَنَ إِنْشِطِهِنَّ يُسْلَمُ مَا يُشْفِينَ مِن يَسِيَّهِنَّ وَتُوْلِيَّا إِلَى اللَّهِ خَيسًا أَنَّذَهِ النَّقِيقُون الْفَارِقُونَ ﴾ ((* ﴿ وَلِيْفِيلُونَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَوْمُونَ ﴾ ((* ﴿ وَلِيْفُولُونَ ﴾ ((* ﴿ وَلِيْفُولُونِ ﴾ ((* ﴿ وَلِيْفُولُونَ ﴾ ((* وَلِيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُونُ وَلِيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُونُ وَلِيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُونُ وَلَيْفُولُونَ ﴾ (وَلَيْفُونُ وَلَيْفُونُ وَلِيْفُونُ وَلَيْفُونُ وَلِي

أَصْفَ تَلْحَدُ قَلْ تَسَلَيْنِهِ، الأولى: ﴿ يَعَشَّوْا مِنَ لَهَمَدِهِمْ ﴾ في خاطبة ألمدومن و في تَعْشَدَنَ مِنَ أَتِمَهُمُونَ ﴾ في خاطبة المومنات. والثانية: ﴿ وَلاَ يَعْمَقِهَ يَاتُّ الْمِهُمِ الْمُعْمُونَ مِن وَلِتَهِمُ ﴾ في فيهي المؤمنات عن الفعرب بالأرجلوالكناية الأولى تشير إلى المعنى المكنى عنه عن طريق حركة في العين هي غضها، والفضلُ التقصان من الطرف ((20) وهي حركة يُراد منها ملزومها وهر (العقة) عن النظر في الحارم. ففي الكناية أدب أخلاقي وعاولة للاستعلام على الرغبة في الاطلاع على الحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، كما أن فيها إغلاقاً للنافلة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ((20) لذلك تقدمت الكناية (فض البصر) على حفظ الفروج الأن الشطر بريد الزنا ورافذ الفجور، وهو مقدمة في الوقوع في الحطر ((20) وأن حفظ الفروج الأن الشعرة الطبيعية لغض البصر (العقة)، ومن شم يجمع بينهما في سياق واحد، بوصفهما سياً ونتيجة، أو باعتبارهما خطوتين متواليين في عالم الضمير وعالم الواقع ((20)

ثم تتكرر خطاباً للمؤمنات يأمرهن بغش أبصارهن كما أمر الرجال فلا يرسلن بنظراتهن الهاتفة المثيرة،تستير كوامن الفتنة في صدور الرجال ⁶⁰،ويذلك يتحقق الدوازن في الاستجابة والطاعة من المؤمنين المخاطين جميعاً فتشيع العفسة والطهارة في المجتمع التي تعمل على عدم تلوثه بالانفعالات الشهوية وعدم ارتكاسه إلى الدوك الحيواني الهابط.

ثم تاني الكتابة الحركية الثانية تنهي المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة، وتبهج الشهوات الكامنة زيادة في الوقاية والحملد عما يكون سبباً في الوقوع في الفاحشة ﴿ وَلَا يَعْمَرِينَ مِلْكُونَ مِنْ وَلَيْهِمْ ۚ ﴾ فالمكنى عنه هو رغبة النساء في إظهار زينتهن جاء في تفسيرها: أي لا يضربن بأرجلهن الأرض لئلا يسمع الرجال صوت الحلخال فيطمم جاء في تفسيرها: أي لا يضربن بأرجلهن الأرض لئلا يسمع الرجال صوت الحلخال فيطمم

سورة النور، الأيتان: 30_1.

⁽²⁾ القردات، من 542.

⁽³⁾ في ظلال القرآن: 6 / 94.

⁽⁴⁾ صفرة التفاسير: 2 / 339.

⁽⁵⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 6 / 94.

⁽⁶⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 6 / 94.

الذي في قلبه مرض،قال ابن عباس: كانت المرأة تمر بالنياس وتنضرب يرجلها ليسمع صوت خلخالما، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من حمل الشيطان ^{(1).}

ويذلك تتجلى عناية القرآن الكريم بالمجتمع وحفظ، وذلك من خلال تـضييق قـرص الغواية والفتة، وسد الطريق أمام الأسباب التي ثودي إلى الفاحشة من نظرة أو حركة مقـصودة تثير في النفس الشهوة وتزرع في القلب الفتة.. ويذلك تُصان الأعراض والمجتمعات من الجـراثم والفواحش، ويشيع الأمن والطمائية في الجمع وفي القلوب والنفوس.

مدالعين:

يدعوالقرآن بالأسلوب الكنائي إلى الاعتزاز بالقيم الأصيلة الباقية، وإلى المملة بالله ﷺ والرشي به، كي تحسن النفس بالاستملاء على زخارف الدنيا الفائية وهي تبهر الأنظار وتجذب النفس إليها. نلحظ ذلك في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَشَكَّنَّ مَكِكُ إِلَى مَا مَتَّمَا بِيهِ أَنْفَهَا مِتَمَّمَ وَهَرَةً لَلْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ أَوْمَنَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ أَوْمَنَى اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

الكتابة النصويرية ﴿ وَلاتَمَكَّ مَيْكِلُكُ ﴾ فالعين لا تمتد، إنما عند النظر، ولكن الكتابة تصور المنسن فتجعل العين ذاتها ممتند المنسن فتجعل العين ذاتها ممتند إلى المنشور إليه بهذا الاسناد الجازي التصويري، أي إسناد الفعل و تشكر كي إلى العينين فتشير الكتابية إلى المنسى المكتنى عنه وهب استحسان المنظور إليه والإعجباب به، وتساثيره في الفقسس يكاد النظر مصه لا يسرد. قسال الزهسشري:
﴿ وَلاَ تَمَكَّدُ مَكِلُكُ ﴾ أي نظر مينيك، ومد النظر: تطويله، وأن لا يكاد يرد، استحسانا للمنظور إليه إمام منها شيئا أحب أن يكون له.. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يحد إليه نظره ويملاً منه عينه: قبل ﴿ وَلاَ تَمَلَّدُ عَبِيْكُ ﴾ أي لا تفعل ما أنت ممتاد له وضاريه.. ﴿ لاَ تَعَلَى المنظور الله أن الكفرة * (١٠)

ثم تأتي الاستمارة التصريحية لتجسد ذلك الشيء الذي تحسد إليه المدين تجسده غلية في الزينة والبهجة ﴿ وَهَرَهَ لَكَنِيَّ اللَّنِيُّ اللَّهِ فاستمار الزهــرة وهــي جاتابــة بالوافهــا وتناســقها لزخــرف الذنيا وزينتها، وذلك ليكون الممنى مصورًا خابة في الفتنة والتأثير.

⁽¹⁾ صفوة التفاسير: 2 / 336_337.

⁽²⁾ سورة طه، الآية: 131. وينظر: سورة الحجر، الآية: 88.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 77.



ورغم جمال الصورة التي أخرجتها الاستعارة والذي تمتد إليه العين ـ كما أشارت الكنايــة استحساناً وإعجاباً .. فإنه جمال متاع زائل سريم، كما لمُحت الاستعارة إلى ذلك لأن الزهرة رغم جالها وتأثيرها في النفس سرعان ما تذبل وتزول.. وفوق ذلاك فهو للفتنة ﴿ لِتُنْتِنَهُمْ فِيدٌّ ﴾ على خلاف ﴿ وَيِنْكُ رَبِّكَ خَيِّرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فهـ و رزق للنعمة لا للفتنة، وهو طيّب لأنـه بــاق لا يخــدع ولا

والكناية _ وإن كانت خطاباً للرسول ـ # فإنها تخاطب المؤمنين فبلا تمتمد أنظارهم ولا تتهاوى نفوسهم أمام زينة الحياة الدنيا وزخرفها، ولا تنخدع بما يتقلب فيـه الكـافرون مـن نعـم الدنيا وزينتها كما تسمور ذلك كناية (التقلُّب) في موضع آخر في قول - تعالى ... ﴿ لَا يَغْزُلُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الدِّندِ ﴾ (ا) أي: " لا يخدعنك تنقل الذين كفروا في البلاد طلبـأ لكسب الأموال والجاه والرئب (٥).

فالكناية ﴿ تَقَلُّتُ ٱلَّذِينَ كُفَّرُوا ﴾ فيها تصوير حركة على نحو من الكثرة والمبالغة كما أفـاد التشديد فيها فتشير إلى المعنى المكنى عنه وهو فيض النعم والمكاسب الـتى فيهــا يتقلّبـون، فهــم يتقلبون من لون من النعيم إلى آخر، وكأن هذا طابعهم وديدنهم على الحد الـذي يُغـري المـوّمن ويخدمه، فينهى القرآن صن صدم التأثر عًا همم فيه لأنها نعم زائلة لا تستند إلى القاصدة الأصيلة(الإيمان)،فلا تلبث أن تزول ـ وإن أفرَت وخَدَعَت ـ قال الزخشري: " لمّا كانوا مشهو دأ عليهم من قبل الله بالكفر، والكافر لا أحد أشقى منه عند الله، وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه، ولا يفرِّه اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافعة والمكاسب المريحة، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن، ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون، فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال، ووراء، شقارة الأبد^{. (3).}

ومن وراء الكناية نلمح القيم الأصيلة التي يحتكم إليها القرآن، القيم الباقية المتصلة بـالله * قيماً لا تغتر بمظاهر الحياة الدنيا وزخارفها الزائلة والـ لا تعنى شيئاً إذا ما كانت وسيلة للفساد والإفساد

⁽¹⁾ سورة آل عمران، الآية: 196. وينظر: سورة غافر، الآية: 4.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 1 / 253.

⁽³⁾ الكشاف: 4/ 117.

التجافي عن المساجع:

سورة السجدة، الآيتان: 16 ـ 17.

⁽²⁾ صفوة التفاسم: 2 / 504.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 405.

^(*) ينظر هذه الكتابة في فصل: (الكتابة النفسية) من:، ص 140.



ومن خلال عرض الكتابات الحُلُقية يتبين وظيفة الكتابية التعبيرية والتصويرية في اداء الأفكار والمعاني التي يهدف القرآن تثبيتها في ذهن المتلقي ونفسه، فالقرآن لا يعرض تلك المعاني والأفكار بتعابير ذهنية مجردة، وإنما يوظف الكتابة بوصفها السلوباً حيوباً مؤثراً إذ يقوم بنصيبه المفيي الكامل في اداء المعاني وتصويرها بطريقة من شأنها أن تحدث الاستجابة الوجدانية المناسبة في المقارئ أو السامع وهو يتلقى هذه الموضوعات التي يهدف القرآن إلى تثبيتها في نفسه وقلبه أو تفعيه منها.

الكناية الساخرة

الفصل الخامس



القصل الخامس

الكناية الساخرة

السخرية في مدلولها العرفي واضحة عددة لا تلتس يمعنى آخر، ويدور في معناها، بل يودي معناها، بل يودي معناها، السوب يودي معناها والدستهزاء، ولا شبك في أن السخرية أسلوب وسلاح عدائي، مهما كانت دوافعها، ومهما كان مقامها، ومهما سخرت درجتها في العداء أو كبرت ويتميز هدا، الأسلوب من غيره من أساليب العداء بأنه مصوغ بروح القكاهلة وأصلوبها (1).

وعلماء النفس حيثما يبحثون في طبيعة السخرية فإنما يبحثونها كجزء من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية، فيقولون مثلاً: الابتسام والفسحك والمحرح والفكاهة والمزاح والدعابة والهزل والنكتة والملاحة والنادرة والكوميديا أن هي إلاّ ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها إنحا تصدر من تلك الطبيعة البشرية المتناقضة، التي سرمان ما تمل حياة الجد والمسرامة والعبوس، فتلتمس في اللهو ترويعاً من نفسها، وتبحث في الفكاهة عن منفذ المتنيس عن آلامها، وتسعى عن طريق النكتة غو التهرب من الواقع الذي يغيراً ما يظل كاهلها (أن وبناء على هدا يجمل علماء النفس هدا الألواع وما يشابهها ويجعلونها ظاهرة واحدة، ويملن الضحك عنواناً لها، لأن الفبحث هو التيجة المباشرة لكل هداء الألواع، وهو جزء أساس من هدف كيل هدف لا الألواع، وقد حفزت هده الظاهرة اهتمام الفلاسفة والباحثين، فعنوا يبحثها ودراستها منذ أللاطون وأرسطو حتى الباحثين الماصرين (أن فهم يرون أن الضحك ـ الذي جعلوه عنواناً المناهرة من حيث هي _ ناشيء في الأصل عن الشعور بالانتصار في معركة جسمية بدائية (من عيما يقسم علماء النفس هده الظاهرة إلى أكثر من نوع، فإن الشعور بالانتصار أو التغوق يلاس كا نوع، فيقولون: الفحك عن ماده: إيجابي وهو الضحك النعش ينبحث عن شعور المو

ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 13.

⁽²⁾ سيكولوجية الفكاهة والضحك، د. زكريا ابراهيم، ص 8.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 8. ويتظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 13 ـ14.

⁽⁴⁾ سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص 123.

بتفوقه على خصمه، عن شعور المرء بتفوقه على خصمهوسلبي وهو ضحك حزين ستجهم، وهو المتولد عن الشعور بنقص الآخر أو ضعفه أو ضعته. أعنى أنه ضحك الاحتقار والأزدراء '(١)، وواضح أن النوع الثاني مقصود به (السخرية) لأن "ضحك الاحتقار والأزدراء "هـو معنير" السخرية.

وكذلك يفعل الباحثون الذين يقسمون هذه الظاهرة باعتبار مصدرها الانفعالي، فيرون أن نوع الفكاهة يخضع لنوع الانفعال الذي أثارها،ومن ذلك أن انفعال الغضب يولد الفكاهات العدوانية والسخرية "(2)" فالسخرية إذن نابعة من انفعال عدواني بين خصمين ولكن الخصم الأقوى والأقدر منهما هو الذي يستطيع أن يسخر من الآخر، وهذا أيضاً تأييد لأن الـضحك _ عنوان السخرية .. مظهر من مظاهر الانتصار والتفوق (3).

لا يُتاح نفسياً ولا واقعياً إلاّ لمن كان بيده زمام الموقف والذي يـشعر بأنـه القـــويّ القــادر علــى الانتصار (4).

أما السخرية في القرآن الكريم فقد ينظر إليها بعضهم على أنها لا تتفق وجلالة القرآن من حيث إنه كلام الله، لذلك لا يسوغون نسبة السخرية بمعناها المفهوم إلى الله ﷺ، لكـن يجـب القول: إن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل الصور الساخرة التي ساقها، ومنها (الكنايات الساخرة) يجعلها كأنها صادرة من المسلمين أو عمثلة لموقفهم، وذلك لأن القرآن في كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى النصر، وفي الوقمت نفسه يحطم مركز أعداء الاصلام ويدفع بهم إلى الهزيمة أو الشعور بها أو توقعها (5). وبذلك يقدم القرآن بصور السخرية من أعداء المسلمين حوافز معنوية وروحية للمسلمين وهم يدافعون عن الاسلام متحملين ضروباً شتى من المشقة والبلاء والإيذاء، فضلاً عن ذلك أتخذ أعداء المسلمين من السخرية سلاحاً نفسياً مؤثراً يريدون به تحطيم عزم المسلمين والنيل من ثقتهم في أنفسهم

⁽¹⁾ م. 🗘 ص 123.

⁽²⁾ سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص 191.

⁽³⁾ اسارب السخرية في القرآن الكريم، من 15.

⁽⁴⁾ ينظر: المصدر نفسه، ص 15.

⁽⁵⁾ ينظر: المدر نفسه، ص 11_11.

بدينهم.. إلا أن القرآن يتصدى لهم بسخرية أبلغ وقعاً، وأشد تحطيماً، وأنفذ سهما (1)، كما سنلحظ في صور الكنايات الساخرة التي تمثل جانباً ملحوظاً من أسلوب السخرية في القرآن.

على أنه ليس هناك ما يمنع من نسبة السخرية إلى الله سبحانه، يقبول الزنح شرى: ' فيان قلت لا مجوز الاستهزاء على الله لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب.. فما معنى استهزائه بهم؟ قلت معناه إنزال الحوان والحقارة بهسم، لأن المستهزئ غرضه الـذي يرميـه هـو طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة... وقد كثر الـتهكم في كــلام الله تعــالى بالكفرة، والمراد به تحقير شائهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقةً بأن يسمخر منها الساخرون ويضحك المضاحكون (²⁾، ثم يقول عقب ذلك: 'وفيه أن الله الله الله هدهم المذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه بـ في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو اللذي يتبولي الاستهزاء بهم، انتقاماً للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله ° (د).

والسخرية في القرآن الكريم ليست مجرد تهجم أو هجاء أو تهموين شأن، وهمي ليست عِرد أسلوب فكه يثير النفوس أو يبعث على الضحك، وإنما هي وسيلة لتحقيق أهداف علي جانب كبر من الأهمية سواء من الناحية النفسية، أو من الناحية الاجتماعية، ومن ثم فإن القرآن الكريم لم يختر اسلوب السخرية من أعدائه ليكون مجرد تهكم أو استهزاء أو تحقير، وإنحا اختاره لأهداف أبعد، وأغراض أعمس.. كما أنَّ القرآن نقل اتباعه فيما يشبه الطفرة من السخرية البدائية أو القريبة من البسداوة التي يحصرها علماء النفس في التهكم من العيوب الجسمية أو النقائص الشكلية والمادية إلى السخرية الحضارية المتطورة التي تخفى وراء مظهوهما البسيط أغراضاً هادفة إلى نـواح معينة تنحصر في الاصلاح وعاربة الرذيلة، والـدعوة إلى الشل العليا والمبادئ القومية والسلوك الصحيح، وبهذا يكون القرآن قد سما باتباعه من اتخاذ السخرية مجرد سلاح للتحطيم والهدم كما كانوا يآلفون في الهجاء (4) إلى جعلها ومسيلة إصلاح وتهذيب.

ينظر: المسدر تقسه، ص 12.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 186_187.

⁽³⁾ الكتاف: 1 / 187_188.

⁽⁴⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 25_26.

وكذلك حينما ننظر إلى الكنايات الساخرة في القرآن الكريم نجدها في طبيعتها مسلاحاً
يستخدمه القرآن ضد أصلاء المسلمين المتنوعي الألوان والوجوه.. وهي - في الأعم الأغلب
تسهدف أثمة الكفر والشوك الذين يسددون العداء للاسلام والمسلمين بكل ما أرتوا من قوة
وتفكير وتدبير، لذلك ميرهم القرآن بتعابير كنائية ساخرة تشال منهم فيلاً عظيماً بوصفهم
خطراً بهدد المسلمين. وقد عرض القرآن الكريم طوفاً من مخطرهم ومخريتهم، من ذلك - مثلاً
حسخريتهم بالرسول * بكل ما تحمل هذه السخرية من تهكم لاذع واستهانة بشخصه ، كما
يقول الزخسري في تفسير قوله - تمالى .. ﴿ وَقَالْوَ عَالَى مَكَا الرَّسُولُ يَأْسَكُلُ الطَّمَدُ مَيْتِينَ فِ
المُحْتَافِقُ لَوْلًا أَرْبُولِ إِلَّهُ عَلَى مَدَّدُ مَدْ لَكُولُ وَلَى هذا استهانة وتصنير، وتسميته بالرسول
سخرية منه وطنز (* كانهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول.. أي إن صبح أنه رسول الله فما باله
مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد (* (* (*)).

وسنحاول في هذا الفسمل حرض فكرة السيخرية في حدود ما وردت في إطمار الفرخ الكتافي بوصفه وسيلة حيوية في التعبير والتصوير تحقق أهدافها ومقاصدها التي بيتفيها القرآن.

الوسم على الخرطوم:

وردت هذه الكناية التصويرية الساخرة وصفاً للوليد بن المغيرة المخزومي وهـ و مـن المـد اهداء الاسلام وآكثرهم خطورة، وقد بلغ من السيادة والجحد في قومـه مرتبـة لم يبلغهـا شـخص آخر، وكان له عشرة بنين، فكـان يقول لهم وللحمته: من أسلم منكم منعته رفدي (³⁾ وقد شههد القرآن نفسه للوليد بعمق التفكير، وبعد التدبير، وشهد لـه بأهـم مقومـات الفـرة والسيادة في الحمم حيناناك منها: كثرة الأمـوال، ووفرة البـنين، وذلك في قولـه ـ تـعـالى: ﴿ ذَرْنِ يَوْمَ خَلَقَتُ الْمَرِيعَ مَنْهَا عَلَمُ وَالْمَرِيعُ كُلُورُ هُورَا اللهِ وَالَمُ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله

سورة الغرقان، الآية: 7. وينظر: ا {لابتين: 8..9، من السورة نفسها، مثلاً.

^(*) الطُّئر: السخرية. ينظر: لسان العرب: 5 / 369 (طنز).

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 209.

 ⁽³⁾ يتظر: الكشاف: 4 / 470. وقد سير الجلالين، ص 752. وينظر: لهاب التقول في أسباب السزول، ص 753.

هَ مُنْ رَسُنَكُمْ هُ مَدَالِهُ مَدَالًا مِرْ يَكِرُ هُ إِنْ مَدَالِكُمْ فَذَالِكُمْ هُ اللَّهِ مِنْ الْمُؤَمِّدُ مَا مَدُّ ● とざったに 毎 にご (i)・

وقمد استخدم الوليمذ بمن المفيرة سيادته ومجمده وقوتمه وسلطانه في حربمه للاسلام والمسلمين، لذلك فالقرآن يهاجه مهاجةً عنيفةً شديدةً، تشوه كل مقومات مجده وسيادته، شم . تنصب السخرية اللاذمة على شخصه، فهـذا الشخص القـوي المتسلّط صـاحب الــال والبـنين والفكر والتقدير، الذي يملأ قلوب أتباعه إصجاباً وإكباراً بمظهره وجلاله، تمسخ الكناية الساخرة هذا المظهر، لتصور مكانه صورة ساخرة، تشـوه منظره، وتثير الضحك والسخرية منه بمـا يـشبه الرسم الكاريكاتيري (2) وذلك في قوله .. تعالى .. ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلُّ حَلَّانِ مَّهِينِ ﴿ هَمَّانِ مَشَّلَم بِنَيبِ ﴿ مِّنَامِ إِلْغَيْرِ مُعْتَدِ أَلِيدٍ ﴿ عُتُلِ بَعْدَ دَالِكَ زَنِيدٍ ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالِ وَبَنِينَ ﴿ إِذَا تُنْكَ عَلَيْهِ مَالِنُكُنَّا فَالْكَ السَيْطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿ سَلَيْمُنُوْظَ لَاَرْمُلُومِ ﴾ (1)

الكناية التصويرية ﴿ سَنَيْسُتُدُعَلَ لَلْتُرْقُورِ ﴾ (*) تُخرج لنا الوليد وقد شُوٍّ، منه أبــرز موضــع في أكرم عضو من الانسان يشير إلى العز والحمية، قال الزخشري: 'الوجه: أكرم موضع والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة، وقالوا: الأُنْفُ في الآنف، وهي أنف، وفلان شامخ العرنين، وقالوا في الـذليل: جدع أنف، ورهم انفه، فعبّر بالموسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه *(٩٠٠

فالكناية تكثف دلالة السخرية،فضلاً عن الإذلال والإهانة، بعد أن نال من مقومات اختياله وفخره بالمال والبدين، ومكانته ونسبه..، فقمد تحول بالكناية إلى صورة أشبه بحيىوان ذي خرطوم قد وسم بعلامة بشعة منفرة تثير الضحك والسخرية منه.

سورة الدثر، الآيات: 11 ـ29.

⁽²⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 131.

⁽³⁾ مسورة القلم، الآيمات: 10 -16. حالاًف: كثير الحلف بالباطيل. همّاز: عبّاب، أي منساب. مشّاء بتميم: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم. عَتْلُو: عَلَيْظ جاف. زنيم: دعي في قريش. ينظر: تفسيرُ الجلالين، ص 752.

^(*) الخرطوم: الأنف. تفسير الجلالين، ص 753.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 411. وينظر: التفسير الكبير: 30 / 86.

والكناية توحي بنوعين من الإذلال والإهانة، أولما: الوسم فهو يوسم كما يوسم الحيوان والعبد، فهو عار لا ينمحي عنه، فهو ملازم له، والثاني: جعل اتفه خوطوماً كخرطوم الفيل في ضحامته المهية في نقوس اتباعه. ولتكون صورة مثيرة للتفكير العميق وعن نرى شخصية عظيمة في عين اتباعها، يرن ذكرها وجلالها في نقوس الآتباع وقلوبهم، فقلد سلّت هذه الشخصية من مجدها وهالتها، لترضم في هذا المنظر المضمحك المزري، وليتمشل أتباع الوليد حين تتحول صورته الفسخمة المهينة في نقوسهم إلى ضحامة فيل مثلاً مشوء الحرطوم، ولمتخيل القارق بين نظرة الإكبار والإجلال التي ينظرون بها إليه، ويتمثلونه بها في نقوسهم، وبين نظرة الشموة التي ينظرون بها إلى صورته هذه التي رسمتها سخرية القرآن (11).

ويذلك تدال الكناية في تصويرها الساخر من عـدو الاسلام والمسلمين على تحـو تجعـلـه سخرية الساخرين أبد اللـهر تتملى صورته الزرية المضحكة العقول والنفوس.

السُّفْعُ بِالنَّاصِيةَ :

وردت هذه الكناية الساخرة والتي تحمل في طيانها غاية الإهانة والتحقير والسخرية، في مشخص لا يقل عداوة وطفياناً هن الوليد بن المفيرة هو عمرو بن هشام (أبو جهل) (2) وسن عداوته للمسلمين أنه كان يتعرض بالسخرية لمن يصلي من المسلمين ومنهم الرسول الله فيسخر منهم وينهاهم هن الصلاة. ولكن القرآن الكريم يسخر من مصدر قوته ويتهكم به ويهدده ويتوعد به. ثم تصوره الكناية مقبوضاً من ناصية رأسه الكافية الخاطئة طالباً منه أن يدهو ناديه بما فيه من أثمة الكفر والشرك من ملته الذين يركن إليهم ويعتز بهم ويكابر لينقذوه تما همو فيه من هوان: ﴿ كَانَ الإَسْكَ لِلْمَاتِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

⁽¹⁾ أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 131.

⁽²⁾ ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص 807.

⁽³⁾ سورة العلق، الآبات: 6-19.

قال الزنخشري: ﴿ ﴿ كُلُّ ﴾ ردع البي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعمالي وأمر بعبادة اللَّات، ثم قال ﴿ إِن لَّرَبُنُو ﴾ عمَّا هـو فيه ﴿ لَتَنفُّا إِلنَّاصِيَةِ ﴾ لنأخذنُ بناصيته ولنسحبته بها إلى النار " (أ) والسَّفج: القبض على الشيء وجذبه بشدة. ﴿ مَهِيَةٍ كَلِيْمَ عَلِيْتَةٍ ﴾ وصفها بالكـذب والخطأ على سبيل الجاز المرسل لعلاقة الجزئية، إذ ذكر الجزء (الناصية) وأريد الكيل. فالكيلب والخطأ في الحقيقة لصاحب الناصية وفيه من الحسن والجزالة والحيوية ما ليس في قولك: ناصبة كاذب خاطىء. ﴿ فَلَيْثُمُ نَادِيَهُ ﴾ والنادي: الجلس الذي ينتلي فيه القوم، والراد: أهل النادي (2).

وفي الكنابة: ﴿ لَنْتَقُمَّا بِالنَّامِينَةِ ﴾ تبلغ السخرية من أبي جهل مبلغها في الصورة والمعنى، في الصورة نرى أبا جهل وقد قُبض على ناصيته بقوة وشدة جذب، ثم يُجر ويُجلب بقوة وعدف، وهذه الصورة التي عليها أبو جهل تمثل صورة من العذاب لها وقعهـا وتأثيرهـا البـالـم في مجتمــم كالمِتمع العربي، إذ إنَّ أي صورة من صور العذاب أو الموان أخف وأيسر في وقعها من هذه ذلك، لا يبلغ منه ولا يحط من منزلته في المجتمع ما يبلغه التصوير الكنالي هذا، وهـ و يتناول شخصاً علاه الغرور، ويسيطر عليه الشعور بالعزة التي لا تُمس، والقوة التي لا تُقهر كأبي جهل (3·

أما المعنى المكنى عنه الذي تشير إليه هذه الصورة الزريسة فإنه يتمثل في غايسة الإهانسة والتحقير والسخرية من قوته وجبروته، فضلاً عن ذلته واستكانته واستسلامه.

ولا يخفى ما في استخدام أسلوب الجاز المرسل المتصل بالكناية في موضعين من السياق: ﴿ تَمِينَوْكَذِنَهُ خَالِمُونَ ﴾ و ﴿ فَلَيْثُمُ تَاهِيمُهُ ﴾ من زيادة المعنى قبوةُ وتأكيداً، إذ إنّ إسناد الكذب والخطأ للناصية دون صاحبها يُوحى على نحـو من التوكيد بتكبـره واختياله وغيَّه وضلاله، كما يُوحى بقوة التهديد والوحيد وشملة العذاب الذي ينتظره، ولا يعصمه من همذا العـذاب توتــه التي يُفاخر بها ويكابر كما دلّ الجاز المرسل الآخـر ﴿ قَلِيْمُ نَادِيَكُ ﴾ إذ ذكـر الحـل وأراد الـذي يحلٌ فيه، وهي القوة التي يركن إليها من أثمة الكفر والشرك من ملئه، وفي هذا الجاز إيجاء بشدة القوة التي يركن إليها ويفاخر بها، ولكن فيه من جانب آخر إيحاء بشدة عذابه ومموء مصمره، وقد صورت الكنابة الساخرة جانباً منه.

⁽¹⁾ الكفاف: 4 / 620.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 620.

⁽³⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 208.

نَّة الله أنت العزيز الكريم:

إذا كانت الكتابة السابقة سخرت من أبي جهل غاية السخرية وتوعلته بأشد العذاب وأفظعه، فإندا في هذه الكناية التي قيل أنها نزلت في أبي جهل أيضاً (a) تطلعنا على العذاب للـادي وللعنـوي الـذي يتنظره هناك في نار جهنم، العذاب للادي الشديد كما يصوره السياق، والعذاب للعنوى من تأتيب ومسخرية وترذيبل كما تصوره الكتابة التي تشكلت في هذا السياق الشديد الإيجاء والتركيز في تصوير علاب أبي جهل بنوعيه. نقرا ذلك في قوله _ تعدل _ : ﴿ خُنُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى مَوْلَهُ لِمُتَحِيدِ ۞ ثُمُّ مُنْ يُوا فَرَقَ وَأَسِهِ مِنْ عَلَى إِلْ عَيدِ ۞ دُق إِنَّكَ أَنْ الْمَانِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (1)

فالشدة والعنف تتجلى من إيماء الألفاظ التي تكوُّن صورة العذاب، من ذلك لفظ ﴿ خُذُوهُ ﴾ فإنه يُوحى فوق أخذ الكافر إلى جهنم، فإن فيه تهويناً من شأنه وذلك يسلب كـــا, ارادة أو كيان معنوى منه الكافر .. كما يُوحى اللفظ _ مجرد شيء ينقل من مكان إلى مكان، ثم كلمة ﴿ سُوَّلُو ﴾ بما تبرزه في النفس من تصور لوسط الجحيم او قعره أو تلظيه، المسلم كلمة ﴿ صُّبُّواً ﴾ وما نيها من سخرية وشدة بتصوير الصب فوق رأسه من العذاب كما يُـصب الماه، ف﴿ مُبَدُّوا ﴾ استعارة مكنية تصور شدة العداب الأيم الذي همو فيه، حيث شبّه العداب بالحميم الآني الشديد الحرارة، ثم حذف المستعار منه ودل عليه رادف الفعل ﴿ مُمُّوًّا كُم، فالاستعارة تُوحى بلذع العذاب الشديد الأليم (2).

وفي ذلك مفارقة في تصور المقابلة بين صب الماء وصب العذاب، والحرف ﴿ مِنْ ﴾ المدى يُوحى بالتجرع البطيء للعملاب (ته ويتركز إيماء شمديد بالعذاب والإهانمة باللفظ ﴿ فَأَعْتِلُوهُ ﴾ يَقال: 'عتلهُ جرّ، جرّاً عنيفاً وجَلَّابهُ.. وقيل: العَثْلُ: انم تأخذ بتألبيب الرجل فتعتله أي تجرّه إلميـك ونذهب به إلى حبس أو بليَّة.. ويقال: لا أتعتّل معك شبراً أي لا أبرح مكاني، والعتلـة: المُـدّرة الكبيرة تنقلُّم من الأرض، والعصا الضخمة من حديد لها رأس مُقَلَّطُح تكون مع البِّداء يهـــدم

^(*) ينظر: لباب الثقول في أسباب النزول، من 659.

سورة الدخان، الآيات: 47_49.

⁽²⁾ ينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص 116.

⁽³⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 440.



مما الحيطان، والجراوة الغليظة "(ا. فمادة اللفظ تدور حول الشدة والعنف، وتُوحى بصورة مـن العذاب غيفة مفزعة يُؤخذ بها الكافي.

وفوق هذا العذاب المفزع المخيف تـاتني الكنابـة: ﴿ ذُقَ إِلَّكَ أَنَّ ٱلْعَدَيْرُ ٱلْكَرْبُمُ ۗ ﴾ وفيها سخرية بالغة وتهوين من شائه وتأنيب وترذيل، قال الزخشري: على مسبل الهزو والتهكم بمن كان يتعززُ ويتكرّم على قومه. وروي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أُمْرُ وَلَا أَكْرُمَ مَنْيَ، فَوَ الله مَا تَسْتَطَيِّمُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكُ أَنْ تَفْعَلَا بِي شَيئًا ۖ (2).

والسخرية البالغة بأبي جهل تتكثف من بنية الكناية القائمة على عكس ما يؤلف استعمال الألفاظ فيها، وذلك بأن يستعمل اللفظ الدال على معنى على ضده ونقيضه، وقيد ورد مثال هذا الاستعمال الكنائي كثيراً في القرآن كما في قوله _ تعالى _: ﴿ يَشِيرُ الْمُنْفَقِقِينَ بِأَنَّ لِمُتَمَّ عَذَابًا لَلِيمًا ﴾ (لله وقوله: ﴿ وَيَشْرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَكَامِ الَّهِ ﴾ (4) وقوله: ﴿ فَيُشِرَهُ مِيكَذَابِ ٱلِّهِ ﴾ (4) ومنه قوله - تصالى -على لسان الذين كفروا من قوم شعيب الله: ﴿ ... إِنَّكَ لَأَمَّ الْسَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (6) ومن شان هذا الأسلوب القرآني تحقيق دلالته البليغة المؤثرة في المتلقى، إذ إنَّ التضاد الحاصل عن طريق العكس في الكلام يحقق إيصال معنى الآية على نحو أشد وقعاً، وأكثر إيضالاً في النفس المتلقية لِما قيه من الابدال التهكمي والسخرية اللاذعة، لأن "البشارة يصح التعبير بها في مواطن الخبير والكرامة، لا في مظاهر الشدة والعناء، وليس العذاب من مواطن الخير، حتى يبشر بـ العاصمي، ولكنَّه تعالى أطلقه عليه تجوزاً من باب اطلاق اسم الضدين على الآخر للنكايـــة والـــشفي، أو السخرية والتهكم ((٦).

⁽¹⁾ أسان المرب: 11 / 424 (عدل).

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 223.

⁽³⁾ سورة النساء، الآبة: 138.

⁽⁴⁾ سورة التوية، من الآية: 3.

⁽⁵⁾ مسورة آل عمسران، الآيسة: 24. وينظسر: مسورة التويسة، الآيسة 34. ومسورة لقمسان، الآيسة: 7. وسورة الجائية، الآية: 8. وسورة الانشقاق، الآية: 24.

⁽⁶⁾ سورة هود، من الآية: 87.

⁽⁷⁾ مجاز القرآن خصائصه الفنية وبالافته العربية، د. محمد على الصغير، ص 147.

ودلالــة الـــخرية في الكنابــة ﴿ ذُقَ إِنُّكَ أَتَ الْعَنِيرُ الْكَرِيمُ ﴾ تنــصاعـد إيــضاً بالاستعارة المكنية ﴿ ذُقُّ ﴾ ، فالذوق هو فعل الحاسة المعروفة، وتستعمل عادةً فيما يُؤكمل مهر المطاعم والمشارب، ولكن القرآن يستعيره لغرض تقريب المعنى بإلباسه ثوباً حسياً في تــذوق نــاد شديدة التوهج والاتقاد،وريما وظف القرآن هذه الحاسة (الذوق) من دون الحواس الأخسى لأن حس الذائق لإدراك ما يلوقه قوي(١١) فهي أشد الحواس وأقواها إدراكاً في تــذوق الأشـياء عـنــد الإنسان والله أعلم.

ولَّما كانت نار جهنم ليس لها طعم ليتذوقه الكافر حينتاذ تتجلَّى الـسخرية منه على لحم جلى، فالاستعارة فيها قائمة على تشبيه العذاب بشيء يُذاق ثم حذفه وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعل ﴿ ذُقَ ﴾ على سبيل الاستعارة المكنية وذلك ليعمق درجة الاحساس بالعذاب وألمــه ومن ثم تأثيره في النفس.

ومن وراء هذا التركيب الكنائي الذي أشار إلى السخرية اللاذعة، فضلاً عن شيرة العذاب وعنفه الذي يُلاقيه عنو الاسلام والمسلمين أبو جهل، فإن التركيب الكنائي أبعمد ممدى من فرد نزلت فيه الآية، فالعبرة بعموم اللفظ لا مختصوص السبب كما يقول المفسرون وإهما. الأصول⁽²⁾ فالصورة تعم دلالتها فتشمل كمل من يعادي الله ورسوله والمسلمين على مدار الزمان.

الضَّرُبُ على وجوه الكافرين وأدبارهم:

تصوّر هذه الكناية ما ينتظر الكافرين من صدّاب عنـد مـوتهم، وهـو نـوع مـن الصدّاب تتكثف فيه السخرية والإهانة والإذلال، نقرأ ذلـك في قولـه ــ تعـالى ــ: ﴿ وَلَوْ تَـرَىٰٓ إِذْ يَـتَوَلَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلَتِهِكَةُ يَضَمِعُونَ وُجُومَهُمْ وَأَدْبَنَرَهُمْ وَدُوعُوا مَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٥).

⁽¹⁾ ينظر: كتاب السنامتين، ص 275.

⁽²⁾ ينظر: التبيان في تفسير القرآن، للطومسى: 3/ 93. وينظر: البرهان في علموم القرآن: 1/ 32. والاتقان في علموم القمرآن: 1 / 110. انظر: منهج الطوسي في تفسير القمرآن الكريم، ص 192 _

⁽³⁾ سورة الأنفال، الآية: 50. ينظر: سورة عمد، الآية: 27.

الكناية الساخرة هي: ﴿ يَشْرِينُكَ رُجُوهُهُمْ وَأَنْكَرُهُمْ ﴾، قال الزخمشري: 'وعن مجاهد: وأدبارهم: أستاههم، ولكن الله كريم يكني، وإنما خمصوهما بالنضرب لأن الحزي والنكال في ضربهما أشله ° (۱).

ومشهد ضرب الكافرين على وجوههم وأدبارهم من قبل الملائكة الذين يتوفونهم كما تصوره الكناية مشهد يصور نوعاً من العذاب المهين، لذلك فالآية تلفت انتباه المتلقى إلى أنّ يتصوره ويتأمله ويدل على ذلك استهلال الآية بالأسلوب الحبري اللافت للنظر: ﴿وَلُوَتَـرُئِّ.. ﴾ فهو توجيــه خطاب لكل من يرى هذا المشهد البارز وكأنه حالة دائمة كلَّما توفَّت الملائكة الكافرين، وهم مشهد مروع يبدل على ذلك حذف جواب (لو) وتقديره: "لرأيت أمراً فظيماً منكراً" (ا) حيث يترك لخيال المُتلقى أن يتخيله فتذهب نفسه كل مذهب في تصوره، ثم يتحول الأسلوب في الآيمة على سبيل (الالتفات) من الغبية في الإخبار صن الكافرين إلى خطابهم في أسلوب إنشائي في ختامها: ﴿ وَذُوقُوا عَنَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ ليرد الشهد حاضراً مؤثراً في النفوس، فضلاً عن تصعيد دلالة السخرية في الكناية بالاستعارة المكنية ﴿ وَدُوقُوا ﴾ أي " ذوقوا عـذاب الحريق أي مقدمة عـذاب عن إردافها هذا النوع من العذاب بالسخرية والتهكم بهم.

ودلالة الكناية فيما هو ظاهر لا تهدف إلى بيان شدة العذاب البدني الذي يلاقيم الكافرون عند الموت فحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى التمهيد لعـذاب أشد في الأخرة مجسد في تصوير حسّى حي يشي بالسخرية ذلك أنه اختير مكانان للعذاب عليهما، وهما الوجه المدي يعد الضرب عليه من أتسى وسائل الإهانة والإذلال، والدير الذي لا يلجأ إلى الضرب عليه إلاّ في الحالات النادرة وفي أقصى حالات الهوان والاحتقار، فهذا المعنى المتمشل في تحقير الكافرين والسخرية منهم هو الحدف البارز الذي تؤديه الكنايسة في الآية (١٠) وهـ و المعنى الذي يتعمق باستعارة الذوق،وكأن عذاب السخرية والإهانية بالنضرب على الوجوه والأدبيار هو تمهيد لعذابهم بالثار.

⁽¹⁾ الكثاف: 2 / 179.

⁽²⁾ نفسه: 2 / 179.

⁽³⁾ نفسه: 2 / 179.

⁽⁴⁾ ينظر: اسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 370.

تولية الأدباره

ويسخر القرآن بهـذه الكتاية في مواضع كـثيرة مـن الكـافرين كلِّمـا واجهـوا المـؤمنين في " أرض المعركة. ففي كناية "تولية الأدبار "سخرية بالغة من الكافرين وتحقير لهم، فبضلاً عبر ت صوير خوفهم وذعرهم وهزيمتهم النفسية بحركة تولية الأدبار المادية الشاهنة كلما التقم ا بالمؤمنين. وهذه منة الله لا تنتغر ولا تتبدل كما يُخرِف القرآن بدلك: ﴿ وَلَوْفَتُلَكُمُ الَّذِينَ كَفُرُوا لَوَكُوا الأَدْبِنَرُتُمَّ لا عَدُونَ وَلَنَا وَلَا عَهِدِ مِنْ اللهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ عَلَتْ مِن قِيلًا وَلَن عَمَد السُنَة الوَّيْدِ ولا له (١٠٠

الكناية: ﴿ لَوَلُّوا ٱلأَدْبَدَرُ ﴾ واللُّبُر: "نقيض القُبُل. ودُبُرُ كلُّ شيء: عَقِبُهُ ومؤخرهوالأدبار للوات الحوافر والظَّل والمُخلِّب: ما يجمع الأست والحياء،والحياءُ من كلِّ ذلك وحده دُبُر ' (2). فالأدبار كناية عن (الأستاه) (د)، فهي تشر إلى معنيين هما:

1 _ الحزيمة والغرار من مواجهة المؤمنين.

2_السخرية اللاذعة منهم بانكشاف أدبارهم للمؤمنين.

وفضلاً عن ذلك فإن الكناية تقررها الحقيقة الكبيرة، حقيقة نـصر المؤمنين المخلصين على أعدائهم الكافرين حيثما التقوا، وإن أبدى الكافرون شدةً وضراوةً في بصض الممارك، إلاّ أن مصيرهم التخاذل والهزعة والانتكاس بالمعنى الذي يلازم الصفات المذكورة، فبضلاً عبن أنه يفضحهم ويسخر منهم كمما صورته الكناية.

وما ذلك إلاَّ لأن الكافرين محجوبون لا يفقهون ولا يعلمون، قلوبهم خاويــة لا تـــــتمد الفوة من مصدر القوة الحقيقية التي يعتمد عليهما المؤمنون ويتطلعون، وقد صورت الكناية نفسها حقيقة الكافرين هذه في موضع آخر في قول .. تصالى ..: ﴿ وَيَصَلَّنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ آكِنَةٌ أَن يَفَقَهُوهُ وَفِيَّ خَلَامِهُمْ وَقُواً ۚ وَلِذَا ذَّكَّرَتَ رَبِّكَ فِي ٱلفَّرْكِينِ وَحَدَمُ وَلَّوَا عَلَىٰ أَدْبَدُ فِرْ أَهُولَ ﴾ (4٠.

⁽¹⁾ مسورة الفستح، الآيسان: 22 ـ 23. وينظسر: السمور الآيسة: آل عمسران، الآيسة: 111. المائسدة، الآيسة: 21. والأحزاب، الآية: 15. والقمر، الآية: 45. والحشر، الآية: 12.

⁽²⁾ لسان العرب: 4 / 268 (دير).

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 2 / 179.

⁽⁴⁾ مسورة الإمسراء، الآية: 46. وينظر في هذه الكناية: الادبار عن آيات القرآن السور الآتية: النصل، الآيسة 80. والسروم، الآيسة: 52. وعمسه، الآيسة: 25. والمسارج، الآيسة: 17. والمساش، الآيسة: 23. والنازمات، الآية: 22.



في أرض المعركة، وإنما هي الهزيمة الروحية والنفسية من استماع آيـات القـرآن الـتي تــدعوهم إلى التوحيد والهدى والحقيقة التي هم عنها غافلون، لذلك يسخر منهم بهـذ. الكنايـة مـن حبهم واعتزازهم بالتهتم المزعومة التي بها يشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا على أدبارهم نفوراً (1) كاشفين عن أدبارهم التي تفضحهم وتثير السخرية منهم.

خَرِقُ الأرض وبلوغُ الجبال طولاً:

ترد هذه الكناية الساخرة لتصوّر تلك المشية الخاصة التي يـصطنعها بعـض النـاس والــي تُعد مظهراً من مظاهر الانفصال النفسي في الجتمع، والكناية تطبع هـله المشية بطابع التكلف والتصنع وتنبئ عن ترفع صاحبها عن عامة الناس زهواً وخيلاء، نقراً ذلك في تولُّه _ تعالى ﴿ وَلِا نَدَيْنِ فِي الْأَرْضِ مَرْمًا إِنَّكَ لَن تَقْرِقَ الْأَرْضَ وَلَى بَلَمْ لَلْمِلَا ﴾ (٥٠)

فالسخرية والتهكم بمن اعتاد هذه المشية تتجلى من هذا التعبير الكنائي، والمرح: شدة فرح ونشاط ⁽³⁾ ﴿ لَنَ تَغَرِقَ ٱلأَرْضَ ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطاتك ﴿ وَلَكِ. تَبْلُغُ لَيْجَالَ طُولًا ﴾ بتطاولك، وهو تهكم بالمختال * (⁽⁴⁾

والسخرية والتهكم تتضح في هذه الصورة الكنائية الساخرة من خيلال ضعف هذا الانسان الموصوف بهذه المشية التي ترسمها لـه كأنـه يخـرق الأرض بدكـه إياهـا، وكأنـه يطـاول الجبال بشموخ أنفه ورفع هامته إلى السماء، وليس أحد يظّن أن هذا المتعالى المترفع أنه سيخرق الأرض بمشيته، ولا أن يبلغ الجبال بطوله، ولكنها الكناية التصويرية التي تقرن هذه المشية بهذه الصورة الشديدة السخرية، صواء في نفس من يريد أن يمشيها، أو في نفس من ينظر إليه (⁶⁾ وبهذا التصوير الساخر المؤثر يحقق القرآن هدف في النهي عن هـ لم المشية الـ يتخالف مبادئ الاسلام بقدر لا يحققه النهي الجرد الضعيف الأثر في الحس والوجدان، فبالنهي بالكتابة يظل

ينظر: الكشاف: 2 / 523.

⁽²⁾ سورة الإسراء، الآية: 37.

⁽³⁾ أساس البلاغة، ص 424 (مرح).

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 522.

⁽⁵⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 181.



عالقاً في الذهن والنفس بما يتلبسه من مظاهر مادية في صورته المتهكمة المثيرة للضمحك والتحقير من كل من تراوده نفسه أن يصطنع هذه المشية ويتكافمها.

ولا يخفى ما في الكتابة من أيجاء يدعو إليه القرآن بهما يتمشل همذا الإمجاء بالتعاطف النفسي بين أفراد المجتمع جميعاً، حيث يجعلهم يقفون على قدم متساوية، وصف متكافيء لا يترفع بعضهم على بعض وذلك من خلال سخوية القرآن سخوية شديدة من كل وضع يخالف مبادئ الاسلام كهذه المشية التي حاربها بالكتابة الساخرة.

الصَّلَفَ عن آياتَ الله:

الكتابة الساخرة ﴿ يَسْرِفِقَ ﴾ قائمة في بنيتها على الاستعارة الكنية حيث شبّ المتكبر عن أيّات الله المعرض عنها بيمير مصاب بداء الصدف، ثم حلف الشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الصدف، وفي هداالتصوير الاستعاري يرتسم الذي يصدف عن آيات الله بصورة المعير الذي يصدف عن آيات الله بصومة المعير الذي يصدف عنيه بعاء في أساس البلاغة: أصدف عن الشيء صُدوقًا: أصرض عنهومن الكتابة: رجل صدوف: أنخر ألانه كلما حدثت صدف بوجهه لثلا يوجد بخره ("كبوقال الواضب: " والمعرف عنه : كصدف به: كصدف بالمحرف المحرف عنها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَدُوا عَنْ الناس مَنْ المرف عنها قد حرف صححها وصدقها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَدُوا عَنْ الناس مَنْ المرف الله وَ وَمَدُوا عَنْ الناس مَنْ الله وَ الله المرف عنها قد حرف صححها وصدقها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَدُوا وَصَدُوا عَنْ مَنْ الله وَالله المرف عنها لمن المواقعة عنها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَدُوا وَصَدَدُوا عَنْ المَنْ الله وَ الله المرف عنها لمن المواقعة عنها، أو تمكن من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَدُوا عَنْ الناس مَنْ المَنْ الله وَ الله المواقعة لمنه المؤلّد وَ الله وَ الله عَنْ الله الموسلة عنها المؤلّد وَ الله وَله وَ الله وَ الله وَ الله وَالله وَالله

سورة الأنمام، من الآية: 157.

⁽²⁾ مادة (صدف)، ص 251.

⁽³⁾ القردات، ص 408.

^(*) سورة النحل، من الآية: 88.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 64.

ومن وراء هذه الصورة القائمة على الاستعارة يتوارى خلف سنجفها معنى مُكنى عنه يشر السخرية من هذا المكتبر عن آيات الله المعرض عنها يتمثل في حَيْوَانية هذا النمط مـن البـشر في تلك الصورة التي أخرجتها الاستعارة وهي ميل البعير في مشيته المثيرة للضحك.

شرُّ الكُواب:

يتصل هذا التعبير الكنائي بالكناية السابقة من حيث المعنى المتمثل في حيوانية نمسط من البشر يعمل على إثارة سخرية المتلقي وإزدرائه، نلحظ ذلك في قوله .. تعمال ..: ﴿ إِنَّ شُرَّ الدُّوَآتِ عِندَ اللهِ اللِّينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

فهؤلاء الكافرين المصرّون على الكفر وقد لجَّوا فيه فلا يُرجى منهم إيمان، هؤلاء شرّ مس يدبّ على وجه الأرض.

إذن ﴿ شُرَّ ٱللَّاوَآتِ ﴾ كناية ساخرة عن حيوانية الكافرين على الرغم من أن لفــــظ ﴿ الدُّوآتِ ﴾ يشمل كل ما دبّ على وجه الأرض (2) لكنه قد غلب على ما يركب من الدواب (3) في عرف العامة، فإطلاقه في هذا السياق يُلقي ظل البهيمة على المذين كضروا، فهم قـد حرموا أنفسهم من الإيمان لأنهم عطَّلوا أجهزتهم التي وهبهم الله إياها، وهي وســائل الإدراك والتعمُّــل كما وصفهم القرآنفي موضع آخر: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَ اللَّهِ ٱلثُّمُّ ٱلَّذِينَ لَا يَشْقِلُونَ ﴾ 40، قال الزنحشري: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآتِ ﴾ أي أن شر من يدب على وجه الأرض. أو أن شـر البهـ الم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها " (5). فالتعبير كناية عن بهيميتهم، بل هم شر من البهائم (٥) لأنهم مسلوبو العقل والوعي كما جسّد التبصوير الاستعاري ﴿ ٱلنُّهُمُّ ٱلبُّكُمُّ ﴾ حالهم وحقيقتهم وهم ليسوا صمّاً ويُكماً في الحقيقة، ولكنه التصوير المطابق لواقعهم وحالهم عند انتفاء كل تفكير أو وعيي عنهم، فهم لا يسمعون سماع هدي

⁽¹⁾ سورة الأنفال، الآية: 55. وينظر: الآية: 22 من السورة نفسها.

⁽²⁾ ينظر: أسان العرب: 1 / 369 (ديب).

⁽³⁾ المبدر تقسه: 1 / 370 (المادة تقسها).

⁽⁴⁾ سررة الأنفال، الآبة: 22.

⁽⁵⁾ الكشاف: 2 / 163.

^(*) ينظر: السرر الآتية: الأمراف، الآية 179. والفرقان، الآية: 44.

وإيمان ولا ينطقون بالحق،كما يشير هذا التصوير إلى إصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه قملا يُرجى منهم إيمان ولا يُتوقع.

ولا يخفي ما وراء الكناية ﴿ شَرَّ الدَّوَاتِ ﴾ التي أخرجتهم في صورة الحيوان من المارة للسخرية والضحك منهم وهم يدبُّون على الأرض.

> مُلَّحَلاً لُولُوا إليه وهم يَجْمَحُون: ل يُجدونُ مُلْجَأُ أو مُغاراتِ أَوْ

ويرسم القرآن صورة كاريكتارية كنائية تتضمن دلالة ساخرة من المنافقين تصوّر بحركتهم المادية المضطربة حالتهم النفسية المذعورة الخائفة،وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لِينكُمْ وَمَا هُمْ يَنكُو وَلَيْكَمُّمُ قَوْمٌ يُمْرَوُن ﴿ لَوْ يَجِيدُونَ مَلْحَنَا أَوْ مَعْنَرَتِ لَوْ مُدَّخَلًا لَوْلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴾ (١).

الآية: ﴿ لَوْ يَحِدُونَ مَلْجَمَّا أَوْمَغَنَرُتِ أَلْ مُكْفَلا أَوْلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَصِمُونَ ﴾ تعبير كناهي يشير إلى الحوف الشديد الذي يميّز المنافقين من غيرهم، فهمز يتطلعون دائماً إلى مكان يلتجشون إليه وذلك لشعورهم الدائم بالمطاردة لأنهم يخفون جريمة كُبرى أجرموها وهي (النفاق) فيدور في نفوسهم دائماً: عن ملجأ أو مغارة أو نفق، أو أي مكان يحتمون بـه ويـسترون فيـه (a. قال الزنخشري: ﴿ مُلَّجَمًّا ﴾ مكاناً يلتجنون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ﴿ أَوْ مَكَرَاتٍ ﴾ أو غيراناًأو ﴿ مُلَّخَلًا ﴾ أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون (٥٠) فـالحوف الـشديد من طبيعتهم يسيطر عليهم سيطرة تفقدهم الأتزان، ويصور شدة خوفهم الخاص بهم، ويعمقه الاستعارة المكنية ﴿ يَجْمَعُونَ ﴾ حيث شبههم في خوفهم اللذي يندفعهم إلى الهروب بالفسوس الجموح ثم حلف المشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئاً من لوازمه عليه وهو (الجموح) على سبيل الاستعارة المكنية، قال الزخشري: ﴿ يَجْمَعُونَ ﴾ يسرعون إسراعاً لا يبردهم شيء،من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يردُّه اللجام (4). ففي الاستعارة تبصوير لتلبك الأحالة النفسية المدعورة الخائفة التي تحس بالمطاردة تملك عليهم كل حواسهم فيسرعون إسراعاً إلى غبا

⁽¹⁾ سورة التوبة، الأسان: 56 _57.

⁽²⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 320.

⁽³⁾ الكشاف: 2 / 220.

⁽⁴⁾ نفسه: 2 / 220,

يحتمـون به من حصن أو مغـارة أو نفق.. فهم يتسابقون لا إلى خير أو طاعة، وإنما يتسابقون من فزعهم الداخلي ورعبهم لالتماس المهرب والاختفاء.

ولا يخفي ما في هـذا التصوير في الآية من سخرية بالفــة وهـي ترصـد حركـاتهم المـادة (الحموح) تجسيداً لِما يعتري المنافقين من الحوف الشديد بوصفه طبيعة نابعة من دخيلة نفوسهم فهي ملازمة لهم.

دوران الأعان:

تختص هـ أ.ه الكناية الساخرة بتصوير الحالة النفسية للمنافقين، كما اختصت بهم الكنايـة السابقة، إلا أننا نلحظ في هذه الكناية أثر الحوف والرعب أكثر بروزاً ووضوحاً وهـو يرتـسم يمركة دوران أعينهم، وذلك حينما يتعرّض المنافقون لموقف غيف تضطرب له نفوسهم وقلوبهم خوفاً ورعباً. نقرا هذه الكنابة في قوله _ تعالى: ﴿ فَدْيَعَكُرُ اللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ بِنَكُرُ وَالْفَآيَانِينَ لِإِخْرَانِهِمْ عَلَمُ إِنِكَ أَرُدُ بِأَذِنَ البَأْسَ إِلَا ظِيلًا ﴿ أَشِيعًا مَلِيكُمْ ۚ فَإِنا مَنْهُ لَكُونُ رَأَتِهُمْ يَظُرُهُمْ إِلَكُ مَكُولُ أَعْيِنُهُمْ كَالَّذِي يُنْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۚ فَإِنَا ذَهَبَ لَكُونُ سَلَقُوحُمْ بِٱلَّذِينَةِ حِنادٍ أَشِحَةً عَلَ الْمَيْرِ أُولَيْكَ لَرْ يُحْمَثُوا مَا مُعَالِمُ اللَّهُ أَعْلَلُهُمْ قَالَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (1).

﴿ رَأَتُهُمْ يَظُرُونَ إِلَكَ مُعُودُ أَمِّيتُهُمْ كَالِّكِي يُعْتَنِي مَلِّهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ هذا التعبير القرآني يجسد حالة نفسية واضحة المعالم،تلك الحالة التي تعتري المنافقين عنـد الـشعور بـالخطر، حالـة الحموف والرعب وهو يواجهون (القتال) ولكن القرآن يسميه (الحوف): ﴿ فَإِنَّا جُمَّةً لَكُونَ ﴾ وذلك لتصوير القتال في صورة الحوف الذي تكون منه حركة ومجيء، وفي ذلك يتجلى وقـــم القــــال في النفوس المتافقة الفزعة الحاوية (٤٥) وتأثيره الذي يرتسم في أعينهم في صورة بارزة كما تصوره الكناية ﴿ مُّكُورُ أَكُونُهُمْ ﴾ المتواشجة مع التشبيه ﴿ كَالَّذِي يُعْنَىٰ طَيِّهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ في إخراج المعنى.

والكناية ﴿ مُلُّورٌ أَتَّمِنْهُمْ ﴾ متواشجة مع الجاز العقلي تصوّر أعينهم كلها تدور، والحقيقة: تدور أحداقهم في أعينهم باسناد الفعل ﴿ مُّنُّونًا ﴾ إلى المكـان ﴿ أَصِّينُهُم ﴾ ولكـن شــدة الــدوران وسرعة تقلُّها خيَّل أن العيون كلها تبدور، فليس البدوران دوران الحباجر والأحسداق، ولكنه

سورة الأحزاب، الآيتان: 18 .19. وينظر: سورة محمل، الآية: 20.

⁽²⁾ ينظر: من أسرار التعبير القرآئي، د. عمد أبو موسى، ص 78.



دوران العيون حتى الجفون والأهداب، وفي كل ذلك تصوير لقموة أعينهم الدائبة (أ) وبلذك تشير هذه الصورة الكنائية بقوتها التعبرية الحسوسة إلى مقدار صفة خوفهم ورعبهم، فضلاً عن ضعفهم وتخاذلهم وفتورهم، وهي المعاني التي صوّرها المشبه بـه ﴿ كَالَّذِي يُغْفَنُ طَيِّعِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ فهي مظهر الموت والاستسلام.. فالصورة التشبيهية ترسم عيني المنافق حيث يشعر بـالخطر علـي حياته، بأنهما أشبه بعيني شخص يغشاه الموت فتشل منه كل حركة، ويسكن منه كـل عـضو، إلاّ عينيه فإنهما يدوران، دوران الضعف والاستكانة والرعب والفرع، ومشاعر وانفعالات كثيرة تُوحى بها الصورة التشبيهية، حين تُصَوُّر حالة شخص يعاني سكرات الموت، ولكن البارز في نظرة المنافقين هو تعلّقها بشخص الرسول ، كأنهم يتشبثون به مستغيثين مستجرين من شدة ما يراودهم من فزع (2) فهو الصراع النفسى الرهيب في نفس المنافق بين حرصه على إظهار غير حقيقته، وحرصه على حياته يكشفها القرآن ويجليها من خلال هيني المنافق التي منهما يطل كل ما يدور في نفسه من انفعالات ومشاعي

ولا شك في أن الصورة الكنافية فضلاً عن الصورة التشبيهية الملتين جسدتا تلك المشاعر النفسية والانفعالات تثير السخرية مسن المنافقين بوصفها هدفاً من أهداف هذا التعبير التصويري الحادف إلى ردع النفوس عن هذا التصرف بهذه الصيغة الحسوسة التي يمكن أن يتابعها الخيال يتملاها، وتتصاعد دلالة السخرية منهم عندما ينقلب خوفهم إلى خلافه حينما يحسون بالأمن ﴿ فَإِنَا نَهَبَ لَلْقُوفُ سَلَقُوحُكُم بِأَلْسِنَةِ حِلَادٍ ﴾ وهـو تعـبير يقـف علـى التـضاد في الـصورة والمعنى مع ﴿ فَإِنَّا جُمَّةً لَكُونَكُ ﴾ فيكشف التعبيران عن حالتين متباينتين أشد التباين. فبعـــد ذلــك الخوف والفزع والموت والاستسلام إذا هم حين عجيء الأمن يتسلَّطون على المؤمنين إبـذاءاً بالسنتهم سبًّا وشتماً بالصورة التي تعبر عنهـا الاستعارة ﴿ سَلَقُوحِكُم ﴾ ، والسُّلْقُ: 'الـضرب. وسَلْقَهُ بِالسُّوطُ ومَلْقَهُ أي نزع جلده.. ومَنْلَقَ الشيء بالمـاء الحـار يُسْلُقه مَسْلَقاً: ضـربه. ومــلق البيض والبقل وغيره بالنار: أغــلاه.. ويقــال: سَــلَقْت اللحــم عــن العظــم إذا انتجيَّته عنــه " (3)، فاستمير السلق في الآية للإيذاء والعيب والإهانة بالقول، فشبَّه الإيذاء والعيب بالسلق. بجمامع

⁽¹⁾ ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص 79.

⁽²⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 111، 322، 391. وينظر: الكشاف: 3/ 419.

⁽³⁾ لسان العرب: 10 / 160 وما يعدها (سلق).



السلق (١) فتجلى الاستعارة شدة إيذائهم للمؤمنين بعد ذهاب الخوف، وارتفاع أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفاخ أوداجهم بالعظمة، وانتفاشهم بعد انزواتهم، وادعائهم في غير حياء، ما شــام لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة، والاستبسال (ch بعيد ذلك الخوف والموت والاستسلام المثير للسخرية منهم حين تُصَوّر هذه القارقة الضاحكة.

الخوالف:

تستهدف هذه الكناية الساخرة المنافقين أيضاً فتئير النضحك والمسخرية منهيره وتجسد حالتهم النفسية المستكينة الخائفة من القتال والتي تجعلهم يختلقون المعاذير ليتخلّفوا عن مشاركة الرسول ﷺ والمسلمين في الجهاد، فتنكشف دخيلتهم في ضوء النهار في صورة بالغة السخرية، وذلك في قوله _ تعالى _: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِيبَ يَسْتَنَّذِ فُوَنَكَ وَهُمْ أَقْضِيَّا أُرَيْمُوا بأَن يَكُونُوا مَمَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَلِيمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1)

قال الزخشري: " فإن قلتَ: ﴿ رَشُواً ﴾ ما موقعه؟ قلت: هو استثناف كانه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالــف،﴿ وَطَلَّبَمَ ٱللَّهُ كُلّ مُلُوبِهِم ﴾ يعنى أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم " (a).

والكناية الساخرة تتمثل في قوله _ تعالى _: ﴿ رَضُواْ بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ وهي قائمـة في بنيتها على الاستعارة التصريحية حيث عنني بالخوالف وهي _ الأعمدة التي تكون في أواخر بيسوت الحسى النسساء، فسشبههن لكشرة لسزوم البيسوت بالخوالف السني تكسون في البيوت (ك) وفي ذلك توبيخ للمنافقين وتقريع، فقد اختاروا بأن يكونوا مع النساء ومع المرضى والعجزة المتخلِّفين عن الجهاد بعمار، فمن ضعفهم واستكانتهم يحتمون بالنساء الخوالف مؤثرين الراحة والدعة على المشقة والجهاد، والاستعارة ليست غاية بـذاتها وإنما هم وسيلة فاعلة في تقريب صورة الكناية وإبراز دلالتها الساخرة في الكشف صن جبـنهم وخـوفهم

⁽¹⁾ يتظر: من أسرار التعبير القرآئي، ص 80.

⁽²⁾ أن ظلال القرآن: 6 / 557.

⁽³⁾ سورة التوبة، الآية: 93. وينظر: الآية 87 من السورة نفسها.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 236.

⁽⁵⁾ ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 148. وينظر: صفوة التفاسر: 1 / 556.



من القتال الذي يدفعهم إلى الاحتماء والاستتار خلف النساء والمرضى والعجزة،وبذلك تتجلبي السخرية منهم، لأن تُصور المنافقين وهم يحتمون بهؤلاء همو تصور طريف يثير السخرية منهم.

أكل الطماء:

يسخر القرآن من الذين يعتقدون ألوهية المسيح ١٩٠٨ بكناية ساخرة مهذبة سامية تتجافي همًا تنفر منه النفوس، والتسامي في التعبير هو أحمد خمصائص الكناية القرآنية حيث تتجنب دائماً نبو الألفاظ، وقبح المعنى فتسمو باللفظ والمعنى وتحقق هدفها في صورة مؤثرة، نلحظ ذلك في قوله _ تعالى _: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ آبَتُ مَرْيَكَ إِلَّا رَسُولٌ فَذَ خَلَتْ مِن قَبْسِهِ ٱلرُّسُلُ وَأَشُهُ مِمدِّيقَكُمْ كَانَا إَكْلَوْنِ اللَّمَكُمُ التَّلَرُ كَيْفَ بُيِّفُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ التَّلَيْرِ اللَّهِ قَالُونَ لا (١٠٠

الكنابة الساخرة ﴿ كَانَا يُمْكُلُانِ ٱلشَّلَمَامُّ ﴾ وهي كنابة سامية تترفع عن التصريح (٥) عن المعنى المقصود، فترسم بظاهرها المسيح وأمه - عليهما السلام - وهما ياكلان الطعام بوصفه حاجة ضرورية للبشر. فالمسيح وأمه لا علاقة لهما بالألوهيـة قبط، وأنهما مين البيشر، يجري عليهما، ويصدر منهما سائر ما يجري وما يصدر من البشر، وبخاصة في أشد الأمور التي لا يمكن تصورهما مع الألوهية _ كما أوحت الكناية في لازم معناها المقصود وهــو ((قـضاء الحاجة))(3) كالبول والغائط وسائر السلوك والغرائيز البشرية التي كتَّى عنهما بـ ﴿ يَأْصَكُلُانِ الطُّكَامَ ﴾ ترفُّعاً وتسامياً بسخرية القرآن ـان تنزل إلى مستوى سخرية البـشر، فـالقرآن يرمــؤ لذلك بشيء واحد ﴿ كَانَا يَأْصَكُلُانِ ٱلنَّلَمَاتُمُ ﴾ لأن أكل الطعام تتبعه أشياء كثيرة، يتسامى المقرآن عن ذكرها، ويكتفي الإشارة إليها (٩). فالقرآن يسمو في لفظه ومعناه عمَّا تجفوه النفـوس، ولو جــاءت الآية الكريمة مصرّحة بالتعبير عن قضاء الحاجة لتولّد في نفس المثلقي انفعــال منفّــر ومقرَّز، للانطباعات المرتكزة في ذهنه عنها، إذ ستنقله إلى تلك الـصورة الـتي اختزنهــا في غيلتــه عنها (د)، في حين إنّ الكناية في دلالتها الإيجائية، فضلاً عمّا ولدتمه من انفعال ايجابي عبّب في

سورة المائدة، الآية: 75.

⁽²⁾ ينظر: الأمس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 233.

⁽³⁾ ينظر: المتخب من كنايات الأدياء واشارات البلغاء، ص 6. والعمدة: 1 / 268. وينظر: الاتقان ني علوم القرآن: 3 / 144.

⁽⁴⁾ ينظر: الكشاف: ١ / ١٦٥_5١٤٦. ومن بلاغة القرآن، ص 227.

⁽⁵⁾ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 234_233.

製裝



الألوهية بالغ الردّ والتهكمُ بقائلي هذا القول والهدف واضح، وهــ ودّمــم إلى المنطـق الــــليـم والتفكير القويم "(2)" ويتجلى الهـ دف في التعليق على الـ صورة: ﴿ ٱنْظُرْ حَكَيْفَ نُبُيِّتُ لَهُمُ الكَيْنَةِ ثُمَّةً الطَّيْرُ النَّيْ يُؤْمَكُونَ ﴾.

ففي الكناية تحشد تلك المعاني والإيماءات على بـساطتها وإيجازهـا في تفنيـد اعتقـادهم الفاسد في صورة تثثير السخرية منهم والضبحك.

الأخذ بالنواصي:

وفي سياق قصة عاد قوم هود ﷺ يقدم القرآن كناية تصويرية تسخر مـن عــاد الجبــارين الظالمين، وذلك في قوله _ تعالى _ على لسان نبيهم مخاطباً لهم: ﴿ إِنِّي تُؤَكِّلُتُ عَلَى اللَّهِ رَقَ وَيَهَكُم مَّا مِن نَالَةِ إِلَّا هُوَ مَاخِذًا إِنَاسِينِهَا إِنَّ رَقِ عَلَى مِرَالٍ تُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥)

جاء في تفسير هذه الآية: ' ولما ذكر توكلُّه على الله وثقته محفظه، وكلاءت من كيـدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، مـن كـون كـل دابـة في قبــضته وملكته وتحت قهوه وسلطانه، والأخذ بنواصيها، تمثيل لذلك ﴿ إِنَّ رَقِّ عَلَيْ صِرَاطٍ تُسْتَقِيمٍ ﴾ يويــد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم به (٩٠٠).

الكنابة قوله تعالى: ﴿ مَّا مِن مَّائِدٌ إِلَّا هُوَ مَانِيلًا إِنَّا سِيئَهَا ﴾ وهي صورة حسبة ثوحي بمعناهــا الشامل في ملكه لا يند عنه شيء، كما تُوحي الكناية بعدائة الله المطلقة في ملك، القائم على الحق.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 233. وينظر: التعبير الذبي في الترآن، ص 202.

⁽²⁾ أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 127.

⁽³⁾ سررة هود، الآبة: 56.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 316.



وإيحاء العدالة والحق في الكناية، فضلاً عن القدة القاهرة التي تأخذ بناصية كل دابة ـ
بما فيهم قوم عاد ـ تتجلى في صورة واضحة وعلى نحو حسي غليظ وهو ما يُناسب السياق
مع قوم عاد في غلظتهم وشدتهم، وتناسب غلظ حسهم ومشاعرهم كما أخبر عنهم القرآن:
﴿ قَامًا عَلَمْ فَأَسَّكُ عَلَمَهُمْ اللَّهُ يَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ يَنَا قَوْمٌ أَلَيْ اللَّهِ عَلَيْهُمْ هُو أَشَدُّ

يَتُمْ هُوْ أَنَّكُ فَأَلَا عَلَيْهَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

كما الذ لفظ دابة في الكناية _وإن كان يشكل كل ما يندب على وجه الأرض _ إلاّ أنها في هذا السياق تلقي ظلها، ظل البهيمة على قوم عـاد، فهـم كالبهـائم بـل أضـل سـبياك، فهـم قـد عطّلوا ما وهبهم الله من وسائل للهداية والإنجان من سمع وأبـعمار وأنشـدة، كمـا أخـير عـنهم القرآن في موضع آخـر ﴿ ... وَمَمَلَكَ لَهُمْ سَمّا وَلَصَدُرُ وَلَوْيَدَةً ثَمَّا أَضْقَ عَثْهِمْ مَمْعُهُمْ وَلَا أَبْمَدُوهُمْ وَلَاً الْمَوْرَدُ في هم ثَلًا المُمَرُّدُ وَقَدَيْمَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

ومن وراه هذه الصورة الكتائية التي تصور - من ضمن ما تُمصَور - شوع عـاد الضلاظ الشاد دواب من تلك الدواب المأخوذ كل منها بناصيتها فهي مفهورة مغلوبة، نلحظ إيحـاء الشخرية والتهكم بهم، تسخر منهم ومن قوتهـم.. والكتابة تسخر كذلك من كل متجبر عـات. فليظ وهو ماخوذ بهله الصورة القاهرة الساخوة. وهـذه هي سنّة الله في الكافرين الظـالمين ﴿إِنَّ مَلْ صِكِمْ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٠).

وبذلك يتجلّى من خدال الكتابات الساخرة التي عرضها الفصل أن الكتابة الساخرة التي عرضها الفصل أن الكتابة الساخرة مي ليست مجرد أسلوب تميري وتصويري يبعث على الضحك أو مجرد تهجم أو هجاء أو تهوين شأن من الحقصم فحسب، وإنما هي - أيضاً وصيلة حوية لتحقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية، مواء من الناحية النساخرة) في طبيعتها مسلاح يستخدمه القرآن ضد أصداء المسلمين. وهي - في أكامم الأهلب في المنافرة أمة الكفو والشرك الذين يسدون العداء المسلمين، وهي مي في أكامم الأهلب من قوة.. لذلك ميزهم القرآن بتعابير كتابة ساخرة تنال منهم نياذ مؤلماً، إذ قامت الكتابة بوصفها لذلك ميزهم القرآن وتصويرها حيويا بنصيها الفي في أداء المعاني والأفكار التي قصد القرآن إليها، أصلوباً تعابير صقيقة أخرى غير الكتابة لما استطاعت أن تنهض بما نهضت به الكتابة تعبيراً وتصويراً في مواضعها التي اختارها القرآن.

سورة فصلت، الآية: 15.

⁽²⁾ سورة الأحقاف، من الآية: 26.

⁽³⁾ سورة هود، من الآية: 56.

الفصل السادس الكنايات العرفيّة





القصل السادس

الكنابات العرفيلا

نقصد بالكناية المعرفية تلك التراكيب الكنائية المتعلقة بالحواس من سمع وبمصر وفؤاد، والتي بها يتم تحصيل العلم والمعرفة بوصفها أداة هادية إلى الإيمان بالله ﷺ فينماز الانسان بهما من المخلوقات الأخرى.

وقد حثّ القرآن الكريم حثًّا كبيراً على استخدام هذه الحدواس بوصفها وسائل لتحصيل المعرفة في كثير من آياته الكريمة، وأعطى لهـذه الحواس مسؤوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الانسان المسلم في عبال: والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب (1) فقال له: ﴿ وَلَا نَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلَمُ إِنَّ ٱلسَّمْمَ وَٱلْمَصْرَ وَٱلْفُوَّادَ كُلُّ أُولَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴾ (1) بيل النسران يخطو خطوة أعمق في حث الناس على استخدام بصائرهم وهي تستقبل في كل لحظة مـدركات حسية، سمعية، وبصرية، ولمسية، لا حصر لها، وذلك من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم مليه وحدة نواميس الكون والخليقة (^{3).}

وتطالعنـا في القرآن آيات كثيرة تحـث على تحريـك العقـل الـذي منحـه الله لـبني آدم (١٥٥ وآيات تدعو الانسان إلى التفكير العميق بكل ما يحيط به من موجودات (3)،وما يُقال عن التفكير عكن أن يُقال عن (التفقه) (6). والتفقه: "خطوة (عقلية) أبعد مدى من التفكير، إذ هي الحسيلة

⁽¹⁾ ينظر: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، ص 71. وينظر: نصوص تراتية في النفس الانساتية، د. صرّ الدين اسماعيل، ص 151 ومنا بصدها. وينظر: المرفة المصوفية غراسة فلسفية في مشكلات للعرفة ، ناجي حسين جودة، ص 92.

⁽²⁾ سررة الأسرام، الأبة: 36.

⁽³⁾ ينظر: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ص 76. وينظر: السور الآتية: الأتعام، الآية: 194. والقصص، الآية: 72. والداريات، الآية: 21.

⁽⁴⁾ ينظر: السور الآتية: البقرة، الآية: 171 و 242. والعنكبوت، الآية: 43.

⁽⁵⁾ ينظر: السور الآتية: البقرة، الآية: 266. والأنعام، الآية: 50. والروم، الآية: 87.

⁽⁶⁾ ينظر: السور الآتية: النساء، الآية: 78. وهود، الآية: 91. وطه، الآية: 28.

التي تنتج عملية التفكير، وتجعل الانسان أكثر وعياً لما يحيط بــه وأعمــق إدراكــاً لأبعــاد وجــوده وعلائقه في الكون، كما تجعله متفتح البصيرة دوماً، مستعداً للتحاور المسؤول صن كـل مـا يعرض عليه من أسئلة وعلامات (أ).

والحواس بوصفها منافذ للتعقبل والتفكير والتفقيه ومسن شم المعرفية همي الستي تعطمي الانسان قيمته وتفرده، وتبوكه مركزه المسؤول سيداً على العالمين وخليفة لله في الأرض (٢٠٠

وبالمقابل نعى القرآن على الذين لا يستخدمون حواسهم وعقولهم وبمصائرهم، الـذين ينساقون الانسياق الأعمى وراء أي شيء، لذلك كان القرآن المعجزة العقلية الكبري، يقول السيوطي: وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية.. وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية.. لأن هذه الشريعة لمَّا كانت باقية على صفحات الذهر إلى يوم القيامة خصَّت بالمعجزة العقلية الباقية (القرآن) لراها ذور البصائر (3).

ومن ثم كانت للمعرفة مكانةً عظيمةً في الاسلام الذي يدعو إلى التفكير لتحصيلها ومعاناتها، ونعي على الذين لا مجاولون التفكير والتأمل ولا يستخدمون حواسهم وطاقاتهم لما خلقت له فهي معطلة لا تؤدي وظيفتها المرجوة التي يهدف إليها القرآن بوصيفها وسيائل هاديية إلى الإيمان، فإذا ما تعطلت تؤدى بالانسان إلى المضلال والكفر، فهم على هذه الحال يمنز لـ ا البهائم والأنمام بل أضل ﴿ وَلَقَدْ ذَرْانًا لِجَهَنَّمَ كَيْنِكِ أَنِنَ لَلِّنَ وَالْإِنِينَ أَنَّمَ قُلُوتُ لَا يَفَقُّهُنَ عَا وَهُمْ آمَيْنُ لَا يُتَمِرُونَ بِهَا وَكُمْ مَلَادٌ لَا يَسْمُونَ بِمَا أَوْلَتِكَ كَالأَشْيِرِ بَلَ هُمْ أَمَلُ أَوْلَتِكَ هُمُ النَّفِيلُونَ ﴾ و40.

وقد صوّر القرآن بالأسلوب الكشائي الموحي حبال السلين عطّلوا حواسبهم وعقولهم وبصائرهم من الكافرين والمنافقين والمشركين فهسم يزرحون في ضلال وعمسي وكمانهم قسد سُلبوا هذه الوسائل، وسائل الإدراك والمعرفة، فيتمتَّعُون ويأكلون كما تأكل الأنعام (د).

⁽¹⁾ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ص 84.

⁽²⁾ ينظر: المعدر نفسه، ص 80.

⁽³⁾ الانشان في حلوم القرآن: 4/ 3. وينظر: المعرف المصوفية عدراسة فلسفية في مشكلات المعرف ، ص 24 وما بعدها.

⁽⁴⁾ مسورة الأعسراف، الآيسة: 179. وينظسر: مسورة الفرقسان، الآيسة: 44. ومسورة الزخسرف، الآيسة: 40. وسورة هود، الآية: 20. وسورة الجائبة، الآبة: 23.

⁽⁵⁾ ينظر: سورة محمد، الآية: 12. وسورة المرسلات، الآية: 46.

وبذلك تجلى هـذه الكنايات التصويرية عالم الكفر والضلال أجلى بيان، وبالمقابـل تجلـي كنايات تصويرية أخرى عالم الإيمان والهدى، فيتقابل أمام الفكـــر والـنفس عالمـان متناقــضان في

رموزاً لا ينقطم إيحاؤها.

وسنحاول توزيع هــذه الكنايات كل على انفراد ثم نحاول بيان دلالاتهــا وإيحاءاتهــا الــتي تهدف إليها.

دلالاتهما في صورة بيانية كاشفة تفصل كل عالم من هـ فين العالمين بـصفات حـــة تـشخص

الأكنَّةُ والوقْرُ والعجابِ:

ترد هذه الكنايات الثلاث في سياق إعراض الكافرين وعلى لسانهم خطاباً منهم للرسول # وذلك فى قوله _ تعالى _ ﴿ وَقَالُواْ قُلُومًا فِي أَكِينَ مِكَا لِمَعْوَا إِلَيْهِ وَفِي مَاذَاتِنَا وَقُر وَمِنْ يَقِيَا وَهِينِكَ جِمَاتُ فَأَعْمَلَ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ (١).

للحظ في الآية الكريمة ثلاث كنايات وصفية متواشجة في إخراج المعنى المكنى عنه الــذي يجلِّي العالم الداخلي والنفسي وللكافرين، ويكشف عن موقفهم وسفاهتهم إزاء ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ؛ فهم يحممون انفسهم بقولهم: ﴿ قُلُونُنَا فِي أَكِنَةٍ مِّنَّا مِّنْعُونًا إِلَيْهِ ﴾ و﴿ وَفَي عَاذَلِننا وَقُرٌّ ﴾ و ﴿ يَبْنِنَا وَيَقِينَكَ رَجِمَاتٌ ﴾ ، بهلذا الترتيب اللذي بلدل على تبصميمهم على الكفر وإصرارهم عليه، إذ جعلوا قلوبهم في أكنة ابتداءاً فعطلُوها عن الإدراك، وإذا ما تعطلت القلوب فمن البدهي، أن تكون الآذان معطلة عن السمم، فضلاً عن حاسة البصر التي دلَّت عليها الكناية ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَيَتِينَكَ جِمَاتٌ ﴾ وبذلك يتجلى إصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه.

والأكنة: الأغطية جم كنان (2) وهي كناية تصور المعنى المراد بأسلوب مجازي، فليس ثمة أغطية محسوسة على قلوبهم أو عقـولهم، وكـذلك الكنايـة ﴿ وَفِي مَاكَانِنَا وَقُرٌّ ﴾ فلـيس ثمـة في آذانهم على الحقيقة، والوقر: الثقل في السمع، يُقال: 'باذنه وَقُرُّ: ثِقُلَّ، وأذن وَقِرَةٌ وموقورة، وقلد وُثِيرَتُ أَذْنَى، وَوَقَرَت عن استماع كلامه " (قَانُ فهــو التصوير الذي يشع بدلالاته إذ يجعلنا نتخيــل

⁽¹⁾ مسورة فسصلت، الآيسة: 5. وينظسر: مسورة الأنعسام، الآيسة: 25. ومسور الامسراء، الآيسة: 46. ومسورة الكهسف، الآيسة: 57، في كنايسة الأكنسة. وينظر: كنايسة (السوقر) مسورة لقمسان، الآيسة 7. وسورة نصلت، الآبة: 44.

⁽²⁾ ينظر: أسان العرب: 13 / 361. (كنن)، وينظر: المفردات، ص 664.

⁽³⁾ أساس البلاغة، ص 506 (وقر).



قلوبهم وهي مغلقة بأغطية محكمة لا ينقـذ إليهـا شـيء تمـًا يقولـه الرمسول #ويـدعوهـم إليـه، فيكون التصوير كناية عن نبو قلوبهم وإعراضهم عن تقبّل الحق الذي يدع هم إليه، وإصرارهم على الكفر إصراراً كبراً لا سيل للإعان إليه كما تُوحى الكناية به.

وفوق الأكنة التي غطَّت قلوبهم تغطية ساترة لها، في آذانهم صمم فهمي لا تــسمع ﴿ وَفِيَّ مَاذَاتِنَا وَقُرٌّ ﴾ لا تسمع سماعاً يؤدي بهم إلى تفكير وتفقه ينتهي بهم إلى الهدى والإيمان، فيضلاً عن ذلك فإن في هذه الكناية إيجاء السخرية منهم، وهمو إيحاء يأتي من استعمالات المادة ﴿ وَقُرٌّ ﴾ ، فالأصل في استعمامًا في الدواب - بكسر الواد - ﴿ وفَّرُّ ﴾ ، ثم استعملت في ثقل السمع . يفتح الواو ﴿ وَقُرُّ ﴾ والوقر: هو الحمل الذي يُحمل على الدابة، ويقال: أوقر البغل؟ أو الحمارَ.. واستوقرت الابلُ شحماً: اثقلها السُّمن.. ووُقِــرت الدابُّــة، ووقِـرَت فهـي موقـورة وَوَقِرَةُ فِي حَافِرِهَا هَزْمَةً *(ا) فهو إيحاء مقصود يجري على السنتهم صفة لهم، فضلاً عن أنه يملأ نفس المتلقى سخرية منهم وازدراء.

تكتمل الصورة التي تبين حالحم بالكناية الثالثة التي يدمغون بها أنفسهم بالعمي فأعينهم لا ترى، فبينهم وبين المداعى محمد ﷺ حجاب كثيف مانع من الرؤية ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَيَنْزِكَ جِمَالٌ ﴾ قال الزنخشري: 'كان بينهم وما هم عليه، وبين رصول الله الله الله عليه: حجاباً ساتراً وحاجزاً منيعاً من جبل أو نحوه، فلا تلاقي ولا تراثى " (2)" وهو حجاب كثيف كما أفـــاد الحـــف (من): فإن قلت: هل لزيادة (من) في قوله: ﴿ وَمِنْ بَيِّنَا وَيَقِيْكَ جِمَاتٌ ﴾ فاثدة؟ قلت: نعم، لأنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب، لكان المعنى: أن حجاباً حاصل وسط الجهتين، وأما بزيادة (ميز) فالمعنى: أن حجاباً ابتدأ منّا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها * (دُنَا فهم يسخرون من أنفسهم، إذ الكناية تجعلنا نتخيل فيهما الكمافرين وقـــد أقــاموا بينهم وبين الرسول ﷺ الذي يدعوهم إلى سماع الخير ورؤيته حجاباً كثيفاً مانعاً خوفياً من أن يصل كلامه إلى آذانهم وقلوبهم.

وبذلك تتعطل لمديهم وسسائل المعرفة والعلم بهذه الحجب الثلاثة الستي صورتها الكنايات: حجاب الأغطية التي تلف قلوبهم وتفطيها بإحكام، وحجاب الصمم في اسماعهم،

⁽¹⁾ أساس البلاغة، ص 506 (وقر). وينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 442_443.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 144.

^{.145}_144 /4:0.0 (3)

وحجاب العمى في أيصارهم.وياجتماعها تتعمق دلالة المعنى الكتنى عنه:عنادهم وتـصميمهم على الكفر وإصرارهم عليه، ويتصاعد هذا المعنى تمكناً من قلوبهم بما انتهبت بـه الآيـة الكريـة ﴿ فَأَصَلَ إِنَّنَا عَلِيلُونَا ﴾ فهو الاصرار على ما هم عليه من كفر وعناد، أي: اعمـل أنـت علـى طريقتك، وغن على طريقتنا، واستمر على دينك فإننا مستمرون على ديننا الله فهو الإممـان في العناد يُراد منه تيئيس الرسول ﷺ من استجابتهم له ولما يذهوهم إليه.

ولا يخفى ما في الآية من إيجاء قوي دال على صبر الرسول #على ما كان يلقاه من معاناة وآلام وهو يدعو هذه النفوس الكافرة الكارهة للخير والهُدى والإيمان.

ولا يخفى أيضاً أثر هذه الصور الكتائية المتنابعة في نفس المتلقي من حيث ترسيخ المماني والصفات بإكسائها ثوب الماديات المحسوسة،وكانه وقف على القضية مشفوعة بدليلـها، وعلـى الدعوى في طي برهانها.

مُلْف،

تختص هذه الكناية التصويرية بوصف حال اليهود، وقد وردت في موطنين من القرآن _وعلس لسانهم ـ، منهما قوله _ تعالى ــ ﴿ وَقَالُوالْقُرْيُكَا ظَلْتُمَا مُنْهُمُ الْمُرَكِّمُ هِمْ فَتَلِيلًا كَاثِيْرُونَ ﴾ (4

﴿ قُرُيُكًا غُلُكُمْ ﴾ كتابة تصويرية تجسند فعل اليهسود إزاه دعوة الرصول #بهلذا القرل الغليظ الذي يتبجحون به.

وهله الكناية قائمة في بنيتها على الاستمارة وفيها تشبيه قلوبهم بشيء مغلف ثم حلف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازم (الغلاف) على سبيل الاستمارة المكنية، وذلك لتمميق دلالة علم استجابتهم، لأن قلوبهم لا تعي شيئاً فهي مغشاة بغلاف لا ينضل إليها شيء فهي لا تعي الحق ولا تقبله. والاستمارة هنا ليست غاية في حد ذاتها وإنحا هي وسبلة تعبير تقودنا إلى معنى مكنى عنه اخر يتوارى خلفها، ويتمثل هنا في عنادهم وإصرارهم على ما هم عليه من ضلال وكفر وتصميمهم عليه، فضلاً عن تيئس للرصول # من إيانهم بما يدعوهم إليه.

وقد أورد الراغب لهذا التعبير الكتافي القائم على الاستعارة معاني أخرى، يتجلى فيها جانب من شخصية اليهبرد الع ثناز بالتكير والتيجم والاستهزاء والتكذيب. قبال الراغب:

مفوة التفاسير: 3 / 116.

⁽²⁾ سورة البقرة، الآية: 88. وينظر: سورة النساء، الآية: 155.

قيل: هو جمع أطْلَفَ كقولهم سيف أخلَفُ ـ إي هو في غلاف. وقيل معناه: قلويشا أوعية للعلم. وقيل معناه: قلوينا مغطاة. وقيل: قلوينا غُلْف، هي جمع غلاف... أي هي أوعية للعلم تنبيهاً أثّـا لا نحتاج أن نتعلم منك فلنا غنية بما عندنا * 40.

فقلوبهم أوعية للعلم ـ كما يزعمون ـ يوحي بتكبرهم وتكذيبهم، فهم لا يرضون أن يدهوهم إلى خير وهدى أحد، فهم شعب الله للختار وأحباؤه كما يزعمون ^{(6).}

وقلوبهم اوهية للعلم فلا يحتاجون أن يتعلموا من الرسول ﷺ غنية بما عندهــم يــوحي ـــ إيضاً ــ بالتبحم والإدهاء، فضلاً عن الاستهزاء بمن يدعوهم وتيئيسه من اسلامهم.

وكلها معان وإيجاءات تشع من هذا التعبير التصويري تتجمع فتجلي صفات نميز اليهود من غيرهم كفراً وتكديراً وتكذيراً ﴿ لِللَّمُتُهُمُ التَّهُ يِكُفُوهِمْ فَقَلِللَّا تُؤْمِثُونَا ﴾ فلا يقع الإيمان إلاّ لقلة قليلة منهم، ليس لقصور في إفهامهم كما زصوا بقولهم - قلوبنا خلف - ولكن لأنهم كفروا فلمنهم الله بكفرهم وحجبهم عن الإيمان وأسيابه.

الغتم:

ورد الحسم في الغرآن في عدة مواضع من ذلك نوله _ تعالى _ ﴿ إِنَّ الْذِيكَ كَشَرُها صَوَاتُهُ عَقَيْهِمَ تَاسَدُوْمُهُمْ أَمْ أَمْ تُعْذِفُمُ لِا يُؤْمِدُونَ ﴿ خَمَّمَ أَنَّهُ عَلَى الْمُدِيهِمْ وَمَثَلَ صَلَامُ عَظِيمٌ ﴾ (⁴⁰

ثمة نلحظ كنايتين تصويريتين، الأولى: ﴿ خَتَمَ كَلَّهُ كَلَ عُلْوِهِمْ وَكُلْ سَمُوهِمٌ ﴾ وهي قائسة في بنيتها على الاستعارة، حيث شبّهت قلوب الكافرين التي لا تستجيب للحق، واسماعهم التي لا تسمع داعي الحق، شبّهت بالوعاء المختوم عليه فلا يصل إليه شيء (⁽³⁾ فهي قلوب واسماع معطلة كما جسلتها الاستعارة على حقيقتها فهي لا تتنفع بالخيس، نقول على حقيقتها _وإن كانت في واقعها غير ذلك _ولاً كانت لا تتنفع بهذه القلوب انتضاع الخير الذي يـودي بهـا إلى

المفردات، ص 546. وينظر: ئسان العرب: 9 / 270 (غلف).

^(*) ينظر: سورة الماثنة، الآية: 18. وسورة الجمعة، الآية: 6 مثلاً.

 ⁽²⁾ سبورة البقسرة، الأيسان: 6 -7. وينظير: سبورة الأنسام، الآيسة: 46. وسبورة يسم، الآيسة / 65.
 وصورة الشورى، الآية: 24. وسورة الجائلة، الآية: 23.

⁽³⁾ ينظر: البحر الحيط: 1 / 13، وصفوة التفاسير: 1 / 33.

الإيسان ولا تنتفع بأسماعها سماع الهدى والحق، كانست في حقيقتها كما صورتها الاستعارة،فكأنهم بها مسلوبو وسائل الادراك والمعرفة،ويزداد حالهم ظلاماً بـالتعبير الاسـتعارى الآخر ﴿ وَعَلَّىٰ أَبْصَهُ رِهِمْ غِشَوْةٌ ﴾ وفي الاستعارة تشبيه أبصارهم لعدم رؤيتهـا نــور الهدايــة بــشـىء منطّى بغشاء عنم الرؤية، فهي في ظلام لا ترى شيئاً ولا تبصر. وبذلك تتعطّل وسائل المعرفة عند الكافرين بالختم على القلوب والأسماع، والتغشية على الأبصار.

وحالتهم هذه التي أخرجتها الاستعارتان تمثل صورة من صور العــذاب المعنوي، إذ لا يتمتّعون بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم لما خلقت له، فهم في غمرة من جهل وضلال نتيجة الكفر، وفوق عذابهم هذا العذاب الذي أخبرت به الآية ﴿ وَلَهُمْ عَذَاتُ عَظِيمٌ ﴾ الذي يناسب طبيعتهم التي استوى عندها الانذار وعدم الانذار.

والآية بما فيها من تصوير استعاري ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَّى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ لَهِ وَ﴿ وَعَلَ أَبْسَرِهِمْ فِئْتُورٌ ﴾ يختفي وراءه معنى مكنى عنه، فضلاً عمّا أوحى بـه مـن معـان تـصويرية، أي يكـون التعبير الاستعاري هنا وسيلة تعبيرية وتحمويرية تقودنا إلى للعني للكني عنه، ويمللك يكون التعبير الاستعاري بمجمله كناية عن صفة تتمثل في تصميم هؤلاء على الكفر والإصرار عليه (1) يتناسب في قوته مع قبوة التصوير الاستعاري البذي صبور قلوبهم البذي استوى عندها الانبذار وعندم الاندار.

الطيع:

ورد الطبع في القرآن الكريم في صدّة مواطن، من ذلك قوله .. تعالى .. في وصف المنافقين: ﴿ ذَلِكَ بِأَنْتُمْ مَامَثُوا ثُمُّ كَثَرُوا فَعَلْيَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُرُ لَا يَفْفَهُونَ ﴾ (1)

﴿ فَعَلِّمَ عَلَىٰ قُلْرِهِمْ ﴾ كناية قائمة في بنيتها على الاستعارة كــالختم، حيث شبَّه ﷺ قلـوب المنافقين التي آمنت بالوعاء المطبوع عليه فلا يدخل إليه شيء، فقلوبهم مغلقة عن الإيمان، فاقدة أي استعداد له.

⁽¹⁾ ينظر: التيان في البيان، للطبيع، ص 227.

⁽²⁾ مسررة النسافقون، الآية: 3. وينظير: السور الآلية: النسماء، الآية: 155. والأهسراف، الآيسان: 100 م. 101. والتوبسة، الآيتسان 87، 93. ويسونس، الآيسة: 74. والتحسل، الآيسة: 108. والسروم، الآية: 59. وغافر، الآية: 35. وعمله الآية: 16.



وفي استعارة (الطبع) إيحاءات تناسب طبيعة المنافقين. قال ابن منظور: 'الطّبع، بالسكون: الختم، وبالتحريك: الدُّنسُ، وأصلهُ من الوسّخ والدُّنس يغشيان السيف، ثـم استعمر فيما يـشـه مَلْيُه "(١). فالطبم ذو إيحاءات أوسع من الحتم، لذلك قال الراغب: "الطبع هو أعمّ من الختم "(٥) فقلوب المنافقين تناسبها استعارة (الطبـم) دون الحتم (*⁶⁾ فهي قلوب قد ملئت بالأوزار والأثـام وغيرهما من المقابح، وقد أشار إليها القرآن في تعبير استعاري آخر وهبو (المرض) في مواضيع شنى لبيان حال المنافقين كما في قوله _ تعالى .. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَامَنًا بِالْقِرِ وَالْيَرِ وَالْكِيرِ وَمَاكُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿ يُخْدِيمُونَ اللَّهُ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَمَا يَغْتَمُونَ إِلَّا أَنْسَهُمْ وَمَا يَشْمُهُنَ ﴿ فِي يُكُوبِهِم نَهُمُّ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرْضًا وَكُهُمْ عَذَاتُ أَلِيدُ بِمَا كَالُوا يَكُذِينُ ﴾ (3) فقوله: ﴿ في تَلُوبِهِم فَهُونَ ﴾ استعارة تمصر يحية بدلاً من في قلوبهم نفاق "(4) وذلك لأن المرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة، لأنه فساد في القلوب، كما أنه فساد في الحقيقة، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين " (5).

وذهب الزغشري إلى جواز استعمال المرض في القلوب حقيقةٌ ومجازاً، يشول في قول ه _ تعالى ــ ﴿ فِي مُّتُوبِهِم مُّمِّكُ ﴾ واستعمال المرض يجوز أن يكون حقيقة وعجازاً، فالحقيقة أن يُواد الألم، كما تقول: في جونه مرض، والجاز أن يُستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد، والغل، والحسد، والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الهوى، والجين، والمضعف، وغسر ذلك عًا هو قساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك ٥٥٠٠.

⁽¹⁾ أسان العرب: 8 / 232_233 (طيم).

⁽²⁾ القردات، ص 449.

 ^(*) أمل لللك لم يستخدم الفرآن (الحتم) مع المتافقين.

⁽³⁾ مسورة البقسرة، الأيسات: 8 م10. وينظسر السمور الآنيسة: الماشية، الأيسة 55. والأنفسال، الآيسة: 50. والتوسق، الآيسة: 126. والحسيج، الآيسة: 53. والنسور، الآيسة: 50. والأحسزاب، الآيسات: 12، 32، 60. والمنش الآية: 31.

 ⁽⁴⁾ وقد ثائي استعارة (المرض) تعبيراً عن الكفر أو الشرك كما في قوله متعالى من سورة الإنقال: ﴿ إِذْ يَسَعُونُ السَّنَافِقُودَ وَالَّذِينَ إِنْ فُلُوبِهِم شَرَقٌ خَرَّ خَوْلَةً وِيثُهُمْ ﴾ مسن الآبسة 49. وكسذلك في سسورة الأحزاب، الأبتان: 12، 60.

⁽⁵⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 113.

⁽⁶⁾ الكشاف: 1 / 175 ـ 176.

وتوجيه (المرض) على التصوير الاستعاري أولى لِما في الإيجاء بالمعاني التي ذكرها الزخشري، ولعلها المقصود من الاستعارة فضلاً عن توانسجها مع استعارة (الطبع)، كما أن تشبيه الحالة النفسية المريضة للمنافقين بالمرض الذي يعتري الأجسام فيه تصوير حسي يجسد حقيقة قلوبهم المعطلة وظيفتها للطبوع عليها أمام العين والفكو ليتعلى المعاني. فالمرض الجسدي يعني التلف والفساد وتعطيل القوي، فضلاً حما ينطوي عليه من بعد نفسي يلم بالمبتلى بهلاً للمرض الجلسدي، فإن المرض الفلي الاستعاري كذلك يحقق لنا هذه الدلالة ولكن على نحو أعمق وأممن والقلي الاستعاري كذلك يحقق لنا هذه الدلالة ولكن على نحو أعمق والمسلوبة، إذ إن القلب هو العضو الرئيس في البدن، ومرضه وفساده يغي مرض الجسد كله وفساده، ونستانس في هذه المعلمة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسلدت فسد الجسد كله إلا وهي القلي)) (10.

وفساد الجسد بفساد القلب الإستعاري يعني تعطيل حواسه السمعية والبـصرية فهمي لا تؤدي وظيفتها الحقيقية، فهي معطلة ميتة ⁽²⁾ ولعل في هـذا تفسيراً لاستعارة الطبع على قلوبهم، فهى قلوب مريضة لا يُرجى منها إيمان.

واستمارة (الطبع) السي صورت قلوب المنافقين المريضة السي ملوهما الأثمام والأوزار وغيرهما من المقابح فهي مريضة فاسلة يتوارى خلف مسجفها معنى مكنى عنمه فتكون الاستعارة كناية عنه ويتمثل في فقدان نفوس المنافقين وقلوبهم الاستعداد للإيمان والهذى، وهمله المعنى راجع أساساً إلى طبيعة النفس المنافقة التي تتردد بين الإيمان والكفر، لا اعتقاداً فيهما، ولا اعتقاداً فيهما، ولا اعتقاداً فيهما، ولا اعتقاداً فيهما، ولا اعتقاداً فيهما عن أعين الناس وعقولهم، وكل منا يظهره المنافقون ويتمثلون فيه من الإيمان والكفر إتما وقو تلون يكتسونه ليملغوا بيه أهدافهم كما يقول عنهم عنهم: ﴿ مُنْكَبِينَ يَقِنَ فَيَقِلُهُ وَمَن مُعَلِينًا أَلَّهُ فَن يَجَد لَلْمَهِيدًا لا ويقول الزخشري في تفسير فيله المنافقين: ومعنى منبليين فيلبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحورون، وحقيقة المدبلب الذي يذب عن كلا الجالبين: أي يداد ويدفع فيها تكرير ليس في الذب، كان المدنى: كلما مال إلى جانب ذبَ

⁽¹⁾ صحيح البخاري: 1 / 21.

⁽²⁾ ينظر: الاستمارة في القرآن الكريم، ص 87 ـ88.

⁽³⁾ سورة النساء، من الآية: 143.

عنه(ذلك) إشارة إلى الكفر والإيمان ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰوَٰٓالَدُ ﴾ لا منسوبين إلى هـــؤلاء فيكونـــون مــــؤمنين ﴿ وَلا إِنَّ هُوُلاً ﴾ ولا منسويين إلى هو لاء فيسمون مشركين (١)،وفي هذا تصريح بمني فقدان المنافقين لمبدأ الاعتقاد سواء أكان اعتقاداً صحيحاً وهو الإيمان، أم خاطئاً وهو الشرك، فالنشاق شذوذ على الطبع السوي، ولذلك اختار القرآن لفظ ﴿ مُّذَبِّكَ بِينَ ﴾ المشتق من الـذب بمعنى الذود والدفع، وحيث كان المنافقون في صيغة اسم المفعول ﴿ مُّذَبَّدَيِّينَ ﴾ فهم الذين وقع عليهم الذود من جانب المؤمنين والمشركين كليهما (ك) فقلوبهم مطبوع عليها لأنها خارجة على الطبع السوى، فلن يصل إليها ايمان ﴿ فَهُد لا يَفَقَهُونَ ﴾ (3) بهذا الاطلاق كما أفاد حذف المفعول به، أي لا ينقهون أي شيء قط نتيجة الطبع على قلوبهم.

الأقفال:

وردت (الأقفال) في موطن واحد من القرآن الكريم، وهو قوله _ تعالى _: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبُّونَ الشُرْيات أَرْ عَلَى تُلُوب أَنْفَالُهُمَّا ﴾ (4)

﴿ أَمْ فَإِن أَقْمَالُهُمّا ﴾ كناية قائمة في بنيتها على الاستعارة المكنية، حيث شبّهت قلوب الكافرين بالأبواب المقفلة فلا يدخل إليها شيء من معاني القرآن، وأكد معنى الاستعارة الاستفهام بالهمزة الذي أفاد تقرير النفي والانكار وفيه بيان حال قلويهم وتصويرها بالصورة التي أخرجتها الاستعارة وتسجيلها عليهم، قال الزغشري: ﴿ أَمُّ عَلِّي مُّلُّوبِ أَتَّفَالُهُمَّا ﴾ وأم يمض بل وهمزة التقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر ((ك) وقـال في تـنكـر القلوب واضافة الأقفال إليها في الصورة: "أما التنكير: أن يُراد على قلوب قاسية مبهم أمرهـا في ذلكوأما إضافة الأتفـال، فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فـلا تفتح (الله عند المناوة تجعل المتلقى يتخيل هـ المعورة الفريبة المختصة بتصوير قلـ وب الكافرين الى ضُربت عليها الأقفال فهي مغلقة. فالكفر في الآية يتجسد في صورة الأقفال التي

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 574.

⁽²⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 259.

⁽³⁾ سورة التربة، من الآية 87. وسورة المنافقون، من الآية 3.

⁽⁴⁾ سورة عمد، الآية: 24.

⁽⁵⁾ الكشاف: 4 / 258.

⁽⁶⁾ المبدر نقسه: 4 / 258.

تغلق القلوب الكافرة فلا يدخل إليها شيء فهي معطلة عن تدبر آيات القرآن، لذلك تبدأ الآية بالاستفهام الإنكاري التوبيخي ﴿ أَفَلَا يَتَدَبُّونَ ٱلقُّرْمَاتَ ﴾ فهـو انكـار لوقـوع التـدبر مـن هـذه القلوب، لذلك ينتقل الحديث بأم التي تفيد الاضراب يقرر حقيقتهم وحالهم، والاضراب هـو: الانتقال من أمر إلى أمر هو أشد منه (١) أي: الانتقال من حالة إلى حالة أشد منها وأدعى للتوبيخ والتفريع، وهي الحالة التي رسمتها الصورة الاستعارية المتخيَّلة الـتي تـشي بقـسوة تلـك القلوب التي لا تضيء المعرفة جوانبها ولا ينور الإيمان طريق وظائفها قبال الرازي: "إنّ القلب نُحلِّق للمعرفة فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا بعرف، وهذا كما يقول القائل في الانسان المؤذي: هـذا ليس بإنسان هـذا وحش، وهذا ليس بقلب هذا حجر (c).

ومن وراه سجف الاستعارة نلمح معنى مكنى عنه ويتمثل في إصوار هؤلاء على الكفر وتصميمهم عليه وإعراضهم عن تدبر آيات القرآن المعجز المين.

الأغلال:

ويقدم القرآن صورة حسيّة غليظة تخرج المشركين في صورة غربية: أيديهم قبد شُدّت إلى أعناقهم وموضوعة تحت أذقانهم، فبقيت رؤوسهم مرفوعة إلى أعلى لا يخفيضونها وضرب مين أمامهم سدّ ومن ورائهم سدّ، فجُعلت أعينهم مغطاة فهــم لا يبـصرون. نقرأ ذلـك في قولــهـــ تعالى - ﴿ إِنَّا جَمَلًا فِي أَعَنْقِهِمْ أَغْلُلُا فَهِيَ إِلَى ٱلأَنْقَانِ فَهُم تُقْمَدُنَ ﴿ وَمَعَلَّنَا مِنْ آيِنِ أَيْدِيمْ سَلًا وَمِنْ خَلِعِهِ مُرسَدًا مَأْفَشَيْنَكُهُمْ فَهُمْ لَا يُتِيرُونَ ﴾ (٥).

ومعنى الآية كما قال ابن كثير: "إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء كمن جُعل في عنقه غل وجمت يداه مع عنقه تحت ذقت ه (١٩) فارتفع رأسه مقمحاً (٥) وقال أهل اللغة: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر، يُقال: أقمح البعير إذا رفع رأسه عنـد الحـوض وامتنـع مـن الشرب (6)؛ يقال: قمح البعير فهـو قامح، إذا روى فرفع راسه، ومنه شهراً قمـاح، لأن الابـل

⁽¹⁾ ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المماني ، د. فضل حسن عباس، ص 127.

⁽²⁾ القسير الكينر: 28 / 66.

⁽³⁾ سورة يس، الآيتان: 8_9. (4) اللَّمْن: مفرد الأذقان وهو مجمع اللحيين، ينظر: لسان العرب: 13 / 172.

⁽⁵⁾ تفسير القرآن العظيم: 3 / 542.

⁽⁶⁾ ينظر: لسان العرب: 2 / 566_567 (تمعر).



﴿ وَمَعَلْنَا مِنْ يَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكُنَا وَمِنْ خَلِفِهِ مَا مُنَا فَأَغَشَّيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُشِيرُونَ ﴾ قال أبو السعود: وهذا ﴿ فَأَغَشَّيْنَكُمْ فَهُمْ لَا يُغِيرُونَ ﴾ أي فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يبصرون شيئاً أصلاً، لأنهم أصبحوا بين سدّين هاثلين،وهذا بيان لكمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغيّ والجهالات، محرومين عن النظر في الأدلة والآيات ^{• (2).}

وهذا التصوير الذي رسمته الآيتان صورة بالغة السخرية والمتهكم بالمشركين، ويتجلى ذلك من خلال تصويرهم مغلولين في أعناقهم بأطواق من حديد، تجعلهم لا يستطيعون أن يلتفتوا يمنةُ ولا يسرةُ، ولا يستطيعون أن يُومِشوا إلى أسفل، وإنما تظل أعناقهم ووجوههم مرفوعة إلى أعلى، لا يتحرك منها إلاّ عيونهم التي لا تُبصر شيئاً (٥) فضلاً عن تشبيههم بالإبل حين تُروى من الماء فترفع أعناقها ورؤوسها إلى أعلى فهمم في تبصويرهم همذا محنوصون صن النظر والرؤية للاهتداء بالدلائل والآيات بسب تلك الأغلال والحواجز والسدود النبي غشيت أبصارهم وهذه العوائق الحسية تشير إلى الأضلال النفسية والفكرية والعقلية التي كبُلوا بها أنفسهم فهم لا يهتدون.

والتصوير يمجمله يتحول إلى كناية موحية بالمعنى المكني عنه الذي يتواري خلف سجفه، وقد أشار الزغشري إليه بقوله: "تصميم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارصواتهمفي أنهم لا يلتفتون إلى الحسق ولا يعطفون أعناقهم نحسوه، ولا يطاطئون رؤوسهم لسه.. في أن لا تأمل لهم ولا تبصر، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله (١٤) فهـ و الإعراض والإمعـان في الكفر عن إرادة وتصميم يؤديان إلى إفلاق منافذ المعرفة ومن ثم فما لهداهم وإيانهم من سبيل، وأيّ صورة يمكن لها أن تجلِّي هذه الصفات وتجسّد هذه الماني ضير صورة الكناية القرآنية المعجزة بلفظها الوجيز ونظمها الحكم ورسمها الراسخ في أعماق النفس المتلقية.

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 4.

⁽²⁾ تفسير أبي السعود: 7 / 160.

⁽³⁾ ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، من 360.

⁽⁴⁾ الكثاف: 4/ 3.

وفي كناية الأغلال تسلية للنبي عمد كل وتسرية عن نفسه فهر لم يقصر في إنفارهم، فهم المانعون أنفسهم من الإيمان، فقد جعلهم الله حطباً للنار (١١) بسبب إعراضهم وإصرارهم على الكفر،

الغطاءة

يرد الغطاء في موطنين من القرآن وفي سياق مشهدين من مشاهد يوم القياسة، والمذي يهمنا قوله ـ تعلل ــ: ﴿ وَمُوضَّنَا حَهُمَّ مُؤَيِّدٍ لِلْكُفِيقِ مَرْضًا ۞ اللَّذِينَ كَانَتُ أَضِّيْتُمْ فِي ظِلَمْ مَن وَكُرِي وَكَاثُواً لا يُسْتَطِيعُونِكَ مَمَّاً ﴾ (^{0).}

نلحظ النعبر الكنابي التصويري ﴿ كَلْتُ أَشَيَّهُمْ فِيطَلَوْ مَن وَثْرِي وَكَاثَا لا يَسَكِيبُون مَسَا ﴾ يخرج الكافرين عمياً عن النظر في آيات ألله الله المدائة على قدرته ووحدانيته، صواء المقصود بها النظر في آيات القرآن وتأمل معانيها وتبصرها _ أو الآيات التي ينب عليها القرآن والمبثرثة في السموات والأرض والكون التي إذا ما نظر فيها دلّت على قدرته الله ورحدانيته فيذكر بالتعظيم (٥٠٠ فأعينهم عجوية عن النظر في آيات الله بهذا الشطاء المائع فهي معطلة، ونوق هلا المعمى لا يستطيعون السمع ﴿ وَكُاثُوا لَا يَسْتَعِيرُونَ مَسَا ﴾ يعني: 'وكانوا صماً عنه، إلا أنه أبلنغ، المعمى قد يستطيع السمع إذا صبعه، وهؤلاء كانهم أصميت أسماعهم فلا استطامة بهم للسعع (١٠٠٠ فهم همي صماً كما وصفهم في موضع بقوله _ تعالى .. ﴿ صُمُ يَكُمُ مُعْتُم ﴾ (٤٠٠ للمعمع (فيهما من الآيات الكركة التي تلفت الانتباء إلى صطب حسواس الكافرين وموتها من سمع ويصم واقعدة ألهم والسمع، وهم في وعصر وافتاء أله، ولا يسمون وسمت وهم في محمد يسب فيسلبون البصر والسمع، وهم في حضية بيسلبون البصر والسمع، وهم في محمد بيسه بيسلبون البصر والسمع، وهم في حضية بيسلبون البصر والسمع، وهم في حضية بيسابون البصر والسمو، وهم في حضية بيسابون البصر والسمو، وهم في حضية بيسابون البصر والسمع، وهم في معمون عمد عليه المناد وسمعون، لكنهم لا يصرون بعمر هذاية بآيات الله، ولا يسمون صوت حقيشهم بيصون ولا يسمون صوت

⁽¹⁾ ينظر: التصوير البياني، حقيق محمد شرف، ص 248.

⁽²⁾ صورة الكهف، الأيتان: 100 ما 101. وينظر: سورة ق، الآية: 22.

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 2 / 585.

⁽⁴⁾ المبدر نفسه: 2 / 585.(5) سورة البقرة، من الآية: 18.

⁽⁶⁾ ينظّــر: السّـسور الأتيــة: البقــرة، الأيـــا: 171. الأنســام، الأيـــان: 22. 39. الأنفــال، الآيــة: 22. يـــونس، الأيـــان: 42، 43. هـــود، الآيـــة: 20. الرحـــد، الآيـــة: 19. الإســـرام، الآيـــة: 46. الكهف، الآية: 27. الأنبام، الآية: 45. فهـلت، الآيان: 5، 44. الزخ ف، الآية: 40.



الحق سماع رشد ويقين، فكانهم معطلو حاسة السمع والبصر الأنهم حرصوا أنفسهم من وظيفتهما الحقيقية التي خلقتا من أجلها بل إن القرآن يصوّر هؤلاء الكافرين في حالة موت كما في قوله _ تصال حرّ و فَاتَقَهُ لاَتَشَيعُ النَّمِيَّةُ وَكُنْ مُشَيعٌ الصَّمَةُ النَّمَاتُةُ إِنَّا وَكُواْ مُشِيعٌ المَّوْلِ اللَّهِ المُعالِق اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ اللْمُلْعُلُه

فالفطاء على أحين الكافرين ﴿ أَحَيَّاتُمْ فِي خَلَلُو مَن ذِكْرِى ﴾ وعدم استطاعتهم السمع ولا يَسْتَعَلَيْ مُونِكُون الله بهذا التصوير الحسي المؤثر من معنى العمى عن آيات الله المشاهدة بالأبهمار إلى عمى بصائرهم، وعدم سماعهم صوت الحق سماع هداية وإمان الإنهما يؤديان إلى معنى مُكنى عنه يتوارى خلف تلك الألفاظ يتمثل في إعراض قلوبهم عن ذكر الله في حياتهم اللنيا عن إرادة وتعميم، وهو معنى يتستّى مع مشهد عرض جهنم لهؤلاء الكافرين ﴿ وَمَوْتَنَا مُهَمِّم مُوَيِّدُ لِلْكَنِينَ عَرِّمًا ﴾ ، فالكافرون الذي أعرضوا عن ذكر الله عنه لكان على عيونهم غطاء، ولكان في اسماعهم صمعاً، ثموض عليهم جهنم فلا يعرضون عنها كما كانوا يعرضون عنهم جهنم فلا يعرضون عنها كما كانوا يعرضون عنها كما كانوا يعرضون عزامًا وفاقاً فالتعمير القرآني ينستن بين الإعراض والعرض متقابلين في المشهد، متقابلين في الحراض العرضة التناس الفني في القرآن (نا).

وفي ضرء ما تقسم من الكنايات التي صوّرت موانع الإدراك عند الكافرين والمستركين والمنافقين التي حالت بينهم وبين المعرفة التي يدعوهم إليها القرآن الكريم يتجلّى عالم الكفر والفعلال وما فيه من جهل وتقليد أصمى، صالم للفى فيه إنسانية الإنسان إذ تعطّل ومسائل الإدراك والمعرفة عنده فلا يفترق حيتلة عن البهيمة لأنه أصبح كمن لا عقل له فهـو والبهـائم سواء.

⁽¹⁾ سورة الروم، الآية: 52. وينظر: سورة الأنعام، الآية: 36. وسورة النمل، الآية: 80.

 ⁽²⁾ نهاية الإيجاز في دراية الإحجاز، ص 129 ـ 130. والفوائد المشوق إلى علموم القمرآن وعلم البيان،
 من 45 ـ 46 ـ 46.

⁽³⁾ في ظلال القرآن: 5 / 414.

وإزاء هالم الكفر والفسلال الذي يرزح فيه الكافرون يجلّي لنا القرآن بالتقابل عالم الإيمــان والهدى وأصحابه المؤمنين أولي الآلباب اللمين تفتّحت وسائل الإدراك والمعرفة لديهم واحتيت بالنور والهــدي الإلهمي فتيقظت حواسهم حقّ التيقظ وهي تستقبل دصوة الإيمــان بآياتــه الكريمــة بوعي وإدراك.

. ويصور القرآن بالأسلوب الكنائي الموحي حال المؤمنين ومشاعرهم في بعض آياتـه الـتي نتخذ منها شواهد تجلّي عالماً مضاداً لعالم الكافرين في السلوك والمشاعر والإحساس.

لم يَخِرُوا عليها مشمّاً وعُمْياناً:

لَّهُ لَي هــله الكتابة التعريضية ســعة مـن سمـات عبـد الـرحن في قولـه _ تعـالي ـــ: ﴿ وَالَّذِينَ لِنَا تُصَوِّرُوا يَكِنَهُ رَبِيْعِدَ لَرُ يَقِرُوا طَيِّهَا صَمَّاوَشُهَاكًا ﴾ (١٠.

سورة الفرقان، الآية: 73.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 233.

⁽³⁾ سورة البقرة، الآية: 171. وينظر: سورة يونس، الآية: 42. وسورة هود، الآية: 20.

الاستعارة الثانية، حيث استعار للكافر(الأعمى) فهو معطل حاسة البـصـر وإن كـان في الظـاهر يرى الأشياء، ولكنه لا يعتبر بما يرى من الآيات المبثوثة في الكون أو لا يعتبر بآيات القرآن السي تؤدي إلى الاستبصار والإيمان والهُدى، هم كما يصفهم الله في موضع آخر على سبيل التعريض بهم: ﴿ ﴿ أَنْسَ بَعَدُ أَنَا أُولِ إِلِنِكَ مِن نَوْ اللَّهُ كُنَّ مُو أَمْنَ أَفَا يُذَكُّرُ أُولُوا الْأَلْب ﴾ (١)

هم كما أوحت الكناية معطلو وسائل الاحساس والمعرفة، وذلك بسبب إصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه وهو المعنى المكني عنه الذي يقودنا إليه التعبير الكنائي القبائم على بنية التشبيه

ومن خلال اثبات هاتين الصفتين (الصم والعمى) للكافرين، فإنها تنفي عـن المـومنين صراحة ﴿ لَرَ يَجِرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْمَانًا ﴾ فهم يسمعون سماع هدى وإيمان، وهم يرون آيات الله المبثوثة في كل مكان بأبصارهم فيعقلون معانيها ويدركون مراميها فتزيدهم إيماناً مع إيمانهم.. ومن ثـم فإن الكناية تنطوي على معنى مُكنى عنـه يخصّهم ويتمثّل في استجابتهم لآيـات ربهــم حرصاً على استماعها بآذان صافية وقلوب خاشعة. فهم قد أفادوا عُمَا وهبهم الله من حواس حيّة تودى وظيفتها التي خُلقت من أجلها، تلك الوظيفة التي خلق الله الانسان من أجلها ليحقق بها انسانيته فيسمو بها على المخلوقات الأخرى حيث معارج النور والمُدى، لأن قلوبهم احتيت بالعلم والحق النازل من السماء، كما تصوره الكناية على سبيل التمثيل في قول . تعسسالي ..: ﴿ أَذَنِكُ مِنَ السَّمَالِ مَنْهُ مَسَالَتَ أَوْمِينَا إِمَنَا مِنَا مُعَالِمُ مَنْ مُعَلِيمًا مَنْ السَّارِ البِعَالَة حِلْيَةٍ أَوْ مَتُورَزَدُ يَثَلُمُ كَلَوْفَ بَشِرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطِلُّ فَأَنَا الزَّرُ فَيْذَهَبُ جُمُنَكُ وَأَنَا مَا يَنَمُ النَّاسَ فَيَنَكُ فِي الْأَرْضِ كَتُولُ يَشْرِبُ اللَّهُ ٱلْأَثْنَالَ ﴾ (1)

ففي الآية الكريمة ثلاث كنايات تتمشل في قوله _ تعالى _: ﴿ أَمَرُكُ مِنَ السَّمَالِ مَلَّهُ فَسَالَتُ أَوْبِهُمُّ إِفَانِهِمَا فَآحَمْنَلُ النَّيْلُ زَيْنًا رَّائِهِما ﴾ وقال ابن الأثير: "هذه الآية من باب الكنابات التي لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والجاز، فإنه يجوز حل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب، وحمل الزيد على الغشاء الرابـي

⁽¹⁾ مسورة الرحمة الآيمة: 19. وينظمر: مسورة يسونس، الآيمة: 43. ومسورة الإمسراء، الآيمة: 72. وسورة النمل، الآية: 81. وسورة الروم، الآية: 53. وسورة الزخرف، الآية: 40.

⁽²⁾ سورة الرعد، الآية: 17.

الذي تقذفه السيول، وعلى المضلال "(ا) فقي الآبة كناية بالماء عن العلم، وبالأودية عن القلوب، وبالزبد عن الضلال، والذي جوَّز هذه الكنايات وجود الوصف الجامع بين المـاء وهــو المعنى الظاهر القريب والمعنى المكنى عنه البعيد(العلم) فكلاهما يقوم بوظيفة الإحياء، فالمساء يجير الأرض بعد موتها، والعلم يحيى القلوب والعقول بعد موتها بالجهل، وكذلك بين الأوديــة وبين القلوب فكلاهما يجتمع عنده ويستقر ما يسبب الحياة وكذلك بين الزبيد الرابي وبين الضلال فكلاهما من الأوضار الضارة التي تضمحل بسرعة وتزول فلا حقيقة لها ولا ثبات.

بهذا العلم الذي أنزله الله احتيت قلوب المؤمنين فخلص الإيمان في نفومسهم، واستقر التوحيد في قلوبهم فأخرج نباته زاهياً بقدر وحكمة (2) فانمازت حياتهم من حياة الكـافرين المــــي فدت موتاً بما أصابهم من صمم عن سماع الحق، وعمى عن رؤية طريق الهُدي.

البلد الطيُّب يخرج نبائه بإذن ربُّه ﴿ وَالذِّي خَبُّتَ لَا يَحْرُجُ إِلاَّ تَكِداً:

يقدم القرآنبهذا التعبير الكنائي المُوحى على سبيل التمثيل حال المؤمن من جهـة وحـال الكافرين من جهة أخسرى وذلك في قوله _ تعالى _: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱللَّيْبُ يُغَدِّمُ فَاتَكُ بِإِذِّنِ رَبَهِ ۖ وَٱلْذِي خَبْنَ لَا يَعْنُ إِلَّا نَكِدًا كَلَاكَ ثُمَّرَتُ الْآيَاتِ لِقَرِي يَقَكُّمُونَ ﴾ (٥).

فالآية يمكن حملهما على جانبي الحقيقة والمجاز، والمعنى الحقيقي القريب المذي يتبادر إلى الذهن أن الأرض الطبية الكريمة التربة غرج نباتها سريعاً حسناً وافياً، وإن الأرض السبخة الحبيثة لا يخرج نباتها إلاّ قليلاً لا خير فيه (أما المعنى الكنائي البعيد فيُفهم من خلال فهم الآيــة على أنها مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، كما قال ابن عباس (كانوعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به، كالأرض الطبية أصابها الغيث فأتبتت. والكافر بخلاف ذلك ^(غ) والـذي يـرجُّح هذا التمثيل ويقويه السياق قبل الكناية لما ذكر من الماء النازل من السماء على البلك الميت

⁽¹⁾ الخل السائر: 3 / 63.

⁽²⁾ ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآتي، ص 286.

⁽³⁾ سورة الأعراف، الآية: 58.

⁽⁴⁾ ينظر: تفسير القرآن العظيم: 2/ 213. والكشاف: 2/ 88. ومواهب الرحمن في تفسير القرآن:

⁽⁵⁾ ينظر: تفسير القرآن العظيم: 2 / 213.

⁽⁶⁾ الكشاف: 2 / 88.

وإخواج النعوات بـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الإَيْنَحَ أَشُرًا بَيْنَ يَدَىٰ وَهَنِهِ مِنْحَ إِنَّا أَشَّتَ سَحَامًا يَقَالُا شَقَنَهُ لِلْلَوْتِينَ فَأَوْلَنَا بِوَ الْنَدَةَ غَلَوْمَنَا مِن كُمْ الْكَوْنُ كَلَالِكَ غَيْجُ النَّرَقُ لَعَلَكُمْ مَنْحَكُونِ ﴾ (١٠.

فالنعبير الكنائي ﴿ وَٱلْبَلَدُ الطَّيْبُ بَغَرُجُ نَبَائَتُهُ بِإِنِّنِ رَبِّيهُ وَٱلَّذِي خَبَّكَ لَا يَغْرُجُ إِلَّا نَكِمُنا ﴾ يصور حقيقتين غتلفتين: حقيقة المؤمن الذي يُؤمل منه الخير، ويُؤثر عنه الهدي، ويُرْجى فيه المصلاح، وأن الكافر لا يُؤمل خبره، ولا يُحتمل نفعه، ولا يؤتمن شرُّه (2) وخبثه، فالمؤمن طيب كما دلَّت الكناية وكما يصفه القرآن في مواضع شتى (3) لأنه استجاب لآيات ربه التي أنزلها حياة للقلـوب والنفوس، فهو متفتح القلب والبصيرة.. أفاد من آيات الله علماً ومعرفةُ فتتجسد ثمراته بالأعمال الصالحة النافعة في بناء الحياة والجتمع. فالكناية قائمة في بنيتها على التشبيه الضمني الذي يعقد موازنة لطيفة بين الآيات النازلة من الله وبين الأمطار الغزيرة التي تنزل من رحمة الله بعباده من جهة وبين الإنسان المؤمن الطيب القلب وبين البلد الطيب التربة من جهـة أخرى، فكلاهما يفيد بمَّا أنزله الله، فالمؤمن يأخمه الآيات ببصر ويصيرة فيستفيد منها سعادة المدارين(4) والبلد الطيّب يفيد من الماء النازل فيعطى نباته المبارك بإذن ربهو أسا الكافس فهم الخبيث كما تخرجه الكنايـة وكما يصفه القرآن في مواطن أخرى(ك) لأنه لم يستجب للآيات النازلـة مـــ: الله # نهو معطل القلب والبصيرة، فلم يسمم سماع هدى، ولم يبصر بصر إمان، نهو ميت القلب والحواس، فهو يشبه كما دلَّت الكناية بالتشبيه الضمني الأرض السبخة الجدباء التي لم تتأثر بالماء النازل من السماء فهي خبيثة نكدة لا يُرجى خبرها، ولا يحتمل نفعها، كـذلك الكـافر لا يُرجى منه الخير، ولا يؤتمن شرَّه وخبثه، بل تتجسد أهماله الشريرة في الواقع والحياة خبثاً ونكداً، لأنـــه لم يؤمن ولمن بهند بالمدى الذي يجركه ويوجهه إلى الأعمال الصالحة النافعة، فهو قد تنكب عبر طريق الخير والصلاح إلى طريق الشر والفساد.

⁽¹⁾ سورة الأصاف، الآبة: 57.

⁽²⁾ الصورة الفنية في الثل القرآني، ص 264.

 ⁽³⁾ ينظر: سورة آل عمسران، الأيسة: 1879. وسمورة المائسة، الأيسة: 100. ومسورة الأنفسال، الآيسة:
 75. وسورة النور، الآية: 26.

⁽⁴⁾ ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 3 / 376.

 ⁽⁵⁾ ينظر: سورة آل عصران، الآية: 179. وسورة المألندة، الآيسة: 100. ومسورة الأنفسال، الآيسة: 37.
 وصورة النور، الآية: 26.



وفي ضوء ذلك نلمح أثر الكناية في أداء المعاني بالصورة الحسية المؤثرة القريبـة إلى الحـس والوجدان والغنية بإيجاءاتها.

الأحمى والبصير، والظُّلمات والنور، والظلُّ والحُرور، والآحياء والأموات:

ترد هذه الكنايات المتضادة في معانيها في قول ، تعالى .: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَمْمَى وَٱلْبَصِيرُ ﴿ نَهُ الشُّلُنَاتُ لَا اللَّهُ ﴿ وَاللَّهُ لَا لَلْهُ ﴿ وَلَا يَتَنِي النَّبَّةِ لَا النَّرَةُ إِنَّا لَتَكُمُّ مَنَ يَنَكُّ وَمَّا أَنَّ بِسُمِّيمِ مَّن فِي ٱلْقَبُورِ ﴾ (١).

فهذه الآيات الكريمات يمكن حملها على جاتبي الحقيقة والجاز، والمعنى الحقيقس القريب الذي يتبادر إلى الذهب يتمثل في أن هله الأشياء والمتباينة المختلفة لا تستوى، كالأعمر والبصير لا يستويان فبينهما فرق وبون كثير، وكذلك لا تستوى الظلمات ولا النور، ولا الظلما ولا الحرور، ولا تستوى الأحياء ولا الأموات (٤) فهي عوالم متضادة غتلفة.

أما المعنى الكثائي البعيد فيفهم من خلال فهم الآيات على أنها مثل للكافر والمؤمن كما قبال بذلك المفسرون (3) ويذلك تمنحنا الكنايات ﴿ الْأَضَىٰ وَالْجَهِيرُ ﴾ و ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ و ﴿ وَلَا الظِّلُ وَلَا المُّرُودُ ﴾ و ﴿ وَكَايَسَوْعَ الْمُعَلَّةُ وَلَا الْمُرْدُ ﴾ و لا لانها من خلال التصوير الحسى العميت بإيجاء اتها.. فالمعنى الظاهر المباشر للأصمى هو تعطيل الحاسة البصرية لـدى (الكـانر)، فدلالة (الأعمى) هي انطفاء نور البصر في العين، وهي كذلك تشخص دلالة أيضاً على عطل الحواس الأخرى التي يتم عن طريقها الإدراك لـ ني الإنسان، والقرآن عن طريق العمي في الحاسسة البصرية يعمق دلالة المعنى المكنى عنه المتمثل في انطفاء نـور البـصيرة في العالــم الـداخلي للكافر فتتجسد حقيقته بهذا التصوير ليثر مشاعر المتلقى وأحاسيسه حتى ينفسذ إلى تأميل حقيقة الكافر الداخلية وإن بدا في الظاهر يبصر بعينيه الأشياء ويسرى. وعلى النضد من هذه الصورة المظلمة للكافر تقف صورة (البصير) التي تشير في معناها الظاهر إلى نور البصر في العين الذي يتم عن طريقه رؤية الأشياء وإدراكها وعن طريق هذا المعنى الظاهر تتعمـق دلالـة المعنـي

سورة فاطر، الآيات: 19 _22.

⁽²⁾ ينظر: تفسير القرآن العظيم: 3 / 530.

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 3 / 480. وتفسير القرآن العظيم: 3 / 530. ومواهب البرجن في تفسير القرآن: .413 / 6



المكنى حنه والمتمثل في تيقظ البصيرة في العالم الداخلي للمؤمن الذي تتجمد حقيقته المشرقة بنــور الإيمان الحيي للأبصار في الرؤية وعن ثم الاستجابة والإدراك في البصائر.

والإيمان الحيى للأبصار والبصائر، والكفر والضلال المسيت للأبيصار والبصائر بسلعني الكنائي المصور يتجسدان في الكناية التالية (الظلمات والنور) في صورة حسية تشير إلى حقيقتهما العميقـة الموحيـة، إذ إن ﴿ ٱلظُّلُنَتُ ﴾ تـشير إلى معناهـا المُكنى عنـه وهـــو الكفــر أو الصلال، و ﴿ ٱلنُّودُ ﴾ يشير إلى معناه المكنى عنه وهو الإيمان أو الهداية، وباللك تنضمنت الكنايتان في صورتيهما الحسيتين إيحاءات عميقة دالة على تباين نـوعين مـن الحيـاة تفترقــان في طبيعتهما بهذا التصوير الكنائي في الحس والفكر، وهـذا النبـاين أو التمـايز بـين الحيـاتين تنقلـه الكنابتان بدقة بيانية معجزة. ففكرة (الكفر) تتليس في صورتها الكنائية الحسية (الظلمات) بصيغة الجمم دلالة على أوضار الحياة الكثيرة التي تحجب الأبصار والبصيرة، وكـذلك الكفـر -حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإنمان (أ) على حين إنَّ الإنمان (النور) جماء بـصيغة المفرد، وفي هذا حكمة بالغة عبر عنها صاحب تفسير المنار بقوله: وقد أفرد النور وجعت الظلمة هنا، وفي كل آية قُوبار فيها بين النور والظلام سواء كان ذلك في الحسى أو المعنوي، بل لم . يذكر النور في القرآن إلاّ مفرداً، والظلمة إلاّ جمعاً، وحكمة ذلـك: أن النـور شـىء واحــد، وإن تعددت مصادره، ولكنه يكون قوياً ويكون ضعيفاً، وأما الظلمة فهي تحدث بما يحجب النور مـن الأجسام غير النيرة،وهي كثيرة جداً،وكذلك النور المعنوي شيء واحد، في كل نـوع مــن أنواعــه أو جزئي من جزئياته، ويقابل كل منهما ظلمات متعددة، فالحق واحد لا يتعدد، والباطل الـذي بقابله كثير " (2) فالظلمات بوصفها تعير عن الكفر، فهي تنصور طبيعة الكفر وفعله المدمسر للحياة في أدق تصوير، فهو ليس (ظلمة) واحدة، وإنما (ظلمات) تسد منافذ الرؤية والبسمرة بكل جهاتها في الحياة فتحجب الانسان عن عمارسة الحياة الطبيعية، لأن الحيسوة والقلق هما الشعور، والتخبط هو الحركة السيطرة على فعل الانسان في تلك الظلمات المتبلّدة بعضها ضوق بعض، فالكناية تنطوي على طاقة إيحاثية وتصويرية في أداء المعني.

⁽¹⁾ النكت في إعجاز القرآن، ص 92.

⁽²⁾ تفسير المتار: 7 / 294.

ويقابل كناية (الظلمات) كناية (النور) التي تصور طبيعة الإيمان وفعلمه البماني للحيماة، لأنه يفتح منافذ الرؤية والبصيرة بكل جهاتها في الحياة، ومن شأن التقابل بين الكنايتين أن يعمق معناهما في الحس والوجدان.

ويتحول الإيمان والكفر في التعبير الكنائي (الظل والحرور) إلى صورة حسبة جديدة موحية تراها العين وتتحسسُها النفس، وتفتح منافذ عدة للتفكير لتملَّى هاتين الـصورتين إذ تبعث الكناية (الظل) في جنبات النفس الارتباح والتروح، فالإيمان هــو البلسم الذي ترتاح إليــه النفس وتستقر في رحلة الحياة الدنيا وهي تواجه المتاعب والآلام والمشقات فيجد المؤمن في ظلُّم الطمانينة والسعادة والأمن، فضلاً عن الشواب في الحياة الأخرى، أما الكفر والـضلال فهــو (الحرور) بالتصوير الكنائي، ومن المعاني الحسية للحرور (السموم)، إلاَّ أن السموم يكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار (١)، فالكفر يتجسِّد بهذه النصورة الحسية من العذاب المستمر المتصل، وذلك لأن النفس الكافرة خاوية من نعمة الإيمان، فهو العقاب في الحياة الـدنيا، فـضلاً عن العقاب في الحياة الأخرى، لذلك فالكافرون (أموات) ليس أمواتاً بـالعني المالوف للموت وهو الحلاك والفناء كما قد يتبادر، وإنما أموات بالمعنى الكنائي الجديد إزاء المؤمنين (الأحياء): ﴿ وَمَا يَسْتَوَى ٱلدُّمِّيَّةُ وَلاَ ٱلْأَمْرَاتُ ﴾ الكافرون موتى لأنهم منطفئو المروح والبحيرة والإدراك، فهم والمرتى سواء كما يقول القرآن، وكأن غاية الحياة وجوهرها كما يفهم من التعبير الكنائي يتمشل في الاستقامة والتبصر وتيقظ الروح،والتمييز بين الحير والشر، والحق والباطل، وأن الموت عفهومه الكنائي ربما كان "انغماس النفس في ظلمة الحيوانية، وبقاء الروح مكفوفة الإدراك غُبِط في الأرض من غير غاية نبيلة تسعى إليها لتسعد بها سعادة أبدية "(⁽²⁾ لأن الطاقة الروحية معطلة، فالكنافرون يُحَيُّون في حياتهم ويتقلبون مثل أي كنائن حيى دون تميَّز أو تضاوت إذ يفقيدون معنى الحياة المقصود، لأن المقصود من الحياة الإدراك والعقل فإذا عُدِما تبصير الحياة مساوية للموت في عدم الفائدة المطلوبة فتتزَّل الحياة منزلته (^{0).}

⁽¹⁾ الكشاف: 3/ 480. وينظر: لسان العرب: 4/ 177 (حرر).

⁽²⁾ التصوير البيائي دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 210.

⁽³⁾ ينظر: نهايسة الإيجاز في دراسسة الإصجاز، ص 129 ــ 130. وينظمر: الفوائسد المسئوق إلى علموم القرآن وعلم البيان، ص 45 ـ46.

فالكناية بكت الحياة في مفاصل التصورة وجـنُدت معـاني الكلمـات في دلالات جديـدة موحية مؤثرة في الحس والوجدان.

وبذلك يتجلى بالكتايات المرقبة عالمين متضادين: عالم الإيمان والمدى، وحالم الكفر والفسلال على التفابل في دالالاتهما الفكرية والنفسية، إذ تحقق الكتابة دالالات عميقة في الحسى والشعور، وعلى بساطة التراكب الكتابة ووضوحها تمنع الفكر والنفسس قموة العطاء وعمق الإيجاء في المعاني والأفكار، إذ يتقابل أما الفكر والنفس عالمان متناقضان في دلالتهما في صمورة بيانية كاشفة تفصل كل عالم من هذين العالمين بعمفات حسية تشخص رموزاً لا يتقطع إيجاؤها بما تحرجت المعاني والانكار بخصوبة وحيرية ليس لتقريرها حسب، وإنما لتتوضل دلالاتها في كيان الإنسان ليتملى معانيها وافكارها، ولتترسخ معطياتها في الفكر والنفس.

الفصل السابع

الكناية التعريضية



القصل السابع

الكناية التعريضية

الكتابة التعريضية لون من آلوان الكتابة "فالكتابة تنقسم إلى تعريض وتلويح ورمز وإيجاء وإشارة، ومساق الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك (أ). والتعريض هو اللفظ الدال على الشيء من طريق مفهوم لا بالوضع الحقيقي، ولا الجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إلى غتاج، وليس في يدي شيء. وأنا عريان والبرد قد آذائي، فإن هذا واشباهه تعريض بالطلب، وليس هلا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا عبازاً، إنحا دال عليه من طريق المفهوم، مخلاف دلالة اللمس على الجماع (ف) فالتعريض هو أن يطلق الكلام، ويسار به إلى معنى آخر يفهم من السياق (أو وقران الأحوال، وعايش إلى هذا قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَلا يُحَالَمُ عَلَيْكُم فِيهُ مَن جَمِّلُوا النّسَة بعد انتهاء علتها، مثلاً: عسى الله أن يهيئ في زوجة صالحة. أن الحالم الله النه يزقل بعلاً صالحة أوإن الساء لن حاجتي واشباهه من الكلام (أن فهد إمالة الكلام إلى مرض يدل على الغرض (أنه وهو رفيته فيها، والزواج ليس مدلولاً لهداء الألشاظ حقيقة ولا عرض يدل على الغرض (أنه بغي لفظه المؤضوع له كفولنا: طويل النجاد للطول القامدة، وكثير، الكتابة ذكر الشيء بغي نفظه المؤضوع له كفولنا: طويل النجاد للطول القامدة، وكثير

مغتاح العلوم، ص 190. وينظر: الإيضاح: 2 / 466.

 ⁽²⁾ المسل السائل: 3/ 56. وينظر: العلران: 1/ 397 .398. وينظر: البرهان في علوم القرآن:
 2/ 311.

⁽³⁾ جراهر البلاغة في المعاتى والبيان والبديم، أحمد الماشمي، ص 350.

⁽⁴⁾ سورة الشرة، من الأبة: 235.

 ⁽⁵⁾ ينظر: الكتابة والتعريض، للثمالي، ص 57. وينظر: القوائد المشوق إلى ملوم القرآن وعلم البيان،
 ص 134. وينظر: علم البيان في الدراسات البلاغية، ص 276.

⁽⁶⁾ الكشاف: 1 / 373. والمتنخب من كتابات الأدباء وإشارات البلغاء، ص 56، 57.



الرماد للمضياف. والتعريض: "أن نذكر شيئاً نذل به على شيء لم تذكره كما يقول الحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم (١). وهو يعرض بطلب الصدقة.

ورغم هذا الافتراق بين الكناية والتعريض فإنهما يعدّان من طرق الفن الكنائي، لأنهما يدخلان في إطار عام وهو الإشارة إلى المعنى المراد من بعد عن طريق المعنى القريب اللهي يبدل عليه ظاهر الملفظ لعلاقة بينهما (2) هي علاقة اللـزوم في الكناية، وعلاقة يستدل عليها العقـل في قرائن الأحوال ومقتضيات السياق في التعريض.

وقد توافر القرآن الكريم على هذا النوع من الكناية التعريضية التي تمتاز بالإيجاز في التعبير عن المعاني والأفكار التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها أولاً ثمُّ تصل إلى النرض اللَّي ترمى إليه عن طريق المفهوم من السياق وقرائن الأحوال كما ذكرنا من غير أن تذكر الطرف المقابل المعرِّض به،وبالعدول من التصريح إلى التعريض يكون وقع المعنى في النفس مؤثراً وأقــدر على إحداث الاستجابة النفسية المناسبة، وذلك بسبب التلميح إلى المعنى الراد نقله والاشارة إليه من عرض الكلام وجانبه ونقل المتلقى إليه بعـد معاناة وتفكير، ومن هنا فإن التعريض الذي لا يقــم إلاًّ في التركيب على خلاف أتسام الكناية الأخرى التي تقع في المفردة والتركيب (t). يفيسد القول بلاضة تفوق بلاغة أنواع الكناية الأخرى وذلك لأنه يشير بخفاء وسن دون ومسائط ولسوازم إلى معنى بعيد، مم اقراره في نفس السامم من طريق سياق القول ومقتضياته.

وفيما يأتي نستعرض الآيات القرآنية التي احتوت كنايات تعريضية، ثــم نحــاول تحليلــها وبيان خصائصها وأثرها في سياق الآية الكريمة ما أستطعنا إلى ذلك سبيلاً.

انَّما يتذكَّر أُولُوا الألباب:

يستعمل القرآن هذا التعبير في موطنين على سبيل التعريض بالكافرين، أحدهما قوله _ تعالى ..: ﴿ أَفَنَ يَعَلَرُ أَنْكَا أُولَ إِلِيَّكَ مِن زَيِّكَ ٱلْمُثُّ كُنَ هُوَ أَخَمُّ إِلَّا يَذَكُّرُ أُولُوا ٱلأَلِيب ﴾ (4).

قوله _ تعالى ..: ﴿ إِنَّا يُنْذُكُّرُ أُولُوا ٱلْآلِب ﴾ تعريض بالكافرين، فليس الغرض من هذا القول _ كما يقول عبد القاهر الجرجاني _ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار وان

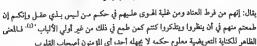
⁽¹⁾ مطر: الكشاف: 1 / 372_373.

⁽²⁾ ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 2290.

⁽³⁾ ينظر: المثل السائر: 3 / 57. وينظر: البلاغة العربية المعاني والبيان والبديم، ص 244.

⁽⁴⁾ سورة الرحد، الآية: 19. وينظر: سورة الزمر، الآية: 9.





الواعية التي تنتفع بما ترى، وتعلم أن الذي أنزلمه الله هــو الحــق فتتبعــه. ومــن هـــا تــاتــي الموازنة بين الفريقين: المؤمنين والكافرين على التقابل ليتجلَّى المعنى ويتعمَّق في الحسن والـذهن ﴿ أَهَنَ مِثَلُ أَنْنَا أَذِي إِلَيْكَ مِن رَّبِكَ أَلَقُ كُنَ هُوَ أَضَرَّ ﴾ والاستفهام بالهمزة يفيد إنكار تشابه حال الفريقين، وفهو تشبيه مستنكر، وهو عميق في دلالاته وحقيقته، فالمؤمنون هــم أصــحاب البــصو والبصيرة على خلاف الكافوين _ كما يخرجهم التعبير الاستعاري التصريحي القائم في بنيته على التشبيه ﴿ كُنْ هُو آَضَّةٌ ﴾ فشبّه الكافر بالأعمى وذلك مجامع عدم البصر على سبيل الاستعارة التصريحية. والكافر ليس أصمى في الحقيقة، وإنما هـ وأصمى بهـ ذا التصوير الاستعارى بمعناه الجديد الذي يصوره القرآن، إذ العمى عمى القلب والبصرة، كما قبال .. تعالى ... ﴿ فَإِنَّهَا لَا مَّنَى الْأَتِّسَكُرُ وَلِكِين تَمْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي النَّشْلُولِ ﴾ (ا) فالكفر عسى والكافر أحسى لأنه عطل وسائل إدراكه ومعرفته عن العمل في ما خُلقت له فهو لا يرى العلم الذي أنزله الله وهــو الحــق الذي يعلمه أولو الألباب شأنه في ذلك شأن الأعمى الذي لا عِيز الأشياء.

وهذه الاستعارة القائمة في بنيتها على التشبيه تصعّد معنى التصريض المستفاد من ﴿ إِنَّا يِّنَدُّكُرُ أَتُولَا ٱلأَلِي ﴾ الذي جاء بأسلوب القصر بإنما، حيث قصر صفة التذكر على الموصوفين بـــ ﴿ أَوْلُوا ٱلْأَبْكِ ﴾ وهم المؤمنون لا تتعدى إلى غيرهم وهم الكافرون المعرّض بهم فهم لا يتذكرون ولا يتدبّرون الحق الـذي أنزلـه الله، فالقـصر " لبيـان الواقــع وحـصر الـتفكير والتـذكر المستقيم في أولى الألباب والعقول الخالصة " (د).

⁽¹⁾ دلائيل الاعجباز، ص 333 . 334. وينظير: البرهبان في عليوم القبرآن: 2/ 314. وينظير: مين بلاضة السُقلم العربسي خدراسة تحليلية لمسائل علم المسائي بد. عبد العزيز عرفة: 2/ 61. وينظر: المماني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص 300.

⁽²⁾ سورة الحج، من الآية: 46.

⁽³⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 6 / 504.

وبذلك تنال هذه الكناية التمريضية ﴿ إِنَّا يَنْذَكُّرُ أُولُوا آلاً آلِيم ﴾ من الكافرين عن طريق مفهوم سياق الآية وتذمّهم وتخرجهم في حكم من ليس لمه بصر وعقل من غير أن تصرّح بذكرهم.

وتتكرر هذه الكناية التعريضية في موطن آخر معرّضة باللين لا يعلمون (الكافرين)، بعد أن تثبت للمؤمنين الذي يعلمون ﴿ إِنَّمَا يَتَكَّدُّ أُولُوا ٱلْأَلِّيبِ ﴾ سلوكا عملياً شاكراً لله، فعلمهم يتخذ مجاله وصورته الشاكرة العاملة، وذلك في قوله .. تعالي ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتُ مَانَلَةَ الَّيل سَلِيدًا وَغَالَهِمًا يَحْدُدُ ٱلْآيِرَةَ وَيَرَجُوا رَحْمَدَ رَوِيدُ قُلْ حَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ بَسَتَوَى وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونُ إِنَّا يَسَكَّرُ أُوْلِمُوا

﴿ إِنُّمَا يَتَكَّدُّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَ ﴾ تعريض بالكافرين بعد أن قررت المعنى الظاهر المعلوم وهمو إثبات صفة التذكّر للمؤمنين أولى الألباب دون غيرهم على وجه التخصيص. ويبرز سياق الآية هؤلاء المؤمنين الذين يعلمون ويعملون بمقتضى علمهم للستقر في النقوس والقلوب بهـ1. السلوك الخاشع: آناء الليل، والسجود والقيام، والحذر من صذاب الآخرة، ورجاء الرحمة من ربهم بهذا الجهد العامل الشاكر الذي يبذله هؤلاء العالمون العاملون. والكافرون المعرَّض بهم يجهلون الحقيقة التي من أجلهـا خُلِقوا، فهم لا يعلمون فلا يسـتري حالهم مع هؤلاء الـؤمنين في صورتهم الوضيئة ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَرِى الَّذِينَ يَسْلَكِنَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ والاستفهام هنا إنكاري ينفس أن يستوى حال الفريقين ويقرر واقمأ ناصماً في دلالته الجازيـة فهــو لايحتــاج إلى جــواب، لوضــوح حال الفريقين، ولكنه استفهام يهدف إلى إقرار حقيقة وتوكيـدها، ويقـرع ويعـرُض بالكـافرين الذين لا يعلمون ازاء أولئك العالمين العاملين، والتقابل على سبيل التضاد من شأنه تعميق حال الفريقين في الحس والذهن.

ويمكن أن يفهم التعريض في الآية من جانب آخــر بالعـالمين غـير العـاملين في دلالتــه العامة، قال الزغشري: "وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانية، كأنه جمل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتفون العلـوم، ثــم لا يقتدون ويفتنــون، ثــم يفتنــون بالدنيا، فهم عند الله جَهَلة، حيث جعل القانتين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه، أي: كما لا يستوي العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوي القانتون والعاصون (^{(2).}

⁽¹⁾ سورة الزمر، الآية: 9.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 90.



ويذلك يستوي في دلالة التعريض الشاملة الكافرون المذين لا يعلمون ولا يعملون، والعالمون غير العاملين بما يجب عليهم من الطاعة، فهم جهلة على صعيد واحد مع الكافرين.

وفي ضوء ذلك يتجلى الايجاز في الكناية التعريضية ﴿ إِثْمَا يَكَثَّرُ الْوَلُوا ٱلْآلِتِي ﴾ فليس المراد مها المعنى الظاهري المعلوم وهو قصر التذكر على المؤمنين القانتين فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى معنى آخر بمثل الهدف الملدي تلوّح به على سبيل التعريض.

وفي ضوء ذلك يمكن أن يفهم التعبير المترآن: ﴿ إِنْمَا نُبُولُ الْأَيْنَ يَضَعُونَ مَتَهُم بِالْمَدْبِ ﴾ على أنه كناية تعريضية، والموارد في قول - تصلى - ﴿ وَلَا تُؤْرِ كُونِيَّةٌ فِيْدَ لَشَوْخَ وَفِي تَتَّجُ مُتَفَلَّةً إِنَّ خِلِهَا لَا يَشْعَلُ مِنْهُ قَلَّمُ اللَّهِ الْمَا يَوْلُ اللَّذِينَ يَشَمُّونَ كَنَّهُم بِالْمَنْبِ وَالْمُؤالاَ السَّلَاقُ وَمَن تَدَيَّةً فِإِنَّمَا يَمَنَّقُ لِشَوْجِةً وَلِلَ الْقُولْلَمِينُ ﴾ (١٠٠

فالتمير المَراتِي ﴿ إِنَّمَا نُشِرُ اللَّهِ يَخْتَوْرَكَ كَيَّمُ بِالْكَبِ ﴾ يتجاوز معناه الظاهر الذي يدل عليه إلى التعريض باللين ليس لهم هذه الحشية، قال الزركشي: المقصود التعريض بلم من ليست له هذه الحشية،، وأن يعرف أن لفرط عناده كانه ليس به أذن تسمع، ولا قلب يعقل، وأن الإنفار له كلا انذار، وأنه قد انفر من له هذه العمقة، وليست له '⁽²⁾.

فالكناية التمريضية تنال من الكافرين على نحو خفي لطيف وكاشفة عن حالهم الذي تساوي عدهم الانذار وعدم الانذار لفرط صنادهم وتصميمهم عليه جهاد وضلالاً، فهم لم يفيدوا من الانذار لأنهم بمتزلة من لا يسمع ولا يعقل فقد عظلوا للبهم وسائل الحسس والادراك، فلم يتاثروا بالنذير، ولم يستجيبوا له، فهم لا يؤمنون ولا يخشون ربّهم على خلاف المؤمنين الذين أفادوا ما أنهم الله عليهم من سمع ويصر وأفئدة فأفادوا بالانذار واستجابوا فكان ديدنهم الحشية من الله ربهم.

سورة قاطر، الآية: 18. وينظر: سورة الأتمام، الآية: 36.

فسنلوهم أن كانوا ينطقون:

ترد هذه الكناية التعريضية على لسان سيدنا ابراهيم ١٩٤٩ يعرّض بها بقومه وبما كانوا يعبدون حين كسرُّ أصنامهم وذلك في قولمه _تعالى ﴿ قَالُواْ مَأْتَ فَعَلَّا يَعَالِمُونَا عَالِمُونَا بَيَاتِرَهِيمُ ﴿ تَالَ بَلَ فَعَلَهُ كَيْمُهُمْ هَنَا مَسَالُوهُمْ إِن كَانُواْ يَعِلُمُونَ ﴿ فَرَجَعُوا إِنَّ أَنْفُسِهِمْ نَقَالُواْ إِنْكُمْ أَشُرُ الظَّلِيلُونَ ﴿ ثُمَّ تُكِمُواْ عَلَى رُوسِهِمْ لَقَدْ عِلْمَتَ مَا خَوَّلَا يَسَلِعُوكَ ﴾ (1).

الكناية التعريضية قوله .. تعالى ..: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَكَامُ كَيْمُهُمْ هَلَا فَسَتَأْوَهُمْ إِن كَالْوَا يَطِعُون ﴾ ، والبادي من هذه الكناية التعريضية أن سيدنا ابراهيم على لم يرد بها اثبات نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما أراد اثبات الفعل له بالأسلوب التعريضي كي يلزمهم الحجة والبرهان على نحو من الاستهزاء بهم والتبكيت. قال الزخمشري: "هـذا مـن معـاريض الكـلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها أذهان الراضة من علماء المعاني. والقول فيه أن قصد ابراهيم (صلوات الله عليه) لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قبال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً مخط رشيق وأنت شهر محسن الخط: أأنت كتبت هذا وصاحبك أمر لا يحسن الخط، فقلت له: بيل كتبته أنبت، كيان قيصدك بهذا الجواب تقرير ، ليك بهذا الأستهزاء به، لا نفيه عنك واثباته للأمي. لأن اثباته _ والأمر داشر بينكما للعاجز منكما _ استهزاء به وإثبات ثلقادر * (2).

وأشار ابن الأثير إلى معنى آخر أبعد من الأول لهذه الكناية التعريضية بقول. وهـ و أن كبير الأصنام غضب أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها، وغرض إبراهيم من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع الله _ تعالى _ من هو دونه، فإنَّ من هو دونه مخلوق من غملوقاته، تجعل إحالة القول إلى كبير الأصنام مثالاً لما أراده "(3) وما رآه ابن الأثر يُسلك في التمثيل، فيعمَّق الكنابة.

سورة الأنسام، الأبات: 62_63.

⁽²⁾ الكشاف: 3/ 98. وينظر: المثل السائر: 3/ 72. وينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 311.

⁽³⁾ الشبل السائر: 3 / 72. ينظمر: الفوائد المسشوق إلى علموم القمرآن وعلم البيسان، ص 134. ومسن بلاغة الترآن: 228.

وفي كِلا المعنيين فإن ابراهيم 🕮 يعرّض بهم وبـــاّهتهم الــتي يعبــدونها مــن دون الله عــن جهل وظلم، وتقليد أعمى لأبائهم (1) يسيطر على أفكارهم ونفوسهم ويوجه سلوكهم فيصبحوا بلا عقل ولا تفكير، لأنهم يرون بعقول آبائهم حتى ولو علموا بأن آباءهم جـاهلون.. من هنا يأتي التعريض بهم وبآلهتهم أسلوباً بليغاً حيّاً يعمل على إيقاظ نفوس قومه وقلوبهم لإزالة غشاوة التقليد الأحمى الذي غطَّى على الحقيقة التي غفلوا عنها.. فالتعريض يحطم تلـك الأغلال النفسية التي رانت على قلوبهم لتتجلى لهم الحقيقة، وليرد القلوب إليها والنفوس، وقد صوّر السياق لحظة رجوعهم إلى نفوسهم متدبرين متفكرين حـين الـزمهم الحجـة ﴿ فَرَيَحُمُّوا إِلَّى أَنْتُسِهِ * نَقَالُوا إِنَّكُمْ آلتُدُ الظَّلَالُونَ ﴾ أي أنا الزمهم الحجة وأخذ بمضانقهم، رجعوا إلى انفسهم متدبرين ومتفكرين فقالوا: أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم: ﴿ مَن فَعَلَ هَنَكَا بِعَالِهَتِنَاۚ إِنَّهُ لِينَ الظَّالِلِينَ ﴾ (2) فهم يدينون انفسهم وما هم فيه من سخف، وما في عبادتهم مسن ظلم _ حين رجعت أنفسهم إلى الحقيقة الناصعة _ إلا أنهم ارتدوا تلك الردة النفسية كما يصوُّوها القرآن بالأصلوب الكتائي الجسد، ارتداد نفوسهم إلى عبادة الأصنام ﴿ ثُمُّ أَكِيمُوا طَلَ رُهُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِيْتَ مَا هَكُولُا وَيَنطِئُونَ ﴾. فالكنابة ﴿ ثُمَّ أَكِسُواْ عَلَى رَبُوسِهِمْ ﴾ حركة مادية غليظة تشير إلى ذلك المعنى النفسي وهو انقلابهم من الحقيقة الناصعة وهسي بطلان عبادتهم وشركهم، وقد استشعروها لحظة عندما ألزمهم سيدنا ابراهيم 🕮 الحجة والبرهـان، انقلبـوا إلى الشرك والجادلة عن أصنامهم بالباطل والمكابرة، قال الزخشري: "نكسته: قلبته فجعلت أسفله انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالبالطل والمكابرة، وإن هؤ لاء _ مـم تقاص حالها عن حال الحيوان الناطق _ آلفة معبودة، مضارة منهم، أو انتكسوا عن كونهم محادلين البراهيم الله على عنه، حين نفوا عنها القدرة على النطق (3) وعكن أن تفهم الكناية ﴿ ثُمُّ تُكِسُواْ هَكَ رُبُوسِهِمٌ ﴾ على الحقيقة، أي نكسوا رؤوسهم حقيقة، فتكون بذلك كناية عن خجلهم وانكسارهم أمام الحقيقة التي بهتهم بها ابراهيم ﷺ وقد أشار الزغشري إلى هذا الفهــم بقول.: " أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة الفرط اطراقهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إسراهيم عليه

⁽¹⁾ ينظر: سورة الشعراء، الآية: 74.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 3 / 98. وقولهم هو الآية 59 من السياق نفسه.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 98.



لقد أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم "(1) فهي الحجة القوية التي يلزمهم إياها. وفي التوجيهين للكناية ينكشف معنيان تشير إليهما على نحو جلى:

أولهما: مجادلة هؤلاء القوم لنبيهم إبراهيم بالباطل والمكابرة على الرغم من استشعارهم الحقيقة في قرارة أنفسهم.

وثانيهما: عدم استنادهم إلى حجة يجادلون بها، فليس لهم إلاّ الإطراق، خجلاً وانكساراً أمام الحجة الواضحة والبرهان المين.

نيا الخصم:

ياتي هذا التعبير ضمن سياق تعريضي بسيدنا داود على وهو قولم . تعالى ..: ﴿ * وَهَلَ أَتَنَكَ نَبُوُّا الْخَشِيرِ إِذْ شَرَّوُ الْمِحْرَبِ ﴿ إِذْ دَخَلُوا حَلَّ مَارُدَ فَعَزع مِنْهُمَّ قَالُوا لا تَخَفُّ خَسْمَانِ بَعَن بَسَشُنَا عَلَى بَسْنِ فَلْمَكُم يَشْنَا بِالْحَقِي وَلَا تُشْلِطْ وَلَمْدِنَا إِلَى سَوْلِهِ السِّرَطِ ﴿ إِنَّ كَلْنَا آنِي لَدُيْتُم وَهَا أَنَ الْمَهُ وَلَا لَهِيَّةً وَمِيدَةً فَقَالَ أَكْتِلِنِهَا وَمُزَّدِ فِي الْحِمَابِ ﴿ قَالَ آلَةَ ظَلْمَكَ يُسُوَّالَ نَجَيكَ إِلَّكَ يَسْلُوا وَمَا يَكِيلُ مِنْ لَلْكُلَّالِ يِّتِني بَشَتُهُمْ عَلَى بَسْنِ إِلَّا الَّذِينَ مَامَنُوا وَعَيِلُوا الشِّيلِحَتِ وَقِيلٌ مَّا هُمُّ وَظَنَّ كاؤردُ أَنَّمَا فَنَتَهُ فَاسْتَغْفَرَرَيَّهُ وَيَحُلُّ رُكِهَا وَأَنَابَ ١ ﴿ فَنَفَرَا لَدُولِكُ فَإِنَّ لَدُ عِنْنَا لَزُلْفِ رَحُسْنَ مَعَابٍ ﴿ يَعَالُودُ إِنَّا جَعَلَنَكَ خَلِفَةَ فِي ٱلأَرْضِ ظَّمْ يَنَ النَّاسِ بِلَكِينَ وَلا تَنْهِم الْهَوَى فَيُضِلُّكَ مَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِي بَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَبِيدًا بِمَا لَسُوا مِنَ ٱلْمِسَابِ ﴾ (٥).

من خلال هذه القصة يمرّر التعريــض بـالنبي داود ١٩١٨ والتصريض هنـــا وســيلة مهذبــة مؤثرة، فضلاً عن إيجازه، فهو "أبلخ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أدَّاهُ إلى الشعور بالمعرَّض به، كان أوقع في نفسه، وأشد تمكناً من قلبه، وأعظم أثراً فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبُّه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحًا، مع مراعاة حسن الأدب بترك الجاهرة " (د).

وقد ذهبت بعض التفاسير في تفسير هذه الآيات إلى ما يجانب الصواب جرياً مع الاسرائيليات في التفسير بما لا يتلاءم مع طبيعة النبوة (⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الصدر نفسه: 3 / 98.

⁽²⁾ سورة ص، الآيات: 21-26.

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 63.

⁽⁴⁾ ينظر مثلاً: الكشاف: 4 / 62.

والنظر في هذه الآيات يلحظ:

ـ أن تسوّر الحصم المحراب والدخول على داود على تم في صورة غير طبيعية. قبال اسن عساس: أن داود الله جسرًا زمانيه أربعة أجسزاه: يومناً للعسادة، ويومناً للقسفاه، ويه مأ للاشتغال بخواص أموره، ويومأ يجمع بني اسمرائيل فيعظهم ويبكيهم، فجاؤه في ضير يسوم القسضاء ففرع منهم، ولأنهم تزلسوا عليه من فسوق، وفي يسوم الاحتجاب، والحسرس حوامه لا يتركون من يدخل عليه "(١). فتسورهم الحراب ودخولهم عليه كان بطريقة عجيبة عمَّا سبِّب فزعاً للنبي داود ﴿ فَنَيْعَ وَتُهُمْ ﴾ والدُّني يؤكد كونه من الأنباء العجبية الاستفهام ب، (هـل) في قول: ﴿ وَهَلْ أَتَنْكَ نَبُّوا الْخَصِّمِ ﴾ فظاهر، الاستفهام. ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفي على أحد، والتشويق إلى استماعه "(2). وتسور الحراب بهذه الطريقة يُدوحي بأن الخصم ليس من البسر بل همنا من الملاككة، قبال الزخشري: "تبصيرا سبوره ونزلوا إليه، والبسور: الحائط المرتضع.. روى أن الله _ تعالى _ بعث إليه ملكين في صورة السانين، فطلب أن يمدخلا عليه، فوجمداه في يموم عبادته، فمنعهما الحمرس فتمسوروا غليمه الحمراب، فلم يشعر إلا وهما بيمن بليه جالسان (٥) فضلاً عن أن طريقة حوارهما مع الني داود يؤكد بانهما من الملائكة ﴿ .. فَلَمُّكُم يِّنَكَا بِالْحَقِّ وَلَا تُتَّفِطُ ﴾ أي "ولا تجر. أي ولا تبعد عن الحق، وهي مجاوزة الحدّ وتخطّي الحق "(⁽⁾

ـ في سياق القصة رمز حيوى يشير إلى ظلم الانسان لأخيه الانسان إلاّ اللذين آمنوا وحملوا الصالحات ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلْمُكَ بِسُوَّالِ تَعْيَاقُ إِنَّ شِيَاحِدٌ وَإِذْ كَيْرًا لِذَكُ لَلْكُلُو يَشِي بَشَهُمْ عَلَى بَسِينِ إِلَّا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلْمَبْلِحَدِي .. .

ـ يُلاحظ من سياق القصة أن سيدنا داود على قد حكم لأحد الخصمين وهـ و الـ أن أدل بقوله وحجته: ﴿ إِنَّ هَٰذَا آلِنِي لَهُ مِنْهُمْ وَلَمْ مُونَ فَهَدٌّ وَلِي تَجَدٌّ وَمُبِدَّةٌ فَقَالَ أَكْوَلِينِهَا وَمَزَّنِ فِي الْخِطَابِ ﴾ دون أن يمنح الحصم الآخر فرصة للادلاء بقوله وحجته _وهو النبي الملك الذي ولاَّ الله أمر النـاس

⁽¹⁾ الكشاف: 4/ 63.

⁽²⁾ الصدر نفسه: 4 / 63.

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 63.

⁽⁴⁾ الصدر نفسه: 4 / 63.

ليقضى بينهم بالحق والعدل ، ومن هنا يتجلَّى امتحان النبي داود وابتلاؤه فيصرض بـ الـسياق تعريضاً مؤثراً، لأنه لم يتبين الحق قبل إصدار الحكم، على الرغم من أن الخصم " قـد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة.. ولكون القاضي عليه ألاَّ يُستثار، وعليه ألاًّ يتعجّل. وعليه الاّ يأخذ بظاهر قول واحد. قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقـد يـتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، ويتكشف أن ذلك الظاهر كتان خادهاً أو كاذباً أو ناقصاً (1). والتعقيب القرآني بعد ذلك يؤكد هذا المعنى التعريضي ويقويه، ويكشف عن طبيعة تلك الفتنة التي ابتلاه الله بها ﴿ فَنَفَرَّا لَهُ وَالِكُّ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَا لَزُلِقَنِ وَحُسْنَ مَعَابِ ﴿ يَنَدَاوُرُهُ إِذًا جَعَلْمَكَ خَلِفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَأَمُّ إِنَّ النَّاسِ بِلَهَيْنَ ١٠٠ ﴾. كما يجلى من هذه القصة التي عرضت بسيدنا داود على قيمة القضاء وأهميته في حياة الناس.

مَا كَانَ لِنِّيِّ أَلَا يَكُونَ لَهُ أَسْرِي حَتَّى يُتَّخِنَ فِي الْأَرْضِ:

ترد هذه الكناية معرَّضة بالمسلمين على ما فعلوه في شأن أسبري معركمة بـدر، وذلك في قوله _ تعالى ... ﴿ مَا كَانَ لِنْهِيَ أَنْ يَكُونَ لَهُو أَسْرَىٰ حَقَّ يُشْوِفَ فِي الْأَرْضِ ثُويلُونَ عَرَضَ الدُّنِّيَا وَأَلْلَهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَكِيدٌ ﴾ (ا).

والإثخان هو كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقمل هليه الحركة. وأثخته المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة، يعني حتى يذل الكفــر ويضعفعه بإشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام ويقويه بالإستيلاء والقهر. ثم الأمسر بعــد ذلـك، ومعنى ﴿ مَا كَاكَ ﴾ ما صحّ له وما استقام، وكان هذا يوم بدر "(3.

فالاثخان بالمشركين في المعركة هو الذي كان يجلسب على المسلمين أن يفعلموه وذلك الإضعاف قوة المشركين وكسر شوكتهم وبخاصة أن معركة بدر هيي أول معركة مم المشركين، وأن المشركين كاتوا كثرة والمسلمين قلَّة، فكان ينبغي على المسلمين أن ينقصوا عدد المحاريين المشركين بالقتل والمبالغة فيه لا أن يأسروهم ويستبقوهم ويطلقوهم بالفدية كما حدث، فعرّض الله بالمسلمين على فعلتهم، وكشف عن دافع ذلك وسببه: ﴿ رَّبُّودُونَ عَرَّضَ الدُّنِّيا ﴾ ، اي:

⁽¹⁾ في ظلال القرآن: 7 / 97.

⁽²⁾ سورة الأتقال، الآبة: 67.

⁽³⁾ الكشاف: 2 / 184. وينظر: أساس البلاغة، ص 43 (ثنني).

حطامها، سعي بذلك لأنه حدث قليل اللبث، يريد الفداء ﴿ وَلَكُ يُرِيدُ ٱلْآيَوَدُورُ ۗ ﴾. يعني مسا هــو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالإشخان في القتل * (١٠).

وفي ذلك تقابل بين ﴿ مَرْصَ اللّهُ الْ الله وهـ وأخـل الأسرى واطلاقهـم بالفـداه وبين ثـواب
﴿ اللّهِدَوَّ ﴾ الذي يريده لله للمسلمين والذي يسبية الانتخان في قتل للشركين الذي فيه اعراز للمسلمين
ونصرهم، قال الزخشوي: ﴿ والله يريد عرض الآخرة على التقابل، يهني نوابها ﴿ وَاللّهُ مَرْيَدُ ﴾ يتلب اولياءه
على إعدالله ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً يطلق لهـم الفـداه، ولكنـه ﴿ حَيْكَةٌ ﴾ يوخو ذلك إلى أن
يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (٥٠٠ ومن شأن هذا التقابل أن يجلي ذلك المعنى الكبر الدلي يجب
أن يحرص عليه المؤمنون وهو أن يربدوا ما يربده الله لهم، وهو الباتي الذي لا ينفد ونيه عزهم
في الدنيا والآخرة، وأن يتجردوا من عرض الدنيا القابل الدي ينفد وفيه ذلّهـم إذ يشدهم إلى
الأرض ويؤخرهم عن الإنطلاق.

الثل بامرأة نوح وامرأة تُوط؛

⁽¹⁾ الكشاف: 2 / 185,

⁽²⁾ الصدر ناسه: 3 / 185.

⁽³⁾ الأيسات: 1 ... وعدا روي في أسباب الشزول: 'حضل وسدول الله ﷺ بمارية القبلية سديته، يست مفهدة فجاءت فرجنتها معه قتال بدا وسول الله في بيتي دون بيوت تسائك، قبال: فإنها علمي حرام أن أسها يا حفصة واكتمي هذا علي فخرجت حتى أثنت عائشة فاخيرتها فبانزل الله ﴿ يَكُلُّكُمُ النَّيِّيُّ لِدُ تَمْمُ ﴾ الآيات، ينظر: لبات النقول في أسباب النوال، من 445 -460.

⁽⁴⁾ يظر: الكشاف: 4 / 458.

فَخَانَتَاهُمُا فَلَرُ يُثْنِيَا عَنْهَا مِنَ أَقِهِ شَيْتًا وَفِيلَ آدَخُلَا النَّارَ مَمَ الْلَاخِلِينَ ﴿ وَمَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِيرَى ءَامَنُوا أَمْرَأَتَ فِرْعَوْرَى إِذْ قَالَتْ رَبِّ آيَنِ لِي عِندَكَ يَبْتُنَا فِي ٱلْجَنَّةِ وَيَجْنِ مِن فِرْعَوْتَ وَعَمَلِهِ وَجَحَن مِنَ ٱلْقَرِّمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ وَمُرَّمُ ٱلْهُنَ عِمْرُنَ ٱلْيَ أَحْمَنَتْ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَ الِيهِ مِن ثُوجِنَا وَمَلَّقَتْ بِكُلِمَاتِ رَبُّهَا وَكُتُهِمِ وَكَانَتُ مِنَ ٱلْقَيْنِينَ ﴾ (1). جاء في التفسير: "مشَّل الله الله الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إيقاء ولا محابات ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر، لأن عـداوتهم لهـم وكفـرهم بالله ورسوله قطم العلائق وبتَ الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيًّا من أنبياء الله، محال امرأة نوح وامرأة لوط: لما نافقتا وخانتا الرسولين ﴿ وَقِيلَ ﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة: ﴿ أَدَّخُلَا ٱلنَّادَ مَعَ ﴾ سائر ﴿ ٱلنَّاسِطِينَ ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لـوطر (٢)، ثم قـال في المثل الثاني: 'ومثّل حال المؤمنين _ في أن وصلة الكافرين لا تضرّهم ولا تنقيص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله _ بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله _ تعالى ، مع كونها أصدى أعداء الله الناطق بالكلمة العُظمي، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الـدنيا والآخـرة والاصطفاء على نساء العالمين، مم أن قومها كانوا كفّاراً "(أك. ففي طي هذين المثلين تعريض بالغ التأثير بأمّى المؤمنين (رضى الله عنهما) المذكورتين في أول السورة على ما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ يما كرهه، وفي هذا التعريض تحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه، وذلك لأن في النمثيل ذكر الكفِر ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مُثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَأَتَ ثُوجٍ وَإَمْرَأَتَ لُوطٍّ ﴾ على الرغم من أن قوله # ﴿ لِلَّذِيكَ كَفَرُوا ﴾ هو من لطائف التقييد، أي أن المقصد الأصلى هو ضرب المشل للذين كفروا وفي هذا احتراس من أن يُحمل التمثيل على المشابهة من جميع الوجوء (4). وفي المثل الثاني إشارة إلى أن تكونا في الانحلاص والكمال كمثل هـاتين المـومنتين: ﴿ أَمُرَأَتَ فِرْعَوْتَ ... وَمُرْتِمُ آبَنُتَ عِنْرُقَ ... ﴾ وأن لا تستكلا على أنهما زوجا رسول الله # فال

⁽¹⁾ الآبات: 10 ـ12.

⁽²⁾ الكشاف: 4/ 457.

⁽³⁾ المبدر نقسه: 4 / 458.

⁽⁴⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 28 / 374.



لا ينفعهما إلاّ مع كونهما مخلصتين، فهذه امرأة لوط أفشت عليه كما أنشت حفصة على رمسول اللهﷺ وامرأة نوح قالت لقومه: إنه بجنون، فكلاهما تظاهرتا على الرمسولين الكريمين بنقاقهما وإبطانهما الكفر فكانت عاقبتهما دخول النار مع الداخلين (١٠.

فالمثلان في ضوء ذلك يعدّان كناية تعريضية تلوّع بمعناها التعريضي من بعيد والذي يُفهم عن طريق الإنسارة المهذّبة التي تصون النفس الانسانية المخاطبة من الأذى ـ ويخاصة ـ وهي تعرّض بأمّي المؤمنين فتحفظ ضما مقامهما الكريم في بلوغ المُراد. وهذا من خمسانص التعريض في القرآن الكريم فهو من الأساليب البيانية بحسّمه الأدب القرآني، وتدعو إليه لنته المهذّبة، تقريماً للحُلق، وصيانة النفس من العبث والغيظ والآثارة المؤذية ⁽²⁾

يا أخمتَ هرون ما كان أبوك امرأ سَوْمٍ وما كانت أمُّك بنياً:

والمعنى الطّاهر القريب المائية: ﴿ يَكُلَّفَ هَنُرُونَ مَاكُانَ أَيُولِهِ آمُزاً سَوْو وَمَاكَانَتُ أَنُكِهِ بَدِيّا ﴾ ، كما جاء في التغسير: 'أي يا أحت الأخ السللح أو شبيهة الرجل الرجل الصالح المشهور.. والمراد بهارون أخ لما من أبيها، وكان صالحاً، وقيل: رجل صالح مشهور في بني اسرائيل. وقيل: المراد هارون أخو موسى عنه، والمراد بالأخت المشابه والمماثل في التقوى، ما كان أبوك أمراً صاحب سوء في الأحمال والأخلاق، وما كانت أمّل بنياً أي زائية. والأصل إذا كان زكيّاً فالغالب أن الغرع يكون كذلك، فمن أين لك هذا الولد؟ (هـ).

إلاً أن الآية يمكن عدّما كناية تعريضية تلرّح بمناهما البعيد الذي يقصده تومهما على سبيل التعريض بها، على الرغم عمّا تحمله الآية من معنى نبيل يقرّر طهارة السيدة مريم (عليها السلام) وصلاح سيرتها يعترف به قومها، ولكن يشمّ في الآية التعريض (بالزنا)، فهم لم يواجهوها صواحةً بالمعنى، وإنما عرضوا بذلك تعريضاً قوي التأثير وبالفه، وذلك من خلال نفي

ينظر: الكشاف: 4 / 458.

⁽²⁾ أمبول البيان المربي، ص 119.

⁽³⁾ سررة مريم، الآيتان: 27_28.

⁽⁴⁾ مواهب الرحم في تفسير القرآن: 5 / 321. وينظر: الكشاف: 3 / 11.

السبوء عن أبيها والبني عن أشها، وندائها بأنها أخت هارون المشهور عندهم بالصلاح، فــ فملاً عن الاستفهام الضمني المقهوم من السياق بعد النفي (من أيــن لــك هــــذا الولــــد؟) الــذي يفيــد (التعجب) التعجب من هذا الشيء الفريّ الذي جاءت به ولا يعرف مصدره. فمن خلال النفي والاستفهام يُمرِّد المنى التعريضي الذي أشاروا إليه وهـــو (الزنا) يتُهمــون بــه الفتاة الطاهرة النقـة.

أَفْحَسِيْتُم أَلَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبْثاً:

ويلمنح الأسلوب التعريضي البعيد إلى المكذبين بـالاخرة، وهـم المحجوبـون عـن التبـصّر بحكمة النشأة الأخرى، وذلك في قولـه ـ تعـالى ــ: ﴿ ٱلْمَكِيّبَتُنْمُ ٱلنَّمَا خَلَقَتَكُمُّ مَّبَـنًا وَٱلكُمُ إِلَيْهَا لَا وَيُرْمَسُونَ ﴾ (١).

والمعنى: ﴿ الْمَسْوَسَّةُ الْمُمَا عَلَقْتَكُمْ صَبِّنَا ﴾ أي: " حابثين، أي: ما خلقتاكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلى أحكمة انضت ذلك، وهي: أن تتجدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وتوك المعاسي، ثم نوجعكم من دار التكلف إلى دار الجزاء، فتثيب الحسن ونعاقب المسسيء والله المحكمة أن يكون معطوف على ﴿ أَلَّمَا خَلَقْتَكُمْ ﴾ ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ وَلَمَا خَلَقْتَكُمْ ﴾ ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ وَلَمَا خَلَقْتَكُمُ ﴾ ويجوز أن يكون معطوفاً على وَحَمَدُ أي للعبث، ولتركم غير مرجوعين في حسوب حسابها، ومقذر وقوعها، ومدئر غابتها، وما المبحث والنثور إلا حلقة في سلسلة النشأة، تبلغ بها كمالها، ويتم فيها تمامها، ولا ينكر الحياة الاخرى المخوومون عن حكمة الله الكبرى، المنجلية في صفحات الكون المبثوثة في أطواء الوجود فله الآية تعريض بهؤلاء على اغلظ وجه وأشذ، لإنكارهم الكون المبقية التي غفلوا عنها وحسوا أنهم لا يرجعون إلى الله ولا يعاسون على أعملها،

⁽¹⁾ سورة المؤمنون، الآية: 115.

⁽²⁾ الكشاف: 3 / 162. وينظر: صفوة التفاسير: 2 / 321_322.

⁽³⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 6 / 50.



ترد هذا العبارة على سبيل التعريض بسيدنا نـوح الله على لـسان الكـبراء مـن قومـه، وذلك في قوله _ تعالى ..: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلْوَّا ٱلْلِيَّا كَفَرُوا مِن فَهِيهِ مَا كُلَّا إِلَّا بَشَرٌ يَنْلُكُو بُرِيدُ أَن يَنْفَضَّ لَ مَلْكَتُّكُمْ مَّ عَدَّالُةُ لِأَنْ مَلِيكُمُ مَا شَيعَا بِمَالِقٍ مَرْكِا الْزَلِينَ } (١٠)

وهذه قولة الكبراء من القوم يطلقونها من هذه الزاوية الـضيَّقة ﴿ مَاكُلًّا إِلَّا بَشَّرُ يَتَّلُّمُ ﴾ واسلوب القصر بالنفي والاستثناء يؤكد تلك النظرة الضيّقة التي ينظرون منها، فهم ينظرون إلى شخص النبي بوصفه رجلاً لا يفتـرق عنهم بشيء بقصر (الموصوف: النبي الرسول) على (صفة: البشرية) فحسب، دونما نظر إلى ما يدعوهم إليه من دصوة كريمة عظيمة مجرّدة عمن الأشمخاص والذوات، فالرسول في نظرهم بشر مثلهم يريد أن يتفضّل عليهم ﴿ أَنْ يَنْفَضُّلُ طَيَّكُمْ كُم ، أي: "يطلب الفضل عليكم ويرأسكم" ⁽²⁾ وأنتم أنتم فلا تخلُّوه وشأنه ولا تهملوا أمره حتى يستفحل خطبه ﴿ وَلَوْ شَاتَهُ أَلَهُ ﴾ إرسال الرسول ﴿ لِأَوْلَ مَلْتِكُةٌ ﴾ أي رُسُلاً منهم ﴿ مَّاسَيِهَمَا بِهَدَا ﴾ أي بإرسال الرسول من البشر إلى البشر ﴿ مَامَالُهَا ٱلْأَوَّايِنَ ﴾ يدل على فرط جهلهم باحوال الأمم الماضية، فإن ارسال الرسل من البشر كان مشهوراً معهوداً معلوماً، وهلى قوة عنادهم بحيث أعماهم وجعلهم يعارضون ما علموا بوجوده "(٥) فهو الكذب والعناد والكابرة، وإلا فإن ارسال الرسل من البشر إلى البشر لا من الملائكة هو رحمة من الله ورهايته بالبشر، فيضلاً عن تكريمهم، فالنبي البشر هو من جنسهم وطبيعتهم يحسّ احساسهم ويشعر شعورهم، يالفهم ويألفونه.. فهو أقدر على إبلاغهم الرسالة بكل تكاليفها من غيره، كالملائكة، كما يقترحون، فالملافكة جنس من غير جنسهم، وطبيعة من غير طبيعتهم، فلا يـالفونهم ولا ينسجمون معهــم كالرسل من البشر، ولكنها المكابرة التي يتواري معنى آخر يفهم عبارتهم ﴿ مَاهَلَّا إِلَّا بَشُّرُّ مِنَاكُمُ ﴾ على سبيل التعريض ' بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلمها في أحـــد مــن البــشر لجعلمها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملأ ومُواز لهم في المنزلة، فما جعلـك أحـق مـنهم بهـا؟ '(4)،

⁽¹⁾ سورة المؤمنون، الآية: 24. وينظر: سورة هود، الآية: 27.

⁽²⁾ الكثاف: 3 / 144.

⁽³⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 6 / 24.

⁽⁴⁾ المثيل البسائر: 3 / 72. وينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القبرآن وعليم البيان، ص 134. وينظير: علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص 220.

ويقوي هذا المعنى التعريضي قولم: ﴿ رُبِدُانَّ رَبُنَعْلَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، بالنبوة التي هم احق بها منه كما يزعمون لأنهم يملكون الجاء والرياسة والمسال والقوة.. وهــو ذات المعنى الذي قـصــده كما يزعمون المناسول على عهد الرسول ﷺ يقولهم الذي حكاء القرآن الكريم ﴿ وَقَالُوا لَوَلَا لَيُلَا الْمُؤْرِدُ وَلَا الله القرآن الكريم ﴿ وَاللّه الله الله والتجارة والتجارة والتجارة والنهائة والتجارة وينظرون بلواتهم المعنية تلك النظرة الفيئة التي تحبب عنهم جوهر الرسالة وطبيعة التي تحبب عنهم جوهر الرسالة وطبيعة التي ولا لروا حقيقتها، وذواتهم الصغيرة الفشيلة تحبب عنهم جوهرها، وتعمي عليهم عنصرها، وتقعيم عامليهم عنصرها، وتقعيم عاليهم عنصرها، وتقميم عليهم عنصرها، وتعمي عليهم عنصرها، وتقدم عليهم عنصرها، وتقدم منظرة بي يفترق في شهرة عنه رجل منهم لا يفترق في شيء عنهم وينها، ويؤذأ القضية كلها في نظرهم قيضية رجل منهم لا يفترق في شيء عنهم، يُريد أن يضفيل عليهم، وأن يجعل لنفسه منزلة فوق منزلتهم " (6).

أولوا الأيدي والآبصار:

تتواضع الكتابة والتمريض في تركيب واحد، نلحظ ذلك في وصف الله الله البرائد: ابراهيم وإصحاق ويعقوب (عليهم السلام) بانهم: ﴿ أَتُولِ النَّهِيَى وَالْأَبْعَدَى ﴾ في قولسه تعالى ... ﴿ وَلَلَّمْ يَعْدَى وَالْأَبْعَدَى وَالْأَبْعَدَى وَالْأَبْعَدَى وَالْأَبْعَدَى وَالْأَبْعَدَى وَالْأَبْعَدِي ﴾ في قوله ـ تعالى ... ﴿ وَلَذَّ يَعْمَا إِلَيْهِي مُولِهُ مِنْ قوله ـ تعالى ... ﴿ وَلَيْ النَّهِيمَ وَالْمَاتِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَيْ عَلَيْهِ وَلَى عَلَم عَلَم اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَا كانت اكثر الأعمال تباشرة بالأيدي، وعلى ذلك ورد قوله ﴿ أَوْلِهِ النَّهِ وَلَيْهِ وَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَيْهِ وَلِي اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ وَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهِ عَلَى اللّهِ وَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهِ عَلَى اللّهُ وَلِي اللّهُ عَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلِي مَنْ عَمَالُ اللّهُ وَلَا مِنْ اللّهِ وَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهُ عَلَيْهُ وَلِي اللّهُ عَلَيْهِ وَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهُ وَلِي مُنْ عَمَالًا لِللّهُ وَلَا مِنْ اللّهُ وَلِي اللّهُ عَلَيْهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَى اللّهُ عَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِلْهُ عَلَيْهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا مَنْ العَمْلُ الْمَالِي وَالْمُعْلِقُ عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَيْهِ وَاللّهُ وَلِمُ اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَيْهِ وَعَلَى اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِلْهُ عَلَيْكُولُولُهُ وَلِلْهُ وَلِي اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَيْنِ مُولِكُ يَعْلَى اللّهُ اللّهُ وَلَا عَلَيْكُ وَلَا لَالْمُنْ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَا عَلَيْكُ وَلَا اللّهُ وَلِلْهُ الللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِلْلِهُ وَلِلْهُ اللّهُ وَلِلْهُ الللّهُ وَلِلْهُ الللّهُ وَلِلْهُ الل

سورة الزخرف، الآية: 31.

⁽²⁾ في ظلال القرآن: 6 / 24.

⁽³⁾ سورة من الآية: 45.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 76_77.



فهو المعنى الشامل للعمل الصالح المستقر في النفس مشاعر وأنكاراً ومن ثـم يتجـسـد في الواقــع ح كةُ وينـاءاً، ويذلك يكون مظهراً من مظاهر القوة والبناء، كما تلمح الكناية إلى ذلك بالأيـدي والأبصار، لذلك بجعلها القرآن نعمة تستحق الذكر الحسن والثواب الكريم.

ومن جانب آخر يمكن عدّ التعبير ﴿ أَوْلِي ٱلْأَيْدِي وَالْأَبْصَدِي ﴾ كناية تعريضية تلـوّح بمعناهــا التعريضي من بعيد، فضلاً عن معناها الظاهر المعلوم. المعنى البعيد تعريض بالذي لا يعمل صالحًا فهو كالذي لا يد له، وبالذي لا يفكر تفكيراً سليماً صائباً فهو كالذي لا عقل له ولا نظر (أ) فهو أحمر القلب والبصيرة لا يتفكر ولا يتدبر لأنه يفتقـد الإيمـان بـالله الـذي يبعـث قـوى النفس على التبصر الذي يوجهه إلى العمل الصالح، وفي ذلك تقابل ضمني بين الإيمان بوصفه مَعْلَماً من معالم القوة والبناء، وبين الكفر الذي هو ضعف وانحلال وفساد للانسان والحياة.

واللهين إذا ذكروا بآيات ربَّهُم لَمْ يَخْرُوا عليها صُمَّا وعُمْياناً:

يَقدم القرآن أتموذجاً من الذين لا يسمعون سماع الهُــدي والإيمـان ولا يُسصرون بـصو الهداية على سبيل التعريض، بهذه الآية التي يسجل بها سمة من سمات عبد الرحن اللهي إذا ذكروا بآيات ربهم حرصوا على استماعها بـآذان واهية وعيـون راهيـة: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِنَّا نُكُورُواْ بِعَالِكتِ دَيْهِ مِدْ لَرَ هَعِرُوا مَلَيْهِا مَسُمًّا وَمُعْبَاتًا ﴾ (٥٠

فهذه سمة من سمات عباد الرحن التي ذكرها السياق (3) فهم يتلقُّون آيات الله بالفهم والاعتبار، فيخرُّون لله من غير صمم وحمى، قبال الزخمشري ﴿ لَرَّ يَغِرُّواْ عَلَيْهَا ﴾ ليس بنفي للخرور، وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمي،والمعنى: أنهم إذا ذكَّروا يهما أكبوا عليهما حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكّر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راهية، لا كالذين يذكّرون بها فتراهم مكيين عليها مقبلين على من يـذكر بهـا، مظهرين الحرص الشديد على استماعهم، وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم ° ^{(4).}

بنظر: في ظلال القرآن: 7 / 103.

⁽²⁾ سورة الفرقان: 73.

⁽³⁾ ينظر: الآيات: 63 _74.

⁽⁴⁾ الكشاف: 3 / 233.

وثعد الآية كناية تعريضية تتجاوز معناها الظاهر المعلوم إلى ما تلوح به من معنى تعريفي يستهدف المشركين الليين ينكبون على آلهتهم وأباطيلهم دون إدراك أو تفكير، فهم مم وعميان لا يسمعون ولا يبصرون، وإثما يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس (10 وي الكناية التعريفية تعبوير طركة الإنكباب على الرجبه بلا سمع ولا بصر حركة تشير إلى معناها، ويتمثل في الجهل والتعصب الأعمى لما ينكبون عليه على خلاف عباد الرحن اللين يدركون أوراكا واعياً بصيراً الا تعصباً أعمى ولا إنعاباً على الكين يدركون الكياباً على الكياب المعنى ولا يتعاباً ملى الموجود وإنما يؤمنون إيمان العارف المدرك أومن خلال الكناية التعريضية انكباباً على المبدير (20 ومن خلال الكناية التعريضية يتعابل المفريقان على سبيل التضاد ليتجلّى حال الفريقان المشركين والمؤمنين، فيتعمق المعنى في صورتهم الوضيئة: إيماناً وإدراكاً ومعرفة. ويين حال المشركين في صورتهم الوضيئة: إيماناً وإدراكاً ومعرفة. ويين حال المشركين في صورتهم الوضيئة: إيماناً وإدراكاً ومعرفة.

رما هي من الظالمين بيعيد:

وهي صورة مروّعة من العذاب. والمروي في التفسير 'أن جبريل هدو قلم المدائن بيده بالقدرة المودعة له، في صورة بركان هزّ المدائن وقلمها من محلها وطيّرها إلى ارتفاع بقدر ما شاء الله، فقلبها من فـوق وحطها في محلها فكان ما كان '⁽⁴⁾ وفوق هـذا العذاب المروّع الأليم أمطر لله حليهم حجارة من سجيل منضود، وذلك زيادةً في تفظيم حالهم ⁽³⁾ وتفقير شأتهم:

ينظر: سورة النجم، الآية: 23.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال التران: 6 / 186_187.

 ⁽³⁾ سبورة هبوده الایشان: 42، 83. سبجیل: حجبارة من طبین. ومسیومة: معلمة. ینظم: تقسیر الجلالین، ص 303.

⁽⁴⁾ مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 4/ 324. وينظر: الكشاف: 2/ 325.

⁽⁵⁾ ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 4 / 324.

﴿ وَمَا هِى مِنَ الطَّلَطِيمِ كَ مِتِيدٍ ﴾ قبل: الضمير للقرى، أي هي قريبة من ظالمي مكة هَرُون بها في مسايرهم چث چبشيء بعيد ''' فهي قريبة في مشهدهما الذي يحكي العذاب الأليم الذي حلّ بقوم لوط، وفي عذابهم آيات للمعتبرين الذين يُخافون العذاب الأليم كما قال ـ تعلل ـ في موضع آخر تعقيباً على مصرع قوم لموط: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ثَايَتِ الشَّرَيَّينِ ﴿ وَإِنَّى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

ويُفهم التعبير القرآني: ﴿ وَمَا هِنَ وَالطَّلِيدِينَ يَعِيدٍ ﴾ على أنه كناية تمريفية تلوّح بمناها التعريفي الذي يستهدف الظالمين ويتوعّدهم ويهدّدهم بعذاب أليم بنيس كمذاب قوم لوط، نكلاهما ظالم يستحق العذاب، وسنة الله لا تحابي احداً، فهي سنة لا تتبدّل ولا تنغيّر تعمل عملها في حركة الناريخ (أ) الانساني، وإن اختلف نوع العذاب وشكله الذي يحلّ بالظالمين.

وَكَأَيُّنْ مِنْ نَبِيٌّ قَتَلَ مَعَةً ربَّيونَ كَثيرٌ لِمَا وَهِنُوا لِمَا أَصَابِهِم..:

يعرض القرآن بالمسلمين المقاتلين في معركة أخذ بما اصابهم من الموهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله \$ وينضعهم في مجاهدة المشركين، وذلك في قول. تعالى ين وكاني تعدل من وكاني تعدل من وكاني تعدل من وكاني تعدل من وكاني المنظمة وكاني المنظمة وكاني المنظمة وكاني المنظمة وكاني المنظمة وكاني المنظمة المنظم

والمعنى الظاهر للآية كما جاء في التقسير: "وكثير من نبيّ قاتل وجاهد و حارب الكفار معه ربيّون أي أناس علماء زهاد أنشياء منسوبون إلى رئيسم نسبة الاختصاص والإخلاص، أو قاتل معه جمع كثير من أثباعه، وأصبيوا في سبيل ألله بجراحات ومصائب من قتل الآباء والأولاد والحواشي وانتهاب الأموال ﴿ فَمَا كَوْشُولُ إِنَّا لَهَمَامُ عَلَيْكُ اللَّهَ عَمَالُولًا ﴾ وما حصل لهم الفتور في الجهاد ﴿ وَمَا تَشَكَّا فَلَا ﴾ وما خضموا لهم، والله أحبهم كانه ماناية العدو ﴿ وَمَا أَسَتَكَافًا ﴾ وما خضموا لهم، والله أحبهم كانها صابرين على الآذي في سبيل الله ﴿ وَلَقَدَ يُجِنُّ الشّيدِينَ ﴾ (أو).

⁽¹⁾ الكشاف: 2 / 325.

⁽²⁾ صورة الحجر، الآيات: 75، 77. وينظر: صورة اللماريات، الآية: 37.

⁽³⁾ ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، د. حماد الدين خليل، ص 275.

⁽⁴⁾ سورة آل عمران، الآيات: 146_148.

⁽⁵⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 2 / 270 ـ 271. وينظر: الكشاف: 1 / 469.

غير أن الآية الكرية: ﴿ وَتَلْقِي مِن تُجِيقُ فَتَنَكَ مَمُهُ رِبَيْقِينَ كَيْشُهُ فَلَ وَهَنُوا إِمَنَا أَصَابَهُمْ فِي سَيِيلِ
اللهُ وَمَا هَمُشُوا وَمَا أَسْتَكَافُوا وَ الْقَدَيْرِينَ ﴾ تُفهم على أنها كناية تعريضية تنطوي على معنى
يعرض بالمنهزمين من أرض المعركة في أحد بسبب الشعف اللهي أصابهم في مجاهدة المشركين
وانكسارهم واستكانتهم للمنافقين المرجفين بقتل رسول الله ﷺ والما الإغشوم عند ذلك صن
هما أصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله ﷺ ويضعفهم عند ذلك صن
عجاهدة المشركين واستكانتهم لهم أولاً والتعمريض بالمسلمين المنهومين الذي يدين ضعفهم
واستكانتهم ذو بعد تربوي نفسي يهدف إلى بناه تلك النفوس الضعيفة الإيمان من خلال كشف
ضعفها لتتجاوزه، فما يبغي للنفوس المومنة المتصلة بالله أن تضعف وتستكين في مجاهدة
ضعفها لتجاوزه، والله مو الومرة وهو خير الناصوين.

وَإِنَّا أَنَّ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَنَّ فِي ضَلَالٍ مُبِينٌ:

تردَ مله اَلكنايه العريضية في قول - تُعالى - ﴿ قُلُ مَن يَزَقُكُمْ مِنَ السَّمَوَتِ وَالأَثْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا الْوَلِيمَاكُمْ النَّهُ مُدَّى لَوْ فِ صَلَال شِّيمِ ﴾ (٥)

ثمة نلحظ الآية تأمر الرسول # بتوجيه سؤال إلى المشركين ﴿ مَن يَرَفَّكُمُ ﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله. وفي توجيه السؤال من الرسول # شم الاجابة عنه بدلاً من المشركين 'إشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوأ أل يتكلموا به، لأن الذي تمكّن في صدورهم من العناد وحبّ الشرك قد الجم أفراههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته، ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم: لزمهم أن يقال لهم: فما بالكم لا تعبدون من

⁽¹⁾ الكشاف: 1 / 469.

⁽²⁾ الكشاف: 1 / 469.

⁽³⁾ سورة سبا، الآية: 24.



يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الوزق (١)، وفي ذلك تبكيت للمـشركين وإلـزام بالحجـة الواضحة التي لا تحتاج إلى البيان.

ومن ثم تأتي الكناية التعريضية بعد الزامهم بالحجة وإلجامهم بها ﴿ وَإِنَّا ۚ أَوْ إِيَّاكُمُ لَمَكُ هُدِّي أَوْ فِي صَلَالِي شِّيرِتٍ ﴾ والمعنى: " وإن أحمد الفريقين من المذين يوحمدون المرازق من السموات والأرض بالعيادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة، لعلى احد الأمرين من الهدى والضلال ^{«20.} وليس في العبارة القرآنية إبهام بعدمـا ألزمهم الحجـة الـغي تقـرّ بها قلوبهم، وبعدما قلم من التقرير البليغ بما فيه من دلالة واضحة على مـن هــو مــن الفــريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكنه "التعريض أفضل بالجادل إلى الغـرض، وإهـجـم بــه على الغلبة، مع قلَّة شغب الخصم وفلَّ شوكته بالهوينا. ونحموه قـول الرجــل لــصاحبه: عَلِــمَ اللهُ الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب "(3) فالكناية التعريضية تهدف إلى تبكيتهم وتسفيه ما يعبدون بالأسلوب الهـادئ الذي يأخذ بمناقهم، وإلاّ فإنّ الهدى واضح بيِّن، وصاحبه على الحق مستعل والضلال واضح بيّن، وصاحبه كأنه منغمس في ظلام، كما صوّر ذلك الحرفـــان، 'طلمي وفي ﴿ لَمَنْنَ هُدَّى أَدَّ فِي صَلَالِ شِّيتِ ﴾ ' لأن صاحب الحق كأنه مستملٍ على فرس جواد يركـضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يلري أيـن يتوجـه (4) ففي الحرفين اخراج للمعنى في صورة تشخيصية حيوية مؤثرة تمنحنا دلالة مصورة، نرى فيها الرسول # والمؤمنين على الهداية، في حين إنَّ المشركين الجادلين في الضلال، وفي ذلك تقريب معنى الحيَّم وأصحابه، وتقريب معنى الكفر والشرك وأصحابه، فصاحب الحق لظهور حجته وقوة إماله وتمكنه من دينه كأنه مستعل ظهر جواد يهديه كيف يشاء،و(على) دالة على الاستعلاء موحية بهذا المعنى، أما أصحاب الباطل المعرّض بهم،فهم لـشركهم وكفرهم ومكابرتهم كمانهم

الكشاف: 3 / 458.

⁽²⁾ المبدر تقسه: 3 / 458_459.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 459.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه: 3 / 459. وينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص. 98.

منغمسون في ظلمة ليس فيها بصيص من نسور، و (في) الدالة على الظرفية تسدل على هذا الانغماس في ظلمات الضلال (1).

وَمَالِيَ لَا أَعَبُّدُ الذِّي فَطَرَنَى وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ:

وقوله _ تعلل _: ﴿ وَمَا لِي لَا آَجُنَدُ الَّذِي فَلَرَفِي وَالْتِهِ ثُرَّحَمُونَ ﴾ ينطوي على معنى تعريضي (4) فيضلاً عمّا قسوره من معنى قريب، فهو تعريض بقوصه، والمراد: ومنا لكم

 ⁽¹⁾ ينظر: الكشفاف: 3 / 939. والبرهان في علموم القرآن: 2 / 303. وينظر: نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بالاغياء هادي عطية مطر الهلالي، ص 168.

 ^(*) هـ وحبيب بـن اصرائيل التجار (صاحب يـس)، ينظر: الكشاف: 4 / 7. وتفسير الجلالين،
 ص 583.

⁽²⁾ سورة بس، الآيات: 20_25.

⁽³⁾ مراهب الرحن في تقسير القرآن: 6 / 434_433.

⁽⁴⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313. والاتقان في علوم القرآن: 3 / 148.

لا تعبدون اللي فطركم (١١) ولولا التعريض لكان المناسب أن يُقال: الذي فطرني وإليه أرجم (٢٥) فهـو يعرض بقومه وبما يعبدون من دون الله وبما يقوى التعريض ويجليّه قوله بعـد ذلـك، فقـد سـاقه ذلك المساق: ﴿ مَأَيُّخِذُ مِن دُونِهِ عَالِهِكُ ﴾ ، والمراد: أنتخذون من دونه آلهـة "(1) إلى أن قـال: ﴿ ءَامَنتُ بِرَبِيكُمْ فَأَسْمَعُونِ ﴾ دون (ربي) و (فاسمَعوه) (A).

وبذلك يتجلَّى المعنى التعريضي بهم وبآلمتهم، ينال منهم بطريق خفي إذ يسفُّه ما هم فيه حال كونهم ضاأين عن الصراط المستقيم لا مَعْدَل عنه، فهم يعبدون من لا تصح لـ العبادة، لأنهم عطِّلوا عقولهم وقلوبهم، فيعبدون مالا ينضرّ ولا ينفع، ولا تغسن شفاعتهم شيئاً، ولم يكنوا من أن يكونوا شفعاء عن الله، ولم يقدروا على انقاذهم، فهم في عبادتهم في ضلال بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز (5) فالتعريض يكشف عن حالهم بعمق، وينال منهم بهذه الطريقة التعريفية اللطيفة، إذ سلك المتكلم كلامه في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطُّف بهم ويداريهم، فهو يتضمن اعلامهم على صورة لا تقتضي مواجهتهم بالخطباب النَّكِر، وكانه لم يَعْنِهم، وبذلك يكون المعنى أدمى للتأثير في انفسهم والقبول له، فبضلاً عن أن هذا التعريض يدل على محاسن أخلاق المتكلم وتواضعه حيث لا يُريد لهم إلاَّ صا يربـد لنفـــه.. وفي ذلك تعليم في الخطاب للذين يعقلون ^{(6).}

ينظر: الكشاف: 4 / 8. والبرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 4/8. والبرهان في علوم القرآن: 2/ 313.

⁽³⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

⁽⁴⁾ ينظر: المبدر نفسه والكان نفسه.

⁽⁵⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 8.

 ⁽⁶⁾ ينظر: الكشاف: 4/8. والبرهان في طبوم القرآن: 2/ 313. والانقان في طبوم القرآن: .148 / 3

لا تُستَلُّونَ هَمَّا أَجْرَمْنَا ولا تُسأَلُ عمَّا أَجِرمُنا:

ويفهم التعريض بالكافرين من هذه الآية كالآية السابقة (١) وهي قوله .. تعالى .. ﴿ قُل لَّا تُشَكُّلُونَ عَمَّا أَجْرَفُنَا وَلَا نُشَكُّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (4)

فلولا القصد بالآية التعريض بحال الكافرين وما هم عليه من إجرام في أحمالهم مــن كفــر ومعاص، لكان حق الحال من حيث الظاهر أن يُقال: (لا تسئلون عمّا عملنا ولا نسأل عمّاً تجرمون) (3) ولمكنه أسند (الإجرام) إلى المتكلم، والعمل إلى المخاطبين، على سبيل التعريض بهم، فيكون التعريض أدخل في الإنصاف وأبلغ "(^{4)،} لأنه يحقق المقصود على سبيل التلطُّ ف (⁵⁾ بهم، وهمو التأثير في أنفسهم لقبول ما تهدف إليه الآية في استدراجهم إلى الإذعبان والتسليم، فالتعريض يكشف عن حالهم وما هم فيه من إجرام وتنكّب عن الصراط المستقيم، وينال منهم في صورة خفية لطيفة، فضلاً عمّا يدل عليه من محاسن أخلاق المتكلم في الدعوة والخطاب وهــو يواجه النفوس الجرمة للكفسر والمعاصي والآثام فيتلطف معها همذا التلطف لعلمها تشاثر وتستجيب لما يدعوهم إليه من خير، فتقلع عمّا هي فيه من إجرام وآشام.

لَوْ ٱلرَّالَنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبُلُ لَرَأَيْتَهُ خَاشِهاً مُتُصَدِعاً مِنْ خَشِيَّةِ الله:

ورد هذا التعبير في المثل القرآني، وهو قوله ـ تعالى ــَــ ﴿ لَوَ أَنْزِنَا هَذَا ٱلقُّرْمَانَ عَلَىٰ جَبَــلِ لَّرَأَيْتَكُ عَيْمًا تُتَمَد لِمَا يَنْ خَشْرَةِ اللَّهُ رَمَاكَ الأَكْتَالُ نَشْرِيُّهَا النَّاسِ لَمَلَّهُمْ يَنْفَكُّرُوكَ ﴾ (٥٠٠

وبنية هذا المثل القرآني قائمة على التصوير الجازي في نسبة الخشوع والتصدع والخشية إلى الجبل الأصم، وليس من شأن الجبل أن يخشع ولا أن يخشى والخشوع والخشية، كلاهما من أفعال القلوب التي لا تصدر عن جماد، إلا أن يكون ذاك من صنع البيان إذ يبث الحياة في الصخر الأصم "(أ) والمعنى" أن الجبل لو كان عما يعي القرآن، ويعرف البيان، لخشع في سماعه،

⁽¹⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

⁽²⁾ سورة سبأ، الآية: 25.

⁽³⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

⁽⁵⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

⁽⁴⁾ الكثاف: 3 / 459. (6) سورة الحشر، الآية: 21.

⁽⁷⁾ الاحجــاز البيــاني للقــران ومـــائل ابــن الأزرق، ص 209. وينظــر: الــصورة الفنيــة في المـــل القرآنــي، ص 160.



ولتصدع من عظم شأنه على غلظ اجرامه، وخشونة أكنافه، فالانسان أخف بذلك منه، إذ كان واعبًا لقوارعه، وعلمًا بمصوادعه ((أ) وفي ذلك بيان منزلة القرآن وعظمته، وشدة تأثيره في النفس (2).

غير أن هذا التعبير القرآني يمكن عنّه كناية تعريضية بالانسان الذي لا يخشى ولا يخشع، وقد كشف الزخمشري عن معناها بقوله: "والفرض توبيخ الانسان على قســـوة قلبه وقلة تخسشعه عند تلاوة القرآن وتذبّر قوارمه وزواجره "^(ن).

فإذا كان الجبل الأصم يخسم ويتصدّع من عسشية الله، فمن باب أولى أن يخسفي هذا الانسان ويخشم وهو المعني بالحطاب، وبذلك تتجلى الدلالة النفسية التي يهدف القرآن إلى إحداثها في الانسان المؤمن بخاصة وهو يتلقى آيات القرآن بالشدير والتفكر فيتاثر ويستجيب خاشياً من الله خاشماً له.

ضَرَّبُ المَّالِ بِالقريةِ الأمنةِ المطمئة:

يمكن أن يحدّ هـلما للشل القرآني كسابقه كتابة تعريضية، وهــو قــول _ تعـالى ــ: ﴿ وَمَدَنِ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَسَاتَتُ مَايِسَةً لَطَّـمَيْتَةً يَأْتِيهَا رِزَقُهَا رِزَقُهَا رِزَقُهَا اللهُ فَأَدْفَهَا اللهُ لِمَاسَ اللَّجُوعِ وَالْخَرْفِ بِمَا كَانْوَا يَشَمَنُونَ ﴾ 40.

والمثل القرآني يجسد العلماب في صورة شيح مفزع غيف ملفاق، إذ تحول الجوع والخوف وهما معنويان إلى صورة حسية على شكل لباس يفشى اصل القريمة بالاستعارة التصريمية ﴿ فَهَا مَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الاستعارة منه قوله: 'وإنما قال - سبحانه في اللّه عَلَيْهُ اللّهُ الاستعارة منه قوله: 'وإنما قال - سبحانه خرابات اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَي

⁽¹⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 330. وينظر: مواهب الرحمن تفسير القرآن: 7/ 305.

⁽²⁾ ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآتي، ص 322، 324.

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 406.

⁽⁴⁾ سورة النحل، الآية: 112.

⁽⁵⁾ تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 197.



وقد أكد الزخشري هذا بقوله: "وأما اللباس نقد شبّه به الاشتماله على اللابس: كما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما ايقاع الافاقة على لباس الجوع والحوف، فلأنه لمّا وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويلابس، فكأنه قبل: فأذاته ما غشيهم من الجوع والحوف (⁽¹⁾ ففي المشل ^{*} تتداخل استجابات الحواس فتضاعف حس الجوع والحوف غمم ولذهه وتأثيره وتغلفله في النفوس ⁽²⁾ واستجابات الحواس تتمثل في استعارة (اللوق) إذ تعمق درجة الاحساس ووطأة العلماب الذي عانته هذه القرية ' لأنه كما يجد اللذائق موارة الشيء فهم في الاستمرار كتلك الخلة في المذاقة (⁽²⁾

وهذا العذاب الأليم الذي يغشى أهل القرية ويلابسهم كما جسده التصوير الاستعاري في المثل الفرآني يكن أن يُقهم على أنه كناية تعريضية تستهدف في معناها التعريضي البعيد أهل مكة وما يصبيهم من العداب الأليم، إذا هي كفرت بالله وأنعمه شائها شأن الأسم السابقة، فضرب الله مثلاً على سبيل التعريض بحكة إنذاراً من مثل عاقبتها (⁽¹⁾⁾ بل يحكن أن يُقهم المثل القرآئي على أبد كناية تعريضية شاملة في معناها تشمل مكة وأهلها، فضلاً عن كل قرية أنعم الله فكفرت بالله والبطرة المناهجة في كل زمان ومكان، ويذلك يبقى المثل القرآئي يشع يمعناه التعريضي مشيرة بالتعريض عن تكفر بالله وأنعمه.

ومن خلال ما استعرضنا من الكتابيات التعريضية يتين أن لها سسمات فنية فهي تمتاز بالإبجاز في التعيير عن المعاني التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها أولاً، ثم تصل إلى الغرض أو المعنى البعيد الذي ترمي إليه عن طريق الفهوم من السياق وقرائن الأحوال من غير أن تدكر الطرف المقابل المعرض به، لذا تُعدّ من الأساليب البيانية التي تفيض بالأدب القرآني بما تحتيه لفته المهانية تقويماً للمثلق، وصيانة للنفس الانسانية من العبث والفيظ والإثارة المؤذبة، ولذلك - أيضاً - يكون وقع المعنى مؤثراً وأقدر على احداث الاستجابة النفسية المتاسبة التي يُقصد القرآن إلى احداثها في النفس الانسانية المنلقية.

⁽¹⁾ الكشاف: 2 / 498.

⁽²⁾ في ظلال القرآن: 5 / 288.

⁽³⁾ النكت في إصجاز القرآن، ص 90.

 ⁽⁴⁾ ينظر: الكسفاف: 2 / 497. وينظر: تفسير الجلالسين، ص 367. وينظر: السمورة الفنية في الشل
 القرآئي، ص 263.

الفصل الثامن

كنايات عن يوم القيامة





الفصل الثامن

كنايات عن يوم القيامة

تتعدد الكتابات في القرآن الكريم عن يوم القيامة ويوم القيامة - كما يصفه القرآن ـ هـو ذلك اليوم الذي يحدث فيه الانقـلاب الكوني العظيم (أ) وبمـا يجلّـي شـدة أهـوال ذلك اليـوم وتأثيره في الناس قوله ـ تعالى ــ ﴿ يُكَافِّينًا النَّشُ اتَشَقُوا رَبِّكُمُ إِنِّكَ زَارَتُهُ النَّكَامُو مَن مُ مَظِيمٌ ﴿ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ مَنْكُمُ مُنْقِدً مُنَاقًا أَوْمَنَكُمُ وَمَنْتُمُ حُكُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ خَلَهَا وَيَزِي الْكَاسُ شَكَارِينًا وَمَا شُم يشكَدُونَ وَلَذِينَ عَلَابَ اللهِ شَارِيدٌ ﴾ (⁽³⁾

ويستخدم القرآن في التعبير من ذلك اليوم المظيم الفاظ كتاتية متعددة، كل لفنظ يجلي صغة من صفاته وأهواله، وكلها تشير إلى: انفراط عقد حماء الكون للنظور، واختلال روابطه وضوابطه التي تحسك به في هذا النظام البديع المدقيق، وتناشر اجزائه بعد انفلاتها من قيد الناموس ((أ) الذي يضبطها بقدرة الله وإرادته، كما أن تمدّد هذه الكتايات وتجمعها على صحيد واحد يقرّب إلى الأذهان والقلوب على غو من التوكيد أهرال ذلك اليوم والمسلمة ته على الكون والحياة والانسان فيتحدث الاستجابة النفسية التي يهدف إليها القرآن اذ لللاحظ أن هذه الكتايات قد جاءت في سور مكية التي من أبرز أهدافها تأسيس أصول المذين الكبرى فمي القلوب والنفوس ((أ) وهي: توحيد الله الله في الوهيته وربوبيته للكون والخلاق جيماً، وفي مقدمتها: الانسان الذي كرّمه الله آيما تكريم وفضائه على كثير عن خلق تفصيلا ((أ)

 ⁽¹⁾ ينظر مبتلاً: مسورة الكحوير، الآية: 11، ومسورة الانقطار، الآيات: 1 ... 4، ومسورة الالشفاق،
 الآيات: 1... ومورة المرسلات، الآيات: 8... 11.

 ⁽²⁾ سورة الحج، الأيتان: 1 ـ 2.
 (3) في ظلال القرآن: 8 / 253.

 ⁽⁴⁾ يتظرر: صمفوة التفاسير: 3/ 414، وينظر: الضمير البيائي القرآن الكريم، د. عادشة عبد الرحن:

⁽⁵⁾ ينظر: سورة الإسراء، الآية: 70.

في وقعهما يعملان على قرع القلوب بحقائقها التي تؤديها ⁽¹⁾ منها هذه الكنايات التي ترد ـ ملى الأحم الأخلب ـ في مطالع هـذه الــــور فتلفـت الانتباه لفتــاً قويــاً في تلقــي للعــاني والأصــول الكبرى للدين الحنيف .

وعًا يتُصل بهذه الكنايات عن يوم القيامة كنايات أخرى تتمثّق بمشاهد الناجين والمدلّيين في ذلك اليوم المشهود. مشهد الناجين وهم أصحاب اليمين الذين يُؤثون كتبهم باليمين، ومشهد المملّيين وهم أصحاب الشمال الذين يُؤثون كتبهم بالشمال أو من وراء الظهر. وإيتاء الكتاب باليمين للناجين الفاتوين، وإيتاء الكتاب بالشمال أو من وراء الظهر للمملّيين الحاسرين هي كتايات تشير إلى المعنى المُكنى عنه الذي يقصده الترآن الكريم، وسنحاول عرضها بعد عرض الكتايات عن يوم القيامة كلَّ على حدة بالتحليل الذي يكشف عن المعنى الذي ينطوي وراءها ما استطما لل، ذلك سسادً.

الواقمة:

تأتي الواقعة كناية عن يوم القيامة في موطنين من القرآن الكويم في قوله .. تعمالى .. ﴿ إِذَا وَهَمَّتِ اللَّهِيَّةُ ۚ هِ قَسَىٰ مِنْقَبِهُمَا كَايَةً ۚ هَا خَلِيفَةً وَلِيهَةً هَ إِذَا صُتَّى اللَّوْتُنُ فَكَانَتُ مِنْكَ مُلِنَّاً هُوَ رُقُطُمُ آوَرُكِنَا تُلْكَنَّةً ﴾ (⁶⁰ رجاءت في قوله .. تعمل .. أيضاً: ﴿ إِذَا فَيَهَنِي الشَّهِرِ تَنَمَّدُ رَبِيدًا ﴿ وَعُلِي اللَّحِنُ وَلَهُا لَمُثَكِّلًا وَعَدَى وَعَدَى اللَّهِيْثُ ﴾ (60 رجاءت في قوله .. تعمل .. أيضاً: ﴿ إِذَا فَيَهَا فِي الشَّهِرِ تَنَمَّةً

﴿ وَتَسَتِ الْمَالِقِمَةُ ﴾ المراد: القيامة، وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة لأي: إذا وقعت التي لا بُذ من وقوعها، ووقوع الأمر نزوله 40.

وقد حدل عن التصويع بلفظ ﴿ الْفِيْكُ ﴾ إلى الكنابية صنه بلفظ ﴿ الْوَلَيْمَةُ ﴾ لا لائبات معناها للقيامة حسب، وإنما لاثبات الشاهد والدليل، وهو أنها ستقع لا محالة، وحتمية وقوعها يشهد بها العقل الانساني في دراساته العلمية والفلكية التي تؤكد سير العمالم إلى نهاية عمومة. وسيرتب على هذا الوقوع مشاهد محسوسة للفائزين بالجنة والخاصرين الذين يُساقون إلى جهشم

 ⁽¹⁾ ينظر: النصبير الفسني في القسرآن، يكسري فسيخ أسين، ص 252. وينظس: النفسير البيساني للقسرآن
 الكويم: 1 / 79.

⁽²⁾ سورة الواقعة، الآيات: 1-7.

⁽³⁾ سورة الحاقة، الأيات: 13، 15.

⁽⁴⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 362.

إن لتعبير عن القيامة بالكتابية ﴿ الرَّائِيَّةُ ﴾ تقبل فكرة البحث والنشور من دائرة الجليل إلى المسلمات (أ) وفهي ستقع وقمةً صادقةً ليس لها رجعة ولا ارتداد (2) في صورة كلها تهويه المسلمات (أ) وفهي ستقع وقمةً صادقةً ليس لها رجعة ولا ارتداد (2) في صورة كلها تهويه وتفخيم المثانها والتهويل والتهويل والتفخيم لمعناها إذ يترك لحيال التلقي ونفسه أن يذهبا في تخيله ووقعير ونفسه وكأنه حجواب إذا الحفي لد الحيط بوصفة الإلفاظ والمبارات أو ليس لها طاقة تمبيرية عما سيحدث ويقع (6) فضلاً عن أن لفيظ الكتابية ﴿ الرَّائِقَةُ ﴾ في حدد ذاته يفيد المحموم والشمول والشدة والمبالغة في إثبات المدى وصورته، وذلك لأن لفيظ الكتابية من الأسماء التي ختمت بناه التأثيث فانتقلت من الوصفية إلى الأسمية، لمنا كانت اغلب اسماء الحسر مؤثثة كالقارعة والحاقة والطأسة والمحانة لها فيها من العصوم والشمول والشلدة والتعريف في ﴿ الرَّائِينَةُ ﴾ تعريف الجنس لتميزها من بين الأجنساس لأن في استحضاره زيادة تهويل لأنه حقيق بالتغير (4)

وما ذكر من أحداث وأهوال من ربح الأرض، وبس الجبال وجعلها هباء منبئاً هـو بمثابـة مقدمة مروّعة سيكون فيها، فهو التهويل والتفخيم لشأنها، فضلاً عن أن الجرس الموسيقي للفـظ الكنائي ﴿ الْوَائِشَةُ ﴾ يتناسب مع سياق التهويل والتفخيم ويــلنا عليـه، فــــــــــــ ﴿ الْوَائِشَةُ ﴾ يمناهـا وبجرس اللفظ ذاته، بما فيه من مدّ ثم سكون يتوسطهما حوف القاف من حووف الحلت المموفـة

⁽¹⁾ ينظر: مسورة الواقعة ومنهجها في المقاشد، عصود عصد غريب، ص 27. ولزيد من الضحيل في توضيع الأولة المقلق والإخداعية التي تدلل على حديثة وقوع الواقعة. انظر الصفحات: 17 وما يعدها من المرجم نقسه.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 363.

حلف جدواب إذا في القرآن يشكل ظاهرة بالافية ملموظة في سياق يوم القيامة وهمي تحقق إيجازاً ويلافة في التعيير، بنظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص 348.

 ⁽³⁾ ينظر: مصافي الأينية في العربية: 122: 123: و110 والعدوب يستعملون التأنيث دلالة على المبالشة في التوم. ينظر: تضعير التحوير والتوير: 27/ 159.

⁽⁴⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 27 / 159.

بضخامة صوتها وشدة وقعها في السمع وفي النفس تُلقَى في الحسّ كأنّما هي ثقل ضخم ينقض من عل ثم يستقر، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال (^{().}

على أنْ أجلى ايحاء لكناية ﴿ ٱلْوَلِيُّنَّةُ ﴾ هو حتمية وقوعها، لـذلك قـال بعـدها ﴿ لَيْسَ لِوَقَيْنَهَا كَاذِيَّةً ﴾ لتأكيد ذلك المعنى وترسيخه في الذهن والحس. فهمي لابـد واقعـة، كـأن طبيعتهـا وحقيقتها الدائمة أن تكون واقعة، فهي ذات إيجاء مقصود في صدد الارتياب فيها والتكذيب^(c).

القارعة:

وردت الكنابة ﴿ ٱلْفُحَادِمَةُ ﴾ في قول - تعـالى _: ﴿ ٱلْفَحَارِمَةُ ۞ مَا ٱلدَّارِمَةُ ۞ وَمَّآ أَدَرَبُكَ مَا الْقَارِيَةُ ﴿ يَرْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْبَبْثُونِ ﴿ وَتَكُونُ الْجِكَالُ كَالْمِهْنِ المَنقُوشِ ﴾ (ا).

﴿ ٱلْقَادِعَةُ ﴾ كنابة عن ﴿ اللِّينَدَ ﴾ ، وقد عدل عن التصريح بلفظ ﴿ اللِّينَدَ ﴾ إلى الكناية بلفظ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ لا لاثبات ذلك المعنى للقيامة، وإنما لاثبات شاهده ودليله، وهمو انها تقرع القلوب وتزعجها بأهوالها، وذلك تفخيماً لشأن القيامة في النفوس. ` (⁽⁴⁾.

ولفظ الكناية ﴿ ٱلْفَكَادِهَةُ ﴾ في حد ذاته يقيد العموم والشمول والشدة والقهر في اثبات معناها، لأنها من الأسماء التي خشمت بناء الثانيث فانتقلت من الوصفية إلى الأسمية، والكناية ﴿ ٱلْقَكَارِعَةُ ﴾ ليست وصَّفاً لكل ما يقرع وإنما هو اسم لهذا اليوم المخصص (٥) كما أفاد التعريف تمييزاً لها من غيرها،فهو يوم القيامة الذي لا يحيط بوصف أهواله العقل والسصور، لذلك فإن السياق يفخّم من شأن يوم القيامة ويؤكذه ويعظمه بالاستفهام والتكرار: ﴿ ٱلْقَــَادِعَةُ المُ القايعة ، وَمَا أَمْرَدُكُ مَا الْقَايِعةُ ﴾ ، فهو الأمر العظيم الذي يُشر التساؤل، ثم 'أجاب بسوال التجهيل ﴿ وَمَّا أَشَرَتُكَ مَا الْفَايِمَةُ ﴾ ولم يُجب عن ما هيَّة ذلك اليوم وحقيقت، فهـو فـوق التصور والإدراك أجاب بما يكون فيه ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّمَاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْقُوثِ ﴾ ، وهـ ذا

⁽¹⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 7 / 694.

⁽²⁾ ينظر: المبدر تقسه: 8 / 253.

⁽³⁾ سورة القارعة، الآيات: 1، 5، وينظر: صورة الحاقة، الآية: 4.

⁽⁴⁾ علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص 223.

⁽⁵⁾ ينظر: معالى الأبنية في العربية، ص 122.

الأسلوب الذي يفحُم من شأن يوم القيامة ويعظمه هو الملحوظ في كنايـات يـوم القيامـة المـروّع المغزع.

ملى أن أجلى إيماء للكتابة ﴿ ٱلْمُسَادِينَهُ ﴾ أنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأهوال والأفزاع ⁽¹⁾ وتقرع الكون باللمار والتحطيم، ويعمنَن هذا الإيجاء الجرس للوسيقي المنبعث من حروف لفظ ﴿ ٱلْفَسَادِيمَةُ ﴾ القاف والراء والمين للمروفة بقوتها وشنتها، هذا فضلاً عن الملذ في صوت الألف.

وأصل القرع: 'الضرب بشدة وقوة، تقول العرب: قرعتهم القارعة ونقرتهم الفاقرة، إذا وقع بهم الماقرة، إذا وقع بهم المراحة ونقرتهم الفاقرة، إذا وقع بهم أمر عظيم يُمّا صَنَعُوا قَارِعَةً قُو وقع بهم أمر عظيم يُمّا صَنعُوا قَارِعَةً قُو عَلَيْكَ أَلِيمَا لَهُ فَيْكُ أَلْهُمِهُمْ فَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ الله عَلَيْمُ وَيَعَلَّ الله المعنوب والشمول في المعنى، قبال الزغشري: ' ﴿ تَعَيِيمُ بِمِنَا صَنعُوا ﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿ قَارِعَةً ﴾ لا المعالم ﴿ قَارِعَةً ﴾ لله الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم ﴿ أَنَّ عَلَى ﴾ القارعة ﴿ وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم ﴿ أَنَّ عَلَى ﴾ القارعة ﴿ وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم في المهم شرورها (١٠).

نهي ذات معنى شامل وصفاً لكلّ ما يقرعهم ويزعجهم من صنوف البلابا في حياتهم الدنيا بسبب كفرهم وسوء أعمالهم، وبهذا التنكير للكناية تفترق في دلالتها عن ﴿ ٱلفّــــاُوهُ ﴾ بهذا التعرف في دلالتها المخصمة ليوم القيامة، فهي ليست وصفاً لكل ما يقرع، وإغاهي اسم ليوم القيامة على وجه التخصيص. وعلى المرخم من اشتراكهما في دلالة العداب إلاّ أن ﴿ وَلَوهُ ﴾ وأنها لا تخضع للوصف والتصور ولمن والتصور وتقيع مثانها يذهب الحيال في تصور شانها كل مذهب، فهي تقرع قلوب الناس جمعاً وتقع اللاعاد والتحطيم، فيتضاءل ازامها كل هول أو قارعة تقرع الناس وترعجهم في حياتهم الدنيا. فمن شأن الكناية ﴿ أَلْفَــُكُومَةٌ ﴾ بأهوالها المظيمة التي لا يحيط بها الوصف أن

⁽¹⁾ ينظر: تفسير أبي السعود: 9 / 192.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 3 / 595، وينظر: لسان العرب: 8 / 265 (قرع).

⁽³⁾ سورة القارعة، من الآية 31.

⁽⁴⁾ الكفاف: 2 / 413.



تحدث الاستجابة النفسية المقصودة التي يقصد القرآن اثارتها في المتلقي ليحقق أهداف الدينيـة الكبرى.

الحاقة

جاءت ﴿ لَلَّأَمَّةُ ﴾ كناية عن يوم القيامة في قوله _ تصالى .. ﴿ لَفَأَمَّةُ ۞ مَا لَلَّامَّةُ ۞ وَمَا تُدَرِّكَ مَا لَمُأَلَّةُ ﴿ كُذِّبَ ثَمُودُ رَعَادُ بِالْتَارِعَةِ ﴾ (١).

وقد مدل عن التصريح بلفـظ ﴿ ٱلْقِيْنَةِ ﴾ إلى الكنايـة بلفـظ ﴿ ٱلْمَاتَةُ ﴾ وذلـك لاثبـات الشاهد والدليل، وهو أنها تحقّ في وقتها فتنزل بحكمها على الناس بالحقّ وفي ذلك تفخيم لسّأن القيامة في النفوس. ولفظ الكناية ﴿ لَلْمَاقَةُ ﴾ يفيد العموم والـشمول والـشدة والمبالغـة في إثبــات المعنى، وهو اسم على وجه التخصيص ليوم القيامــة، إنها تحقّ الحقّ في ذلك اليوم الذي لا يحيط به العلم والإدراك.

ويصعّد الأسلوب الذي تشكّلت فيه الكناية معنى تفخيم الحاقة وتهويلها منذ مطلع صورة الحاقة، وذلك بالاستفهام والتكرار، فالمطلع ببدأ بالكناية ﴿ ٱلْمَأْقَةُ ﴾ كلمة مفردة لا خبر لها في ظاهر اللفظ: ﴿ لَلْمَاقَةُ ﴾ ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستعظام لماهيّة هذا الحدث العظيم: ﴿ مَا لَمُأَقَّةً ﴾ ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام بالتجهيل، وإخراج المسألة صن حدود العلم والإدراك: ﴿ وَمَّا أَدَّرَكُ مَا لَكُمَّاتُهُ ﴾ ثم لا يجيب عن هذا السؤال. ويدعسك واقضاً أمام هذا الأمسر المستهول المستعظم، الذي لا تدريم، ولا يتأتى لك أن تدريم ! لأنه أعظم من أن يحيط به العلم والادراك ٥٠٠٠

على أن أجلى إيجاء للكناية ﴿ لَلَّائَةُ ﴾ هو أنها تحق في وقتها بـالحق والجـرس الموسيقي يعمّق هذا الإيحاء ويجلّبه فايقاعها "أشبه شيء برفع الثقل طويلاً، ثم استقراره مكيناً. رفعه في مدة الحاء بالألف، وجِلاة في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالناء المربوطة الـ تنطـق هاء ساكنة ° (^{0).} فيستقر معناها في اللهن والحس والوجدان. وتصعيداً لوصف شدة الحاقة وما تنزل به بالحق من العذاب بالمكذبين قال بعد ذلك: ﴿ كُذُّبَتَ تَسُودُ وَعَلَّا إِلْقَانِهَا ﴾ التي تقرع الناس

⁽¹⁾ سورة الحاقة، الأبات: 1 .4.

⁽²⁾ في ظلال القرآن: 8 / 250.

⁽³⁾ الصدر نفسه: 8 / 246.

بالانزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال باللك والتَسف، والنَجرم بالطّمس والانكمار، ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة: زيادة في وصف شدتها *(١٠٠

فتحاور الكنايتين: الحاقة والقارعة من شأنه تهويل العذاب الذي حلّ بالمكذيين بالقارعـة من قوم عاد وثمود، فضلاً عن زيادة في وصف شدة الحاقـة وتهويلـها وتفخيم شـانها في حـس المتلقي ووجدانه الذي ينجاطبه القرآن لاحداث الأثر النفسى الذي يقصده في تحقيق المدافه.

السَّاخَة؛

وردت ﴿ اَلمَنْاتَكُ ﴾ كنابةً من يوم النياسة في قول 4 _ تصالى -- ﴿ فَهَا بَشْنَ الشَّلَكُ ﴿ هِنَمَ يَوْ الذَّنْ مَنْ أَبِيدِ ﴾ تَلْبُو ﴿ وَمُونِيدُ يَنْهِ ﴿ فَلَمْ آرَيِّ يَرْشُمْ يَرَبُولُ مَانَّ يَشِيدٍ ﴾ (٥٠

وقد عدل عن التصريح بلفظ ﴿ اللّهِ مَنْ ﴾ إلى الكتابة بلفظ ﴿ اَلْمَنَاتَةٌ ﴾ لاثبات الشاهد لها والليل، وهو أنها تصخ الناس صحفًا باهوالها الشديدة، أي تضرب آذان الناس فتصمها، يُقال: "صحف محمدة يصدفه " نصرت المناس للله المحمدة المصدف الآذان " في المنابة المحمدة المحمدة المحمدة المحمد والشدة والقهد، وهي ليست وصفاً لكل ما يصخ، وإنما هي اصم يختص بيوم القيامة في وبعرا المحمد والشدة والقهد، وهي ليست وصفاً لكل ما يصخ، وإنما هي اصم يختص بيوم القيامة في وبعرا المحمد عن المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد عن المحمد المحمد

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 479.

⁽²⁾ سورة عيس، الآيات: 33_33.

⁽³⁾ أساس البلاغة، ص 250 (صخ).

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 563.

⁽⁵⁾ في ظلال القرآن: 8 / 472. ومشاهد القيامة في القرآن، ص 63.

⁽⁶⁾ ينظر: معانى الأبنية في العربية، ص 122 ــ 123.

الناس به: ﴿ مِنْ لَنِمِهِ وَأَنْهِمِ وَلِيمِهِ وَمُعْجِبُهِ وَكِيمٍ ﴾ (1). قال الزنخشوي: * ﴿ مِنْرٌ ﴾ منهم لاشتغاله يما هــو مدفوع إليه، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً وبدأ بالآخ، ثم الأبوين لأنهمـا أقـرب منـه، ثم بالصاحبة والبنين الأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه "(2) على سبيل ذكر الخاص فالأخص.

وأجلى إيحاء للكناية ﴿ المُثَلَّثُةُ ﴾ العنف في أهوالها النافلة الخارقة فتصم آذان الناس بدواهيها الشديدة، فتقطع الروابط والشائج بين أقرب الناس صلةً ورحماً فتُلقى في الحس والوجدان تبعية ما يتحمله الانسان مجرداً من الوشائج والصلات إلاّ صلته بالله ﷺ وتقواء.

الطَّامَةَ الكُّوي:

تأتى الطامة الكُبرى كناية عن يوم القيامة في قوله _ تعالى -: ﴿ فَإِذَا جَلَتِ الطَّامَةُ الكُّبُكَ ١٠ يَهُمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ مَا سَعَنَ ﴾ (1).

وقد عدل الفرآن عن التصريح بلفظ ﴿ الْقِينَةِ ﴾ إلى الكنابة ﴿ الْفَائَةُ ٱلْكُبِّينَ ﴾ لاثبات الشاهد لها والدليل، وهو أنها تطمُّ بدواهيها على الدواهي فتممُّ وتعلو، فهمي ﴿ الْظَائَةُ ٱلكُّبُكُ ﴾ ليست وصفاً لكل طامّة تأتى بالأمور الهائلة الفظيعة، وإنما هي اسم لذلك اليـوم العظـيم على وجه التخصيص الذي لا يتمكن معها العقل والإدراك تصوّر طمومها. قال ابن عبـاس (رضمي الله عنهما): "هي القيامة سمّيت بذلك الأنها تطمّ على كلّ أسر هاشل مفظع "(١٠) وقال الزهشري: ﴿ الْكَاتَةُ ﴾ اللهمية التي تطمُّ على الدواهي، أي تعلم وتغلب، وفي أمشالهم: جرى الوادي فطمّ على القُرىوهي القيامة لطمومها على كــلّ هائلـة ' ⁽⁵⁾ وبنــاء الكنايـة وجرسـها الموسيقي يصوّران هـ لما المني ويقربانه. فصيغة الكناية ﴿ اللَّاتَةُ ﴾ تـ لما على العمـ وم والـ شمول والـ شلة والمالغة، لأنها من الأسماء التي ختمت بتاء التأتيث فانقلبت من الوصفية إلى الأسمية (6) فأفسادت هسلم الدلالة نضلاً عن وصفها بالكبرى ﴿ الْمُلَّقَةُ ٱلكُّبُونَ ﴾ لتقوَّى هذه الدلالة ولتميّزها عن أيـة طامّة

⁽¹⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 63 ـ64.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 553 .564.

⁽³⁾ سورة النازمات: 34_35.

⁽⁴⁾ تفسر القرآن العظيم: 4 / 470.

⁽⁵⁾ الكشاف: 4 / 557.

⁽⁶⁾ معانى الأبنية في العربية، ص 122 ــ123.



إخوى تأتي بالدواهي والأصور العظيمة كما أن الطامة لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطم وتعم وتربي وتطغى السماء المبنية، والكون والوجود، أنها تطم على السماء المبنية، والأوض الملحوة، والجبال المرساة، والليل المفطش، والفسحى المضرج، أنها تطمع على هذا كلّه، وليغطّي مشهده عالمي تلك المشاهد جيعاً (عارير السياق لذ ذلك قبل مشهد الطامة ولم تأتم آثنة مُثمّا في المثنية في المشاهد بعيداً (عارير السياق لذ ذلك قبل مشهد الطامة والمتم على مثلاً مثنية المثنية في المثنية في المثنية والمثنية والمثنية والمثنية والمثنية في المثناء المؤلفة الكبرى هو المناح المؤلفة المؤلفة المثنية بها المؤلفة الكبرى هو المناح المؤلفة والمؤلفة الكبرى هو المناح المؤلفة المؤلفة المنابية والمؤلفة المنابية والمؤلفة الكبرى عام المناح المؤلفة المؤلفة الكبرى غطت كل شيء، الطلال: (أن الحياة الدنيا متاع، متاع مقدر المؤلفة المؤلفة الكبرى غطت كل شيء، الحياة والأنسان. ولكنه مناع مقدر عالم المؤلفة المؤلفة المؤلفة المؤلفة مناح المؤلفة والمؤلفة المؤلفة المؤلفة المؤلفة على المامة الكبرى غطت كل شيء، وطفت على المداحة والجبال المرساة والأحياء والحياة وعلى الكون المؤلفة المغلفة على مصارع ومواقع، فهي والأوض المدحوة والجبال المرساة والأحياء والحياة وعلى لكون المؤلفة عند وأنسته إيمان ما سعى، يتذكر سعيه ويستحضره، إن كانت أحداث الحياتة، وشواظن الماتع أغفلته عند وأنسته إيماد، واموده من المذاب والمودي المذاب والمودي المذاب والمودي المذاب والمودي المذاب والملوى المذاب والمدود والمؤلفة المؤلفة المؤلفة

فأجلى إيجاء للكناية ﴿الْكَلَّقُةُ اللَّهُيَّكُ ﴾ الذي يبرز من خلال سياق الآيات ويتجلى فضلاً من طم كل شيء بما فيها السماوات والأرض وطم كل أمر هافل مفظع، همو أنها تطم ذلك المناع المرقوت الذي يفترٌ به الانسان فيلهيه مما خلق له ويُطفيه، فما أحرى بالانسان أن يتمذكر في حياته الدنيا قبل عجىء الطّأمة الكبرى حين لا ينهم التذكّر.

مشاهد القيامة في القرآن، ص 193.

⁽²⁾ ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 193.

⁽³⁾ سورة النازعات، الآيات: 27 ـ34.

⁽⁴⁾ في ظلال القرآن: 8 / 449.

وردت ﴿ ٱلْفَنَشِيَةِ ﴾ كنايـة صن يـوم ﴿ ٱلْقِيْنَةِ ﴾ في قولـه _تعـالى ﴿ هَلْ ٱتَّنَّكَ كُوبِتُ

﴿ ٱلْفَنْشِيَةِ ﴾ كناية عن ﴿ ٱلْقِيْمَةِ ﴾ وقد عدل القرآن عن التـصريح بلفـظ ﴿ ٱلْقِيمَةِ ﴾ إلى لفظ ﴿ ٱلفَنْشِيَةِ ﴾ لاثبات شاهدها ودليلها، وفي ذلك تعظيم لها في القلوب والنفوس ،. فالكنايـة دالة على أنها تغشى الناس بعدابها وتلبسهم أهوالها.

فالكناية اثبات لهذا النوع من عذاب يوم القيامة على صبيل التخصيص، قال الزخمشوي: و النَّذِيرَةِ ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائلها وتلبسهم أهرالها، يعني: ﴿ ٱلَّتِيكَةِ ﴾ "(2) والسياق يجلَّى ملابسة العدَّاب وجوه الكافرين وغالطته لها على نحو من التهــويل الــذي يفيـده الاستفهام ب ﴿ هَلْ ﴾ ﴿ هَلْ أَتَنكَ حَلِيثُ ٱلْفَشِيدِ اللهِ إِذْ يلفت الاستفهام الانتباه لفتاً إلى استماع خبرها، والاطلاع على شأنها، وفي ذلك تعظيم لشأنها وتفخيم له، والجواب عن هذا الاستفهام الذي يسأل عن ﴿ ٱلْفَنْشِيرَةِ ﴾ ، يعرضه السياق تفسيلاً، فنلحظ في جانب منه كيف يرتسم عذاب ﴿ ٱلْغَنْشِيَةِ ﴾ على وجوه الكافرين دِ تَشْفُ دٍ (٥) فهمي وجوهٌ خاضعة ذلاً وإرهاقــاً ﴿ عَكِيلَةٌ تَأْسِيَةٌ ۞ مَسْلَ ظَرًا حَلِيمَة ۞ تُشْقَل مِنْ مَيْنِ عَلَيْنَ ﴾ (١) بالغة الحرارة لا تبرد ولا تروي ﴿ تُشْقَل مِنْ مَيْنِ مَائِيةِ ﴿ لَيْسَ مُثُمَّ لَمَامَّ إِلَّا مِن صَرِيحِ ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُشْنِي مِن جُجِع ﴾ (ك) فهي تُطعم من شوك ترعاه الابـل إذا كان رطباً وتعافه إذا جفَّ،فيجتمع على تلك الوجو، عذاب الروح بالذل والخزي، فضلاً عن عذاب البدن بالتمسّب والنار، إلى عذاب الظمُّ والعلوى، والشراب والطعام، بما هو أشد من الظما والطوى. وفي الجانب الآخر تلاحظ ما يقابل هذا على سبيل التضاد نعيم المؤمنين في يــوم ﴿ ٱلْفَنْشِيَةِ ﴾ وهر يرتسم على وجوههم: ﴿ وُبُونُ وَيَهِوْ تَاعِدُ اللَّهِ إِمَانِهِمَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّ اللَّا لَلْمُؤْلِلْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

سورة الفاشية، الآية: 1.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 592. وينظر: تفسير القرآن المظيم: 4 / 503.

^{.2:491 (3)}

 ⁽⁴⁾ الآيتان: 3 . 5. عاملة ناصبة: قد عملت عمالاً كثيراً ونصبت فيه وصلبت يـ وم القيامة نـ ارأ حامية. ينظر: تفسير القرآن العظيم: 4 / 503.

⁽⁵⁾ الآيات: 5..7.

عَيْنَ جَارِيٌّ ﴿ فِي السَّرْ مَنْ اللَّهُ وَالْوَابْ مَرْسُولًا ﴿ وَمَنْ إِنْ مُسْوَدًا ﴾ (ا) فوجود المسؤمنين ناعمة،، راضية عن مسعاها، في جنة عالية هادئة لا تسمع فيهما لاغية، فيهما عين جارية رويمة عذبة، ولهم الراحة في السرر المرفوعة، والأكواب المهيأة للشراب، بـل الرفاهية في الومسائد المصفوفة، والبسط المفروشة (2) وإبراز نعيم المؤمنين الذي يلابس وجوههم ويخالطها في يــوم ﴿ الْنَشِيَةِ ﴾ العظيمة بافزاعها التي تلابس الكافرين بعذابها له قيمته الخاصة (د) إذ يتجلى تكريم الله الله عنه أن منجاة بمفارتهم من عدابها الذي يغشى كلُّ شيء.

: 43;51

جاءت ﴿ ٱلَّذِينَةُ ﴾ كناية عن يوم القبامة في قوله _ تعالى .. ﴿ أَيُّكِ ٱلَّذِينَةُ ﴿ لَيْكَ الْمَامِن تُونِ ٱللَّهِ كَاشِئَةً ﴾ (4).

﴿ ٱلَّذِينَةُ ﴾ كناية عن ﴿ ٱلْقِينَةِ ﴾ ، وقد عدل القرآن عن التصريح بلفظ ﴿ ٱلْقِينَةِ ﴾ إلى لفظ الكناية ﴿ ٱلْأَيْفَةُ ﴾ وذلك تعظيماً لشانها وتفخيماً من خلال إثبات المعنى الذي تحمله ﴿ آلاً وَهَٰهُ ﴾ ليوم القيامة والذي من شانه إحداث الأثر النفسي المتمثِّل بتخويف المتلقى وترهيبه مـن شانها، إذ الكناية تصور ﴿ الْقِينَةِ ﴾ وكانها قد ﴿ أَيْفِ ﴾ بالعذاب والهلاك، والتعبير عنها بالماضي ﴿ أَيْفَتِ ﴾ يدل دلالة بالغة على تحققها وكأنه قبد فُرغ منهما،ومجيء الكنايـة ﴿ ٱلْآَيْفَةُ ﴾ فاعلاً من مادة الفعل الماضي ﴿ أَيْفَ ﴾ للتهويل على السامع لتذهب النفس كل سذهب ممكس في تميين هذه التي ﴿ أَيْهَتِ ﴾ ، فضلاً عن التعريف في الكناية، فهو تعريف جنس لتمييزها من مِن الأجناس لأن في استحضاره زيادة تهويل لأنه حقيق بالتديّر (د).

⁽¹⁾ الآيات: 8-16. وينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 160.

⁽²⁾ مشاهد القيامة في القرآن، ص. 160.

⁽³⁾ ينظر: المصدر تقسه، ص 160.

⁽⁴⁾ سورة النجم، الآيتان: 57.85. وينظر: سورة غافر، الآية: 18.

⁽⁵⁾ ينظر: تفسير التحرير والتنويو: 27 / 158 ــ159.

وقال الزمخشري: ﴿ أَوْمَنِ ٱلْأَوْمَةُ ﴾ قربت، الموصوفة بالقرب في قوله ـ تعمالي ــ ﴿ أَقْتَرْيَتِ السَّاعَةُ (١٧) (١٤) فهي قد اقتريت كاسحة جارفة، وهي الطامة والقارعة التي جاء النذير يحذُّركم إياها أو هو العذاب الذي لا يعلم إلاَّ الله نوعه وموعده، ولا يملك إلاَّ الله كشفه ودفعه: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّوكَاشِفَةُ ﴾ (3).

نَاجِلي إيجاء للكناية ﴿ ٱلَّازِنَةُ ﴾ هو قرب أزونها بكـل أهوالهـا وشـــنائدها الـتي صــوّرتها الكنايات السابقة، فهي الطّامّة والقارعة والغاشية والحّاقة ولكن السياق هنا يبرز إيحاء قربها وسرحة وقوعها لأنه إنذار وتحلير من العذاب والملاك الذي حلّ بالأقوام الغابرة: قوم نوح وعاد وثمود ولوط، يسلَكُر بـه ويُسلِر: ﴿ وَأَنْتُهُ أَهَلَكَ مَاذًا ٱلْأُولَى ۞ وَتَعُوبَا فَمَا أَبَى ۞ وَقَعَ نُبِع مِن مَبَلُّ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ ٱللَّهُ رَبُّلُونَ ﴿ وَالْمُؤْلِوكُمُ آصُرَى ﴿ مَنْتُمُهَا مَا مَثَّى ﴿ فِإِنَّ مَالَّمَ رَبِّكُ تَسْمَانَ ﴿ مَنَا لَئِيرٌ مِنَ التُنْدِ الأُولَةِ ﴿ أَيْفِ الْآَرِيَةُ ﴾ (4) فتاسب السياق أن يكون الانذار بعذاب القيامة بلفظ الكتابة ﴿ الكَّرْهَةُ ﴾ الدّالة على الانذار الشديد بقرب وقوعها.

الراجفة والرادفة:

وردت هاتان الكتابتان اللتان تصوُّران على نحو شديد ما يقع من الهـول والاضـطراب في الكون يسوم القيامة في قول، _ تعمالى _: ﴿ يَمْ تَرَجُكُ الرَّجِعَةُ ﴿ تَجْمُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿ فَكُوبٌ يَوْمَهِ وَلِجِعَةً المُكَمَّدُهُا عَنْهُمَّةً ﴾ (3).

﴿ ٱلرَّاجِنَةُ وَ ٱلرَّادِهَةُ ﴾ كنايتان، وقد ورد لهما أكثر من معنى تحتمله الكنايتان في أداء الغرض المقصود منهما، قال الزغشري: ' ﴿ الرَّاجِفَةُ ﴾ الواقعة التي ترجف صدها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى: وصفت بما يحدث بحدوثها ﴿ نَتُّهُمَّا الرَّادِفَةُ ﴾ أي الواقعة التي تــردف الأولى، وهــى النفخة الثانية. ويجوز أن تكون الرادفة مـن قولـه .. تعـالى ـــ ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَدْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَشُن الَّذِي تَسْتَعْجِلُونِكَ ﴾ (6)؛ أي ﴿ الْقِيْمَةِ ﴾ التي يستعجلها الكفرة استبعاداً لها، وهي رادفة لهم لاقترابهها.

سورة القمر، من الآية: 1.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 331.

⁽³⁾ في ظلال القرآن: 7 / 633.

⁽⁴⁾ سورة النجم، الآيات: 50_57.

⁽⁵⁾ سورة النازعان، الآيات: 6_9.

⁽⁶⁾ سورة النمل، من الآية: 72.

وقيل: ﴿ يَتَمَ تَرَشُقُ ٱلْخَرَشُ وَلَلْجَالُ ﴾ الأرض والجبال، من قوله:﴿ ٱلْرَائِمَةُ ﴾ (⁴⁾ و چ ؤ ج: السماء والكواتب، لأنها تنشق وتنتشر كواتبها على أثر ذلك ^{(4).}

وفي ضوء ذلك تلحظ أن المعنى المُكنى عنه بلفظ الكناية ﴿ ٱللَّهِنَةُ ﴾ هو:

ــ الأرض والجبال، ويعزز هلما للمعنى، قوله ــ تعالى ــ: ﴿ يَرَمَ نَرَجُكُ ٱلْأَرْشُ وَاَلِمَهَـالُ ﴾. ونلحظ أن المكنى عنه بلفظ الكناية ﴿ ٱلزَّادِنَةُ ﴾ هو:

ر الله المعلى عند بالمعلى عند المعلى المعلى

مرى والاهم إيام يعسرون إلا المدالة ما أم " حد الأدث

_ قيامة، التي يستعجلها الكفرة استبعاداً لما، وهي رادقة لهم لاقترابها.

وفي ضوء هذا المعنى للرادفة تكون ﴿ ٱللَّهِمَةُ ﴾ مقدمة لوقوع الحدث العظيم ﴿ ٱلْقِنْكَةِ ﴾.

ويكن أن نفهم ﴿ الْكَيِّعَةُ ﴾ على أنها كناية عن يوم القيامة، ووصفت بالراجفة بما يحدث بوقوعها من رجفان الأرض والجبال وزلزلتها واضطراب نظام الكون والأحياء جيماً، وكل هلم مظاهر تنبئ عن شدة ذلك البوم العظيم الذي يُباضت فيه الناس بالراجفة، كما دل الاستادالجازي للكناية ﴿ الرَّحِيَّةُ ﴾ إذ استد الرجف إلى الأرض نفسهام والأصل أنها مرجوفة لا راجفة، فيتحقق بهنا الاستاد مبافئة لا يدري معها الانسسان يوم ﴿ الْفِيكَدِ ﴾ من اين جاء الرجف، وفيه تركيز للانباء في أخذة الرجفة (٤٠٠).

⁽¹⁾ سورة المزمل، من الآية: 14.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 554.

⁽³⁾ سورة الزمر، الآية: 68.

⁽⁴⁾ ينظر: التفسير البيائي للقرآن: 1 / 131.



وأما ﴿ الزَّابِقَةُ ﴾ فيمكن أن نفهم على أنها كناية عن كل ما يتبع الرجفة من بعشرة ما في القبور (١٠) للحشر والحساب، ويقـويّ هـلما للعنـى أنـه يتـصل بمـا بعـلـه: ﴿ قُلُوبٌ يَوَمَهُو وَلَهِمَةً ﴾ أَصَكرُهَا خَرْمَةً ﴾.

ومن شأن أهذه الأحداث التي ستقع يوم ﴿ آلَيْكَةَ ﴾ أن يحس القلب البشري معها بالولزلة والرجفة والهول والاضطراب، وأن يهتز هزة الحقوف والوجل والرعب اللذي لا ثبات معه ولا قوار، ويدرك ويحس حقيقة قول الله ؟ ﴿ وَأُونُ مُنْهَزِ وَلِيمَةً ﴿ الْهَحَدُونَا خَدْمَهُ ﴾ فهي شديدة الاضطراب، يرتسم الخشوع في أبصارها فيشير إلى الذل والحزف والانكسار والانهيار (٥٠)

ويتجلى التناسب الذي في التمبير الكنافي ﴿ الرَّبِيَّةُ ﴾ مع القلسوب الواجفة والأبصار المناشمة، فواجفة أي أدامار المناشمة، فواجفة أي أدليلة (أنه كما عاينت من الموال ﴿ الرَّبِيَّةُ ﴾ أي أي ذليلة (أنه كما عاينت من الموال ﴿ الرَّبِيَّةُ ﴾ التي يرجف عندها كل شيء ويضطرب، ويملّكه الحوف والرعب فيرتسم على الأبصار أو ذلك الماراً.

ومن خلال ما سبق من كنايات عن يوم ﴿ الْقِيْكَةُ ﴾ تتجمع معان وإيجاءات تصف هذا اليوم المظهم الذي يحدث فيه ذلك الانقلاب الكوني الرهيب بأهوالـه المظهمة، وبغضل هذه (الكتايات) بصفاتها المتعددة يقترب ذلك اليوم إلى المقول والقلوب، وإلاَ فإن حقيقته وماهيتـه لا يحط بها المقار والإدراك الشرى.

على أنْ الفرآن الكويم يقدم تعابير كنائية أخرى تنصور شدة ذلك اليدم ركريـه على الكافرين في مشاهد يوم ﴿ آلَيْتِكُمُ ﴾ من ذلك:

الكشف عن الساق:

يرد هذا التعبير الكتاني في قوله _ تعالى _ في مشهد من مشاهد يدم القياصة: ﴿ يَمْمُ يَكُنَكُ مَن سَالَق وَمُقَعَرَنَ إِلَى الشَّجُورِ فَلَايَسَتُهِا مِنْهُمْ فَلِيَّا مَنْهُمْ إِلَّا أَيْفَاكُوا إِنَّا الشَّجُورِ فَلَايَسُونَ ﴾ [5]

⁽¹⁾ ينظر: المبدر تفسه: 1 / 132.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 441.

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 554.

⁽⁴⁾ نقسه: 4 / 554، وصفوة التفاصير: 3 / 514.

⁽⁵⁾ سورة القلم، الأيتان: 42.42.

﴿ يَوْمَ يُكْشُفُ عَن سَاقٍ ﴾ كنايةً عن الشدة وصعوبة الخطب، إذ يشتدُ الكرب والضيق على هؤلاء المتكبّرين الذين يدعون إلى السجود _ هناك _ فلا يستطعه ن.

فكناية الكشف صن الساق: مَثَلُ في شهدة الأمر وصعوبة الخطب (١) الذي يَلقاهُ الكافرون يوم القيامة، وليس هناك ساق ولا كشف عن الساق كما تقول للاقطع الـشحيح: يـلـــه مغلولة، ولا يند له ولا غلَّ وإنما هـو كناية عـن البخـل،وأراد الله ؟ بهـذا التعبير المبالغـة في حسابهم، وإهانتهم وعقوبتهم، فالكناية تدل على أمرٌ مبهم في الشـدة منكر خارج عن المـألوف، كأنه قيل: يوم يقع أمرٌ فظيمٌ هائل (2). والأصل في الكناية "أي من وقع في شيء يحتاج فيـه إلى الجدُّ شمّر عن ساقه ⁽³⁾ فجعل لكل أمر فظيع ⁽⁴⁾ وكان من عادة العرب أن يقولوا لكل من يجدّ في أمر ويبالغ فيه (كشف عن ساقه) وأصل هـذا التعبير، أنَّ من يجَّد في عمل من الأحمال سواء أكان حرباً أم غير حرب، فإنه يشمُّر عن ساقه حتى لا يعوقه عن الجد وسرعة الحركة، كما نقول اليوم، فلان شـمّر عن ساعد الجدّ، وإن كان لا يرتدي قميصاً بأكمـام، فعبّر في الكنايـة بـاللازم وهو الكشف عن الساق، وأراد ملزومه الجد والاهتمام بالأمر (٥).

فالكناية تجسَّد المعنى النفسى وهو شدة الكرب والضيق الذي فيه الكافرون المتكبرون في صورة حسيبة مؤثرة، وفوق كربهم وضيقهم فإنهم يلقون التوبيخ والتبكيت ﴿ وَيُمْتَوِّنَ إِلَى ٱلشُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾. فدعوتهم إلى السجود في يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد ويكشف فيــه عن الساق يشير إلى تبكيتهم وتوبيخهم، فقد فات أوان السجود، وهم لا يملكون السجود ولا يستطيعون إما لفوات الوقت المناسب، وإما للهول الذي يغشاهم ويعجزهم عـن الحِــراك، وهـــم خاشمون خشوع اللَّلَة، وقد كانوا يَأْبُون خشوع العبادة ﴿ غَنيْمَةً لَمُتَنَّجُ رَمَّقُهُمْ يِلَّةٌ وَقَدْكَانُوا يَنْمَوْنَ إِلّ الشُّرُورَ فَمُ كَلِمُونَ ﴾ فالتعبير الكنائي فضلاً حن الآيتين اللَّتين تشكَّل فيهما يشير إلى الكرب والضيق والعجز والتوبيخ والتحدي المخيف (6).

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 475.

⁽²⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 475 ـ 476. وينظر: القرآن إصجازه وبلاغته، ص 221 ـ 222.

⁽³⁾ الجامع لأحكام القرآن: 18 / 249.

⁽⁴⁾ القردات: 363، 650 _651.

⁽⁵⁾ القرآن إعجازه وبالاغته، ص 222.

⁽⁶⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 2388. وينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص. ك.

جعل الولدان شيباً:

تصور هذه الكناية أهوال يوم ﴿ ٱلْقِيْنَكَ ﴾ وشدائده، أهوال تشيب منها الولدان، وتنفطس منها السماء، وذلك في قوله _ تعالى _ ﴿ فَكُنَّ تَنْفُونَ إِن كَثَرُمْ بِهَا يَبَعُلُ الْوِلْدَانَ شِيا ﴿ السَّمَاةُ مُنفَعِلًا بِدِ كَانَ وَعَدُد مَنْدُولًا ﴾ (١).

﴿ يَجْمَلُ ٱلْوِلْدَاثَةُ شِيبًا ﴾ كناية ترسم في معناها الحقيقي الشيب في نواصى الأطفال في ذلك اليوم، وهي صورة تشير إلى المعنى المكنى عنه وهو شدة ذلك اليـوم بأهوالـه، قـال الزخـشرى: " فكيف تقون انفسكم يوم القيامة وهوله، إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملـوا ﴿ يَجَسُلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ مثلُ في الشدّة يُقال في اليوم الشديد: يومّ يشيب نواصي الأطفال. الأصل فيه: أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب "(2). وهي شدائد وأهوال عظيمة بأحزانها وهمومها كما يشير تشكيل الكناية شيب الولدان دون غيرهم، فالولدان كما هو معلوم أقلَّ تحسّساً بالهموم والأحزان والشدائد، فارتسام الشيب في رؤوسهم يشكّل صورة غريبة مثيرة، تشبر إلى غرابة ذلك اليوم في شدائده وأهواله، فهي لا تشبه أهوال الدنيا وشدائدها، هي شدائد وأهوال عظيمة يشيب لها الولدان فكيف بالرجال؟ وتنفطر منها السماء على عظمها وإحكامها ﴿ السَّمَاةُ مُنغَولًا بِهِم ﴾ وعلى الحيال أن يتملَّى هذه الصورة المروحة فإنها تحذير شديد من ذلك اليوم المخيف الذي لا ريب فيه ولا مفرّ منه ﴿ كَانَ وَعَدُمُ مَفْتُولًا ﴾.

ومما يتصل بيوم ﴿ ٱلْتِينَدُ ﴾ من مشاهد، مشهد أصحاب اليمين، وهم المؤمنون الناجون الذين يُؤتُون كتبهم بأيمانهم، فهم أهل الثواب يصفهم القرآن بالتعبير الكنائي ﴿ أَصَّنَ آلِينِ ﴾ (٥)، ومشهد ﴿ أَصَّكُ ٱلنِّمَالِ ﴾ (4) فهم الكافرون المعدَّبون الذين يَلْقون كتبهم بـشمائلهم أو مـن وراء ظهورهم، وهم أهل العذاب يصفهم القرآن بالتعبير الكنائي ﴿ أَتَعَنُّ الشِّمَالِ ﴾. ويماتي المشهدان على صبيل التقابل، وذلك حتى يبرز مشهد كِلا الفريقين، وتتعمق ـ على سبيل التضاد ـ دلالتهما في الحس والوجدان بين مصير هؤلاء وهؤلاء.

سورة المزمل، الأيتان: 17 ــ18.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 513,

⁽³⁾ سورة للنثر، من الآية 39.

⁽⁴⁾ سورة الراقعة، من الآية: 41.



ونحن إذ نعرض هذه الكنايات فإننا لا نـدري حقيقة الكتاب ولا كيفية أتبائـه بـاليمين أو بالشمال أو من وراء الظهـر. وإنما يجلَّى القرآن الكريم حقيقة (النجـاة) من وراء أتيــان الكتـــاب باليمين، وحقيقة (الهلاك) من وراء اتيان الكتاب بالشمال أو من وراء الظهر، وهمــا حقيقتــان المقصود أن نستيقنهما كما أخبر بهما القرآن الكريم (١).

أصحاب النمان:

يستعمل القرآن هذا التعبير كنايةٌ عن موصوف للدلالة على المؤمنين الناجين من العـذاب، فهــم أهل الجنة والثواب، من ذلك قوله _ تعالى _ ﴿ كُلُّ تَعِيرِ مِنَاكَمَيْتُ رَمِينَةً ﴿ إِلَّا أَصَرُ } أَيُون ، فَي جَنَّتِ مُشَاتُهُنَّ \$ مَن ٱلنَّمْ مِن اللَّهُ عَلَيْ مُعَلِّق مَعْ الْحَالَة عُمِن ٱلْمُمَانِينَ ﴿ رَقِيمُ ٱلسَّكِينَ وَكُنَّا غَمْ مُ مَمُ لَلْمَامِينَ ﴿ وَمُنَّا لِمُعْمِدِينَ السَّمَانِ مُ اللَّهُ عَلَيْهُ السَّمِينَ وَكُنَّا غَمْ مُ مَمُ لَلْمَامِينَ وَكُنَّا غَمْ مُ مُمُ لَلْمَامِينَ وَكُنَّا غَمْ مُ مُمُ لَلْمَامِينَ وَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُعْلَقًا مِنْ وَمُ لَلَّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَي الله والمنافقة والمن المن المن المن المن المن المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة كالمنافعة المنافعة ا

﴿ إِلَّا أَصَّنَ الَّذِينَ ﴾ هم المؤمنون أهل الجنة والسعادة (وأن وهم ﴿ أَصَّتُ ٱلْمَيْمَنَذِ ﴾ (١٠) أي: اليمن والبركة (ك) وقال الزهشري في: ﴿ أَصَّكَ الَّذِي ﴾ عدة أقوال:

- الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم.
- أصحاب المنزلة السنية، من قولك: فلان منى باليمين إذا وصفته بالرفعة.
 - .. أصحاب اليمين، لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم.
 - _ أصحاب اليمين هم الموجّهون في الجنة ذات اليمين (a).
 - وأورد الوازي في ﴿ أَصْحَبُ الَّذِينِ ﴾ ثلاثة أقوال:
 - الذين يؤتون صحافهم بأيمانهم.
 - _ أصحاب القوة.
- ـ أصحاب النور (٢) لقوله ـ تصالى في الآية الثامنة من سورة التحريم: ﴿ تُورُهُمْ يَسْعَىٰ

يَنَ أَيْدِيهِمْ وَيِأْتِكُنِهِمْ ﴾

- بنظر: في ظلال القرآن: 8/ 519.
- (2) صورة المدثر، الآيات: 38.48. وينظر: صورة الوائمة، الآيات: 8، 18، 27، 38، 90، 91.
 - (3) بنقل: التفسم الكبم: 29 / 142، والقردات: 553.
 - (4) سورة الواقعة، الآية: 8.
 - (5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 27 / 285.
 - (6) الكثاف: 4 / 363.
 - (7) الطسير الكبير: 29 / 142 ـ 143.

ومن خلال الجمع بين هذه الأقوال في ﴿ أَصْنَ ٱلَّذِينِ ﴾ يتبيّن أن المـومنين يأخــذون نتيجــة الحساب كتاباً بأيمانهم، فيجدون النعيم والثواب، فتكون منزلتهم حسنة، ومكانتهم مرموقة(١٠٠ وهو المعنى الذي يفهم من وراء لفظ الكتاية.

وكانت العرب تتفاءل بالميامن، وتتطيّر من المشائم، و° تزجر على الـسانح، وتشبرك بــه، وتكسره البسارح، وتسشائم به "(2). والسانح: مال ولآك ميامنسه،، والبسارح: ما ولاك مياسره (د). واليمن: البركة (4)، ويقال: فلان ميمون النقيبة، إذا كنان ميمون الأصر، ينجح فيمنا حاول ويظفر به (د)، ومن الجاز: هو عنده باليمين، أي: بمنزلة حسنة (ه).

واليمين أيضاً: القوة، قال الشماخ:

إذا ما رايَّةً رُفِعَتْ لِمَجْ لِي تَلَقُّ الْمَاعُرِانِ "

قال المبرد: "قوله: تلقاها عرابة باليمين، قال أصحاب المعاني: معناهُ بـالقوة، وقـالوا مشل ذلك في قول الله عال ﴿ وَأَلْسَمَوَاتُ مَعْلَمِ يَكُنُّ بِيَمِينِهِم (8) له (0).

والمسوغ لاستعمال (اليمين) للدلالة على القوة على سبيل الجاز المرسل هـو علاقة السببية، فاليمين سبب القوة، أو الآلية عند عدد من البيانين على اعتبار أن اليمين آلة القوة.

وذكر عبد القاهر الجرجاني أن "الناس يقولون للرجيل إذا أرادوا حتَّه على الأمر وأن يأخذ فيه بالجد: اخرج يدك اليمني. وذاك أنها اشرف اليدين واقواهما التي لا غناه للاخرى دونها، فلا عُني انسان بشيء إلا بدأ بيمينه فهيّاها لنيله، ومتى ما قصدوا جعل الشيء في جهمة

⁽¹⁾ ينظر: الفاظ التراب في القرآن الكريم، ص 304_305.

⁽²⁾ الكامل: 1 / 189.

⁽³⁾ أسان العرب: 2 / 490 (سنم).

⁽⁴⁾ المبدر نقسه: 14 / 458 (ون).

⁽⁵⁾ إصلاح المطق، أبن السُّكِّيت، ص 355.

⁽⁶⁾ أساس البلاقة، ص 514 (ين).

⁽⁷⁾ أسرار البلاغة، ص 309. وينظر:: أسان العرب: 13 / 461 (ين).

⁽⁸⁾ سورة الزمي من الآية: 67.

⁽⁹⁾ الكامل: 1 / 76. وينظر: أسرار البلاغة، ص. 310.



العناية جعلوه في اليد اليمني ^{* (1).} وعلى هذا فاليمين ارتبطت دلالاتها بالخيـر والبركة والـسعادة والقوة والعناية (2) وهي المعانى والظلال التي تشير إليها كناية ﴿ أَمُحَكَ الَّتِينِ ﴾.

وكناية ﴿ أَصْنَهُ الْبِينِ ﴾ في سياق الآيات التي أوردناها تــلل، فضلاً عمّـا أوحـت بـه مـن معان على أن هؤلاء المؤمنين هم المطلوقون من الـرَّهْن ﴿ كُلُّ فَنْسِ بِمَاكُّمْتُ رَهِينَةً ﴾ (⁽³⁾، أي: كما نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿ إِلَّا أَصَّكَ الَّذِينِ ﴾ فإنهم فكُّوا عنه رقابهم بما أطابو. من كسبهم، كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (٩٠٠ ومن ذلك يتجلَّى تكريُّهم وفضلُ الله عليهم في ذلك الموقف الذي يُرتهن فيه المُكذِّبون الكافرون بأعمالهم التي تقيِّدهم قبلا يفلتوا منها. وتتصاعد دلالة تكريم المؤمنين ﴿ أَتَعَكُ ٱلَّيِينِ ﴾ بأن الله # قد خولهم حقّ سوال الجرمين عن مصيرهم الذي انتهوا إليه ﴿ مَاسَلَكُمْ فِمَقَرَ ﴾ (3) وهو استفهام يُوحى بإهانة الجرمن، وتتعمَّق دلال إهانتهم من خلال السياق الذي يعرض إجابتهم واعترافهم على نحو من الاطنــاب: ﴿ قَالُوا رُ لَكُ مِنَ ٱلْمُمَلِينَ ﴿ وَأَرِ لَفَ تَعْمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿ وَكُنَّا خَوْمٌ مَعَ لَلْقِيدِينَ ﴿ وَكُا تَكَيْبُ بِيرِهِ الْفِينِ ﴿ يَقَ أَنْتَا آلِيَةِينُ ﴾ (6) فهي إطالة في الجواب مقصودة، بين سبب ارتهانهم في موقفهم هذا، وتجلَّى إهانتهم على نحو عميـق، ويبين السياق بالأسلوب الكنائي سبب مصيرهم هـذا ﴿ قَالُوا ثَرْ نَكُ مِنَ النُّصَلِينَ ﴾ ، وهــذه الآية كناية لأنها تفهم على الحقيقة والمعنى: أن هؤلاء المجرمين لم يكونـوا مــن المصلِّينُ في حياتهم الدنيا. وأما المعنى البعيد المُكنى عنه الذي تلمح به الصلاة هو الإيمان كلم، فهم أم يكونوا مؤمنين، وبذلك تشير الكناية إلى أهمية الصلاة في الاسلام، فالصلاة رمز الإيان ودليله، ويدل انكارها على الكفر (٦).

ويعزز هذا المعنى المُكنى عنه للصلاة ما ذكر بعد ذلك، فإذا ما فقدت النفس الإيمان بـالله ـ سبحانه ـ فإنها تفقد الدافع إلى فعل الحير ومنه: إطعام المسكين، وتفقد توازنها في الباطل مـم الخالفين، وتكذَّب بيوم اللين، يوم الحساب والجزاء الذي فيه ترتهن بأعمامًا كما نرى الجرمين الآن.

أسرار البلاغة، ص 312.

⁽²⁾ الفاظ الثواب في القرآن الكريم، ص 304.

⁽³⁾ سورة المنثر، الآية: 38.

⁽⁴⁾ الكشاف: 4 / 523.

⁽⁵⁾ سورة المدثر، الآية: 42.

⁽⁶⁾ سورة المدثر ، الأبات: 47..43.

⁽⁷⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 370. وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 9 / 164.



وإزاء صورة هؤلاء المجرمين نقف صورة المؤمنين ﴿ أَصَّكَ ٱلَّذِينَ ﴾ على التقابل ليتجلَّم مصير الفريقين على التضاد ويتعمّق المعنى في حس المتلقى ووجدانه.

أصحاب الشمال:

يستعمل القرآن هذا التعبير كنايةً عن موصوف هو الكافرون المعتَّبون في نار جهنَّم، فهم أهل الشُّؤم والعـذاب، نقـراً ذلـك في قولـه _ تعـالى ..: ﴿ وَأَصَّنَ ٱلنِّمَالِ مَا أَصَحَتُ ٱلنِّمَالِ ۞ في سَوْمِ رَجِيدِ ﴿ وَعَلْ نِن يَسْرُو ﴿ لَا بَارِدِ وَلا كَرِيرِ ﴿ إِنَّهُمْ كَافًا فَبَلْ زَلْكَ مُتَمَالِكَ ﴿ وَالْمُ يُرُّونَ عَلَى الَّذِيثِ آلَكِلِي ﴾ (١).

﴿ أَصَحَتُ البُّمَالِ ﴾ هم أهمل النمار والشقاوة، وقمال الزخمشري في ﴿ أَصَّحَتُ البُّمَالِ ﴾ صدة أقبوال:

- ـ اللين يؤتون صحائفهم بشمائلهم.
- ـ أصحاب المنزلة الدنية، من قولك: فلان منى بالشمال إذا وصفته بالضعة.
 - أصحاب الشمال أشقياء، لأن الأشقياء مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم.
 - أصحاب الشمال هم الموجّهون في النار ذات الشمال (C).

ومن خلال هذه الأقوال في ﴿ أَصَّمَتُ الشِّمَالِ ﴾ يتبين أن الكافرين يأخذون نتيجـة الحـساب كتاباً بشمائلهم، فيجدون العذاب والعقاب، فتكون منزلتهم دنية، فهم الأشقياء المشائيم على الفسهم، كما قال فيهم _ تعالى _ في موضوع آخر: ﴿ وَالَّذِي كَثَرُوا إِنَّاكِيًّا هُمَّ أَصْحَتُ الْمَشْكَو ﴿ طَيْهِ £ 100 € 100 € 100.

﴿ أَصَّحَتُ ٱلمُشْفَعَةِ ﴾ هم: أصحاب الشمال والشوم أي المشائيم على أنفسهم (٩)، وهم: ﴿ عُتُهُمْ مَارٌ مُؤْسِدَةً ﴾ من وصدت الباب وأصدته: إذا أطبقته وأخلقته (ك" أي: مغلقة عليهم فهم فيها مجبوسون، هذا هو المعنى الظاهر، أما المعنى المكنى عنمه البعيد همو خلمودهم في النار لا يخرجون منها بحكم إغلاقها عليهم، وكلا المعنيين متلازمان مقصود.

سورة ألواقعة، الأيات: 41_46.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 363.

⁽³⁾ سورة البلك الأجان: 19 ـ 20.

⁽⁴⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 604. وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 27 / 285.

⁽⁵⁾ الكشاف: 4 / 604. وينظر: أساس البلاغة، ص 501 (وصد).



إتيان الكتاب من وراء الظهر؛

تأتي هــلـه الكتابة (آنيان الكتاب من وراه الظهر) في موطن واحد مقابل إنيان الكتــاب بــاليــمين، وذلك في قولــه ــ تعــالى ــــ ﴿ يَكَلَّهُمَا الْإِحْسَنُ إِنَّكَ كُلُحَ إِلَى رَبِيَكَ كُسَّا شَكَلِيمِينِ ﴿ فَالَمَانَ أُورِيَكِهِ فَلَكُ فِي مَوْسِكِهِ فَالَمَانَ أُورِيَكِهِ مُنْ رَبِّهِ فَلَهُ اللّهِ فَاللّهُ مَنْ مُنْفِقَ يَقْوَلُهُ وَمُنْفَى اللّهِ مَنْ مُنْفَقِعِ إِنَّهُ فَلَهُ فَلَهُ اللّهِ مُنْفَقِقِهِ فَاللّهِ مَنْ مُنْفِقَ وَاللّهُ فَلَكُ اللّهِ مُنْفِقَةً فِي اللّهِ مُنْفِقَةً وَلَوْمَانِكُمُ اللّهِ مُنْفِقَةً فَلَوْمَ اللّهُ فَلَقَالُ اللّهُ مُنْفِقَةً فِي اللّهُ مِنْفُولِهِ فَلَهُ فَلَهُ اللّهُ مِنْفُولِهِ فَلَهُ اللّهُ مُنْفِقًا فِي إِنْفُولُولِهِ اللّهُ مِنْفُولِهِ فَلْمُؤْلِقًا اللّهُ مِنْفُولِهِ اللّهُ مِنْفُولِهِ اللّهُ مِنْفُولِهِ اللّهُ اللّهُ مِنْفُولُهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللّهُ اللللللللللللّ

لمدن الكناية ﴿ وَيَعَمَّطُهُونِ ﴾ صورة جليدة في التعبير عن للمشين المشوومين وذلك بالقياس إلى التعبيرين الكنادين المالوفين في القرآن الكريم وهما: ﴿ أَكُنتُ الْهُونِ ﴾ الذين ياخلون كتيهم بايسانهم، و﴿ أَصَّنُ النَّبَالِ ﴾ الذين يأخلون كتيهم بشمائلهم، فهما الصورتان المالوفتمان في استعمال القرآن. أما الكناية ﴿ وَيَتَعَلَمُوهِ ﴾ فهي صورة جديدة لا تأتي إلا في هذا الموضع من القرآن.

قال الزخشري في هذه الكتابة: ﴿ وَقَدَّهُمُوبِهِ ﴾ قيل: تضلّ بهناه إلى عنقه، وتجمل شماله وراء ظهـره، فيُـوتى كتابـه بـشماله من وراء ظهــره، وقيـل: تخلـع يــده البــسرى من وراء ظهره ' ⁽²⁾ لذلك لا يمتنع أن يكون اللي يُعطى كتابه بشماله يعطاء من وراء ظهـره، فهــي ميشة الكاره المُكره الحَزيان من المراجهة ⁽³⁾.

ولعل في كناية ﴿ وَلَذَهُ عَلَيْهِ ﴾ إشارة إلى حياتهم الدنيا التي اتخذوا فيها آيـات الله ورسـله هزوأ بالنسيان والإهمال كما تعبِّر الكناية الواردة في قولـه ـ تعالى ـ على لـسان رسـوله سـيدنا شعيب عنى خاطباً قومـه: ﴿ قَالَ يَكفّونِ أَرْهُولِيَ أَصَرُّ عَلَيْكُمُ مِنَ اللهِ وَالشَّذَاتُمُو ۗ وَرَاتَكُمُ طِهَ بِيَّا إِنَّ رَبِّ بِمَا تَسْمُونَ مُجَيِّظً ﴾ 40.

⁽¹⁾ سورة الانشقاق، الأبات: 6_15.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 580.

⁽³⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 519.

⁽⁴⁾ سورة هود، الآية: 92. ويتظر: سورة البقرة، الآية، 101. وسورة آل صران، الآية: 187.

﴿ وَالْتَغَذَّمُوهُ وَرَا اللهُ عَلَيْهُ اللهِ وَاللهِ عَدِينًا ﴾ كتابة عدن النسيان والاهدال، قال الزهدري: * ﴿ وَالْتَغَذَّمُوهُ وَرَاءُ اللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَال

وفي ضوء ذلك فإن تكاية ﴿ وَيَشَّقَهُ وِيهِ ﴾ تشير إلىما فعلوه في حياتهم الذنيا، وفيها إيجاء بنسيانهم وإهماهم فيكون الجزاء من جنس العمل.

⁽¹⁾ الكشاف: 4/ 331. وينظر: الفروق اللغوية، ص 245.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 1 / 84.

الفصل التاسع كنايات في موضوعات متفرقة



الفصل التاسع

كنايات في موضوعات متفرقة

يضم هذا الفصل مجاميع من الكنايات، تشكل كلُّ مجموعة منها موضوعاً معيناً قائماً بذاته، لذلك أسميناه كنايات متفرقة، فهو يدل على معناه، أي موضوعات متفرقة، إذ تشترك عجموعة من الصور الكنائية في معالجة موضوعات يجمعها خيط فكرى واحد، فمثلاً الجموعة الأولى التي تحمل عنواناً هو (كتابات عن الشلة والكرب) تصوّر الشدائد والأهوال التي يمرّ بهما الانسان في حياته وفي أثناء موته وبعثه إلى الحياة الأخرى وغير ذلك. يجمعهـا خيط فكـرى وإن اختلف الموقف والحال.. وتأتى المجموعة الثانية تصوّر غاذج من مصارع الغابرين التي أهلكها الله بذنوبها، فجعل مصارعهم ذِكري لِمن كان له قلب فيعتبر بها.. وتصوّر المجموعة الثالثة والرابعة طائفةً من صور عذاب الله، وطائفة من صور الرحمة الألهية الواسعة، ومجموعة من الآيات الكريمة منها تتعلق بخلق الكون، كل ذلك يعرضه القرآن بالتصوير الكنائي الذي يحتضن الأفكار والمعاني فيؤديها بحيوية وقوة تأثير في المتلقى تعمل على إحداث الاستجابة النفسية السي يهمدف إليها القرآن.

وفيما يأتي استعراض كنايات كل مجموعة على حدة، نحاول فيه بيان القيمة البلاغية للفن الكنائي في التعبير عن الأفكار والمعاني بالطريقة التصويرية المؤثرة.

(1)كنايات عن الشنة والكرب:

يضم هذا العنوان ثلاث صور تشترك بإيماء الشدة والكرب التي تنتاب الإنسان في حياته.. الشدة والكرب التي يواجهها في أثناء حياته وموتـه وبعثـه، وشــدة وكــرب وهــو يواجــه الحياة، يعرضها القرآن من خلال مواجهة نبي من الأنبياء (عليهم السلام) قوة الظالمين المنحرفين عن القطرة السوية.

التفاف السّاة بالسّاة:

ترد هذه الكنابة في مشهد الاحتضار عند الموت في قوله _ تعالى _: ﴿ كُلَّ إِذَا لِنَتِ النَّرَاقَ ﴿ مَعَلَى مَنَّ مَن ﴿ وَمَنْ أَنَّهُ ٱلْمِلْفُ ۞ وَلَقَتَ ٱلسَّاقُ ﴾ إِلَيْ رَبِّكَ يَوْمَهِذِ ٱلْسَمَاقُ ﴾ (1).

فالمُنيَّة التي يتجرَّعها كل إنسان، يصور القرآن مشهدها بهـذا التصوير المُوحى. إنه مشهد يكاد يتحرك، فكل آية منه ترسم حركة وتخرج لحة من حالة الاحتضار التي يرتسم معها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة التي لا دافع لها ولا رادٌ، إنها الحقيقة الـتي لا مفـر منهـا (2) ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمُهِذِ آلْسَاقُ ﴾.

إنه مشهد الموت الذي ينتهي إليه كل حي في أجله المرسوم. وهذا المشهد يعرضه القرآن في سياق إيثار المشركين العاجلة(الحياة الدنيا) وانغماسهم في لذائـذها وشمهواتها، فهم غافلون عمًا بين أيديهم من الأهوال والشدائد التي تنتظرهم ومنها الموت في مشهده المعروض.والشدة في المشهد تلمحها بالردع والزجر ابتداء ﴿ كُلَّاإِذَا لِلنَّتِ النَّبَاقُ ﴾: ﴿ كُلًّا ﴾ ردع عن إيثار على الآخرة، كأنه قيل: ارتدموا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلوا إلى الأجلة التي تبقون فيها مخلدين (3) والنضمير في ﴿ بَلْنَوَ الثَّرَاقَ ﴾ عائد إلى الروح والتراقي: أعالى الصلر (4) أي شارف الانسان على الموت ﴿ فَقِلَ مَنْ ذَاقِ ﴾ أي: فقال أهله: من يرقى ويطب ويشفى هذا المريض (5) ﴿ وَقِلَ مَنْ كَاتِهِ ﴾ أي وأيقن المحتضر أنه سيفارق الدنيا والأهل والمال، لمعاينته ملائكة الموت " (٥)، وتلوّى المحتضر من السكرات والنزوع ﴿ وَالطَّتِ السَّاقُ بِالنَّاقِ ﴾ وهي كناية تتكثف فيها معاني المشهد المعروض في شـدَّته وكربه، قال الزخـشري: " ﴿ وَالْفَتْ ﴾ ساقه بساقه والتوت عليها عند الموت، وعن قتادة ماتت رجـلاه فـلا تحملانـه، وقـد كان عليهما جوالاً، وقيل: شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أن المساق مَثارٌ في

سورة القيامة، الأيات: 26_30.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 385, 386.

⁽³⁾ الكشاف: 4 / 530.

⁽⁴⁾ ينظر: التفسير الكبير: 30 / 230.

⁽⁵⁾ ينظر: البحر الحيط: 8 / 389 ـ 390. (6) صفرة الغاسر: 3 / 487.

.

تنطوي عليه الكناية، فالمعنى الظاهري للكناية هو التفاف الساق بالساق، أي التواء مساق على أخرى عند الموت، وهي حركة تشير إلى المعنى المكنى عنه وهو شدة الموت وكربه سواء أكان همو الم الموت ووجعه أم شدة فراق الـدنيا وانقطاع أي وسيلة لاستنفاذ الـروح مـن الاقبــال علــي الآخرة في أول منزل من منازلها (القبر)، قال ابين عباس: المراد اجتمعت عليه شدة مفارقة الدنيا، مع شدة الموت وكربه، فيكون ذلك من باب التمثيل للآمر الهائل العظيم، حيث يلتقى عليه شدة كرب الدنيا، مع شدة كرب الآخرة، كما يُقال: شمّرت الحرب عن ساق "(2) دلالة على شدتها وضراوتها. فالكناية تجسَّد بالتصوير الحسى المعاني الشعورية التي تنتاب المحتضر مـن شدة وكرب وهو يقبل على الآخرة.

ناتِكِينَ طبقاً عن طبق:

تأتى هذه الكناية في مشهد من مشاهد الطبيعة التي يقسم بها الله # في قوله .. تعمل ..: ﴿ اللهُ أَتْسِمُ إِللَّمْ فَقِ وَالَّتِلِ وَمَا وَسَقَ ﴿ وَالْتَمَرِ إِنَّا الَّذَنَّ ﴿ الْرَكْبُنَّ مَلَهًا مَن مَلَق ﴾ (ا)

﴿ لَتَرَّكُنَّ طَبَّقًا عَن طَبْق ﴾ كنايـــة تخــرج المعنــى في صـــورة حـــــيَّة، والتعــبير بــــالركوب ﴿ لَتَرَّكُنُّ ﴾ يُوحى بالشدة والمعاناة وهو المعنى الظاهري لهذا التركيب الكنائي، أما المعنى المكنس عنه الذي تشير إليه الصورة الكنائية فهو الشدائد والأهوال والكروب التي يجتازها الانسان في حياته الدنيا وما بعدها من موت ثم بعث وما يعانيه من أهوال القيامة وكروبها وشدائدها، قـال الطبري: "أنهم يُلقـون مـن شـدائد يـوم القيامـة وأهوالـه أحـوالاً "(4) وقـال الزخـشرى: " لتركين أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي الموت ومنا بعماء من مواطن القيامة وأهوالها ^{• (c)}.

والبادي أن المعنى المكني عنه لا ينحصر بشدائد الموت وشدائد يوم القيامة وأهوالم حسب، وإنما هو ذو مدلول عام يشمل حياة الانسان قبل موته وفي أثناء موته وما بعد ذلك من

الكشاف: 4 / 530. وينظر: القردات؛ ص 363.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 3 / 487.

⁽³⁾ سورة الانشقاق، الآبات: 16...19.

⁽⁴⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: 30 / 30.

⁽⁵⁾ الكشاف: 4 / 81، وينظر: روح الماني: 9 / 331.

منازل حتى يستقر في إحدى الدارين الجنة أو النار، وهو المعنى الذي ذهب إليه الراغب بقولمه: " يترقى منزلاً عن منزل، وذلك إشارة إلى أحوال شتى في الدنيا.. وأحوال شسى في الآخرة.. إلى حين المستقر في إحدى الدارين "(ا)، فالشدة والمعاناة التي يركبها الانسان ذات مدلول عــام، وهــو المعنى الذي يؤكده قوله _ تعالى _ في موضع آخر: ﴿ لَقَدْخُلَقْنَا ٱلْإِنْسُنَ فِي كَبِّيدٍ ﴾ (2) ففيه دلالة كل تعب ومشقة (³³⁾ أي شدائد ومشقات يُر بها في أحوال متعاقبة مقدّرة مرسومة، كتلك الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق تمضى وفق مشيئة الله تنتهمي عنـد غايتها، وفي ذلك يتجلى التناسق بين الكناية وما تشير إليه من أحموال متعاقبة مع الأحوال المتعاقبة ممّا ذكر من مشاهد كونية طبيعية، إذ يُمثل انتقالاً لطيفاً من معنى إلى معنى، وهسذا التناسق هو من سمات القرآن البديع (١٠).

و مما يوكد شدة هذه الأهوال وكرويها ومعاناتها توظيف الاستعارة المكنية في بنية الكناية ﴿ لَتَرَّكُنُّ لَبِيًّا مَن طَبْقٍ ﴾ * فالركوب استعارة مكنية فيها تشبيه هذه الأحوال بمطايا بركبها الناس واحدة بعد واحدة، ثم حذف المشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئًا من لوازمه وهو الركوب على سبيل الاستعارة المكنية. وبذلك تتواشج الاستعارة سم الكنايـة في إخــراج المعنى بحيويــة وقــوة

ضاق بهم دُرْماً:

وردت هذه الكناية في موطنين من القرآن الكريم في سياق قصة سيدنا لـوط ١٩٥١ وهـي تجلَّى بالتصوير الشدة التي عاناها مع قومه المنحرفين عن الفطرة السوية، نقرأ ذلك في قولــه ــ تعالى _: ﴿ لَتَرْكُبُنُّ طَبْقًا عَن طَبْقٍ ﴾ (ك)

﴿ وَهَالَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ كناية عن صفة سيدنا لوط الله ومعناها: "ضاق بـشأنهم ويتـدبير أمرهم ذرعه أي طاقته، وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع: عبارة صن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع كذا، إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا

⁽I) القردات، ص 450.

⁽²⁾ سورة البلد، الآية: 4.

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 602.

⁽⁴⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 521_522.

⁽⁵⁾ سورة هود، الآية: 77. وينظر: سورة العنكبوت / الآية: 33.

ينالمه القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة ((1) فالكناية تخرج المعنى النفسي
بالتمثيل تصويراً له وتجسيداً، وهو المعنى المكنى عنه ويتمثل في الشدة والكرب التي تجاوزت
طاقته نعجز عن مقاومة قومه ومدافعتهم عن ضيوفه الذين حسب أنهم إنس فخاف عليهم من
خبث قومه، وكما يصعد معنى الكناية المقصود الجاز العقلي الذي انتهت به الآية ﴿ وَقَالَ هَذَا يُعْبَمُ
صَيبِتُ ﴾ فالزمن ﴿ يَمُعُ ﴾ لا يكون عصيباً شليداً، وإنما هي نفسه عد في في في في فلك البوم عصيبة
مكروبة، ولكن وصف البوم بأنه عصيب بهذا الاسناد الجازي باعتبار العلاقة الزمانية يصور
عمق الشدة والكرب الذي ملا عليه أقطار نفسه وفاض فشمل الزمن، فهي لا ترى غرجاً أو
ركناً تارى إليه (الكرف الذي ملا عليه أقطار نفسه وفاض فشمل الزمن، فهي لا ترى غرجاً أو
ركناً تارى إليه (الكرف علما الكرب.

(2)كنايات عن مصارع الغابرين:

وقد كانت مصارع الغابرين كما يعرضها القرآن بالوان من العذاب والعقاب فَكُلاً أخــلـ الله بذنه، كما قال ــ تعالى ــ: ﴿ فَكُلاً أَشَدًا يَكَبُرِتُ فِيتَهُم مَّنَ أَنْسَكَا عَكِم عَاسِبًا وَيَقَهُم تَنْ أَخَلَتُهُ

⁽¹⁾ الكفاف: 3 / 356 _357.

⁽²⁾ ينظر: سورة هود، الآية: 80.

 ⁽³⁾ ينظسر: السعور الأكبسة: آل همسوان، الأيسة 11، ويسونس، الأيتسان: 13 . 14، وغسانو، الأيتسان: 12،
 18. عميد، الأبة 10 علاً.

 ⁽⁴⁾ ينظس السمور الانسة: هسود، الأيسات: 83، 100، 101، 101، 116، 116، 117، والحجسر، الأبعسان:
 4.2. والاسراء، الآية: 83. والفتح، الآية: 23 مثلاً.

⁽⁵⁾ ينظر: سورة ق، الآية: 37.

المَّيْرِيحَةُ وَهِنْهُم مَّنْ خَسَفْتَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَيِنْهُم مَنْ أَغْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِفَلِيمُهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظَلِمُونَ ﴾ (١).

ونحسن إذ نعوض مصارع الغابرين فإنما نعرضها في سياقات نصوص وصور كنائية تحاول تحليلها وبيان قيمتها البلاهية في التعبير والتصوير والتأثير.

فَعُشِيَهُم مِنَ الدِمِّ مَا غَشِيَهُم:

ياتي هذا التعبير الكنائي مصوراً عذاب فرصون وجنوده، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ قَالَيْهُمْ أَفِونُ بِمُنُودِهِ فَنَشِيهُم مِنَ ٱلْيَمْ مَا غَشِيهُمْ ﴾ (٥).

﴿ فَفَشِيهُم مِّنَ ٱلْيَمْ مَا غَشِيهُمْ ﴾ كناية كثفت معانى كثيرة وقامت في بنيتها على التهويل، تهويل المعنى المُكنى عنه وهو: شلة عذابهم وفظاعته الذي غشَّاهم لا يعلم كنهه إلاَّ الله، جماء في التفسير: ﴿ فَشِيُّمُ ۗ ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتهما بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله "(د). وفضلاً عن هذا التجهيل لشدة العذاب وفظاهته الذي حلَّ بهم، فإنَّ الفعل (غَشيّ) يعمّن من شدة همذا العدّاب الموصوف الدّي غمرهم وغطاهم، فالتغشية: التغطية (^{4)،} أي: غطاههم العذاب ولابسهم بأهواله، وغمرهم بالوان منه لا يعلم وصفها على حقيقتها إلا الله.

وهذا العذاب الذي صورته الكناية على سبيل التجهيل والتعظيم يتناسب مع فرصون وجنوده في طغيانهم وفسادهم الذي ملا الأرض (٢)؛ وفرعون الطاغية هـو مـدّعي الألوهيـة قو لا وفعلاً (6)· فناسب هذا العذاب جنس العمل، فغشيهم البحر وما فيمه وغمرهم بالعذاب بهذا التعظيم له والتفظيم الذي يتراءى من خلاله بأهواله العظيمة.

ويتكرر الفعل (غَشِيّ) في صورة كنائية أخرى في تصوير العذاب الذي حـلٌ بقـوم لـوط، وذلك في قوله .. تعالى ..: ﴿ وَالْمُوَّنِّفِكُمُّ أَهُونَ ﴿ فَنَشَّنَهُا مَا ضَمَّى ﴾ (1) والمؤتفكة هي القُرى الي

⁽¹⁾ سورة العنكبوت، الآبة: 40.

⁽²⁾ سورة طه، الآية: 78.

⁽³⁾ الكشاف: 3 / 61.

⁽⁴⁾ ينظر: لسان العرب: 15 / 126 (فشا).

⁽⁵⁾ ينقر: سورة القصص، الآية: 4.

⁽⁶⁾ ينظر: سورة القصص، الآية: 38. وسورة النازمات، الآية: 24.

⁽⁷⁾ سورة النجم، الآيتان: 53_54.



التفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهم قوم لوط﴿ أَهْرَىٰ ﴾ رفعها إلى السماء على جام جبريل، ثم أهواها إلى الأرض، أي: استطها (10.

والكناية في قوله ـ تعالى ــ: ﴿ فَتَشَمُّهَامَا غَشِّن ﴾ تصوّر عذابهم على سبيل الإيجاز، فـالمعنى المكنى عنه، وهو العذاب الفظيع المروّع لا يجدده التصوير الكتاني، وإنا هــو مطلــق علـى سـبيل التجهيل والتعظيم تذهب النفس كل مذهب في تصوره وتخيّله.

قال الزغشري: ' ﴿ كَاعَشْقُو، ﴾ تهويل وتعظيم لما صبّ عليها من العذاب وامطر عليها من الصحر المنضود أ (ثاً فالكتابة موحية بالمعنى الكتنى عند لا تحدّده ولا تحصره وإنما يمتراءى صن سجفها صورة الدمار والحسف التي تدمّر كلّ شيء فقد لابستهم باهوالها وغطتهم، فهي صصورة غربية مروعة من العذاب، ولكنها تناسب فعلتهم الغربية التي حكاما عنهم القرآن الكريم (ث) فكان عقابهم جزاءً وفاقاً.

فالكنايتان تعرض صورتين من الصذاب مروعين، وقد عملت الكناية متضافرة مع الأسلوب الموجز في كل منهما و والإيجاز من خصائص الكناية القرآنية _ على تصوير الصذاب المناسب للسياق إذ اعتمدت الكناية في بنيتها على التجهيل والتعميم في إخراج المعنى المكنى عنه لتهويله وتفقيمه، ولتوجي بلسع العذاب الذي غشاهم بالعواله، وتلقي من ثم في نفس السامع أو القارئ الرحب من هذا المصير المشؤوم، فيعمل على تجنيه، ويمتثل الأمر الله، ويعمم الصلاح والحير في حياة الفرد والمجتمع، وبلك يتحقق الهدف المنشود.

قَطْعُ الدابر:

يمبّر القرآن عن إهلاك الكافرين الظالمين بالتصوير الكتائي الموحي (قطع الدابر) في قوله ـ تعالى ــ: ﴿ فَشُواحَ مَايُرٌ القَوْمِ اللَّذِينَ ظَنَمُواً وَالمَمْدَدُ يَوْرِينَ التَعَلِينَ ﴾ (40

الكشاف: 4 / 341، وينظر: البحر الحيط: 8 / 170.

⁽²⁾ الكسشاف: 4 / 145، وينظر: تقسير التحرير والتنوير: 27 / 155، وينظر: سبورة هبود، الآيئة: 28، وسورة الحبور، الآية: 74. وصفأ لعذابهم بالمطر.

⁽³⁾ ينظر: سورة الأعراف، الآيتان: 81..80، رسورة العنكبوت، الآيتان: 28..28.

 ⁽⁴⁾ مسورة الأنسام، الآيسة: 45. وينظر: السور الآنيسة: الأصراف، الآيسة: 72. والأنشال، الآيسة: 7، والحبية: 72.
 والحبور، الآية: 66.

﴿ فَقُلِعَ دَايِرُ ٱلْقَوْمِ ﴾ كنايةٌ تواشعت معها في التعبير والنصوير استعارة (القطع)، والقطع إنما يكون للأشياء المتماسكة الصلبة كالخشب مثلاً وما شابه ذلك، قال عبد القاهر الجرجاني: "أن القطع إذا أطلق فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتصن أجزاؤها، وإذا جاء في تفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعضكان شبه الاستعارة، وإنْ كان المعنى في الموضعين على إزالة الاجتماع ونفيه " (١). وهذه الاستعارة القريبة أو شبه الاستعارة كما يقول عبـد القـاهر تصوِّر العذاب النازل بالظالمين على نحو غصوص لأن القطم يشير إلى معنى نفسي دقيـق هـو هذه الوشائج التي تقوم بين الجماعة القائمة في مكان واحد،والجتمعة في أرض واحدة، والتي هي أشبه باللحمة في الثوب "(2)" فالاستعارة تشير إلى تقطيع هذه الصلات المتلاحة بالعذاب النازل بهم، فهو عذاب شديد وكأنه تقطيع وتمزيـق للأجسام والأوصـال لا يضادر منهم أحـداً كمـا تصوّر الكناية ﴿ دَايُرُ ٱلْقُوبِ ﴾ فالدابر هـو: آخر القوم، قـال الزنحشري: 'آخـرهم لم يـترك مـنهم أحد، قد استوصلت شافتهم "(٥) فالكناية تشير إلى معناها الكنبي عنه والمتمثل في عللاب الاستئصال الذي يروِّعهم ويفزعهم، وهذا الترويع والفزع توحي به الكناية، بما فيها من حركة، لأن الدابير: فاعلى من دبر إذ أدبر (4) وفي ذلك تصوير لحالهم مبديين من الفسزع حين نـزول العذاب، لعل في الإدبار نجاة أو أمان ! ولكنه العذاب الشديد الذي يستأصلهم يأخـذ آخـرهم، فكيف بأولهم؟ فهو العذاب الذي يعمّ بالهلاك فلا يترك أحداً من الظالمين على قيد الحيــــاة ﴿ وَٱلْحَمَدُ يَعُو رَبِّ الْمَنْكِينَ ﴾.

المشي في المساكن:

عا يدل على مصارع الغابرين أثارهم، ومن هذه الآثار ما هي قائدة، ومنها مندثرة كالزرع الحمصود، كما يحكي القرآن ذلك: ﴿ وَالْكِسُونَ إِلَّهُمَ الْقَرْيَانَ تَتَصَّدُهُ مَلَيْكَ عَنْهُمَ اللّهَ عَلَيْهِمُ معروضة للمتأملين والمعتبرين فهي تزحم المنفس والحنيال ﴿ مِنْهَا قَالِمَ ۗ ﴾ لا ترال أثباره شاخصة باقية

⁽¹⁾ أسرار البلاغة، ص 44.

 ⁽²⁾ التسموير اليساني دراسة تحليلية لمسائل اليسان، ص 202 ـ 203. وينظو: الاستمارة في الفرآن
 الكريم، ص 85.

⁽³⁾ الكشاف: 2 / 18، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: 9 / 272 الكتاب الثاني.

⁽⁴⁾ الكشاف: 2 / 156.

⁽⁵⁾ سورة هود، الآية: 100. وينظر: سورة يونس، الآية: 34، وسورة الأنبياء، الآية: 15.

تروي قصة الكفر والبطر، ومنها ﴿ وَسَوِيمِيدٌ ﴾ عاني الأثر كـالزرع المحـصـود، وكـلُّ منهمـا دالُّ على موت أهلهما وهلاكهم وزواهم بعد الحركة والحياة.

والغرآن يَنْخَدُ من آثارهم ومساكتهم هذه معرضاً للإنذار والعبرة، كما قترا مثلاً في قول ـ تعدالي ـــ ﴿ اَلْفَهْنَهِوَ لَهُمُ كُمُ الْمُدْكُنَاقِهُمْ مِنَ الْقُرْوَيْدَ مُونِ فِي اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مُنْ اللَّه

وَيَشُودُ فِي مَسْتَحِيمُ أَلَّ كِتَايَة، والمنى الظّاهر الذي تدان عليه هو: أي وهولاء المحلّين المحرف في مساكنه ويعمرها ((2) فهم يعتقبون في مساكنه ويعمرها ((2) فهم يعتقبون في مساكنه ويعاينون آثار هلاكهم الشاخصة الموحشة لا ديار فيها ولا نمانخ نمار. أما المعنى المكنى عنه المقصود فهر ملزوم المشي في همله المساكن ويتمثل في العبرة والاتماظ عما تحكيه الملك الآثار والمساكن الحاوية عن مصارح الغابرين الظالمين، عبرة تحبّب الملين بحسون في تملك المساكن الحاوية الموحشة المساكن الحاوية الموحشة المساكن سنة الله الجارية في إهمالاك الظالمين، والعبرة التي تبتعثها تلك المساكن الحاوية الموحشة في الحس والوجدان تكفي للإنشار والموحشة، فما لهم لا يعتبرون، ولا يتعظون كما يمدل الاستفهام التعجبي بالهمزة: ﴿ لَقَلْمَ يَهُو لَمُنْ ... ﴾ تعجيب من حال الكافرين المذين المدين لا يعمون للمومني المنافر، والعبرة المامهم معروضة للانظار، ﴿ إِنَّوْ فَيْ لِكُلُّينَ اللّمِن لا يعتبرون بالآيات المومنين المقارء المؤسمين.

ولا شك أي أن القلب المؤمن حين يجول في مصارع القرون، وحين تطالع الحين آشارهم ومساكنهم هن كثب، وحين يتملّى تلك المساكن وقد خلت من أهلها الظالمين، ويتصور ومساكنهم هن كثب، وحركاتهم وسكناتهم، وخواطرهم وأحلامهم، وهمومهم وآمالهم.. حين يتأمّل هذا الحشد من الصور المزدحة، ثم لا يرى إلاّ الحواء المرحش.. حينتلز يستيقظ للعبرة، ويدك يد القدرة التي أخلت القرون الأولى لظلمها وهي قادرة على أن تأخذ ما يليها، ويعي معنى الانذار والعبرة التي تبتحها تلك المساكن (٥) الخاوية.

 ⁽¹⁾ سبورة طبء الآيسة: 128. وينظير السبور الآتيسة: النسل، الآيسة: 52، والقسمس، الآيسة: 58، والمسبودة، الآيسة: 58، والسبودة، الآيسة: 26، والسبافات، الآيسان: 137 ـ 138، والأحقساف، الآيت 25.

⁽²⁾ تفسير القرآن العظيم: 3/ 446، وينظر: صفوة التفاسي: 2/ 506.

⁽³⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 5 / 504.

إِرَمَ ذَاتِ العماد. وثمود اللَّين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذو الأوتاد: ترد هذه الكنايات الثلاث في قوله _ تعالى _: ﴿ أَلَمْ زُرُكِكَ فَكُرَوُّكَ مِعَادٍ ﴿ إِنَّ فَاتِ ٱلْمِعَادِ

الله يُعْتَقَ مِثْلُهَا فِ الْمِلْدِ ﴿ وَتَعُودَ الَّذِينَ جَالُوا السَّخْرَ بِالرَادِ ﴿ وَمُرْتَوْنَ ذِي الْأَوْلَو ﴿ الَّذِينَ مَلَمُوا فِي الْمِلْدِ ﴿ أَكُذُا لِهَا ٱلْفَسَادُ ﴿ فَمَتُ عَلَيْهِ رَقُّكَ سَوْلًا عَلَا ۞ إِذْ رَبُّكَ لِٱلْمُحَادِ ﴾ (١٠).

في هذه الآيات الكريمـة تتـشكّل شلاث كنايــات: ﴿ إِرْمَ ذَاتِ ٱلْمِمَادِ ﴾ و﴿ وَتَسُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ﴾ و﴿ رَوْعَوْنَ ذِي الْأَنْبَادِ ﴾ ثلاث أمم غابرة ذوات حضارة بلغت مبلغاً يـذكر، قــوم عاد، وقوم ثمود، وقوم فرعون. يخبرنا القرآن عنها لاتخاذ العبرةمنها والموعظة، فهذه الحضارات العي شيَّدنها هـذه الأمم لم تنجها من العذاب والهلاك لمَّا كفرت بالله وعَنْتُ عن أمـره.. والـسياق يُفتتح بالاستفهام بالهمزة: ﴿ أَلَمْ رَنَّ ١٠ ﴾ للتنبيه وإثارة اليقظة للالتفات إلى ما أنـزل الله بهـا مـن مذاب طاغ كما صورته الاستعارة الكنية (صب).

الكتاية الأولى: ﴿ إِنَّ ذَاتِ السِّكُو ﴾ يصف بها عاد الأولى أصل إرم ذات البناء الرفيع، الذين كانوا يسكنون بالأحقاف بين عمان وحضرموت "(2)، وهذه الكناية تشير إلى أكثر من معنى مكنى عنه، فهي ذات إمجاءات متعددة تقرّب إلى الذهن ما كانت عليه عاد من قوة وعيز وسيادة كما تدل مادة هذه الكناية. قال ابن منظور: " عُمَّد الحائط يَعْمِدُ، عُمْداً: دعمه، والعمود البلي تحامل التَّقُورُ عليه من فوق كالسقف يُعْمَدُ بالأساطين المنصوبة. وعَمَد الشيءَ يَعْدِدُه عَمْداً: أقامه. والعمادُ: ما أقيمَ به، وعمدت الشيءَ فانعَمَد أي أقمته بعمادٍ يَعْتَوِدُ عليه. والعماد:الأبنية الرفيعة.. وقوله _ تعالى _: چِشْقَقْچ، قيل: معناه أي ذات الطُّول، وقيل أي ذات البناء الرفيم، وقيل: أي ذات البناء الرفيع المُعَمَد " (3) وقال المبرُّد في قول الخنساء:

طويلُ النَّجِاد رفيعُ العِماد مساد عَشارِ النَّجاد أَمْرُدا

فقولها طويل النجاد، تريد نجاده، طول قامته، وهذا بما يمدح به الشريف. وقولها رفيم العماد، وإنما تريد ذاك يقال: رجل معتمد أي طويل ومنه قوله الله الإركزنات المياد كه أي الطول (١٠٠٠ وهـ له المعانى التي تشير إليها الكناية قد ذكرها القرآن في مواضع أخرى، فممّا يدل على أبنيتهم الرفيعة

سورة الفجر، الأيات: 6_14.

⁽²⁾ صفوة التفاسير: 3/ 556، وينظر: سورة الأحقاف، الآية: 21.

⁽³⁾ أسان العرب: 3 / 303 (عُمُد).

⁽⁴⁾ الكامل: 2 / 281.

المُعنَدة التي تشعر إلى رقي حضاري قوله - تعالى - على لسان نيهم هدو هيئ خاطباً إيساهم:

﴿ أَنْبَنُونَ مِنْ لِللّهِ مِنْ مَنْ مُنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مُنْ أَلَكُمْ تَعَلَّدُهُ ﴾ (أ) وبما يدانا على قدوتهم ويطقم في الجسم قال - تعالى - ﴿ وَأَدَّكُمْ إِلَا يَمْكُمُ عَلَلْكُمْ لِللّهَ مِنْ الْجَسْانُ وَمِنْ الْمُنْ اللّه الله المنحوب في الجسال وبناء القصور، يتشكل في العلامات على المرتقعات، وحتى ليجول في خاطوهم أن همله المصانع وما ينشؤونه بوساطتها من البنيان كافية لحمايتهم من الموت (أ) وهم بدلاً من أن يؤمنوا بالله ويشكروه على نعمه عليهم كفروا وجحلوا نعمه وركنوا إلى قوتهم فلمرهم الله وعليهم عذاياً شديداً بالريح المصور العاتمة الميهم في أيام توساطه)

مُقْسِدِينَ ﴾ (6. فالكناية تشير إلى رقيهم الحفساري الذي بلغوه بما أنعم الله علميهم.. ولكنهم كفروا وعَثَوًا عن أمر ربهم ورسوله فاخذتهم صاعقة العذاب الحُـون بما كانوا يكسبون (^{0.}

وأما الكناية الثالثة: في شأن فرعون ﴿ وَقِرْمَونَ وَى الْأَوْلَةِ ﴾ فقد قبل فيها عدة معان:

_ أنه كان پوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتاد في يديه ورجليه ويتركه حتى يموت.

سورة الشعراء، الآيتان: 128_129.

⁽²⁾ صورة الأعراف، من الآية: 60. ويتظر: صورة هود، الآية: 52، وصورة الشعراء، الآية: 130.

⁽³⁾ في ظلال القرآن: 8 / 571.

 ⁽⁴⁾ ينظر: صورة الحاقة، الأيسان: 6 - 7، ومسورة فسملت، الآية: 15، ومسورة السلاريات، الآيسان:
 (4) ينظر: صورة القمر، الآيتان: 9 - 20.

⁽⁵⁾ أساس البلاغة، ص 68 (جوب). وينظر: لسان العرب: 1 / 285 (جوب).

⁽⁶⁾ سورة الأعراف، الآية: 74. وينظر: سورة الشعراء، الآية: 149.

⁽⁷⁾ ينظر: سورة فصلت، الآية: 17، وسورة الشاريات، الآية: 44.

ـ المراد بالأوتاد الماني العظيمة الثابتة.

ـ المراد الدلالة على ثبات ملكه.

ـ المُراد بأنه صاحب الأهوامات والمبانى العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد^{(ز).} ورجّح بعض المفسرين المحدثين بأنها الأهرامات السي تـشبه الأوتـاد الثابتـة في الأرض المتينة البنيان (2).

والبادي أن الكناية تشير إلى كل هـذه المعانى، فهي كناية موحية، إلاَّ أنَّ أقرب معنى ظاهري تدل عليه هو أنه كان يوتد من يريد تعذيب بأوتاد حتى يحوت، والمعنى الأول اللهي أوردناه، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن في مواضع أخرى من تهديد فرعون للسحرة الـذي آمنوا بموسى ١٩٤٨، تهديدهم بعذاب التصليب في جذوع النخل وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف (c) افغي جلوع النخل إشارة صريحة إلى هذه الأوتاد بوصفها وسيلة تعذيب معروفة لمدي فرمون.. وعًا يؤيِّد هذا المني الظاهر القريب السياق الذي جاءت فيه الكناية، فهو سياق عذاب، العذاب الطاخي الغامر الذي صبِّه الله عليهم ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِدِّ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابِ ﴿ إِنَّ رَبُّكُ لَيَالْمِرْمَادِ ﴾ وكأن جزاءهم الذي لقوه هو من جنس عملهم.

أما المعنى المكنى عنه البعيد الذي تشير إليه الكناية والذي نرجَّحه هو ثبات ملكه المرتكز على القوة، ومَّا يقوَّى هذا المعنى ويجلِّيه ما ورد في القرآن عن جعل الجبال في الأرض أرتاداً لهـا لتثبيتها واستقرارها ﴿ أَتَرْ نَجُسُلِ ٱلدُّرَضِّ مِهَندًا ﴿ وَلَلْمِيالَ أَرْتَادًا ﴾ (4) فالثبات والاستقرار هــو المعنى اللي تشير إليه الكناية وهبو معنى ينطوي على المعاني الأخرى وهو من مظاهر ثسات الملك المدال عليه كالمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد أو تلك الاهرامات التي تشبه الأوتساد الثابئة في الأرض المتيشة البنيسان، وكلما تسمير إلى رقى صفاري، وقوة مادية،ولكنها قوة مادية طاغية، فقد أشار القرآن إلى قـوة فرصون وجبروتـه، وأشــار إلى البنيـان العظيمة والأنهار التي تجرى من تحتها (ك)، وطفيانه في الأرض وتعذيب لبني اسرائيل بـالوان

⁽¹⁾ ينظر: صفوة التفاصر: 3 / 56، وينظر: الكشاف: 4 / 597.

⁽²⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 371، وينظر: 7 / 90.

⁽³⁾ ينظر: السور الآتية: الأعراف، الآية: 124. وطه، الآية: 71. والشعراء، الآية: 49.

⁽⁴⁾ سورة النياء الآيتان: 6 ..7. ينظر: سورة النجل، الآية: 15.

⁽⁵⁾ سورة الزخوف الآية: 51.

العذاب (1¹⁾ بل أدّعى الألوهية قولاً وفعلاً ⁽²⁾ إنه كان عالياً في الأرض من للمسرفين ⁽¹⁾ فاخداً. الله وجنوده أخذ عزيز مقتلو، فلم تصمد قوته الغاشمة أمام قوة الله وجبروته وهذه هي سنّة الله في الأقوام الكافرة الطاغية التي تبلغ مبلغاً من الحضارة المادية بكل الوانها ؛ لأنها منقطعة عن الله كافرة به، فيأخذها باللوان من العذاب الأليم.

نقص الأرض من أطرافها:

وردت هذه الكتابة في قوله _ تعالى _ ﴿ أَوْلَمْ يَرُواْ أَثَا نَافِي الدَّرَضَ نَفْسُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَوْلَلْتُ يَمَنَّكُمْ لَا مُفَهِّنَ لِيَخْكِيدُ وَهُوَ مَسْرِيخَ أَلْحَسَانِهِ ﴾ (40

تتصل هذه الكناية: ﴿ قَالَى الْرُقِنَ تَعْسَمُ يَرَ الْمُرْفِقِينَ ﴾ بالكنايات الشلاث السابقة في شان عاد وثمود وفرعون، إذ تصوّر لنا حاقبة الأمم الكافرة بالله على مهما بلغت حضارتها المادية في الرقي والتطور. وجاء في تفسيرها: ﴿ إِنَّا الْمَيْلَ الْمُرْفِق ﴾ أرض الكفر ﴿ وَتَعْسَمُ بِنَ الْمُرْفِقِهَا ﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام، وذلك من آيات الشعرة والفلية (ف) فالكناية تصور هذا المعنى على سبيل التمثيل بالصورة الحسية والتمثلة بيقصان الأرض من اطرافها، وهذا يمثل المعنى الظاهر القريب لها، أما المعنى المكنى عنه البعيد نهو يلتقي مع هذا المعنى من حيث النصر والغلبة للمسلمين، والدمار والهلاك للكافرين، إلا أنه يتجسد على نحو ضعوص ويقرر حقيقة، وسنة من سنن الله في الأرض، وتتمشل هذه الحقيقة ، وتفسد ـ فننقص من قوتها ومن ثرائها، وتنقص من قدرها، وتحسرها في رقعة من الأرض ضيّقة بعد أن كانت ذات سلطان وسيادة، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فيلا معدِّب لحكمه ﴿ وَاللهُ يكثمُ لا مُدَوِّرُه المعرف على النافاذ ٤٠٠٠.

⁽¹⁾ سورة طه، الآية: 47.

⁽²⁾ سورة القصص، الآية: 38. وسورة النازمات، الآية: 24.

⁽³⁾ سورة يونس، الآية: 83. وسورة القصص، الآية: 4.

⁽⁴⁾ سورة الرعد، الآية: 41. وينظر: سورة الأنياء، الآية: 44.

⁽⁵⁾ الكشاف: 2 / 416. وينظر: صفرة التفاسي: 2 / 87.

⁽⁶⁾ ينظر: في ظلل القرآن: 5 / 102.



وبذلك فإن الكناية تشير إلى هذا اللون من العذاب البطيء وبـ تُطـوى رقعـة الـدول المتغلبَّة وتنحسر وتنزول أو تكون دويلات صغيرة لا قبوة لها ولا سيادة،وكانت من قيل. أمبراطوريات، فإذا هي مغلوبة على أمرها بعد أن كانت غالبة، وإذا هي فقيرة قليلة العدد بعيد أن كانت غنية كثيرة العدد.. وهذه هي سنّة الله كما تجلّيها الكناية.

(3) كنابات عن العداب:

والعذاب الذي تصوره هذه الكنايات متنوع منه عذاب أصحاب جهنم المذين يغشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ومنه عاذاب في الحياة الدنيا الأولياء الشيطان تخرجه الكناية بالتصوير الحسى المؤثر، وقيما يأتي عرض لها:

من فوقهم ومن تحت أرجلهم:

تأتى هذه الكناية في قوله _ تعالى _: ﴿ يَوْمَ يَغَشَنْهُمُ الْعَنَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَعْتِ أَنْسُلِهِمْ وَيَقُولُ دُوقُواْمَا كُنْمُ مُعَمَّوْنَ ﴾ (١).

﴿ مِن فَرَقِهِمْ وَمِن تَمَّتِ أَنْشُلِهِمْ ﴾ كناية ومعناها الظاهر القريب هـ و أنَّ العـذاب يغـشاهـم إحاطة شاملة، فهو عذاب شديد يُطبق عليهم فيغشاهم ويلابسهم من كل مكان، ولكن الكناية تصوّره من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، لأذن ذلك أبلخ في تنصوير العلماب، إذ الكناية تخرج العداب وكأنه حِمَمٌ تقذفهم به من فوق، أو براكين تنفجر عنه من تحت أقدامهم (٥)، وفي ذلك يتجلَّى هول العذاب وشدته، فضلاً عن إياء التخويف والفزع الذي تشره المصورة في نفس المتلقى.

وثمة نلحظ الكناية في سياق آخر في قوله _ تعالى _: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَيْهَ لَن يَبَتَ عَلَيْكُمْ عَدَابًا يِّن فَوَقِكُمْ أَدُّ مِن ضَمِّتِ أَرْبُولِكُمْ أَدْ يَلِيسَكُمْ شِيعًا وَلِيْقَ بَسَغَيمُ بَأْسَ بَسْنِي النَّارَ كِيْفَ نَصْرَكُ الْآيَائِتِ لَسَلَّهُمْ يَفْتُهُونَ ﴾ (3).

سورة العنكبوت، الآية: 55، وينظر: سورة الزمر، الآية: 16.

⁽²⁾ ينظر: من أسرار التعبير القرآئي، ص 47.

⁽³⁾ سورالأنعام، الآية: 65.

﴿ يَن فَوَقَكُمُ أَوْ مِن نَحِّت أَشَيْلُكُمُ ﴾ كناية عن العذاب الشديد الغامس الذي يحيط بهم،
وخص بالذكر: من فوق ومن تحت الأنهما أبلغ في تصوير العذاب الذي يقهرهم به الله #6 إن
شاء، وأشد وقعاً في النفس من تُعبرُو، أنياً من يمن أو شمال، فالوهم قد يخيل للانسان أنه قد
يقد على دفع العذاب من يمن أو شمال، أما العذاب الذي يصب عليه من فوق، أو يأخذه به
من تحت، فهو عذاب غامر قاهر مزازل، لا مقاومة له ولا ثبات معه. والكناية موحية بهذا
الإيجاء القوي في حس الانسان ووجلاانه، كما أنها تقرر حقيقة قدرة الله على أخدا العباد
بالعذاب من حيث شاء وكيف شاء (10.

والكتابة فضلاً عن ذلك لمُنحة إلى الدوان من العذاب البي أخدا الله بها تسماً من الأقدوام الكافرة الغابرة، تشير إليها الكتابة تخويفاً وتحديراً. قال الزهمشري: "﴿ هَلَابَانِن فَوَيْكُمْ ﴾ كمما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة، وأرسل على قوم نـوح الطوفـان ﴿ أَدِّين يَّقِيّ اَتَّمِيْكُمُ ﴾ كما أغرق فرعون وخسف بقارون " (٥٠.

⁽¹⁾ ينظر: في ظلال القرآن: 3/ 269.

⁽²⁾ الكشاف: 2 / 25.

⁽³⁾ سورة يس، الآيتان: 45 ـ46.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسير: 3/ 17. وينظر: الكشاف: 4/ 14، والجامع الأحكام القرآن: 15/ 36.

من بين أيديهم ومن خلفهم وحن أيمانهم وحن شمائلهم:

يصور القرآن الكريم بهذا التعبير الكنائي محاولة ابليس - لعنه الله - الدائبة الاغواء آدم الله وذريته، في قوله ـ نعالى ـ على لسان ابلـيس: ﴿ قَالَ فَهِمَا أَفَوْيَتَنِي لَأَضَّلَانَا أَنْمُ سِرَطُكَ ٱلمُسْتَقِيمَ ﴾ ثُمُّ لَا يَنْهُمْ مِنْ يَنِي أَلِيهِمْ وَمِنْ خَلِهِمْ وَمَنْ أَيْتَهِمْ وَمَن خَلَالِهِمْ وَلا غِدُ أَكْرَهُمْ مُنْكِيك ﴾ (١٠.

﴿ مِنْ يَنِ أَلِدِيهِمْ وَمِنْ خَلِيْهِمْ وَمَنْ أَيْسُهِمْ وَمَن فَهَالِيهِمْ ﴾ كناية، والمعنى الحسى القريب لها أن ابليس سيأتي البشر من كل الجهات لاضوائهم وإضلالهم عن طريسق الله، عن طريق الحق والهدى، فهو العدو يأتي من الجهات الأربع للإطباق على عدوه.

أما المعنى المكنى عنه فهو تجسيد لوسوسته وتسويله للبشر ما أمكنــه وقــلـر عليـه (٥) من الإغواء والتضليل، والكناية تخرج هذا المعنى وتقربُه إلى الأذهان في صدورة متحركة، نهري فيهما إبليس _ لعنه الله _ في إصراره العنيد على إخواء بني آدم، فهو يتريّص بهم قاعداً لهم صراط الله المستقيم، والقعود كنايةً عن الملازمة، ووجه الكناية هـو أنَّ ملازمة المكان تــــتلزم الإعيــاء مــن الوقوف عنده، فيقعد الملازم طلباً الراحة، ومن ثم أطلق على المستجير اسم القعيد، ومن إطلاق القعيد على الملازم قوله _ تعالى _ ﴿ إِذْ يَنَاقُ الْمُتَلِقِيْكِ مَنِ الْيَعِينِ وَعِنَ الشِّمَالِ فَيدُّ ﴾ (3) أي ملازم إذ لا يُوْصَف بقعود ولا قيام "(١).

والصراط استعارة تصريحية تصوّر الاسلام من ايمان بالله وطاعمات في صورة حسية، وابليس سيقعد على هذا الصراط المستقيم يصدّ عنه كل من يحاول اجتيازه إلى 献 如 ويـرجعهـم عنه وينضللهم في شمتي محاولاته كمما صوّرت الكناية، فينقلبوا كافرين لا يعرفون الله ولا يشكرونه ولا يفلت منه إلاَّ القليل ﴿ وَلَا يَجِدُأَ كَثَرَهُمْ فَتَكِيتِكَ ﴾ ونفي الشكر كنايةُ عن الكفـر كمـا قال _ تعالى _: ﴿ وَأَشْكُرُوا فِي وَلَا تَكُمُّونِ ﴾ (د) ووجه الكناية أن إبليس أراد الأدب مم الله _ تعالى - فلم يصرّح بين يديه بكفر أتباعه المقتضى أنه يأمرهم بالكفر (6).

⁽¹⁾ سورة الأعراف، الأبتان: 16 ..71.

⁽²⁾ بط: الكشاف: 2 / 73.

⁽³⁾ سورة في، الآية: 17. وينظر: سورة الأعراف، الآية: 86.

⁽⁴⁾ تفسير التحرير والتنوير: 8 / 47 الكتاب الثاني ...

⁽⁵⁾ سورة البقرة، من الآبة: 152.

⁽⁶⁾ ينظر:: تفسير التحرير والتنوير: 8 / 50 الكتاب الثاني ...

ولا يخفى ما في التصوير الكتاني من تحذير من هــذا المـدو وللتريّـص الـذي لا يـني في إضلال البشر للمحيلولة بينهم وبين الايمان والطاعة، تحذير شديد يشر النفس المؤمنة بـالله الطائمــة له أن تتيقظ لهذا العدو وتدرأ خطو. بتقوى الله وطاعته فتنجو من هذاب الله.

(4)كنايات عن الرحمة:

وهي كنايات متعددة تصور رحمة الله الواسعة بعباده، وفيما يأتي عرض لنماذج منها: فتح البركات من السماء والأرض:

وردت هذه الكناية التصويرية في قوله _ تصالى خ ﴿ وَلُوَّا أَذَا أَهْلَ الْشُرَقِ مَاسُوا وَالْمُقَوْا لَلْنَمْعَ عَلَيْهِ مِبْرَكْتِ مِنَّ الشَّنَائِقُ وَالْأَرْضِ وَلَذَكِنِ كَذَّلُواْ أَهْمَذَنْتُهُم بِمَا كَانُوا يَكْفِينُونَ ﴾ (١٠).

وين شبّه البركات وكانها عصورة خلف الأبواب المستفلقة في بنيتها على الاستمارة المكتبة البركات وكانها عصورة خلف الأبواب المستفلقة ثم حذف الأبواب وأبقى شيئاً من لوازمها وهي (فتحنا) على صبيل الاستمارة المكتبة، وفيها تتممق دلالة تيسم البركات عليهم، قال الزهما وهي (فتحنا) على صبيل الاستمارة المكتبة، وفيها تتممق دلالة تيسم البركات عليهم، قال الزهمات عليه مكما ييسر أمر الأبواب المستفلقة بفتحها. ومنه قولم: فتحت على القارئ، إذا تعلوت عليه القراءة فيسرتها عليهم بالتلقية "فا والاستمارة ليسمة فله من ذاتها وإثما عمي وصيلة تقودنا إلى معنى مكنى عنه يتوارى خلفها، وبذلك تكون كتابة تشر إلى معناها المكتبى عنه، ويتشل في ذلك النيش من الرق المبارك من السماء والأرض، وهو رزق لا ينحصر بالماء النازل من السماء والأرض، وهو رزق لا ينحصر بالماء النازل من السماء والنبات في الكل النوى من كل وجه بلا تحديد وتقييد، هو رزق مبارك فو دلالة شاملة الما الوام البركات في كل صورها وأشكالها المادية والمنرية، وذلك بشرط الايمان والتقوى كما برزق مبارك معين، وإنما في السمادة. وهي صورة مبارك معين، وإنما والسمادة. وهي صورة علية من صور الرحة والالهية بعباد لو آمنوا به والقوف.

سورة الأعراف الآية: 96.

⁽²⁾ الكشاف: 2 / 105.



الأكل من فوق ومن تحت الأرجل:

فالكناية ﴿ لَأَكَاوُا مِن فَغَهِد وَيَ شَي أَتُرْلِهِ ﴾ تصوير حسى، والمعنى القريب كما جاء في التفسير: ' لأكلوا الأرزاق النازلة عليهم ﴿ مِن فَقَهِد ﴾ من السماء بإنزال ماديها، والأرزاق النابتة ﴿ وَمِن شَي أَتَوُهِم ﴾ أي مما تقيما من الأراضي الحصبة المنبئة المنسرة "(")، وأورد الزهشري ثلاثة أوجه من الماني:

- أنْ يَفْيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض.

- أن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة.

- ان يسرزقهم الجنسان اليانصة الثمسار يجتنسون مسا تهسدًل منهسا مسن رؤوس السشيجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم ⁽⁶⁾

أما المعنى المكنى عنه بهذا التعبير الكنائي فهو السُّعة في الرزق على المؤمنين المستقين، رزق مبروك لا يتحدد بالجهتين المذكورتين (فوق وتحت) حسب، وإنما فيه دلالة الموفرة تعـمّ الـبلاد بالحيرات والثمار والأرزاق ينالها العباد بشرط الإيمان والتقوى.

وبذلك تجلي هذه الكناية، فضلاً عن الكناية السابقة المعنى المكنى عنه مـصوّراً بالـصورة الحسية المؤثرة يقرران سنّة من سنن الله تتمثل في أن الابمان والثقوى يكفل للمؤمنين المتقين وفرة في الوزق المبارك في حياتهم الدنيا، فضلاً عن جزاء المدار الاخرة بنميمها المداتم الباقي.

سورة المائدة، الآية: 66.

⁽²⁾ مواهب الرحن في تفسير القرآن: 3/ 179.

⁽³⁾ الكئاف: 1 / 630.

وحملتاه على ذات ألواح ودسر:

ترد هذه الكناية في سياق الطوفان، وهي تجلي صورة من صور الرحمة الالهية بالعباد المؤمنين: نوح 🕮 ومن آمن معه، وذلك في قوله .. تعالى ..: ﴿ وَحَمَلَتُهُ عَلَىٰ ذَاتِ ٱلْوَجِ وَبُسُرٍ ﴾ (١٠.

﴿ ظُلُ ذَاتِ ٱلْوَجِ وَيُسُرِ ﴾ كنايةً عن السفينة التي حملت نوحاً ١٩٤١ ومن معه من المؤمنين، قال الزخشري: "أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبوب منابهـا وتـودي مؤداها "(2) أي قدكُتُي عن الموصوف (السفينة) بلفظين هما: الألواح والدسر اللذان يشيران إلى أنها كانت سفينة محكمة بهما، وهـو المعنى الذي يُلائـم سياق الطوفان الصعب الـذي أحـاط خطره وأحدق بكل حي ﴿ فَغَنَمُنَا أَبُونَ السَّمَلَ يَلُو تُنْسِير ﴾ وَفَجَّوَا الأَرْضَ غُيُونًا قَالنَقَ السَّاءَ فَلَة أَشر فَدّ عُودَ الله وَحَمَلَتُهُ كُلُ ذَاتِ أَلَوْحٍ وَمُشُرٍ ﴾ (3) فهي سفينة محكمة قد صنعها سيدنا نوح بعيسن الله ورهايته كما قال .. تعالى ..: ﴿ أَنِّ أَمَّتُمُ الْقُلُّكُ بِأَتَّمَيْنَا وَيَشِّينَا ﴾ (4) والتنكير في ﴿ أَلُورُم ﴾ يفيد التعظيم والنوعية معاً، فهي من نوع من الألواح غريب وعظيم، وكذلك يُقال في (الدسر) ٢٥٠.

وقد لحظ الدكتور محمد أبو موسى معنى آخر مضاداً لهــذا المعنى بقول: الكتابة عين السفينة بذات الألواح والنصر ليس بياناً لمكانتها وقوتها رأتها يأمن من فيها، وإنما هو تهوين لها، وأنها لا تحفظ أحداً، وإنما كان الحفظ بعناية الله وحندها، وكناتهم في ومنط هنذا المنوج الهنادر الذي ابتلع الحياة والأحياء آمنون وهم على ألواح لا تُغنى عنهم من الأسر شيئاً، لأن عنايــة الله كانت هي التي تحفظ، وفي هـذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا، وأنهم لم ينجوا بسفينة ناجيـة، وإتحـا نجوا على سطوح ألواح هيئة '(٥).

وفي هــٰذا يتجلى بيان الكرامة التي كانت من الله لنوح والذين معه ورحمته بهــم في ذلـك الموقف وهوله العظيم الذي أحاط بالأحياء والحياة.

⁽¹⁾ صورة القصر، الآينة: 13، وينظر: النسور الآتية: النشوري، الآينة: 32، والماريات: 3، والسرحن، الآية 24، والحاقة، الآية: 11 وفيها كنايات صن السفينة بوصفها آية من آيات الله وتجلّي صورة من صور رحمة الله بالناس.

⁽²⁾ الكشاف: 4 / 345.

⁽³⁾ سررة القمر، الآيات: 11..11.

⁽⁴⁾ سورة المؤمنون، من الآية: 27.

⁽⁵⁾ ينظر: التصوير البياتي دراسة تحليلية لمائل البيان، ص 418-418.

 ⁽⁶⁾ التصوير البيائي دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 418.

(5) **كنابات أخ**رى:

يضم هذا المبحث عدة كنايات، كل كناية تنفرد بموضوع معين، وفيما يأتي عرض لها: التَنْشِئَةُ فِي الْجِلْيَةِ وَفِي الجِّصِامِ خَبِرُ مِينٍ:

وردت هذه الكتابة عن الإنباث في قوله _ تعالى _ ﴿ أَوْمَن يُنَشِّؤُ فِ ٱلْجِلْيَةِ وَهُو فِي المُتَسَامِ غَيْرُمُهِينَ ﴾ (١) كناية عن موصوف وهي (المرأة)، وقد أبرزت هذه الكناية في المرأة صفات معينة، وهي صفات ذوات دلالة مهمة في سياق الآيات التي تشكّلت فيها الكناية، ويحسن بنا ايرادهـ اليتجلى معنى الكنايـة بوضـوح: ﴿ وَجَمَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزُّهُمْ إِنَّ ٱلإنسَانَ لْكَمُورُ تُمِينُ ﴿ آمِ أَخَذَ مِنَا يَفَلُقُ بَنَاتِ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَينِينَ ﴿ وَإِنَا بُيْسَ أَصَدُهُم بِمَا صَرَبَ لِلرَّحَلَنِ مَثَلًا طَلَّ وَمَهُدُ مُسْوَدًا وَهُو كَطِيدٌ ﴿ أَوْمَن يُنَفِّؤُ فِي الْمِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْمِسَامِ مَقِرَّسُين له (٥٠٠

فالكنابة تشمر إلى أن النعومة والرخاوة من صفات النساء، وفي ذلك رمز إلى أن هاتين الصفتين لبستا من أوصاف الرجال الذين أعدوا للمجالدة وتعميس الأرض، فالنَّسْعُ في الزينة والتعومة من المعايب والمذام للرجل، وأنها من صفة المرأة، فعلى الرجل أن يتجنب ذلك ويأنف منه (3) وكون (المرأة) تنشأ في الحلية فهي مشغولة بظواهر الأصور وزينتها. وفي الكنايـة بيان لتجاوزهم وغبنهم حين جعلوا الاناث جزءاً من الرحن وبضعةً منه _ تُعالى عَمَّا يقولون عُلُوًّا كَبِيراً _وهذا يتنافي مم الجبروت والملكوت وسيطرة الربوبية، والعرب أعرف أقوام الأرض بما تنطبوي عليه المرأة من الضعف والعجز، وما تحتاج إليه من الحياطة والحماية، وحياة الحرب والغارة التي كانت قطعة من وجودهم لم يكن للمرأة فيها بلاء، ثم يجعلونها مثلاً للرحمن وهم ﴿ وَإِذَا يُشَرِّ أَسَدُهُم بِالْأَتَيْنَ طَلَّ وَجَهُدُ مُسْوَدًا وَهُو كَظِيمٌ (١٠) ﴾ (١٠.

⁽¹⁾ سررة الزخرف الآية: 18.

⁽²⁾ مورة الزخرف، الآيات: 15 ــ18.

⁽³⁾ ينظى: الكشاف: 4 / 192، وينظى: التصوير البياتي دراسة تحليلية السائل البيان، ص 418 _ .419

⁽⁴⁾ سورة النحل، الآية: 58.

⁽⁵⁾ التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 419.

﴿ وَهُوْلَ لِلْصِّمَادِ مَقِيمُ مُعِينَ ﴾ تجلّى صفة اخرى للموصوف الذي يتربّى في الزينة والنمسة، وهو إذا احتاج إلى مجاشاء الحصوم وجاراة الرجال. كان غير مبين، ليس عنسه بيسان، ولا يساتى بعرهان يجتج به من مجاصهه (4) وذلك لضعفهن قطرة عن الرجال.

ويذلك يبرز عجز الموصوف وضعفه في التعبير الكنائي باثبات شاهده ودليله مـن الواقــع الذي يعايشونه، ومنطقهم الذي يؤمنــون به، فيتجلى ظلمهم وغبنهم، فضلاً عن شركهم بالله ﷺ حين يجعلون له ممّا خلق جزءاً من المخلوقين.

تطهير الثياب:

جاەت ھدە الكناية خطاباً للرسول ﷺ في قولـه .. تىمـالى ..: ﴿ يَكُنِّبَاٱلنَّئِزُ ۞ رُغَيْزِ ۞ وَيَكُن نَكْبُر ۞ رَبِيَكُهُ مَلَيْزَ ﴾ (2).

أما المعنى البعيد المكنى عنه، فهو (القلب) كما قال ابن عباس (رفسي الله عنهما): كَنَـى بالثياب عن القلب والمعنى وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي بقول غيلان:

وإلي يحمن علام لا ثوب فاجر رأيس سن ولا من غلارة أثقلُم (٥٠)

وتقول العرب: "غلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المايب ومدانس الأخلاق، وفلان دنس الثياب للضادر، وذلك لأن الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه، فكني به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أهجيني زيد ثويه، كما يقولمون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون الجد في ثوبه، والكرم تحت حلته، يكنون عن نسبة الجد والكرم إليه. ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاء عنى بتطهير الظاهر وتقيته، وأبى إلا اجتناب الخبث وإيار

⁽¹⁾ الكشاف: 4 / 191.

^{(2).} سورة المنثر، الآيات: 1-4.

⁽³⁾ ينظر: الكشاف: 4 / 516.

⁽⁴⁾ صفوة التفاسير: 3 / 474.

⁽⁵⁾ جامع البيان في تفسير القرآن: 29 / 91. رينظر: التفسير الكبير: 30 / 193.

الطهر في كل شيء (١) فلما كنان الثوب كالشيء الملازم للانسان، جعلوه كناية على سبيل المجاورة، وكناية المجاورة هي ـ كما عرّفها البلاغيون ـ أن نريد ذكر الشيء فنتركه إلى ما جاوره (⁰⁾ وجعس الرازي مردّ حسن هذه الكناية إلى هذه المجاورة بين لفظ الكناية والمعنى المكنى عنه (أ). كما يتجلى حسن الكناية من حيث المعنى في ملاءمتها لسياق الانذار الذي جاءت فيه، فطهارة الموصوف (القلب) هي الحالة المناسبة للتّلقي من الملا الأعلى، فالطهارة هي ألصق شيء بطبيعة الرسالة، وهي ضرورية لملابسة الانذار والتبليغ (٥).

البهنان المُفترى بين البدين والرجلين:

وردت هــذه الكنايــة في قولــه _تعــالى ... ﴿ يَكَانُّهَا النَّيُّ لِظَاجَاءَكَ ٱلنُّوُّوسَنَتُ بُايَهُمَكَ طَقَ أَن لَا يُشْرَكُ لِقَوْ مَنْهَا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَرْيَقِ وَلَا يَقْتُلُنَ أَوْلِنَكُمَّ وَلَا يَأْبِنَ بِبُهْمَتِنِ بَشْتِرِينَهُ بَيْنَ أَلِيْنِ وَأَنْشِلُوكَ وَلا يَسْمِينَكَ فِي مَعْمُونِ فَإِيمَهُنَّ وَأَسْتَغَفِرَ أَنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَفُورٌ رَّحِم ﴾ (٥٠

﴿ بِبُهْتَنَ يَفَتِّرِينَهُ بَيْنَ لَيْدِيهِنَّ وَالْسَطِّلِهِ؟ ﴾ كناية عن موصوف، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): 'لا يلحقن بازواجهن غير أولادهن "(ف) وقال الزنخشري: "كانت المرأة تلتقط الولود فتقول لز وجها: هو ولمدي منك، كني بالبُّهتان المُقتري بين يديها ورجليها عن الولد اللَّذي تلصقه بزوجها كذبًّا، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلـده بـه بـين الـرجلين "(٢٠ فالموصــوف هــو اله لــد اللقيط، وليس المواد الزنا وذلك لتقدمه في السياق بالنهى صريحة ﴿ وَلا يَرْزَفِنَ ﴾ ولعمل هذا التحفظ .. بعد المبايعة على عدم الزنا .. كان للحالات الواقعة وقتدنًا من أن تبيح المرأة نفسها لعدة رجال، فإذا جاءت بولـد، نظرت أيُّهُم أقـرب بــه شـبها فألحقته بــه، وربمــا اختـارت هــى احسنهم فألحقت به ابنها وهي تعلم من هو أبوه! والكناية تشمل هـ أه الحالمة وغيرهما من كال

⁽¹⁾ الكيشاف: 4/ 516, وينظر: صفوة النفاسير: 3/ 474، والمتنخب من كنايبات الأدباء وإشارات البلغاء، ص 8.

⁽²⁾ ينظر: الخل السائر: 3 / 58.

⁽³⁾ التفسير الكبير: 30 / 192.

⁽⁴⁾ ينقر: في ظلال القرآن: 8 / 360.

⁽⁵⁾ سورة المتحنة، الآية: 12.

⁽⁶⁾ الانتقان في ملوم القرآن: 2 / 47.

⁽⁷⁾ الكشاف: 4/ 415، وينظر: روح الماني: 9/ 57.





بهتان مزور يدّعي، ولعل ابن عباس (رضي الله عنهمــا) خصـصه بــذلك المعنــي لمناســـة واقعــة وقتذاك (١).

ومن ثم نلحظ من الكناية والسياق مدى اهتمـام القـرآن بـالمرأة إذ يرتفـع بهـا إلى حيـث تحقَّق إنسانيتها إذا ما تحقَّقت في واقعها باجتناب ما ينهى عنه القرآن.

أي ظلال الترآن: 8 / 70.



الخاتمة

بعد أن شارفت _ بحمد الله تعالى _ نهاية الطاف في كتابة هذا:، وقد كان تجربة عظمية ممتعة في رحاب القرآن العظيم،وجدتني أقف على نتائج تمخّض عنها:، أجملها بما هو آت:

 آ ـ تبين لنا ـ خلال المهاد ـ أن الكناية في اللغة هي عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، وهـ لما العدول لا يعني إخفاء المعنى المقصود للايهام والتضليل كما هـو في (التوريـة)، ولا يعني _ أيضاً _ توخى الجمال والتفنن والتوسع في التعبير اللغوي، أو ارادة غرض مما يرمي إليه سياق العبارة حسب، وهو بالضرورة يجانب إيراز المعنى واظهاره وكشفه فينقلب التعبير إلى تعبير مباشر يقرّر معناه بطريقة مباشرة، وإنما يعني أنّ المعنى المكنى عنه ليس بالواضع وضوح المذكور صراحةً، ولا هو بالحقي المضلُّل الـذي لا تكاد تتبيّنه بالتأمل وإمعان النظر، وإنما هو أشبه ما يكون مكسواً بشوب رئيس شفاف يُوحى بالمعنى ولا بياشر به يُلمُّح إليه ولا يقرُّره.

أما الكتابة في الاصطلاح فقد أسهم جم غفير من العلماء وبخاصة أصحاب البلاغة ف تطوير دلالتها الاصطلاحية حين استقرت مصطلحاً عند المتأخرين منهم.

ولاحظنا في المهاد أن المفهوم اللغوي للكناية هو الطابع الأساس لها إلى عـصـر قُدامـة العمق والنضج ومن بعنض الملاحظات الني حندت التعريف الاصطلاحيثم وجيئنا أنها قد تطورت من المفهوم اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي هند قُدامة، فهو أول من عرَّفها باسم (الإرداف) ولم يسمّها كتابةً، كما فعل أبو هـلال العسكري، وابن مسئان الحفاجي، وعبد القاهر الجرجاني من بعده، والشواهد التي ساقها له همي من شواهد الكناية.

وذهب المهاد إلى أنَّ الكناية تعبر مجازي وهو ما ذهب إليه أكثر علماء البيان، وذلك لأن الكناية من أساليب التعبير غير المباشرة، وما يُراد منها غير مـا يـدل عليـه ظـاهر اللفظ وهو المعنى الحقيقي، وإنما القيصود معنى آخر يختفي وراء ظاهر اللفظ الكنائي ويرتبط به، وما دام المراد ليس الحقيقة المؤداة بظاهر اللفظ، فالآرلى أن تكون



الكناية من المجاز، فضلاً عن أن هناك الواناً من الكناية يتعلَّد فهم معناها الحقيقي أو إيراد،ويتفح ذلك مخاصة مع الكناية بالتمثيل.

وتبين أن التعريض هو لون من ألوان الكناية، أو طريقة متيزة من طرقها له خاصية فنية في التعبير عن المعنى إذا جاء في سياقه المعين النابع من الموقف الخاص اللذي يُقال فيه الكلام، وأن دلالة التعريض هي أخضى من دلالة الألسوان الأخرى من الكناية كالإرداف والتعثيل والتلويع والإيماء والإشارة، لأن دلالته تتحقّق من جهة المهوم، ودلالتها لفظية وضعية من جهة المجاز، وأن التعريض يختص باللفظ المركب وأن صور الكناية الأخرى تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً.

وفي ضوء الوسائط بين الكتى به والمكتى عنه قرباً أو بُضاءً أو خضاءً أو جبلاءً كان تقويم البلاغين الأسلوب الكناية، إذ جعلوا معيار جودة الكناية راجعاً إلى هساه الرسائط في بيانها ووضوحها في الدلالة على المنى المقصود، وعدواً ذلك شرطاً من شروط البلاغة. وقد أسس البلاغيون المتاخرون مصطلحات في ضوء هذه الوسائط التي توصلنا إلى المكنى عنه، فبنوا على ذلك خمسة أتواع هي: التعريض والتلميح والإهاء والإشارة والرمز.

كما نظر البلاغيون في طبيعة (الكنمى هنه) الذي يتوارى خلف سجف الكناية فجعلوه ثلاثة أضرب، وتبعاً لذلك فإن الكناية أنواع ثلاثة: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة.

وكل ما ذكروه من هله الأضرب هو صور بديلة لازمة للمعنى الحقيقي المقصود يتميز الواحد من الآخر بسمة لغوية وفنية في التمبير عن الأفكار والمداني بميوية وقوة وتأثير، لأن الكتابة من الأساليب البيانية التي تتسم بالإيجاز وغير المباشرة في التعبير عن المعنى، وهي تؤدي المعنى بذكر لوازم حسية تكون دليلاً ويرهاناً في إثبات المعنى، ومن ثم كانت الكتابة المغ من التصريح وأوقع في النقس منه وأكد في إثبات المعنى في اللعن والنقس وهذا سرً بلاضها.

ولاحظ المهاد أن المفسرين واللغويين والنحاة والأدباء والبلاضيين قـد عُنـوا جميعاً بالكناية القرآنية في الاستشهاد بها، وبيان المعاني التي تنطوي عليها، إلا أن ما ذكـوره من الكتايات القرآنية كان عمدوداً، إذ يكرر _ على الأغلب _ اللاحق منهم ما ذكـره

السابق، لذلك ظلّت الكتابة الترآتية عاجة إلى استقصاء شامل في القرآن كله، استقصاء مجمعها على صعيد واحد لدواستها دراسة موضوعة شاملة تبيّن خصائصها التعبيرية والتصويرية بوصفها أسلوباً من أساليب القرآن البليغة المعجزة. 2 - وفي الفصل الأول (الكتابة الجنسية) لاحظة دقة القرآن الكريم في استخدامه الكتابية إذ إن كسل الكتابيات الجنسسية تسترك في المعنسي الكتسى عنسه السويس (الجماع)، وتفترق كل كتابة بإنجاء خاص ينسجم مع السياق اللي تكون فيه الحهم موضوحة في موضعها اللاتن بها، وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن، ويتجلّى في الكتابية الجعد التهليي، فالقرآن بالكتابة يتسامى ويترفع عن التصريح بالألفاظ البليئة المفحدة التي تخدش الشعور وتحطّ من اللوق الإنساني وهدو يرتفع بالمعلاقة الزوجية إلى أفق كريم يناى بها عن الصورة الحيوانية الغليظة، ومن مجموع بالالتفاد الرائيلية المؤسسية تلحيظ إيماءاً للإنسان بالصورة الإنسانية في المباشرة والالتفاء.

ولاحظنا أنَّ ما ورد من الكنايات الجنسية ينطوي على دلالة موحية خاصة _ إذا ما قرونت بما ورد في القرآن من الفاظ صريحة دالة على الفاحشة كـ (الزنا واللواط) التي تقلّ قلّة ملحوظة إزاء الكنايات الجنسية المشروعة بين الزوجين _ وتتمثّل هسله الدلالة في الحث على تضييق النطق بالفاحش من القول والتناول به في الجتمع، لأن تناوله يعمل على إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، نتشيع في النفوس ثم تشيع بعد ذلك في الجتمع، فهو بُعد اجتماعي مرتبط بالبُعد التهذيبي، وهما هدف من أهداف القرآن الذي يُحارب شيوع الفاحشة في الواقع، لأنها لا تلبّي الفطرة السليمة، وتعمل على فساد الجتمع.

[3] وعلى صميد الفصل الثاني (الكتابة اللونية) الخهر: أن الكتابة باللون نومان:
 الأول: ذكر اللفظ المدال على اللون مباشرة في التعبير عن المساني والمشاهد والمواقف النفسية المتنوعة، كالكتابة باللون الأبيض، والأسود، والأؤرق، والأخضر، والأصف.

والثاني: التعبير عن اللون بصورة غير مباشرة، يـدرك فيهــا اللــون مـن خـــلال الــصورة الكنائية التي يتغلغل فيها اللــون فيتداعي للمتلقي بطريقة ذهنيــة، فبشير بذلــك



إلى المعاني والإيحاءات المنتوعة، وتبين من صرض أمثلة الكناية باللون بدلالة مباشرة وضير مباشرة أنها كانت غنية بإيحاءاتها، فهي ذات تيمسة فنية في تصويرها للمعاني والمشاهد فيما ترصمه من ظلال حول المعنى نئوحي بأكثر من دلالتها الظاهرة،وهي أكثر ما ترد في مشاهد يوم القيامة بوصفيها أمسلوباً ذا قوة تعبيرية في تجسيد المعانى النفسية في حيوية وقوة تأثير وإمناع.

4. ويين الفصل الثالث (الكتابية النفسية) هلى نحو جلي الإثدارات الوجدانية والمشاعر النفسية التي جسدتها الكتابية بالتصوير الفني المؤشر، والكتابية القرآنية لا تقف في معانيها ودلالاتها عند التصوير الحسي، وإنما يُموحي التصوير فيها بتضاعف دلالي معتوي ونفسي مؤثر يقرّب الأفكار والمعاني إلى الحس والوجدان فتنفحل له النفس انفحالاً من شائه أن يجدث إستجابة نفسية عمينة في المتلقى.

والكناية النفسية تظهر بالتسهوير الحسي دخائد النفوس، والمشاعر الباطنة، والانفعالات النفسية في حركات حسية نابضة بالحياة، سواء أكانت هذه الحركة باليد أم بالراص أم بالعين أم فير ذلك من أصضاء جسم الانسسان، فإنها تشير إلى المعاني النفسية المقصودة من ندم وحسرة وغيظ وحقد وجحود وإحراض، وهزيمة وخوف وهلم وفزع، واحتقار واستهانة، وفرح ومسرة وطمأنينة تعرض كمل هذه المعاني النفسية في سياقات مختلفة وأحوال متبايشة في الحياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي الخياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي

5 _ وجلى الفصل الرابع (الكتابة الحُلقية) موضوعات تتعلّق يقيم خُلقية إيجابية كانت أم سلبية مثل: الغيبة والنميمة، والبخل والتبلير، والشجاعة والجبن، والتكبر والتواضع، والمفة والصبر على مغريات الحياة الدنيا، وما إلى ذلك من موضوعات تتعلّق بـأخلاق الانسان وسلوكه وهو يتحرك ضمين المجتمع الذي يعيش فيه.

والقرآن حين يعوض هذه الموضوعات الخُلقية أعلى الأغلب ـ لا يعوضها بتعابير ذهنية مجردة ويتقريرية مباشرة، وإنما يعرضها بالأسلوب الكتائي الذي ينهض بنصيه الفي الكاسل في أداء المعاني وتصويرها بطريقة من شانها أن تحدث الاستجابة الوجدانية المناصبة في السامع أو القارئ وهو يتلقى هذه الموضوعات التي يقصد القرآن لل تنيتها في نفسه وقلبه أو تنفيره منها. 6 ـ وبين الفصل الخامس (الكتابة الساخرة) أن السخرية أسلوب عدائي مصوغ بدوح الفكاهة عمد إليه القرآن الكريم لتحقيق أغراض قصد إليها، والسخوية في القرآن الكريم قد ينظر إليها بعضهم على أنها لا تتفق وجلالة القرآن من حيث إنه كلام الله، للله لذلك لا يسوّفون نسبة السخرية بمعناها المعروف إلى الله \$5. لكن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل المعرور الساخرة التي ساقها، ومنها (الكتابات الساخرة) يجعلها كأنها صادرة من المسلمين أو عملة لم توقعهم، وذلك أن القرآن في كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى الشعور بها أن توقعها.

لذلك فإن الكنايات الساخرة التي تُمثّل جانباً ملحوظاً من أسلوب السخرية في القرآن هي ليست أسلوباً تميرياً وتصويرياً يبعث على الشمحك، وليست هي تهبتُماً أو هجاءً أو تهوين شأن الخصم حسب، وإنما هي .. أيضاً .. وسيلة حيوية لتحقيق أهداف على جانب كير من الأهمية سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية.

والكتابة الساخرة في طبيعتها مسلاح يستخدمه القرآن ضد أصداء المسلمين، وهي في ـ
الأحم الأغلب ـ تستهدف أئمة الكف ر والسشرك المذين يسمدنون ضرباتهم المدائية للامسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة. لذلك ميزهم القرآن بتعابير كنائية مساخرة تتال منهم نيلاً مولماً، إذ نهضت الكتابة بوظيفتها الفنية في أداء المعاني والأفكسار التي قصد القرآن إليها، ولو جاءت تعابير حقيقية غير الكتابة لما استطاعت أن تنهسض بما نهضت به الكتابة تعبراً وتصويراً في مواضعها التي اختارها القرآن.

7 ـ أما الفصل السادس (الكناية المعرفية) فقد تناول تلك الكنايات التي تتعلّن بالحواس من سمع وبصر وفواد والتي يتم بها لمصيل العلم والمعرفة التي هي أداة هادية إلى الإيمان بالله هي فينماذ الانسان بها من المخلوقات الآخرى، وبين هما الفصل من خلال كناياته مالمين مضادين: عالم الإيمان والهدى وأصحابه المؤمنين، وعالم الكفر والمضلال وأصحابه الكافرين الضالين، على التقابل في دلالاتهما الفكرية والنفسية، وقد حققت الكنايات المعرفية دلالات هميقة في الحس والشعور، ويقدر بساطة التراكيب الكنائية ووضوحها تكون قوة عطائها ومعق إيماقها في المعاني والأتكار، إذ يتغابل أمام الفكر والنفس طالمان متناقضان في دلالاتهما في صورة بيانية كاشفة تفصل كل عالم من هماين

المالمين بصفات حسية تشخص رموزاً لا ينقطع إيماؤها بما أخرجت المعاني والأنكار نجيوية ليس لتقريرها حسب، وإنما لتتوخل دلالاتها في كيسان الانسان ليتملّى معانيهما وافكارهما، ولتترسّخ معطياتهما في الفكر والنفس.

8 - وايقن: أن (الكناية التعريضية) في الفصل السابع هي لون من ألوان الكناية لا تقع ألأ في التركيب على خلاف اللوان الكناية الأخرى التي تقع في المفردة والتركيب، وهي تفيد القول بلافقة في سياقها، وذلك لأنها تشير بخفاء ومن دون ومسائط ولوازم إلى معنى بعيد فنبعث عزائرة الذهن للتعرف على المعنى المراد، من طريق سياق القول ومتنضياته، ولأنها تمتاز بالإنجاز في التعبير عن المعاني التي تهدف إليها، فهي تحقّن معناها الذي ترمي إليه من طريق المفهوم من السياق وقرائن الأحوال من غير ذكر ما يتعلق بالطوف المقابل المعرف به حفاظاً على مشاعره من الامتهان، لذلك تمدّ من الأساليب البيانية التي تفيض بالأدب القرآني الذي تنطبع به لفته المهلبة تقوياً للشألق، وصيانةً للنفس الانسانية من العيث والفيظ والإثارة المؤذية، ولذلك يكون وقع المعنى مؤثراً واقدر على الاستجابة النفسية المناسبة التي يقصد القرآن إلى إحداثها في النفس الانسانية المتاتية.

وسيين الفصل الثامن (كتايات عن يرم القيامة) أن القرآن يستخدم ألفاظاً كتائية متعددة في التعبير عن يوم القيامة، وكلها تشير إلى انفراط عقد هذا الكون المنظور، واختلال روابطه وضوابطه التي تمسك به في هذا النظام البديع المدقيق، وتشاثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد الناموس الذي يضبطها بقدرة الله وإرادت.

وكشف: من أن كل لقظ من هذه الألفاظ الكنائية عن يدو القيامة بجلّي صفة من مضات ذلك اليوم العظيم وأهواله بلفظه وإيقاصه الموسيقي، إذ إن الألفاظ الكنائية من يوم القيامة من الأسماء التي يُحْيِمُت بساء التأنيث فانتقلت من الوصفية إلى الأسمية، لذا فهي تفيد العموم واللبوت والشئة والقهر، كما أن التعريف في هذه الألفاظ هو تعريف الجنس تعميزها من بين الأجناس على وجه التخصيص، فيوم القيامة هو يوم عظيم لا تحيط الألفاظ والعبارات بوصف أهواله وأحداثه.. إلا أن تعدد هذه الكنايات وتجمعها على صعيد واحد يقرّب إلى الأذهان والقلوب على نحو من التوكيد أهوال ذلك اليوم وشدته على الكون والحياة والانسان، فتحدث الاستجابة

النفسية التي يهدف إليها القرآن، إذ الملاحظ أن هذه الكنايات قد جاءت في سهر مكية التي من أبرز أهنافها تأسيس أصول الدين الكبرى في القلوب والنفوس، وهي توحيد الله على قل الوهيته وربوبيته للكون والخلائل جيعاً، وفي مقدمتها: الانسان الـذي كرَّمـه الله أيّما تكريم ونفيّله على كثير عَن خلق تفضيلاً.

وبين الفصل أن هناك كنايات أخرى تتصل بكنايات يوم القيامة تصور شدة ذلك اليوم وكربه على الكافرين في مشاهد يـوم القيامـة، وكنايـات أخـرى تتعلَّـق بمـشاهد الناجين والمعذِّين في ذلك اليوم المشهود،مشهد الناجين وهــم أصمحاب الــيمين الــذين يؤتون كتبهم بالبمين، ومشهد المعدَّبين وهم أصحاب الشمال المذين يُؤتسون كتبهم بالشمال أو وراء الظهر. فالقرآن يجلى حقيقة (النجاة) من وراء إنيان الكتاب بـاليمين، وحقيقة (الهلاك) والثبور من وراه إتيان الكتاب بالشمال أو من وراء الظهر، وهما حقيقتان المقصود أن نستيقنهما كما أخبر بهما القرآن الكريم.

10 _ ثم ينتهي: بالفصل التاسع (كنايات قفي موضوعات متفرقة)، وقـد ضـمُ مجـاميع مـن الكنايات، تشكّل كلُّ مجموعة منها موضوعاً قائماً بذاته، وتشترك كيل مجموعة من الصور الكنائية في معالجة موضوعات يجمعها خيط فكرى واحد.

الجموعة الأولى: بعنوان (كتابات عن الشدَّة والكرب) اشتركت فيها ثلاث كتابات بإيماء المشدة والكرب المذي ينتاب الانسان في حياته، والمشدة والكرب الذي يواجهـ، في موت، وبعثه، وشدّة وكرب وهنو يواجه الحياة، يعرضها القرآن من خلال مواجهة نبي من الأنبياء (عليهم السلام) قومه الظالمين المنحرفين عن الفطرة السوية.

والجموعة الثانية: (كنايات عن مصارع الغابرين) كعاد وثمود وفرعون التي أهلكها الله بلنوبها، فجعل مصارعهم ذكرى لمن كان له قلب فيعتبر بها..

والمجموعة الثالثة: (كنايات عن العداب) التي تصوُّرصوراً متنوعة من عداب الله، منها عذاب أصحاب جهنم الذين ينشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ومنها عذاب في الحياة الننيا لأولياء الشيطان..

والجموعة الرابعة: (كنايات عن الرحمة) وتصوُّر صوراً من رحمة الله الراسعة لعباده.. والجموعة الخامسة: (كنايات أخرى) تنفرد فيه كل كناية بموضوع معين

وإذ يعرض القرآن هذه الموضوعات في مجاميعها، فإنه يعرضها بالتصوير الكنائي الـذي يحتضن الأفكار والمعاني فيؤديها بحيوية وقوة تـأثير في المتلقي تعمل على إحداث الاستجابة النفسية التي يهدف إليها القرآن. هذه أبرز المتاثج وأميزها، عسى أن نكون قد وفقتا في بيانها، وآخر دعوانا الله الحمـد ثقر ربًّ المعلمين.

المصادر والراجع

- ابن القيم وحسم البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح الاشين، دار الراف العربي،
 ط 1، بيروت 1402 هـ 1982 م.
- الاتقال في طدوم القرآن، السيوطي: جالل الدين عبد الرحن، تحقيق: محمد أبو
 الفضل ابراهيم، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة (د. ت).
- الأدب الرسنوي، فتسري بسير، ترجسة: هنسري رُغيسب، منسشورات مويسدات، ط 1،
 بيروت 1981.
- أساس البلاغة، جار الله عمود بن عمر الزغشري: عبد الرحيم عمود، مطبعة أو لاد
 اورفائك، ط 1، 1372 هـ 1953 م.
- أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلّق حواشيه: السيد محمد رشيد
 رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1398 هـ 1978 م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. يجيد عبد الحميد نـاجي، المؤسسة الجامعيـة للدراسات والنشر والتوزيم، ط 1، بيروت 1404 هـ 1984 م.
- الاسلام والقريبة الجنسية، د. وجيه زين العابدين، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت (د. ت).
- أسلوب السخوية في القرآن الكويم، د. عبد الحليم حفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
- الأسلوب الكنائي نشأته تطوره بلاغته، د. محمود السيد شيخون، الناشر: مكتبة
 الكليات الأزهرية، ط 1، القاهرة 1398 هـ 1978 م.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط 3، 1970.
- أصبول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة ، د. محمد حسين علي السعفيء مطيعة دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986 (سلسلة كتب شعرية).



- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق،د. حائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ،
 مطابع دار المعارف بمصر 1971.
 - الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، مطبعة أشبيلية، بغداد، (د. ت).
- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، مطالبع الأهرام
 التجارية، 1390 هـ 1970 م.
- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1،
 بغداد 1988.
- أنوار الربيع في أنواع البليع، ابن معصوم المدني، حققه وترجم لشعرائع: شاكر هادي
 شكر، مطبعة النعمان، ط 1، النجف 1389 هـ 1969 م.
- الإيـضاح في علـوم البلاغة، الخطيب القـزويني، شـرح وتعليـق وتنقـيح: د. عمـد
 عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1989.
- إيقاع اللون في القصيدة العربية الحديثة، د. علوي الحاشمي (مهرجان المربد الشعري التاسع)، ضمن (الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين)، دار الحربة للطباعة، بغداد 1410 هـ 1989 م.
- البحر الخيط، الأندلسي: أثير الذين عمد بن يوسف بن حيان، الناشر: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، بيروت (د. ت).
 - البدي ع، عبد الله بن المعتز، نشر وتعليق: اختاطيوس كراتشقوفسكي (د. ت).
- يديع القرآن، ابن أبي الأصبع للصري، تحقيق: حفتي عصد شرف، دار نهضة مصر للطيع والنشر، القاهرة، (د. ت).
- البرحان في حلوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبن
 الفضل ابراهيم، عيسى البايي الحلبي وشركاء، ط 2، (د. ت).
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهيب الكاتب،
 تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، ط 1، بغداد 1387 هـ 1967م.

- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقـوب الفيروز آبـادي، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة 1385 هـ 1965 م.
 - البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط 2، (د. ت).
- البلاغة العربية لمعاني والبيان والبديع ، د. أحمد مطلوب، وزارة التعليم العالى و: العلمي، الجمهورية العراقية، ط ، بغداد 1400 هـ 1980.
- البلاغة عند الجاحظ، د. أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافية والاصلام، الجمهوريية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1403 هـ ق 1983م (سلسلة دراسات 342).
- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط 1، ميّان 1405 هـ 1985 م.
- البلاضة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كاصل حسن البصير، مطبعة دار الكتب، ط 1، جامعة الموصل 1982.
 - البلاغة الواضحة، على الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف بمصر، ط 7، (د. ت).
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق ، د. كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1407 هـ 1987 م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحـر الجـاحظ، تحقيـق: عبـد الـــــلام محمـد هــارون، مكتبة الخالجي، القاهرة 1968 م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط 3، المدينة المتورة 1401 هـ 1981 م.
- التبيان في البيان، الطبيى: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، تحقيق: د. توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، ذات السلاسل للطباعة والنشر، ط 1، الكويت .1986 م 1476
- التيان في تفسير القرآن، الطومي: أبو جعفر محمد بين الحسن، صححه ورتبه: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (د. ت).
- تحرير التحير في صناعة الشعر والنشر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: د. حضى محمد شرف، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة 1383 هـ 1963 م.



- التصوير البياني، حقني محمد شرف، مكتبة الشياب، المطبعة العثمانية، ط 2، 1973.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، د. عمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، ط 2، القاهرة 1400 هـ 1980.
 - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (د. ت)، (د. ط).
- التعبير القرآني رؤية بلاغية نقدية ، د. شفيع السيد، دار غريب للطباعة، القاهرة .1977
- التعمير الفسئ في القسرآن، د. بكري شيخ أمين، دار المشروق، ط 4، القساهرة، 1400 هـ 1980 م.
- التعابير القرآئية والبيئة العربية في مشاهد القيامة، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الأداب، ط 1، النجف 1378 هـ 1967 م.
- التفسير الاسلامي للتاريخ، د. عماد الذين خليل، مطبعة أوفسيت المناء، ط 2، بقداد .1978
- تفسير أبي السعود المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بروت، (د. ت).
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحن، دار المعارف، ط 6، القاهرة .1982
- تفسير التحويس والتشوير، محمد الطناهر بمن عاشبور، الندار التونسية للنبشر، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1973 م.
- تفسير الجلالين، جلال الذين محمد بن أحمد الحلى وجلال المدين عبد الموحن السيوطي، مطبوعات مكتبة محمد نهاد هاشم الكتي، (د. ت)، بهامش (القرآن الكريم).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدسشقي، دار الجيار، ط 1، بيروت 1408 هـ 1988 م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، ط 2، (د. ت).



- تفسير المنار (تفسير القرآن الكويم)، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمسو، ط 1، 1346 هـ.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبد الفني حسن،
 دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلي، ط 1، القاهرة 1374 هـ 1955 م.
- التلخيص في ملوم البلاغة، القزويني: جلال اللين عمد بن عبد الرحن القزويني
 الخطيب، ضبطه وشسوحه: عبد الرحن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بسروت،
 (د. ت).
- تهذيب الأخلاق، يحيى بن صدي التكريني، تحقيق وترجمة: د. نـاجي التكريني، وزارة
 التعليم العالي و: العلمي، بشاه 1992.
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جريـر الطـبري، دار المرفـة للطباعـة
 والنشر، ط 2، بيروت 1392 هـ 1972 م.
- الجامع الكبير في صناحة المنظوم من الكمام والمشور، ابن الأثير: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد، الجمع العلمي العواقي، بضداد 1375 هـ 1956 م.
- الجامع الأحكام القرآن، أبو عبد الله عمد بن أحمد الأنصاري القرطي، الناشر: دار
 الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1387 هـ 1967 م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في: البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال،
 ألجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر 1980 (سلسلة دراسات
 رقم 195).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، منشورات دار إحياء التراث العربي، ط 12، يعوت، (د. ت).
- جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة ، نجم الدين أحمد بن
 اسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: د. عمد زخلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالأسكندية، (د. ت).

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، محمد بن الحسن الحمائي، تحقيق: د. جعفر الكتائي،
 الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاحلام، دار الرشيد للنشر، 1979، (سلسلة كتب الزائ 28).
- الحيوان، أبر عثمان عمور بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط 3 ، 1388 هـ - 1969 م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).
- الخلاصة في سذاهب الأدب الغربي، د. علي جواد الطاهر، منشورات دار الجاحظ للنشر، الجمهورية العراقية، دار الحربة للطباعة، بغداد، 1983، (الموسوعة الصغيرة 121).
- دراسات في علم النفس الاسلامي، د. محمود البستاني، دار البلاضة، ط 1، بيروت 1408 هـ 1988 م.
- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهرالجرجاني، تعليق وشرح: عمد عبد المنعم خفاجي،
 مطبعة الفجائة الجديدة، ط 1، القاهرة 1389 هـ 1969 م.
- دلالات التراكيب دراسة بلافية ، د. محمد أبو موسى، دار المعلم للطباعة، ط 1،
 القاهرة 1399هـ 1979 م.
 - دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، القاهرة 1945.
- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: صد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د. ت).
- الرمزية في الأدب العربـي، د. درويـش الجنــدي، داتــر نهــضة مــصر للطبــع والنــشر،
 مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1972.
- الرمزية والأدب العربي الحديث، أنطون غطاس كرم، دجار الكشاف للنشر والطباعة
 والتوزيع، بعروت 1949.
- الرمزية والرومانتيكية في السشعر اللبنماني، أمية حمدان، منسشورات وزارة الثقافة
 والاعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر 1989، (سلسلة دراسات 267).



- الرؤية البيانية صد الجاحظ، ادريس بلمليح، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1404 مـ 12984 م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبم المثاني، لأبسي الفيضل شبهاب البدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، المطبعة الكبرى المبرية، ط 1، مصر، 1310 هـ.
- الروض المريسم في صناعة البديم، ابن البنّاء المراكسي العددي، تحقيق: رضيوان بنشقرون، نشر وطبع دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده1372 هـ 1953 م.
- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود محمد غريب، البدار العربيبة للطباعة، بغيداد .1977
 - ميكولوجية الفكاهة والضحك، د. زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، (د. ت).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت 1407 هـ 1987م.
- صحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله عمد بن اسماعيل البخاري، مطبوعات محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمسر، (د. ت).
 - صفوة البيان لماني القرآن، حسنين محمد غلوف، ط 3، (د. ت).
- صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، ط 2، بيروت، الجلد الأول طبع في 1400 هـ - 1980 م. والثاني والثالث في 1401 هـ - 1981 م.
 - الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، القاهرة 1378 هـ 1958 م.
- المصورة الفنية في المشل القرآني دراسة نقدية وبلاغية ، د. عمد حسين على المصغير، الجمهوريمة العراقيمة، وزارة الثقافية والاعملام، دار الرشيد للنمشر 1981، (سلسلة دراسات رقم 288).
- الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، صححه: عبد الغني عبد الخالق، مطبعة منير، ط 2، .1985
- الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، 1980، (سلسلة دراسات رقم 236).





- الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلموم حقائق الإعجاز، العلموي: يجيعي بـن حمزة بـن
 علي العلوي اليمني، مطبعة للقتطف بممر 1332 هـ 1914 م.
- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقاده، د. أحمد مطلوب، ط 1، بيروت، 1393 هـ.
 1973 م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المقتاح، يهاء الدين السبكي، ضمن شروح التلخيص،
 مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاء بمصر، (د. ت).
- العقد الغريد، ابن عبد ربّ : أبو عمر أحمد بن محمد بن صبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه وصححه: أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشو، ط 2.
 بيروت 1375هـ 1956م.
- العلاقات الجنسية خير الشرعة وعقوبتها في الشريعة والقنانون، د. عبد الملك
 عبد الرحن السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، ط 3، 1410 هـ 1989 م.
- علم الي ان، د. عبد العزير عين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).
- علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د. بـ دري طبانـة،
 المطبعة الفنية الحديثة، ط 4، 1977.
- علم البيان في الدراسات البلاغية، على البدري، مكتبة النهضة الممرية، ط 2،
 1404 هـ 1984 م.
 - علم عناصر الفن، فرج عبو، دار دلفين للنشر، إيطاليا، ميلانو 1982.
- العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني: أبو علمي الحسن بمن رشيق،
 تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 4، بيروت 1972.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكوي، ضبطه وحققه: حسام المدين القدمسي، دار الكدب
 العلمية، بيروت، (د. ت).
- ققة اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل 1407 هـ 1987 م.
- الفلسفة الحُلُقية نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل الناشر: دار المعارف بالأمسكندرية،
 مطبعة لجنة التاليف والمترجة والنشر، القاهرة 1960.



- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيّم الجوزية، القاهرة 1327 هـ .
- في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، د. مسعد أبـــو الرضـــا، الناشـــر: منشأة المعارف بالأسكندرية 1987.
- في ظلال القرآن، سيد تطب، دار إحياء التراث العربي، ط 5، بعروت، 1386 هـ.
 1967 م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي
 الحلبي وأولاده يمسر، 1371هـ 1952م.
 - القرآن إصجازه ويلاغته، د. عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة، مصر 1975 م.
- القرآن والسعورة البيانية، د. عبد القبادر حسن، صالم الكتب، ط 2، بيروت، 1405 هـ 1985 م.
- القرويني وشروح التلخيص، د. أحمد مطلوب، مطابع دار التضامن، ط 1، بغداد،
 1387 هـ 1967م.
- الكامل، المردد أبو العباس عمد بن يزيد، عارضه بأصوله وطنق عليه: محد أبو القضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).
- كتباب البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن محر الجاحظ: تحقيق وشرح: عبد السلام عمد مارون، منشورات وزارة الثقافة والاصلام،
 الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بعروت 1982، (سلسلة كتب التراث).
- كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد
 هارون، دار غريب للطباعة، ط 3، القاهرة 1408 هـ 12988 م.
- كتاب الصناعتين، العسكري: أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: صلي عمد البجاري وعمد أبر الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، البابي الحلي، ط 1، القاهرة 1371 هـ 1952 م.



- كتاب العدين، أبد عبد الدرحن الخليل بن أحمد القراهيدي، اتحقيق: د. مهددي
 المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام،
 دار الحرية للطباعة، بغناد 1986.
- كتاب المُلمَّع، صنعة أبي عبد الله الحسين بن علي النمري، تحقيق: وجيهة أحمد السُطل،
 مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1396 هـ 1976 م.
- الكشاف من حقاتق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن ممر الزخستري، الجلسد الأول، دار الفكسر، بسرت. والجلسدات الساني والثالث والرابع، ترتيب وضيط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، ط 2، القاهرة 1373 هـ 1953 م.
- الكتابة أساليها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، عمد الحسن علي الأمين أحماء بررت 1405هـ 1985 م.
- الكثابة والتعريض ضمن رسائل الثمالي أو نثر النظم وحل العقد ، أبو منصور
 عبد الملك بن عمد بن اسماعيل الثعالي، قدّم له: علي الخاقاني، دار صحب، بيروت،
 (د. ت).
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بهامش تفسير الجلالين، مطبوعات مكتبة عمد نهاد هاشم الكتي، (د. ت).
- لسان العرب، ابن منظ ور: أبو القضل جال النين عمد بن مكرم، دار صادر،
 (د. ت).
- الحقة المنطقين في القدرآن، د. حب الفتاح الانسين، دار الرائد العربي، ط 1، بسيروت 1405 هـ 1985 م.
- اللقة واللون، د. أحمد مختار العمم ر، دار البحوث العلمي ة، ط 1، 1402 هـ.
 1982 م.
 - الل ون، محمد يوسف همام، مطبعة الاعتماد، ط 1، مصر 1348 هـ 1930 م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ضياء الدين بن الأثير، قدّمه وحلق
 طيمة: د. أحمد الحموفي و د. يسدي طبائمة، دار نهسفمة مسمر للطبيع والنـشر، مطبعة
 نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).



- مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمو بـن المثنى التيّمي، عرضه بأصوله وعلَّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، دار الفكر، ط 2، 1390 هـ 1970 م.
- مجاز القرآن خصائصه النُّنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين على الصغير، طباصة ونشر دار الشؤون الثقانية العامة، ط 1، بغداد 1994.
- المختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتيازاني، ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، (د. ت).
- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد النين خليل، مطبعة الزهراء الحديثة، ط 3، الموصل 1405 هـ 1985 م.
- المذاهب الأخلاقية الكبري، افرانسوا فريضورا، ترجمة: قتيمة للصروفي، منشورات مويدات، ط 1، بيروت 1970 م.
- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب، الميشة المصرية العامة للكتاب، 1977، (الكتبة الثقانية 343).
- المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية ، د. حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار، ط 1، الأردن 1984.
 - مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار المارف عصر، (د. ت).
 - معانى الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط 1، 1401 هـ 1981م.
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، فتحيي أحمد عامر، الناشر: منشأة المعارف بالأسكندرية، 1976.
 - معانى القرآن، أبو زكريا مجيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، ط 2، بيروت، 1980.
- المعانى في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح الشين، المكتبة الأموية، ط 4، .1983
- مع القرآن في عالمه الرحيب، د. عماد الدين خلى ل، دار العلم للملابين، بيروت، (د. ت).
 - المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي 1390 هـ 1970 م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلبوب، مطبعة الجمع العلمي العراقي، بغداد، 1407 هـ 1987 م.

- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلمي، ط 2، 1392 هـ 1972 م.
- المعرفة الموفية (دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة)، ناجى حسين جودة، دار عمّار، ط 1، عمان 1412 هـ 1992 م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكمر محمد على السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده يمصر، ط 1، 1356 هـ 1937 م.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، أعد، للنشر وأشرف على الطبع: د. محمد أحمد خلف الله، الناشر: مكتبة الأنجلم المصرية، المطبعة الفنية الحديثة 1970.
- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، د. عمد أبو موسى، الناشر: دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، 1396 هـ 1976 م.
- من بلاغة القرآن، أحمد بمدوى، دار تهمضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهمضة مصر، القامرة 1370 م. 1950 م.
- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية السائل علم المعاني ، د. عبد العزيز عبد المعلى عرفة، عالم الكتب، ط 2، 1405 هـ 1984 م.
- · المتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفى، عنى بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، ط 1، ممبر 1326 هـ 1908 م.
- مواهب الرحن في تفسير القرآن، محمد عبد الكريم المدرس، عني بنشره: محمد على القره داغي، دار الحرية للطباعة، ط 1، بغداد 1406 هـ 1986 م. وطبع الجلد السابم في 1409 هـ 1989 م.
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلى وشركاه بمصر، (د. ت).







- نصوص قرآنية في النفس الانسانية، د. عز الدين اسماعيل، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط 2، بغداد 1986.
- نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيـاً، د. هـادي عطيـة مطــر الهلالي، مكبة النهضة العربية، ط 1، 1406 هـ 1986 م.
- نقد الشعر، لأبي الفرج قُدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خضاجي، دار الكتب العلمية، ببروت، (د. ت).
- النكت في إحجاز القرآن، الرماني: أبو الحسن على بن عيسى، ضمن ثلاث رسائل في إصجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف عصر، ط 3، 1976.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، (د. ت).
- نهاية الإيجاز في دارية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: د. ابراهيم السامرائي و د. محمد بركات حمدي أبو على، دار الفكر للنشر والتوزيم، عمان 1985.
 - ثانياً الرسائل والأطاريح الجامعية:
- أساليب الجاز في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه)، د. أحمد حمد محسن الجبوري، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989.
- الاستعارة في القرآن الكريم (رمالة ماجستير)، أحمد فتحي رمضان، كلية الاداب، جامعة الموصل، 1988.
- ألفاظ الثواب في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير)، عماد عبد يحبى، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1987.
- الألفاظ النفسية في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير)، أيمن توفيق الوتاري، كلية الأداب، جامعة الموصل، 1994.

- البُندى والمدلالات في لغة القسصص القرآنيي دراسة فنية (اطروحة دكتوراه)، د. صاد عبد يحيى، كلية الأداب، جامعة الموصل، 1412 هـ 1992 م.
- منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم (اطروحة دكتوراه)، د. كاصد ياسر الزيدي،
 كلية الأداب، جامعة القاهرة، 1396 هـ. 1976 م.
- نشاط المسفدي في النقد والبلاغة (أطروحة دكتوراه)، د. مناهـل فخـر الـدين فلـيح،
 كلية الأداب، جامعة القاهرة، 1397هـ 1978 م.
 - ثالثاً المجلات والدوريات:
- الفاظ النصر والتمكين في القرآن الكريم دراسة دلالية ، د. عبد الوهاب محمد علي العدواني وعماد عبد يحيى، مجلة آداب الرافدين، تصدر عن كلبية الآداب، جامعة الموسل، العدد (23) 1992.
- التعبير عن اللون في الشعر العربي القاديم، د. وولف دتريش فيشر، عجلة التربية والعلم،
 العدد (8) 1989.
- جدل اللون في شعر خليل حاوي، د. بشرى حمدي البستاني، عجلة آداب الرافدين،
 تصدر عن كلية الأداب، جامعة الموصل، العدد (25) 1993.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د. كاصد ياسر حسين، مجلة كلية آداب الوافدين،
 تصدر عن كلية الأداب، جامعة الموصل، العدد (9) 1978.
- شاعرية الألوان صد امرئ القيس، عمد عبد المطلب، جلة فصول، العدد (2)
 1985.
- الكتابة، عصد جابر الفياض، عبلة الجمع العلمي العراقي، (ج 1 37)، مطبعة
 الجمع العلمي العراقي، بنداد 1406هـ 1986م.
- مقوصات النصور في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، جلـة آداب الرافـدين،
 تصدر من كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (23) 1992.





وار غيواع لنتتر والأوزيع

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول خلوي (4962 7 95667143 - E-mail: darghidaa@gmail.com

تلاع العلي - شارع الملكة راتها المبدالله تلفاكس ، 5353402 6 962 4 من ب 520946 عمان 11152 الأربن